
#1
قائمة نيويورك تايمز لأكثر الكتّاب مبيعًا
مكتبة
الغربان
كاس مورجان ودانييل بايج
ترجمة: ياسمين أكرم
عصير الكتب

قائمة نيويورك تايمز لأكثر الكتّاب مبيعًا

الغربان

كاس مورجان ودانييل بايج

ترجمة: ياسمين أكرم





لتجارة الكتب

إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

- العنوان الأصلي: The Ravens
- العنوان العربي: الغربان
- طُبِع بواسطة: Houghton Mifflin Harcourt Publishing Company

- ترجمة: ياسمين أكرم
- تحرير: محمد المتيم
- تدقيق لغوي: أسماء أبو المجد
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الطبعة الأولى: يناير / 2023م
- رقم الإيداع: 2021/26350م
- الترقيم الدولي: 978-977-6902-86-2



تليجرام

غواص في بحر الكتب

الغربان



إلى أمي مارشا بلوم التي علمتني أفضل أنواع السحر،
أن أرى الجمال في كل ما حولي وأجد السحر حيث لا يتوقع أحد.

- كاس.

إلى آندريا سيينا وفيونا وبقية جماعتي السحرية.

وإلى أمي شيرلي بايج التي سوف يلازمني سحرها دائمًا.

- دانييل.


تليجرام
هنا
سور الأزبكية





تمهيد

نظرت الساحرة إلى الفتاة الشقراء، المنكمشة من شدة الخوف على الأرض، الفتاة التي اتسعت عيناها من فرط الرعب.

- لا تنظري إليَّ بهذه الطريقة. لقد أخبرتكِ أنني لا أريد فعل ذلك.

تفوهت الساحرة بهذه الكلمات، بينما كانت ترسم الدائرة وتضيء الشموع، وتتفقد محتويات المرجل المشتعل والفقاعات الصادرة عنه.

سُنَّت السكين سابقًا ولمعت على المذبح إلى جانب قربانها.

أصدرت الفتاة أنينًا استجابةً لذلك، والدموع تنهمر على وجهها. كان فمها مُكممًا، غير أن كلماتها رنّت بوضوح في رأس الساحرة.

تذكَّري مَن أنا، تذكَّري مَن أنتِ، تذكَّري الغربان.

حصَّنت الساحرة قلبها من العاطفة. لا شك أن الفتاة ظنت أن هناك فرصة للنجاة أوحت بها نبرة خاطفتها الاعتذارية. فرصة لإقناعها بالتوقف. فرصة للتمسك بالأمل. فرصة أخيرة للحياة.

كان الأوان قد فات على ذلك. فالسحر لم يبطل مفعوله. لقد منح وسلب. هذه كانت الهدية. وهذا كان الثمن.

جثت الساحرة على ركبتيها بجوار الفتاة، وتفقدت القيود مرة أخيرة. محكمة، ولكن ليس بالدرجة التي تقطع بها دورتها الدموية. فهي لم تكن بتلك الوحشية.

اندلعت صرخات الفتاة مرة أخرى، مخترقةً الكمامة المحشوة في فمها. صرّت الساحرة على أسنانها. فقد كانت تفضل كثيرًا أن تكون الفتاة فاقدة الوعي. إذ إن الطقوس السحرية التي عثرت عليها بشق الأنفس كانت دقيقة للغاية. ولكي تنجح هذه الطقوس، يتعين عليها إتقانها تمامًا. وإذا لم تنجح...

أغمضت عينيها، إذ لم يسعها التفكير في هذه الاحتمالية. لا بد أن تنجح. لم يكن هناك خيار آخر. التقطت السكين وبدأت في ترديد التعاويذ. وفي النهاية، ذهلت من مدى سهولة الأمر. تمريرة خاطفة للسكين أعقبها حمّامٌ من الدم، يليه الصوت المميز الأشبه بالشرارة الكهربائية لانتشار السحر في الأجواء...

السحر الذي أصبح مِلكًا لها وحدها الآن.



الفصل الأول

فيفي

- فيفيان.

وقفت دافني ديفيرو عند مدخل غرفة ابنتها وقد امتقع وجهها من فرط الحزن. وعلى الرغم من قسوة الطقس الحار في مدينة رينو، ارتدت روبًا أسود -يصل إلى الأرض- مطرزًا من الجانبين بخيوط ذهبية، ولفَّت حول شعرها المجعد المنفوش وشاحًا مخمليًّا.

- لا يسعكِ الذهاب، لقد أتتني رؤيا.

ألقت فيفي نظرة خاطفة على أمها، وكتمت بداخلها تنهيدة، ثم عادت إلى حزم حقائبها. كانت ستغادر إلى جامعة ويسترلي في مدينة سافانا في ظهيرة هذا اليوم، وتحاول أن تحزم حياتها بأكملها في حقيبتَي سفر وحقيبة ظهر. ولحسن الحظ، قضت فيفي عمرها بالكامل تتدرب على هذه اللحظة. إذ إنه حالما كانت تواتي دافني ديفيرو إحدى هذه «الرؤى»، كانتا تغادران على الأرجح في صباح اليوم التالي، وليذهب الإيجار غير المدفوع والأغراض التي لم توضَّب إلى الجحيم. وفي إحدى المرات عندما ترجَّت فيفي التي كانت في الثامنة من عمرها دافني أن تعودا لاصطحاب دميتها المحشوة على هيئة فرس نهر، الذي سمَّته فيليب، قالت لها: «من الأفضل لنا أن نحظى ببداية جديدة يا حلوتي. لا يجب أن تحملي هذه الطاقة السلبية معكِ».

قالت فيفيان وهي تدفع بالعديد من الكتب في حقيبة ظهرها، إذ إن دافني كانت ستنتقل أيضًا من مدينة رينو إلى مدينة لويسفيل، ولم تكن فيفي لتأتمن أمها على اصطحاب مكتبتها معها: «دعيني أخمن، لقد رأيتِ قوى مظلمة متجهة نحوي».

- لن تكوني بأمان في... هذا المكان.

أغمضت فيفي عينيها، وأخذت نفسًا عميقًا تمنت أن يكون مهدئًا لها.

لم تقدر أمها على نطق كلمة *جامعة* طيلة أشهر: «اسمها ويسترلي، ليست كلمة بذيئة».

وبعيدًا عن ذلك، كانت ويسترلي بمنزلة طوق النجاة بالنسبة إلى فيفيان. لقد صُدمت عند حصولها على منحة دراسية كاملة في ويسترلي، وهي جامعة اعتبرت أنها غير جديرة بالالتحاق بها.

لطالما كانت فيفي طالبة قوية العزيمة، غير أنها التحقت بثلاث مدارس ثانوية مختلفة -اثنتين منها بدأت فيهما الدراسة في منتصف العام الدراسي- وتضمنت أوراقها الرسمية عددًا متساويًا من المواد الدراسية التي انتهت من دراستها وتلك التي لم تنتهِ منها.

كانت دافني على الجانب الآخر معارضة بإصرار لذهابها إلى هناك وقالت لها باقتناعٍ مثير للدهشة: «سوف تكرهين ويسترلي. لن تطأ قدماي الحرم الجامعيَّ».

كان هذا التصريح حاسمًا لقرار فيفي. فإذا كانت أمها تكره المكان لهذه الدرجة، فهذا يعني أنه المكان الأمثل بالنسبة إلى فيفي لتبدأ حياتها من جديد.

بينما كانت دافني تقف عند مدخل الغرفة في حالة من الحداد، نظرت فيفي إلى الروزنامة الخاصة بجامعة ويسترلي الملصقة على الحائط المطليٍّ بالأصفر، الزخرفة الوحيدة التي عنيت بإضافتها طوال هذه الأيام. من بين كل الأماكن التي عاشتا فيها على مدار هذه السنوات، كانت هذه الشقة الأقل تفضيلًا بالنسبة إليها. الشقة المكونة من غرفتَي نوم، ومُزيَّنة بزخارف من الجص وتقبع فوق محل رهونات في مدينة رينو، وفاحت من المكان بأكمله رائحة السجائر واليأس. وتشابهت في ذلك كثيرًا مع ولاية نيفادا المتربة

بأكملها. كانت الصور المضمنة في الروزنامة، الأشبه بقصائد صيغت بعناية في محبة المباني المغطاة بنباتات اللبلاب وأشجار البلوط الحي ذات الأوراق الأشبه بالطحالب، بمنزلة بارقة أمل. كانت بمنزلة تذكير بوجود ما هو أفضل، مستقبل بإمكانها أن تصوغه بنفسها، بعيدًا عن أمها وما تنذر به من شرور.

ثم رأت فيفي الدموع في عينَي أمها، وشعرت بغضبها يتلاشى قليلًا. رغم أن دافني كانت ممثلة بارعة بامتياز -وهي مهارة ضرورية عندما تعتمد معيشتك على سلب الغرباء أموالهم- فإنها لم تتمكن يومًا من تزييف دموعها.

توقفت فيفي عن حزم حقائبها، ومشت بضع خطوات عبر غرفتها الضيقة نحو أمها.

قالت فيفي: «ستكون الأمور على ما يرام يا أمي. لن أغيب طويلًا. سوف يحل عيد الشكر قبل أن تلاحظي غيابي».

شهقت أمها باكيةً ومدَّت ذراعها الشاحبة إليها. كان لفيفي نفس بشرة أمها الشاحبة، أي أنها كانت تصاب بحروق بعد خمس عشرة دقيقة من التعرض لشمس الصحراء الحارقة.

- انظري إلى البطاقة التي سحبتها من الصليب السلتي.

لقد كانت إحدى بطاقات التارو. إذ إن دافني جنت قوت يومها من «قراءة الطالع» لكل الأشخاص التعساء والبائسين الذين لجؤوا إليها وأنفقوا أموالًا كثيرة في مقابل التفاهات: «أجل، سوف يجد زوجك الكسول عملًا قريبًا». «لا، والدك الذي تهرَّب منكِ في صغرك لا يكرهكِ، في الواقع، هو أيضًا يحاول العثور عليكِ...».

عندما كانت فيفي طفلة أحبت مشاهدة أمها الجميلة وهي تبهر الزبائن بحكمتها وسحرها. ولكنها كلما كبرت في السن، أصبحت رؤية أمها وهي تتربح من آلامهم تضغط بشدة على أعصابها. لم تتحمل مشاهدة الناس وهم يتعرضون للاستغلال، ومع ذلك لم يكن بوسعها فعل أي شيء حيال ذلك. إذ إن قراءات دافني كانت مصدر دخلهما الوحيد، والوسيلة الوحيدة لدفع إيجار الشقق البائسة التي عاشتا فيها وأغراض البقالة مُخفّضة الثمن.

ولكن ليس بعد اليوم، إذ إن فيفي وجدت مخرجًا أخيرًا. بداية جديدة، بعيدًا عن سلوكيات أمها المندفعة. ذلك النوع من التصرفات الذي قادهما إلى إهدار حياتهما واعتماد مصدر دخلهما مجددًا على «رؤى» دافني لا أكثر.

قالت فيفي وهي تنظر بدهشة إلى بطاقة التارو في يد أمها: «دعيني أخمن، الموت؟».

أظلم وجه أمها، وعندما تحدثت أضحى صوتها المبتهج حادًا وهادئًا بدرجة مخيفة.

- فيفي، أعلم أنكِ لا تؤمنين بالتارو، ولكن لمرة واحدة فقط، أصغي إليَّ.

أخذت فيفي البطاقة وقلبتها. وكما توقعت، أطلَّ هيكلٌ عظميٌّ يحمل منجلًا من البطاقة. كانت عيناه مجوفتين وفمه منحنيًا في هيئة ابتسامة خبيثة.

اندفعت الأيادي والأقدام المبتورة من الأرض الرطبة بينما غابت الشمس في السماء الملطخة باللون الأحمر القاني. شعرت فيفي بدوارٍ وكأنها كانت تقف على شفا الهاوية، وتنظر إلى الأسفل إلى مساحة شاسعة من العدم بدلًا من أن تقف في غرفة نومها، حيث كان المنظر الوحيد الذي أطلت عليه هو اللافتة الصفراء المضيئة في الجهة المقابلة من الشارع، المكتوب عليها «نشتري الذهب».

همست دافني: «لقد أخبرتكِ، ويسترلي ليست بمكانٍ آمنٍ لأمثالك. إذ إنكِ لديك القدرة على رؤية ما وراء الحجاب. ما يجعل منكِ هدفًا للقوى المظلمة».

- وراء الحجاب؟ (كررت فيفي العبارة بضجر) لقد ظننتُ أنكِ لن تتفوهي بأمورٍ كهذه مرة أخرى.

حاولت دافني، خلال طفولة فيفي، أن تجتذبها إلى عالم التارو وجلسات تحضير الأرواح والبلورات، زاعمةً أن فيفي تمتلك «قوى خارقة» في انتظار أن تتحرر. لدرجة أنها درَّبت فيفي على قراءات بسيطة للزبائن، الذين أدهشهم منظر الفتاة الصغيرة وهي تتواصل مع الأرواح. ولكن في النهاية، أدركت فيفي حقيقة الأمر، وهي أنها لم تمتلك أي قوى، وأنها كانت مجرد أداة في لعبة أمها.

- لا يسعني التحكم في أي بطاقة أسحبها. من الغباء تجاهل تحذيرٍ كهذا.

قُرِع صوت بوق بالخارج وصرخ أحدهم بكلمة بذيئة. تنهدت فيفي وهزَّت رأسها قائلة: «ولكنكِ أنتِ نفسك علمتِني أن الموت رمز للتغيير».

حاولت فيفي أن تعيد البطاقة إلى أمها، غير أن ذراعَي دافني بقيتا ثابتتين إلى جانبها.

- من الواضح أن هذا ما تعنيه البطاقة. أن الجامعة هي انطلاقتي الجديدة.

لا مزيد من التنقلات العشوائية إلى مدن جديدة في منتصف الليل، لا مزيد من رحيلهما المفاجئ في كل مرة توشك فيها فيفي على عقد صداقة وثيقة مع أحدهم.

على مدى السنوات الأربع المقبلة، سوف يكون بوسعها إعادة اكتشاف ذاتها كطالبة جامعية عادية. سوف تكوِّن صداقات وتحظى بحياة اجتماعية، وربما تشترك في القليل من الأنشطة الصيفية، أو تكتشف على الأقل نوعية الأنشطة التي تستمتع بفعلها. لقد تنقَّلتا كثيرًا لدرجة أنها لم تتمكن من إجادة أي شيء. لقد أُجبرت على التخلي عن دروس تعلُّم الفلوت بعد ثلاثة أشهر، والانسحاب من فريق السوفتبول في منتصف الموسم، إضافةً إلى عدم إكمالها مادة مقدمة في اللغة الفرنسية العديد من المرات، لدرجة أن كل ما أصبحت تعرف نطقه بطلاقة في الفرنسية هو: *Bonjour, je m'appelle Vivian. Je suis nouvelle* / *صباح الخير، اسمي فيفيان. أنا جديدة هنا.*

هزت أمها رأسها قائلة: «في القراءة، كان الموت مصحوبًا بعشر بطاقات من السيوف وبطاقة البرج. الخيانة والعنف المفاجئ. فيفيان، يساورني شعور رهيب».

استسلمت فيفي ودسَّت البطاقة في حقيبتها، ثم مدَّت يديها وضمت يدَي دافني قائلة: «هذا تغييرٌ كبيرٌ لكلٍّ منا. من الطبيعيِّ أن تشعري بالانزعاج. قولي لي إنكِ سوف تفتقدينني فحسب كأي أم عادية، بدلًا من تحويل الأمر إلى كونه إشارة من عالم الأرواح».

ضغطت أمها على يديها بقوة قائلة: «أعلم أنني لا يسعني اتخاذ هذا القرار نيابةً عنكِ».

- إذًا توقفي عن المحاولة، أرجوكِ (شبَّكت فيفي أصابعها في أصابع أمها كما اعتادت أن تفعل عندما كانت صغيرة) لا أرغب في قضاء يومنا الأخير في الشجار.

استرخت كتفا دافني، وكأنها أدركت أخيرًا أنها الطرف الخاسر في المعركة.

- عِديني أنكِ سوف تأخذين حذرك. وتذكّري أن الأمور ليست دائمًا كما تبدو لنا في الظاهر. حتى الشيء الذي يبدو جيدًا يمكن أن يكون خطرًا.
- أهذه طريقتكِ لإخباري أنني في قرارة نفسي شريرة؟

نظرت إليها أمها بعينين ذابلتين قائلة: «تصرفي بذكاء فحسب يا فيف».

- هذا ما يمكنني فعله بالتأكيد (اتسعت ابتسامة فيفي بدرجة جعلت دافني تقلّب عينيها ضجرًا) لقد ربيتِ فتاةً مغرورة.

غير أنها انحنت وعانقتها على أي حال.

قالت فيفي وهي تنفلت من عناق والدتها كي تنتهي من إغلاق حقيبتها: «ألومكِ على كل المرات التي أخبرتِني فيها أنني مخلوق سحريٌّ، وأنه لا شيء يستعصي عليَّ فعله. أعدكِ أنني سوف آخذ حذري».

وهذا ما سوف تفعله. إذ إنها علمت أن الأمور السيئة يمكن أن تحدث في الجامعة. لقد حدثت الأمور السيئة في كل مكان، ولكن دافني كانت تخدع نفسها إن ظنت أن هناك أي معنى وراء إحدى قراءات التارو السخيفة. لم يكن هناك وجود للسحر. أو هكذا ظنت فيفي.



الفصل الثاني

سكارليت

- لستِ أنتِ من تختارين شقيقاتكِ، بل السحر.

هذا ما قالته ميني، مربية سكارليت وينتر لها قبل سنواتٍ من انضمامها إلى جماعة كابا رو نو. استرجعت سكارليت الآن هذه الكلمات بينما كانت أمها تعبر بالسيارة خلال البوابات الحديدية للحرم الجامعيِّ لجامعة ويسترلي، مارّةً بمجموعة من الفتيات. تشبثت بعض الفتيات بحقائبهن، وبدا عليهن التوتر وصغر السن، بينما حدقت أخريات إلى الحرم الجامعيِّ بنظرة نهمة، وكأنهن كُنَّ مستعدات للسيطرة عليه. وفي مكانٍ ما، وسط هذا الجمع الهائل من الفتيات، وقفت الفتيات المستجدات في جماعة كابا. الدفعة الجديدة من الغربان، كما سمَّت الشقيقات أنفسهن، اللاتي إذا سار كل شيء وفقًا للخطة -وإذا كان السحر مطاوِعًا- فسوف يتطلعن إلى سكارليت بوصفها قائدتهن خلال مدة لا تتعدى السنة الواحدة.

بمجرد مرورهن من البوابات، شعرت أنها أكثر حرية وقوة، وكأنها كانت تخطو خارج ظل عائلتها نحو النور. لم يبدُ ذلك مفهومًا، إذ إن مارجوري أمها وأوجيني أختها الكبرى كانتا ملء الأسماع والأبصار في الكابا هاوس. كانت صورهما ضمن الصور الجماعية المُعلَّقة على الحائط. وكان اسماهما يترددان على شفاه العضوات الأقدم في الأخوية. لقد أثبتتا جدارتهما قبلها. ولكن بقدر ما أثقلت توقعات الآخرين لها كاهلَها، كانت سكارليت عازمةً على أن تُري الجميع أن أفضل شتاء لم يحل بعد. سوف تصبح قائدة مثلهما،

ولكنها سوف تصبح أفضل وأكثر ذكاءً وقوةً وأكثر حضورًا في الذاكرة منهما. كانت هذه ميزة المجيء بعدهما، وهو أنها ما زالت قادرة على التفوق عليهما، أو هذا ما أقنعت به نفسها.

قالت مارجوري وهي تنظر بعبوس إلى ابنتها في مرآة الرؤية الخلفية: «كان يجدر بكِ ارتداء الفستان الأحمر، فهو أكثر ملاءمة لمنصب الرئاسة. ينبغي أن يوحي مظهركِ بالقوة والذوق الحسن والقدرة على تولي القيادة...».

لمحت سكارليت انعكاسها في مرآة الرؤية الخلفية وهي تجلس خلف أمها. كانت لسكارليت وأوجيني ومارجوري نفس البشرة السمراء مع تفاوت درجة اللون. ومن المنصف أن نَصِف جمال كلٍّ منهن بأنه أخاذ، غير أن أوجيني كانت نسخة طبق الأصل من أمها، بينما كانت سكارليت لا تشبه إلا نفسها، وتتميز بأنفها الحاد وعينيها الواسعتين. خلال سنوات نشأتها، لطالما حسدت سكارليت أمها وأوجيني على الكثير من السمات التي اشتركتا فيها، وصولًا إلى أنفيهما المثاليَين. سحبت سكارليت ثوبها الأخضر المنفوش للأسفل قائلة: «ماما، أشك أن داليا سوف تختار الزعيمة التالية للكابا بناءً على الفستان الذي ارتدته في يومها الدراسيّ الأول».

اتخذت ملامح مارجوري طابعًا شديد الجدية وقالت: «سكارليت، كل شيء يؤخذ في الاعتبار».

تدخلت أوجيني من مقعدها الأماميّ قائلة: «إنها محقة بالمناسبة».

قالت مارجوري بفخر: «أصغي إلى شقيقتكِ، فقد كانت الزعيمة لعامين على التوالي. والآن حان دوركِ لاستكمال مسيرة العائلة».

ابتسمت أوجيني بسخرية قائلة: «إلا إذا كنتِ بالطبع راضية بالبقاء في الظل».

مدَّت سكارليت عنقها ونظرت إلى أختها شزرًا: «بالطبع لا. فأنا فرد في عائلة وينتر، ألست كذلك؟».

لم تكن متأكدة من سبب إصرار أوجيني على مرافقتهما لإيصالها إلى ويسترلي، إذ إنها كانت لا تنفك تتحدث عن مدى انشغالها في منصبها كشريك أدنى في شركة والدتها للمحاماة. ومجددًا، اغتنمت أوجيني كل فرصة ممكنة

لتحجيم دورها، بما في ذلك تمكنها من الجلوس في المقعد الأماميِّ في يوم سكارليت الدراسيِّ الأول، بينما نُفِيَت سكارليت نفسها في المقعد الخلفيِّ.

أومأت أمها برأسها بشدة موافقةً على ما قيل: «لا تنسي ذلك يا عزيزتي».

تحولت إلى الخلف حيث تجلس سكارليت، والتقطت سكارليت نفحة من عطرها، رائحة ياسمين خفيفة ذكّرتها بالطريقة التي اعتادت أمها أن تتسلل بها إلى غرفتها بعد يومٍ طويلٍ في الشركة، وتطبع قبلة على جبينها. لطالما تظاهرت سكارليت بالنوم، لأن أمها حاولت بشدة ألا توقظها. رغم أنها لم تمانع أن يجري إيقاظها. إذ إن ذلك ذكّرها بمدى اهتمام أمها بها، وهو ما لم تشعر به على الدوام في أثناء يقظتها.

أما أكثر شيء اهتمت به أمها فهو أن تسير كلٌّ من ابنتيها على خطاها وتتزعما جماعة الكابا. كبرت سكارليت وهذه الكلمات تتردد على سمعها، *لا يمكن أن تتحلى زعيمة الكابا بصفة واحدة مميزة. بل يجب أن تتحلى بكل شيء. أن تكون ذكية وأنيقة وعطوفة. الفتاة التي تثير الحسد والاحترام لدى الأخريات بنفس القدر. الفتاة التي تضع شقيقاتها في المقام الأول، وتكون قوية بما يكفي لتُغير العالم.*

لقد أدركت سكارليت منذ زمنٍ بعيدٍ أنها ساحرة وأنها مقدرة لجماعة الكابا. وكان قبولها في صفوف الجماعة ضروريًا، ومسألة أن تصبح زعيمة في حد ذاتها كانت أبسط توقعات الآخرين لها. ولهذا أفنَت ميني، التي كانت مربية والدة سكارليت قبل أن تصبح مربيتها، أجمل سنوات عمرها في تدريب سكارليت على أساليب سحرهن، مثلما فعلت مع أختها وأمها من قبلها.

تولد كل ساحرة بسحرها الخاص: بطاقات الكؤوس للأبراج المائية، بطاقات النجمة الخماسية للأبراج الترابية، بطاقات السيف للأبراج الهوائية، بطاقات الصولجان للأبراج النارية. يتواءم كل برج مع مجموعة من بطاقات التارو، وهو ما راق لسكاريت دومًا. رفض المعارضون التارو باعتباره أداة للمشعوذين والمحتالين، غير أنهم، في حقيقة الأمر، لم تكن لديهم أي فكرة عن مدى اقتراب التارو من الحقيقة.

انتمت سكارليت إلى مجموعة الكؤوس، ما يعني أنها برعت في تسخير المسطحات المائية. كانت قد تعلمت من ميني أنها إذا حملت الرمز الصحيح

ونطقت بالكلمات الصحيحة فسوف تنجز سحرًا من شأنه أن يجعل العالم مكانًا أكبر وأفضل.

لم تكن ميني نفسها واحدة من الغربان، إذ إن عائلتها تعرفت على أعمال السحر بمفردها، ومرّرت الأسرار والتعاويذ عبر الأجيال. غير أنها عرفت عائلة وينتر طوال حياتها، وتفهمت الضغط الواقع على سكارليت من قِبل عائلتها أكثر من أي أحد. كانت ميني هي من آمنت بها دومًا، من واستها عند شعورها بخيبة أمل أمها فيها أو ازدراء أوجيني لها. هي من أخبرت سكارليت أن بوسعها أن تكون أقوى ساحرة في العالم إذا آمنت بنفسها ووضعت ثقتها في السحر.

عندما ماتت ميني في الربيع الماضي جراء الشيخوخة، بكت سكارليت بحرقة لدرجة أن المطر أخذ بالهطول من حولها. لا تزال إلى يومنا هذا تشعر بخواء قلبها كلما فكرت في ميني، غير أنها علمت أن ما رغبت فيه ميني أكثر من أي شيء هو أن تكون سكارليت سعيدة، وهو ما جعلها عازمة أكثر من أي وقتٍ مضى أن تثبت لعائلتها -ولكل الغربان- أنها قوية بما يكفي لكي تكون الزعيمة القادمة للأخوية. لم يكن الفشل خيارًا مطروحًا.

توقفت مارجوري بالسيارة أمام الكابا هاوس، وكاد قلب سكارليت يتوقف من فرط الانفعال. كان الكابا هاوس بأثاثه الرماديِّ الفاتح الجميل مؤسسًا على الطراز الفرنسيِّ القديم، وفي نهاية كل دور منه شرفة من الحديد المشغول، وعلى سطحه شرفة واسعة تلقي فيها الشقيقات في بعض الأحيان تعاويذهن. توافدت الشقيقات على المقر، حاملاتٍ الحقائب والمصابيح ومحتضناتٍ بعضهن بعضًا بعد إجازة صيفية طويلة قضينها بعيدًا عن بعضهن بعضًا. كانت هناك هازيل كيم، وهي طالبة بالسنة الثانية وإحدى نجمات فريق الجري في الجامعة، إضافةً إلى جولييت سيمز وهي طالبة في السنة الأخيرة برعت في الكيمياء وفي إعداد الوصفات السحرية، ثم كانت هناك مِي أوكادا وهي زميلة في السنة الأولى تمكنت من تغيير مظهرها بنفس السهولة التي تمكنت بها من تبديل ملابسها.

أطفأت مارجوري المُحرِّك وأجرَتْ مسحًا شاملًا للمكان كما كان أي ضابط قيادة ليفعل في ميدان المعركة: «أين مايسون؟ لقد رغبت في سماع كل التفاصيل عن أسفاره».

قالت سكارليت وهي تحاول السيطرة على ابتسامتها المبتهجة: «لن يصل قبل الغد».

لم ترَ مايسون منذ شهرين تقريبًا، وكانت تلك أطول فترة قضياها بعيدًا عن بعضهما بعضًا منذ أن تواعدا قبل عامين. وبين عشية وضحاها، قرر مايسون أن يذهب في جولة في أوروبا بعد حضوره حفل زفاف صديق للعائلة في إيطاليا. ألغى فترة تدريبه في شركة والده للمحاماة، فضلًا عن كل الخطط التي وضعتها سكارليت له. وبينما كانت سكارليت تتدرب في شركة والدتها للمحاماة وتبذل قصارى جهدها في إعداد التقارير والروزنامة الاجتماعية لجماعة الغربان بمساعدة شقيقاتها في الأخوية، انتظرت رسائله القصيرة غير المنتظمة والصور التي كان يشارك معها فيها تفاصيل رحلاته: «*لقد سبحتُ للتو في بحيرة كومو، ليتكِ كنتِ هنا، عليكِ رؤية المياه في جزيرة كابري، سوف أصحبكِ هناك بعد تخرُّجكِ*». لم يكن من طبع مايسون أن يتنصل من واجباته العائلية أو أن يجعلها تنتظر رؤيته طوال الصيف. بصفة عامة، لم تنتظر سكارليت أي شيء أو أي شخص غير أن مايسون كان يستحق الانتظار.

- أحضريه إلى المنزل في أقرب فرصة ممكنة.

حثَّتها مارجوري على ذلك وقد أضحى صوتها أكثر دفئًا من أي وقتٍ مضى. تململت أوجيني في مقعدها وبدأت في تصفُّح رسائلها البريدية الخاصة بالعمل بعصبية. أخفت سكارليت ابتسامة واثقة. إذ إن مايسون مثَّل الجانب الوحيد الذي تفوقت فيه سكارليت على أوجيني. كان مايسون مُكمِّلًا لها. استخدمت الشقيقات هذه الكلمة لوصف الجديرين بالارتباط بإحدى عضوات الغربان. وكان هناك معيار عالٍ للغاية لاختيار المؤهَّلين لوصف المكمِّلين. والأفضل فقط هم من يتأهلون، وقد كان مايسون الأفضل. إذ إنه لم يمتلك تاريخًا مشرفًا فقط، بل كان أيضًا ابنًا لثاني أبرز المحامين في ولاية جورجيا بعد مارجوري بالطبع، فضلًا عن كونه زعيمًا لنادي الأخوية، كما أن لديه مستقبلًا مشرقًا بانتظاره. إذ إنه كان الأكثر تفوقًا وسط أقرانه فضلًا عن كونه رياضيًّا وجذابًا للغاية، والأهم أنه كان ملكها وحدها. والأفضل من كل ما سبق أن أمها أحبته تمامًا.

قالت سكارليت ويدها مستندة على باب السيارة: «شكرًا على التوصيلة يا ماما».

قالت أمها ذلك وكأنها تذكرت شيئًا للتو: «لحظة».

مدَّت يدها إلى المقعد الخلفيِّ وسلّمتها صندوقًا مغلّفًا. ابتهجت سكارليت وهي تتسلم الصندوق، إذ إنها لا تتذكر أن أمها منحت أوجيني هدية بمناسبة العودة للدراسة في أول يوم في سنتها الدراسية الأولى، وحرصت على ألا تمزق غلافه عند فتحه. لقد كانت الهدية عبارة عن رزمة من بطاقات التارو، مرتبة بطريقة جميلة. وفي ظهر كل بطاقة صورة لامرأة لها ابتسامة ذات مغزى ترتدي فستانًا مصنوعًا من الريش وتغمز لها بعينيها.

قالت سكارليت: «هل كانت هذه بطاقاتكِ؟».

متسائلةً ما إذا كانت أمها وأوجيني استخدمتا هذه البطاقات عندما صُوِّت لهما في منصب رئاسة الجماعة، وإن صح ذلك، فقد عنى لها الكثير أن تُدرج في هذا التقليد العائليِّ.

ردت الأم متباهية: «إنها جديدة تمامًا. لقد طلبتها من امرأة متخصصة في بطاقات الكؤوس، تشغل منصبًا مرموقًا للغاية في مجلس الشيوخ».

أُحبطت سكارليت وضاق صدرها. إذ إنه بقدر ما أحبت سكارليت ما هو مملوك لعلية القوم في المجال السياسيِّ، فقد تساءلت كيف جرؤت أمها على منحها هذه البطاقات الآن.

- إنها جميلة يا أمي، ولكنني أملك بطاقات ميني بالفعل.

عجزت سكارليت عن استيعاب حقيقة أن أمها تعرف القليل جدًا عنها. إذ إنها ما كانت لتستبدل قط مجموعة جديدة من البطاقات اللامعة بمجموعة ميني.

قالت أمها: «سنة جديدة، بداية جديدة.. أعلم أن ميني كانت تعني الكثير بالنسبة إليكِ، لقد عنَت الكثير بالنسبة إليَّ أيضًا. ولكنني بوسعي ملاحظة أنكِ ما زلت حزينة، وما كانت ميني لترغب في أن يلازمكِ هذا الحزن في العام الجديد. أن تكوني من الغربان -أن تصبحي زعيمة لهم- هذا ما كان ليعني لها الكثير».

تقصدين أن هذا ما يعني الكثير بالنسبة إليكِ أنتِ.

وضعت سكارليت البطاقات في علبتها وانحنت على المقعد وقبّلت أمها على خدها هامسةً: «بالطبع يا ماما».

رغم أنها لم تكن لديها نية لاستخدامها مطلقًا.

بعد أن منحت أوجيني وأمها قُبلتين بدافع الواجب، رفعت سكارليت غطاء صندوق السيارة وسحبت حقيبتيها، اللتين ألقت عليهما تعويذة في وقتٍ سابق من اليوم لجعلهما في منتهى الخفة. لوَّحت ووقفت تراقب السيارة إلى أن اختفت عن الأنظار. عندما أخذت خطوة للوراء على الرصيف اصطدمت بجسد قوي البنية وصلب، تأففت قائلةً: «حاذِر».

رد عليها صوت ساخط من الخلف: «أنتِ من اصطدمتِ بي».

استدارت سكارليت لترى جاكسون كارتر، الذي كان زميلًا لها في صف الفلسفة في العام الماضي، وهو ينهج قليلًا ويرتدي سروالًا قصيرًا ويضع سماعات الرأس. غطت حبيبات العرق بشرته السمراء، والتصق قميصه المبلل ببنيته العضلية. قلَّب شفتيه عابسًا قائلًا: «ولكن ربما لا يجب عليَّ أن أتفاجأ، فأنتن يا عضوات الكابا تتصرفن كما لو أنكن تملكن هذا المكان».

قالت سكارليت دون أدنى تردد: «نحن نملكه بالفعل.. أنت تقف أمام منزلنا».

كانت هذه أول محادثة تدور بينهما خارج إطار الفلاسفة الأموات، وبدا له بكل تأكيد أنه ليس من اللائق أن يبدأ حديثه بإهانة.

لم يكن جاكسون من سافانا ولا حتى من مدينة قريبة منها. خمنت ذلك من سلوكه الفظ وافتقاره للحد الأدنى من المراعاة، ناهيك بافتقاره إلى الفصاحة. لقد خرجت الأحرف من فمه بعنادٍ، على عكسها، إذ إنها تشدقت بالكلام لإثارة الإعجاب. إذ إن الرجل المهذب كان ليعرض عليها حمل حقيبتيها. ولكن مجددًا، ما كان الرجل المهذب ليوبخها -في المقام الأول- على الوقوف على رصيفها.

مال جاكسون أكثر عليها قائلًا: «إذن، هل تفقد المنتميات إلى جماعة الكابا أرواحهن بالتدريج، أم أن الأمر يحدث مرة واحدة كنزع ضمادة؟».

ثار غضب سكارليت، إذ إنها كانت على دراية بالكيفية التي نظر بها إليها، والسبب وراء ذلك. فقد كانت هناك ملايين الأفلام التي صورت فتيات الأخويات على أنهن ساحرات تافهات وطبقيات، وهي لم تعنِ بذلك فئة السحرة. وللأسف، كان هناك كم هائل من مقاطع الفيديو الواقعية والحكايات التي دعمت مثل هذا التصور. شعرت سكارليت بالإهانة عندما تذكّرت مقطع فيديو حظي بانتشارٍ واسعٍ على اليوتيوب مؤخرًا، عن فتاة من إحدى الأخويات وجهت رسالة مفتوحة إلى شقيقاتها، وضحت فيها بالتفصيل ما كرهته بشأنهن. غير أن سكارليت كانت على يقين أنه في مقابل كل قصة من هذه القصص الفظيعة، كانت هناك العشرات من القصص عن الشقيقات اللاتي انضممن إلى الأخويات لأسباب وجيهة، ولهدف وحيد وهو التآخي. وما قدمته جماعة كابا لم يقتصر فقط على التآخي، إذ إن الكابا هاوس وفر لهن الحماية، ملاذًا آمنًا يمكن لمعشر الساحرات أن يتعلمن فيه السحر ويمارسنه. وهو ما لم يكن في إمكانها توضيحه لجاكسون.

قالت سكارليت: «مرة واحدة. أنا متفاجئة أنكَ عجزت عن رؤية ذلك من موقعك الذي تنظر فيه إلينا نحن فتيات الأخوية التافهات والمتجردات من الأخلاق بازدراء».

عقد جاكسون ذراعيه وقد لمعت عيناه: «على الأقل اتفقنا على شيء».

قالت سكارليت وهي تمتص غضبها: «إذا كانت لديك مشكلة معنا. ربما ينبغي لك أن تختار المكان الذي تركض فيه بحذر».

قطب حاجبيه وهو يعيد النظر في رؤيته إليها: «أهذا تهديد؟ لأنني على حسب ما سمعتُ...».

فجأةً أضحت نظرته غائمة وفارغة، وتركزت عيناه على شيء يقبع فوقها قليلًا. بدا الأمر كما لو أنها تلاشت من عالمه. دار رأسه جانبًا، ودون أن ينطق بكلمة أخرى، استأنف الركض.

اتجهت سكارليت ناحية الكابا هاوس. ومن المدخل الأماميِّ للمقر، قدِمَتْ داليا إيفرلي، زعيمة الكابا، وتيفاني بيكيت أعز صديقات سكارليت. لقد تأبطت كلٌّ منهما ذراع الأخرى، داليا بشعرها الأشقر المنسدل الأغمق بدرجة

من شعر تيفاني الأشقر الرماديِّ. غمزت لها داليا، ما وضَّح أنها من سَحَرت الفتى للتو.

- شكرًا على هذا.

وضعت سكارليت حقيبتيها وألقت نظرة أخيرة على جسد جاكسون المتقهقر للخلف. لم تكن لديها أدنى فكرة عما يجري له أو سبب كراهيته لجماعة الكابا بهذه الدرجة. ربما رفضته إحدى الشقيقات في الربيع الماضي. فالرجال يمكن أن يكونوا بمثل هذه الهشاشة والتفاهة.

قالت داليا: «ما سبب هذه الدراما؟ لقد بدا أنكِ على وشك أن تطلقي عليه تعويذة من الدرجة الثالثة».

- صعب، فالفتيان أمثاله لا يستحقون العناء.

أمسكت داليا أنفها باشمئزاز قائلة: «لماذا كنتِ تتحدثين إليه من الأساس؟».

كانت داليا مثالًا لزعيمة الأخوية المتعجرفة: فكل من لم يكونوا أعضاء في مجتمع الأخويات لا يستحقون أن تهدِر عليهم وقتها.

- لم أكن أتحدث إليه، لقد اصطدم بي.

ضحكت تيفاني ومدَّت إليها ذراعيها: «افتقدتكِ».

انغمرت سكارليت في عناق صديقتها المقربة، تكاد تعتصرها، ولكن ليس بالدرجة التي تجعد بها البلوزة الحريرية التي كانت تيف ترتديها.

- وأنا أيضًا.

التفتت سكارليت لتطبع على خدها قُبلة سريعة. لم يترك أحمر شفاهها الأحمر الداكن أي علامة. إذ إن مكياج الغربان لا يُلطِّخ أبدًا.

سألتها سكارليت: «كيف حال أمكِ؟».

أظلم وجه تيفاني بينما تململت داليا في مقعدها بقلق.

- إننا نجرب علاجًا جديدًا، وسوف نعرف نتيجته قريبًا.

عانقت سكارليت تيفاني مرة أخرى. كانت صديقتها قد قضت الصيف في مدينة تشارلستون مع أمها التي كانت تصارع مرض السرطان. في العام

الماضي طلبت تيفاني من داليا أن تستدعي الجميع للمشاركة في تعويذة شفاء لأمها، إذ إن كل عضوة في جماعة الغربان كانت في حد ذاتها ساحرة، ولكن جميعهن كُنَّ كجماعة سحرية أقوى بكثير من أيٍّ من الأفراد. وبصفة داليا رئيسة الجماعة، فقد اختارت التعاويذ التي سوف تُلقيها المجموعة، وهو دور استمتعت به دون مواربة. وكونها من نخبة مدينة هيوستن، أحبَّت داليا أن تكون في موقع المسؤولية، أن تكون الشخصية التي تتطلع إليها كل الشقيقات الأخريات. جعلتها ثقتها بنفسها زعيمة عظيمة، غير أن سكارليت شعرت في بعض الأحيان أن داليا منحت سلطتها أو إرثها الأولوية على حساب احتياجات الفتيات في الكابا هاوس. ووفقًا لداليا، كان ماضي جماعة الكابا يزخر بالطقوس العلاجية التي باءت بالفشل لأمور بمثل هذه الأهمية.

قالت داليا آنذاك: «هناك بعض الأمور التي تكون خارج حدود قدرتنا».

لم تسامح تيفاني داليا قط على إحجامها عن مساعدتها، شاكةً في أن داليا كانت قلقة بشأن التبعات والمخاطر المحتملة لتعويذة كهذه أكثر من قلقها على والدة تيفاني. أما سكارليت التي لمحت الخوف في عينَي صديقتها المقربة الزرقاوين اللتين لم تعرفا الخوف قبلًا، لم تكن راضية كذلك عن الطريقة التي تدير بها داليا الأمور، حتى إنها طلبت مشورة ميني بخصوص ذلك. ما لم تعرفه سكارليت آنذاك هو أن ميني نفسها كانت موشكة على الموت.

حذرتها ميني بابتسامة حزينة: «لو كان هناك علاج بإمكانه التصدي للموت، لما كنا ساحرات، بل مخلدات.. إذ إن التعاويذ التي تمس الموت تنقلب على صاحبها».

انفلتت تيفاني الآن من العناق وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة مشرقة، علمت سكارليت أنها مصطنعة. لقد رمشت عيناها بسرعة، في محاولة واضحة منها لمداراة الدموع التي لطالما شعرت سكارليت أنها اعتملت بداخلها، رغم أن تيفاني انتمت إلى فئة السيوف (الأبراج الهوائية) وليس الكؤوس (الأبراج المائية).

غيرت سكارليت الموضوع محررةً تيفاني من هذا المأزق العاطفيِّ، وقد أخذت تتأمل الكابا هاوس: «كيف تسير التحضيرات للأفواج القادمة؟».

ردت تيفاني، وهي في حالة من الامتنان لصرف الأنظار عنها: «تزين كلٌّ من هازيل وجيس المقر الآن».

أومأت سكارليت برأسها. إذ إن التقاليد أملت أن تتولى الشقيقات في السنة الدراسية الثانية مهمة تزيين المنزل لاستقطاب المستجدات. زين المكان هذا العام على هيئة حانة، وتلهفت سكارليت إلى رؤية ما توصلت إليه شقيقاتها من ابتكارات.

سألتها داليا: «هل أحضرتِ المفرقعات النارية؟».

قالت سكارليت وهي تربت على إحدى حقيبتيها: «إنها هنا. لقد سحرتها بالأمس».

اعتادت ميني أن تقول إن السحر هو من يُجري الاختيار الفعلي، ولقد كانت محقةً في الغالب. لقد نشأت جميع الفتيات بسحرٍ بداخلهن سواء عرفن ذلك أم لا. وما يهم هو مدى قوة هذا السحر. ففي حين امتلكت بعضهن مسحة من السحر، بالكاد يكون ملحوظًا، تمكنت أخريات من استدعاء رياحٍ بقوة إعصار. أظهرت المفرقعات النارية التي أطلقتها جماعة الكابا في حفل التعيين الحد الأدنى من القوة اللازمة للانضمام إلى جماعة الغربان. غير أن الأمر لم يقتصر فقط على القدرة. إذ كان يجب على الغربان أن يُكنَّ مثاليات. إذ إن الانضمام إليهن يتعلق بالشخصية والنسب والذكاء والرقي. وفوق ذلك كله يتعلق بكونكِ شقيقةً صالحةً.

قالت تيفاني وهي مبتسمة وتنقر بأصابعها: «أتحرق شوقًا إلى مقابلة الدفعة الجديدة من المرشحات المحتملات».

قالت سكارليت: «بالطبع سوف ينضم الأفضل بينهن».

إذ إن العثور على ساحراتٍ قوياتٍ ضمن الطالبات المستجدات في جامعة ويسترلي كان أشبه بالبحث عن الألماس وسط أطنان من الألماس المزيف. فضلًا عن أنها لم تُرد أن يصبح لديها حصيلة من طالبات السنة الثانية المتمردات عندما تصبح زعيمة للجماعة.

أمَّنت داليا على كلامها وقد تعكّر صفو ملامحها المثالية قائلة: «بالطبع. ينبغي لنا حماية جماعة الكابا. فآخر ما نتمناه هو حدوث موقف مشابه لموقف هاربر».

شعرت سكارليت باضطراب في معدتها، وحرصت على تفادي النظر إلى تيفاني.

موقف مشابه لموقف هاربر. ساد شيء مظلم وخفيٌّ بين سكارليت وتيفاني. شيءٌ لم تسمح سكارليت لنفسها بالتفكير فيه. شيءٌ بإمكانه أن يدمر كل ما عملت جاهدةً للحصول عليه.



الفصل الثالث

فيفي

عدَّلت فيفي حزام حقيبتها، وجفلت قليلًا عندما انغرزت حافة الكتاب السميك في عمودها الفقريّ. وبمجرد أن عبرت من البوابات الحديدية، طرحت حقيبتها الكبرى أرضًا وطقطقت أصابعها المتشنجة. كانت محطة الباص تبعد أقل من ميل عن جامعة ويسترلي، غير أن جرّها لحقائبها المنتفخة من هناك استغرق نحو ساعة وآلم يديها. ورغم ذلك، بينما أخذت فيفي نفسًا عميقًا من الهواء الذي كان معطرًا على غير العادة، طردت مسحة من الحماسة شعورها بالإرهاق. لقد تمكنت أخيرًا من الوصول. بعد ثماني عشرة ساعة مضنية -يا الله، بل بعد ثماني عشرة سنة مضنية- أصبحت بمفردها أخيرًا، حرة في أن تتخذ قراراتها بنفسها وتبدأ حياتها الحقيقية.

توقفتْ لوهلة لكي تلقي نظرة على الخريطة على هاتفها، ثم إلى الأعلى إلى ساحة الجامعة المغطاة بالعشب والممتدة أمامها. في الجانب البعيد من الساحة أطلّ مبنى مغطى بالعشب، تدلّت من طابقه الثاني ذي النوافذ البارزة لافتة كُتب عليها «مرحبًا بالطلاب الجدد». قالت لنفسها: *كدتُ أصل.* بينما سارت بتثاقل إلى الأمام، متجاهلةً آلام كتفيها. ولكن بمجرد أن وقعت عينا فيفي على الحشد المكون من الطلاب والآباء، شعرت بالقلق قليلًا. لم يكن التعرض للمواقف الجديدة غريبًا عليها. فكون فيفي التحقت بأربع مدارس ابتدائية ومدرستين إعداديتين وثلاث مدارس ثانوية، جعلها الفتاة المستجدة معظم حياتها. لكن الآن أصبح كل شيءٍ مختلفًا. سوف توجد في جامعة

ويسترلي لمدة أربع سنوات، وهي أطول من أي فترة قضتها في أي مكانٍ آخر في السابق. لن تصبح تلقائيًا الفتاة الجديدة غريبة الأطوار. بل بإمكانها أن تكون كما تريد. احتاجت فقط أن تكتشف من الشخص الذي ترغب في أن تكونه.

جرَّت فيفي حقائبها إلى الأعلى حتى وصلت إلى الطاولات القابلة للطيّ، حيث تجمَّعت المتطوعات لتوزيع الكتيبات الإرشادية. وبينما اقتربت فيفي قالت لها فتاة بيضاء ذات شعر أحمر أملس طويل بنبرة مرحة: «مرحبًا، ما اسم عائلتكِ؟».

أجابتها فيفي قائلة: «ديفيرو».

وهي تتأمل بلوزة الفتاة الوردية ذات الحواف المتموجة ومحدد عينيها المرسوم بطريقة احترافية. عادةً ما تعتبر فيفي هذا النوع من الأناقة هبةً يندر الحصول عليها، شيء يثير الإعجاب ولكن لا يثير الحسد بالضرورة، مثل القدرة على لمس أنفك بلسانك، أو المشي على يديك. ولكن بنظرة سريعة على ساحة الكلية، تأكد لديها أن هذا النوع من التبرج هو العُرف السائد في هذا المكان. لم ترَ فيفي في حياتها كلها هذا الكم من الأيادي المُجمَّلة بطلاء الأظفار، فضلًا عن القمصان زاهية الألوان، وللمرة الأولى تساءلت ما إذا كانت أمها محقة بخصوص رأيها في هذا المكان. في النهاية قد لا تكون هذه الجامعة مناسبة لفيفي.

- ديفيرو (كررت الفتاة ذات الشعر الأحمر الاسم، وهي تقلب في الرزمة السميكة أمامها) أنتِ في قاعة سيمونز، غرفة رقم 305. قاعة سيمونز هي هذا المبنى الذي نحن فيه الآن. إليكِ ملفك الإرشادي.. وبطاقة هويتكِ، التي هي أيضًا مفتاحكِ، لذا لا تضيعيها.

مدَّت فيفي يديها لتسلُّم الملف قائلة: «شكرًا».

غير أن الفتاة لم تفلت الملف. لقد تجمدت مكانها، وأخذت تحدق وهي في حالة من الترقب إلى ما خلف فيفي. عندما نظرت فيفي حولها، أدركت أن الجميع ينظرون في نفس الاتجاه. تغيرت الأجواء في ساحة الجامعة بصورةٍ يصعب وصفها، وكأن الهواء صار مُعبَّأً بالشرارات الكهربائية التي تندلع قبل العاصفة. استدارت فيفي لتنظر إلى ما يحملق فيه الجميع. كان هناك ثلاث

فتيات يمشين على العشب الأخضر المخمليِّ الذي يقع في قلب ساحة الكلية. حتى من مسافةٍ بعيدة، كان من الواضح أنهن لسن مستجدات. خمنت ذلك جزئيًا بسبب ملابسهن، إذ إن الفتاة السمراء في المنتصف ارتدت فستانًا صيفيًا لونه أخضر زاهٍ التفَّت تنورته المنفوشة حول ساقيها الطويلتين كسيقان راقصات الباليه، أما صديقتاها اللتان كانت كلٌّ منهما بيضاء البشرة وشقراء، فقد ارتديتا تنورتين متطابقتين تقريبًا من الصوف، فضلًا عن قميصين من الحرير لهما لون كريميٌّ. كانت فيفي، حتى هذه اللحظة، لم ترَ أحدًا يرتدي مثلهما سوى السيدات الثريات في الأفلام. ولكن حتى لو كانت هؤلاء الفتيات يرتدين بناطيل رياضية مهلهلة، كُنَّ ليلفتن انتباهها. لقد تحركن بتثاقلٍ ينُم على ثقة، وكأنهن متأكدات من أنهن يملكن الحق في الذهاب حيثما شئن وبأي سرعة يخترنها. وكأنهن لم يكُنَّ خائفات من أن يشغلن حيزًا في هذا العالم. بالنسبة إلى شخص مثل فيفي، التي قضت معظم حياتها تحاول الاندماج، كان هناك ما يبعث على النشوة في رؤية فتيات من الواضح أنهن لا يجدن صعوبة في التعبير عن وجودهن. شاهدت الثلاثي وهن يقتربن من مبنى من الطوب الأحمر، تقف أمامه مجموعة من الطالبات في انتظار الدخول. وبمجرد وصول الفتيات إلى المبنى، تفرقت الحشود، تنحت كل طالبة جانبًا دون إبداء أي اعتراض للسماح للفتيات بالدخول.

قالت الفتاة ذات الشعر الأحمر وقد قرأت التساؤل في نظرات فيفي المهتمة: «إنهن من جماعة الكابا. وهي إحدى الأخويات في الحرم الجامعيِّ. الجميع يسمونهن الغربان. لا أعرف سبب ذلك. ربما لأنهن غامضات وكتومات للغاية».

قالت فيفي وقد احمرت وجنتاها وشعرت بالإحراج لكونها ضُبِطت وهي تحدق إليهن: «آسفة».

- لا بأس. لهن هذا التأثير في الجميع. إذا رغبتِ في رؤيتهن عن قرب، اذهبي إلى حفلهن لاستقطاب الطالبات الليلة. إذ إنهن سوف يظهرن بصورة غير معتادة، باحثاتٍ عن عضواتٍ جديداتٍ.

قالت هذا وهزت كتفيها في محاولة لأن تبدو غير مبالية، رغم أن عينيها لمعتا برغبة واضحة.

- ينبغي لكِ التفكير في الذهاب، حتى لو كان ذلك بغرض رؤية الكابا هاوس. إذ إن هذه المرة الوحيدة في كل عام التي يسمحن فيها لغير المنتميات إلى جماعة الكابا بالدخول إليه، وهذا المكان رائع للغاية.

قالت فيفي: «أجل، ربما».

وهي في قرارة نفسها تشعر بالسعادة أن أحدًا ظن أنها من نوع الفتيات اللاتي يمكن لهن «التفكير في الذهاب» إلى إحدى الحفلات. إذ إنه لم يسبق أن دعاها أحد في المدارس الثانوية الثلاثة اللاتي التحقت بها إلى حفلة. لم تكن واثقة أن حضور حفل التعارف الخاص بالكابا هو الطريقة المثلى لاكتساب بعض الخبرة. ولكن من يدري؟ فربما ترقى النسخة الجامعية من فيفي لهذا القدر من التحدي.

- حسنٌ إذًا، مرحبًا بكِ في ويسترلي.

أخذت فيفي نفسًا عميقًا، محاوِلةً استجداء ما تبقى لها من طاقة لجر حقائبها إلى الأعلى صعودًا على ثلاث درجات حجرية، ثم دخولًا من الباب الخشبيِّ الذي وُضعت رفائد لإبقائه مفتوحًا. أخذت في الصعود على الدرج الضيق، وهي تجر حقائبها وراءها برعونة. لقد أملت في أن تتمكن من الوصول إلى الطابق الثاني قبل أن تأخذ استراحة، غير أن ذراعيها انهارتا بعد صعود بضع درجات.

تمتمت بصوتٍ خافتٍ: «تبًا!».

إذ إن حقيبتيها تدحرجتا حتى أسفل الدرج وأحدثتا دويًّا عنيفًا.

- تحتاجين إلى مساعدة؟

استدارت فيفي لترى فتى أبيض البشرة ذا شعرٍ أسود متموجٍ يقف أسفل الدرج، وينظر إليها وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة متعجبة. أرادت أن تخبره أن كل شيء تحت السيطرة، غير أنها أدركت كم سيبدو الأمر سخيفًا، بالنظر إلى أنه كان ينظر في هذه اللحظة إلى الحقيبتين اللتين أسقطتهما للتو.

- شكرًا، إذا كنت لا تمانع.

- لا أمانع. وحتى إذا كنت أمانع، كنت لأساعدكِ على كل حال.

لقد امتلك لكنة جنوبية خفيفة جعلته يمد في نطقه للمقاطع. رفع كلتا الحقيبتين في آنٍ واحدٍ، وصعد الدرج سريعًا دون الالتفات إلى فيفي.

قالت فيفي: «أظن أن ما يقال عن أخلاق أهل الجنوب حقيقيٌّ».

ثم اشمأزت في الحال، وندمت على كلماتها السخيفة والمرتبكة.

رد الفتى وهو يلهث قليلًا: «لا علاقة للأمر بالأخلاق، بل بالسلامة العامة. كان يمكن أن تقتلي أحدهم قبل قليل».

شعرت فيفي بالخجل واحمرت وجنتاها، وقالت وهي تركض للحاق به: «دعني أحمل إحدى الحقيبتين».

كانا قد وصلا إلى الطابق الثاني غير أن الفتى لم يضع الحقيبتين على الأرض. قال الفتى بودٍ: «لا يمكنني فعل هذا. إذ إن ولعي بالمروءة والسلامة العامة، يمنعني جسديًّا من وضع الحقيبتين على الأرض قبل أن تخرجا من منطقة الخطر. ما هو رقم غرفتكِ؟».

- 305، ولكنك لستَ مضطرًا إلى فعل ذلك، سوف أتدبر أمري بقية الطريق.

أكد الفتى ما قاله سابقًا: «دعكِ من هذا».

تبعته فيفي وقد شعرت باضطراب في معدتها جراء مزيج من الشعور بالذنب والسعادة، إذ إنه لم يسبق لفتى أن حمل لها أشياءها من قبل. عندما وصلا إلى الطابق الثالث، انعطف الفتى إلى اليمين، وصدرت عنه «آه» وهو يضع الحقيبتين أمام الباب.

- ها أنتِ ذي. غرفة رقم 305.

قالت فيفي وهي تشعر بمزيدٍ من الإحراج: «شكرًا».

هل كان ينبغي لها أن تسأله عن اسمه؟ عن تخصصه؟ كيف يعقد الأشخاص الطبيعيون الصداقات؟

ابتسم قائلًا: «من دواعي سروري».

ولوهلة لم تتمكن فيفي من التركيز على أي شيء سوى الغمازة التي ظهرت فجأةً في خده الأيسر. وقبل أن تتمكن من التفكير في أي شيء آخر

لتقوله، استدار وانطلق إلى الأسفل ذاهبًا إلى القاعة وقال دون أن ينظر خلفه: «حاولي ألا تقتلي أحدًا».

ثم اختفى عن الأنظار.

- لا أضمن لك هذا.

حاولت أن تبدو مرحة ومثيرة، ولكن لم تكن هناك جدوى من ذلك، فقد رحل بالفعل.

فتحت فيفي باب غرفتها وقد هيأت نفسها لملاقاة شريكتها في الغرفة، غير أن الغرفة كانت خاليةً إلا من سريرين مزدوجين طويلَين ومكتبين خشبيَين مخدوشَين، إضافةً إلى مرآة بالحجم الطبيعيِّ مُعلَّقة على ظهر إحدى الخزانات. بالمقارنة مع بقية مساكن الطلاب، كانت الغرفة لطيفة وفسيحة وجيدة الإضاءة والتهوية. على النقيض تمامًا من الشقة الضيقة الخانقة في رينو.

جرّت إحدى حقيبتيها واضعةً إياها على السرير وفتحتها، وتساءلت متى ستصل شريكتها في الغرفة، وما هو البروتوكول المتبع للمطالبة بجانبٍ من الغرفة. قبل أن تسنح لها الفرصة لإخراج أي شيء من حقيبتها، انفتحت إحدى النوافذ عن آخرها، وملأت هبَّة من الهواء الدافئ العطر المكان، جاعلةً الأوراق في ملفها الإرشاديِّ تتطاير في كل مكان. لقد كانت النافذة مغلقة بإحكام عندما دخلت الغرفة. تنهدت فيفي وهي تجمع الورق من على الأرض، مُذكِّرةً نفسها بأن فرق الحرارة الطفيف بين الهواء في الغرفة والهواء بالخارج يمكن أن يخلق ما يكفي من الضغط لدفع النافذة وفتحها. كانت هذه الظاهرة واحدة من ظواهر عديدة استدعتها فيفي على مدار السنين لتفسير الأمور الغريبة التي لطالما حدثت في وجودها. حينها لاحظت بطاقة التارو الوحيدة الموضوعة بدقة على مقدمة فراشها العاري، وكأن يدًا خفية وضعتها هناك بحذر. لقد كانت بطاقة الموت التي منحتها أمها إياها.

نظر إليها الهيكل العظميُّ بخبث، وارتسمت على وجهه ابتسامة مروعة، ولوهلة بدت عيناه وكأنهما توهجتا باللون الأحمر. ارتجفت فيفي، رغم علمها أن هذه ربما تكون إحدى خدع الضوء البصرية. همس صوت دافئ في أذنَي فيفي قائلًا: «لقد أخبرتكِ، ويسترلي ليست بمكانٍ آمنٍ، ليس لأمثالك».

صفق باب في نهاية الرواق، وطفا صوت الضحك القادم من ساحة الكلية عبر النافذة. هزت فيفي رأسها وقد عادت إلى رشدها. ها هي ذي، متحررة من سطوة أمها ليومٍ واحدٍ، ورغم ذلك تبحث عن إشاراتٍ من الكون. كانت دافني لتفخر بها على الأرجح.

أصدرت صوتًا من أنفها تعبيرًا عن الاعتراض، ودسَّت بطاقة الموت في درج مكتبها وأحكمت إغلاقه. لم تحتج فيفي لإشارات. لم تحتج السحر. لم تحتج رنين صوت أمها في أذنيها. كل ما احتاجته هو أن تعيش حياة طبيعية هنا، انطلاقًا من حفل التعارف هذا.





الفصل الرابع

سكارليت

لقد تحولت هيئة الكابا هاوس. إذ استحال ورق الجدران الرصاصيُّ حديث الطراز إلى اللون الورديِّ الشاحب الذي زين الجدران فيما مضى. وتحولت الأريكة المخملية منخفضة الانحدار إلى كرسي مطليٍّ بطبقة من الذهب. حتى لم يعد ممكنًا تقريبًا التعرف على الغرفة. وحده دوي الموسيقى الصادرة عن أحد مكبرات الصوت الذي يعمل بالبلوتوث ما كشف أنهن ما زلن في القرن الحادي والعشرين. لقد بقي على حفل التعارف ساعتان، وأخذت كل شقيقة تعمل بجد، فطالبات السنة الثانية تولّينَ أمر الديكور، وطالبات السنة الأولى تولّينَ مسؤولية الطعام والمشروبات، أما طالبات السنة الأخيرة فقد جبنَ الأنحاء للتأكد من عدم وجود أي أثر للسحر. بعدما انتهت سكارليت وتيفاني من إعطاء التعليمات للفريق المعنيِّ بالطعام، ذهبتا للطابق العلويِّ لتغيير ثوبيهما. كانت غرفة تيفاني على بُعد غرفتين من غرفة سكارليت، وفي أثناء مرورها ألقت نظرة خاطفة عليها.

قالت تيفاني وهي تسحب فيلًا متهالكًا ذا ثلاثة أرجل من خزانة سكارليت: «يا إلهي، لا أصدق أنكِ ما زلتِ تحتفظين بهذا».

ضحكت سكارليت قائلة: «ينبغي لي على الأرجح أن أبعده من هنا قبل حفل التعارف».

وافقتها تيفاني قائلة: «لا يوجد ما هو أهم من الانطباعات الأولى».

كانت المرة الأولى التي قابلت فيها سكارليت تيفاني، في حفل التعارف الخاص بدفعتهما قبل عامين. ورغم أن سكارليت خُلقت وتربت لأجل غاية واحدة هي الانضمام إلى جماعة الكابا، فإنها كانت تشعر بالخوف طوال الوقت، تخاف من احتمالية افتقارها للمطلوب للانضمام إلى الجماعة، تخاف من أن تخيب ظن عائلتها. ولكن آنذاك وقفت تيفاني بجانبها وأشارت إلى انحدار جسر أنف داليا المثاليّ ثم همست قائلة: «أراهنكِ بصندوقي الائتمانيّ بأكمله أن هذا الأنف مسحور».

لم تضحك سكارليت، رغم أنها رغبت في الضحك. فجأةً لم تعد الزعيمة المسؤولة عن اختيار الطلاب ذات هيبة، وأخذ توتر سكارليت في التلاشي. لم تمتلك تيفاني صندوقًا ائتمانيًّا، بل على العكس تمامًا، كانت ثروتها هي السحر والعفوية والسخرية. لم تدرك سكارليت كم احتاجت آخر صفتين إلا عندما قابلت تيفاني.

في ذلك العام، كانت فكرة الحفل أنه أمسية راقصة من زمن الأبيض والأسود، وكانتا قد رقصتا طوال الليل بثوبيهما الطويلَين الواصلَين للأرض، غير مباليتين أن حاشيتَي ثوبيهما البيضاويَين سوف تصبحان ملطختين بالطين عند بزوغ الفجر. وفي وقتٍ لاحق من هذا الصباح، اصطحبت سكارليت تيفاني إلى متجر الأنتيكات المفضل لها وسط المدينة، ذلك المتجر الذي لم يكن السياح ولا الساحرات اكتشفوه حتى الآن. سارتا عبر صفوفٍ لا نهاية لها من الأثاث والمصابيح التي يعلوها الغبار، والتماثيل الصغيرة والكتب القديمة التي تُقدَّم على طاولات القهوة، وتوقفت تيفاني عند الممر المخصص للأطفال وقد غلبتها حماسة طفلة في سن الحضانة.

قالت بحماس: «لا يوجد ما هو أفضل من الحيوانات المحشوة والدمى. الكثير من البراءة الخالصة، الكثير من الحب الصافي».

التقطت سكارليت دمية لفيل كانت إحدى سيقانه مفقودة، ثم قالت وهي تضحك: «الكثير من شيءٍ *ما*...».

لتشاركها تيفاني الضحك، غير أن سكارليت فهمت ما تعنيه.

قالت تيفاني برقة وهي تضم إلى صدرها دمية لشخصية إلمو (من برنامج شارع سمسم): «شكرًا على مشاركتكِ إياي مكانكِ المفضل».

عادتا إلى المنزل بصحبة عشرات المقتنيات المثالية للاستخدام في التعاويذ، ولم تفترقا منذ ذلك الحين. فقد كانت تيفاني الأخت التي طالما تمنت سكارليت أن تحظى بها. لقد أكملت كلٌّ منهما ما نقص الأخرى. إذ إن اهتمام سكارليت اقتصر على مبادئ السحر الأساسية، بينما فضَّلت تيفاني أن تلهو بما وُهِب إليها من قوى. لقد تُرجم شعار جماعة الكابا إلى: «التآخي. القيادة. الإخلاص. الإحسان»، وهو ما فسرته سكارليت دومًا على أنهن يُفترض عليهن أن يحكمن العالم وينقذنه. غير أن تيفاني لم تفكر في الساحرات على أنهن بطلات خارقات فقط. إذ إنها لطالما قالت: «ما الماتع في أن تكوني ساحرة إذا لم تتمكني من استخدام السحر في جعل الطابور في مقهى ستاربكس يتحرك بصورة أسرع؟». اتفقت سكارليت جزئيًا مع وجهة نظرها، فما فائدة تقديم العون للعالم ما لم تتمكني من مساعدة نفسكِ أيضًا؟

كانت عينا تيفاني الزرقاوان تلمعان كلما خطرت ببالها واحدة من أفكارها الذكية، أو كلما استخدمت أبسط أنواع السحر لتعدل كفتَي ميزان المظالم اليومية التي يتعرضن إليها، كأن تسكب بطريقة سحرية شراب شابٍّ معتوه حدق طويلًا وبتركيز شديد إلى إحدى الشقيقات، أو أن تسقي أستاذًا جامعيًا متحيزًا ضد المرأة لم يمنح سوى الأولاد درجة امتياز مصل الحقيقة. لقد كانت ذكية ومرحة، وتملك القدر المناسب من التمرد. لقد كانت تيفاني الوحيدة التي سحبت سكارليت خارج سجن أفكارها، وذكّرتها ببهجة أن تكون ساحرة وليس بالواجب الواقع عليها جراء ذلك. وكالعادة كلما كانتا معًا، شعرت سكارليت على الفور بالراحة وبالحماس لأيٍّ مما ستفعلانه لاحقًا. قد يكون التارو فسَّر علاقتيهما، إذ إن فئتَي الكؤوس والسيوف تصبحان صديقات بسرعة، غير أن سكارليت فضَّلت أن تعتقد أنها وتيفاني كانتا لتقترنا بواسطة السحر أو دونه. غير أنها في هذه اللحظة، شعرت فجأةً أنها غريبة عنها.

أخذت سكارليت نفسًا عميقًا وهي تتذكّر ما قالته داليا سابقًا: «تيف، هل سبق وفكرتِ في هاربر؟».

تجمدت تيفاني في مكانها وقالت: «لقد اتفقنا على ألا نتحدث عن هذا الأمر أبدًا».

- أعلم. ولكن ما الذي سيحدث إذا عرف أحدهم بالموضوع؟

قالت تيفاني: «كيف سيتسنى لأحد أن يعرف به، إذا كنا نحن الوحيدتين اللتين تعرفان بالأمر؟».

على كل حال، لم يكن هذا صحيحًا كليًّا. إذ إن غوين، التي كانت زميلة أخرى لهما في صف المتعهدات، علمت أيضًا حقيقة ما حدث فعلًا. غير أن غوين اختفت منذ فترة طويلة، ولقد تأكدتا أنها لن تشي بهما أبدًا.

قالت تيفاني بحزمٍ وهي تدفع بالفيل في خزانة سكارليت وتفرد فستانها: «كل شيء على ما يرام يا سكارليت. ثقي بي. إننا في أمان».

نطق صوتٌ عميق: «طق طق».

استدارت سكارليت سريعًا: «يا إلهي، مايسون. لقد ظننتُ أنك لن تعود قبل الغد».

قال مبتسمًا: «لقد عدتُ إلى المنزل باكرًا».

لو لم يكن حبيبها، لكانت انزعجت من مدى وسامته. التوى فمه على جانبٍ واحدٍ، وكأنه دائمًا على وشك الضحك. لقد اكتسبت بشرته سمرة ذهبية عميقة. وكان شعره أطول من المعتاد، وقد انسدل متجعدًا على جبهته، أما قميصه فقد عجز عن إخفاء عضلاته واضحة المعالم.

تنحنحت تيفاني قائلة وهي ترقِّص حاجبيها: «سوف أترككما وحدكما... أراكِ بالأسفل يا سكار».

وبمجرد أن غادرت تيفاني اقترب مايسون منها ولفَّها بذراعيه وجذبها نحوه وغابا في قُبلة طويلة وعميقة. وفي اللحظة التي التقت فيها شفتاهما، انغلقت عيناها بالتدريج وغاصت في حضنه. حتى بعد مرور بضعة أشهر، ما زال لقُبلته نفس الطعم الأشبه بأيام الصيف الدافئة.

كانت والدة سكارليت قد قالت ذات مرة أن لا وجود لما يعرف بالحب من أول نظرة، غير أن هناك ما يعرف بالحب من أول مزحة. إذ إن أباها أوقع أمها في حبه من خلال حسِّه الجاف في الفكاهة، وحتى الآن، وبعد مرور ثلاثين عامًا على زواجهما، يمكن لمارجوري وينتر أن تنظر إلى زوجها وتتذكر في الحال السبب الذي أحبته لأجله، حتى ولو كانت تكرهه في تلك اللحظة. أما فيما يتعلق بمايسون جريجوري، فقد أوقعها في حبه بكلتا الطريقتين: إذ إن

حبهما كان من أول نظرة ومن أول مزحة. لقد تقابلا للمرة الأولى في حفل جماعة كابا رو المختلط، المعروف باسم بيكيكي، الذي ارتدت فيه كل فتاة من جماعة الكابا تنورة رقص فوق ثوب السباحة الخاص بها. أما المنتمون إلى جماعة بيكا، فقد ارتدوا تنورة الرقص فقط. كان أعضاء جماعة بيكا يلبسون أي فتاة يعجبون بها من جماعة كابا طوقًا من الزهور، إذ إنهن كُنَّ يتجولن حول مقر جماعة بيكا الذي زُيِّن على هيئة جزيرة، وأضيفت حوله أشجار نخيل حقيقية فضلًا عن زلاقة مائية قابلة للنفخ امتدت من سطح البيكا هاوس وحتى المسبح. ومن خلال مزحة ساذجة ولكن جذابة عن أنه لا يقبِّل أي أحد بهذه السهولة، رفض مايسون أن يمنح سكارليت عقد الورود الخاص به، وبدلًا من ذلك منحها زهرة بلوميريا وحيدة من العقد. كانت قد طالبت بِرقة وبخفة ببقية العقد، غير أنه أخبرها عن التقليد المتبع في الجزيرة: «تضع الفتاة وردة خلف أذنها اليمنى إذا كانت غير مرتبطة ومهتمة، وخلف أذنها اليسرى إذا لم تكن لدى الفتى أي فرصة معها». ضحكت ووضعت الوردة خلف أذنها اليمنى. ومنذ ذلك الحين وهما معًا.

كانت لسكارليت نظريتها الخاصة عن الحب. بالنسبة إليها هناك ما هو أهم من الفكاهة، ما هو أهم من المظهر الخارجيِّ. كانت هناك وتيرة للحب أشبه بالوتيرة التي تُلقَى بها التعويذة. ولقد حظيَ مايسون وسكارليت بهذه الوتيرة منذ اللحظة الأولى التي تقابلا فيها. لم يوجد في الحياة بأكملها ما شعرت سكارليت باليقين تجاهه أكثر من شعورها باليقين وهي بجوار مايسون. أو على الأحرى، ومايسون إلى جوارها.

توقف عن تقبيلها وتراجع إلى الخلف لينظر إليها بتمعن، ولتتجول عيناه حيث استقر رباط حمالة صدرها الأبيض وحيث احتضنت تنورتها فخذيها.

- تبدين رائعة كعادتكِ. كيف تفعلين ذلك؟ حقًا! لم أركِ من قبل تحظين بيومٍ سيئٍ للشعر.

غمزت بعينها قائلة: «هذا بفضل السحر بالطبع».

لم يدرِ أنها لم تكن تمزح. إذ إن الغربان أقسمن على كتمان السر. فالعضوات وحدهن إلى جانب الخريجات السابقات من الجامعة كأم سكارليت من عرفن أن تلك الأخوية تعج بالساحرات. كان مايسون مولعًا بالتاريخ، وفي

حياةٍ أخرى، كان ليتلذذ بالأساطير الوافرة المنسوجة حول الساحرات أمثالها. كانت غرفته في الأخوية تزخر بكتب السير الذاتية، والغالبية العظمى من هذه الكتب لم تكن مقررة في أي منهجٍ دراسيٌّ. كان ليروق له أن يعرف كيف شكَّل السحر العالم، وأيًّا من الشخصيات التاريخية التي وجهت الحضارة إلى الأمام بمهارة ودهاء كانت في الأصل ساحرة. غير أن القواعد كانت واضحة، ليس بإمكانه أن يعرف أبدًا.

مرت بعض الأوقات التي حال فيها هذا السر بينهما وكأنه وتدٌ فولاذيٌّ، ولكن بقدر ما أحبت سكارليت مايسون، ودَّت أن يعرف عن كل جوانب حياتها، غير أنها ما كانت لتخون شقيقاتها قط.

قالت: «أنت أيضًا تبدو وسيمًا. لقد أصبحت مسمرًا للغاية. دعني أخمن، هل علقت في يخت جوثام مجددًا؟».

كان جوثام زميلًا لمايسون في أخوية بيكا وصديقه المقرب. وكان السبب في أن مايسون علِق على الجانب الآخر من المحيط الأطلنطي. إذ إن جوثام كان قد اصطحب مايسون لحضور حفل زفاف شقيقه، وبقية الحكاية (العطلة الصيفية) معروفة. ذكَّرت نفسها بأن تلقي تعويذة على جوثام لاحقًا عقابًا له على ذلك.

هز مايسون رأسه نفيًا: «لا، لم أصعد على متن اليخت.. فقد اتضح أن هناك ساحة رائعة لركوب الأمواج في البرتغال».

- لم أدرك من قبل أنك من مهاويس حياة الشاطئ الواعدين.

حافظت سكارليت على نبرة صوتها المبتهجة رغم أنها شعرت بالانزعاج. إذ إنها لم تعرف أن مايسون مهتم بركوب الأمواج. لماذا لم يحكِ لها عن ذلك في رسائله؟ عمَّت حالة من الفوضى في الأسابيع الماضية لدرجة أن الفرصة سنحت لهما بالكاد للحديث. غير أن المقارنة غير عادلة بين سكارليت التي غرقت في العمل في أثناء فترتها التدريبية وبين مايسون الذي انشغل بركوب الأمواج.

ارتسمت على وجه مايسون ابتسامة عريضة وقال: «أبحر جوثام باليخت إلى مدينة إيبيزا بصحبة فتاة التقى بها في حفل الزفاف. لم أرغب في أن أتطفل عليهما. لا أدري سبب فعلي ذلك، ولكنني صعدتُ على متن القطار المتجه إلى أوروبا. حتى إنني مكثت في نزلٍ للشباب لبضع ليالٍ».

رفعت حاجبيها في ذهول قائلة: «مكثت في نزلٍ بدلًا من يخت؟ إن يخت عائلة جوثام يعد سفينة سياحية حرفيًّا».

- لم يكن الأمر بهذا السوء.

نظرت إليه بارتياب جعله ينفجر في الضحك: «هل أنت متأكد أنك لم تجلب معك بَق الفراش؟».

- ليتكِ كنتِ هناك، كان الأمر ليعجبكِ.

جعدت أنفها اشمئزازًا: «نزل؟ لا أظن هذا».

قال مايسون: «صدقًا يا سكار، لقد شعرتُ أنني داخل واحد من هذه الأفلام المصحوبة بالترجمة التي تحبينها».

احتجّت بخفة: «ولكنك تكره هذه الأفلام».

إذ إنه لطالما قال إنه إذا رغب في القراءة، سوف يلتقط كتابًا ليقرأه.

أضحت نبرته أكثر جدية: «لقد كانت هذه العطلة مختلفة عن كل العطلات التي نضطر أن نقضيها مع العائلة أو الأصدقاء. لم تكن هناك جولات سير على الأقدام، ولا أي حفلات، ولا يخوت، ولا توقعات.. لا شيء من هذا. صنعتُ خارطتي بنفسي. وحددتُ جدولي الزمني بنفسي. اخترت من رغبت في رؤيتهم، والأماكن التي رغبت في زيارتها. شعرت أنني.. حر».

كان يتحدث بوتيرة سريعة، كعادته عندما يكون متحمسًا للغاية لأي شيء. كان ما يثير حماسه في العادة هو الحديث عن كانط أو إلياذة هوميروس أو مؤشرات سوق الأسهم. لو لم تعرفه جيدًا لظنت أنه مسحور.

قالت دون تفكير: «تبدو وكأنك تتمنى لو بقيت هناك».

تروّى مايسون قبل أن يرد: «جزء مني يتمنى لو بقيت هناك. ولكن في حالة أن تكوني معي فقط بالطبع (ثم استطرد سريعًا) كل شيء هنا يبدو وكأنه... محدد سابقًا. هل تفهمين ما أعنيه؟».

رفعت سكارليت أحد حاجبيها وقالت: «لا. ما الذي تتحدث عنه؟».

زفر مايسون متأوهًا: «كل فترات التدريب والوظائف المكتبية والدرجات العلمية الإضافية. يسلم أبي بأنني أود أن أسير على خطاه وأصبح محاميًا».

- لقد ظننت أنك ترغب في هذه الأمور.

لقد ظننت أننا نرغب في هذه الأمور. كان أحد الجوانب التي أحبتها في شخصية مايسون هو طموحه. إذ إنه كاد يضاهي طموحها. كانا قد خططا معًا لكل شيء بعد مرور شهر واحد على ارتباطهما، سوف يلتحقان بنفس الجامعة لدراسة القانون. ويفضل أن تكون هارفارد. ثم يعودان للحصول على فترة تدريبهم في شركتَي والديهما للمحاماة. وعندما يكتسبان ما يكفي من الخبرة سوف ينفصلان عن ذويهما ويؤسسان شركتهما الخاصة.

- أعلم... لقد ظننتُ أنني أيضًا أرغب في هذه الأمور. ولكن ربما... (سكتَ وتنهد وكأنه يبحث عن الكلمات الصحيحة) لا أعلم. هناك الملايين من المجالات وأعمال الشركات الناشئة الأخرى التي لا تتطلب سوى جهاز كمبيوتر وإنترنت لا سلكي. هل فكرتِ يومًا في أن نقول لآبائنا ولجامعة ويسترلي «سحقًا لذلك» فحسب، ونترك كل شيء خلفنا؟

ضيَّقت سكارليت عينيها: «شركة ناشئة؟ أيظن نفسه مارك زوكربيرغ الآن؟».

- كل شيء رغبت فيه يومًا هنا. الكابا، أنت، عائلتانا. التسكع حول العالم أمر يفعله الأشخاص الذين لا يعرفون لأنفسهم هدفًا في هذه الحياة. لسنا هؤلاء الأشخاص.

أرخى مايسون كتفيه يائسًا وأخذ يعبث بسوارٍ مصنوعٍ من حبلٍ ما ارتداه حول معصمه لم تكن سكارليت قد رأته من قبل.

- مايسون، هل كل شيء على ما يرام؟

حافظت على هدوئها بينما كانت تحدق إليه. في بعض الأحيان يكون الهدوء أكثر فعالية من الحديث. غير أن بعض الناس لا يطيقون الصمت، وكان مايسون أحدهم. شعر بضرورة أن يملأ هذا الصمت مثلما يملأ ضوء الشموع الظلام.

أخيرًا، تطلع إليها وابتسم قائلًا: «بالطبع أنا بخير، فأنا معكِ (انحنى ومنحها قُبلةً أخرى خفيفة ثم هز رأسه قليلًا) آسف أنني أتصرف بغرابة. كل ما في الأمر أنني مرهق من السفر، وما زال ذهني متعلقًا بالأمواج».

شبَّك أصابعه في أصابعها ثم جذبها ناحيته.

غمرها شعورٌ بالراحة لطالما منحتها لمساته إياه. أغمضت عينيها لوهلة وحاولت تصديق ما قاله عن كونه مرهقًا من السفر. لقد شعرت أنها مستهلكة نفسيًّا بعد قضاء أيام طويلة في شركة والدتها للمحاماة. تفهمت أكثر من أي شخص آخر وطأة توقعات الآباء. لقد كان بحاجة إلى أن يتكيف مرة أخرى مع جامعة ويسترلي. وبعدما يقضيان بعض الوقت معًا سوف يعود إلى طبيعته. عليه أن يفعل ذلك.

قال: «افتقدتكِ حقًا يا سكار.. هل يمكنك الخروج من هنا حتى يتسنى لنا أن نعوض ما فاتنا؟».

لوهلة كان كل ما رغبت فيه سكارليت هو أن تتبعه إلى الخارج ليذهبا إلى البيكا هاوس. غير أنها تذكّرت التوقيت ولعنت الأمر في سرها. ثم ذكّرته قائلة: «مايسون، لا أستطيع. فالليلة حفل التعارف».

مرّر أحد أصابعه على كتفها قائلًا: «أعرف، ولكن يبدو أن كل شيء تحت السيطرة. سوف تغادرين لمدة ساعة، أين المشكلة؟».

استندت بكفها على صدره: «بالطبع هناك مشكلة. لا يمكنني أن أتخلى عن شقيقاتي قبل حفل التعارف. كيف سيبدو ذلك في رأيك؟».

قطَّب جبينه قائلًا: «من يهتم بالكيفية التي سوف يبدو بها الأمر. فنحن لم نرَ بعضنا بعضًا منذ شهور».

قالت سكارليت: «ومن منا الذي اختار ذلك؟».

- كان يمكن أن تأتي إليَّ بالمناسبة (أشار مايسون إلى ذلك ثم أردف) كان من الممكن أن نقضي وقتًا ماتعًا للغاية. شهرين معًا، دون خطط، ودون أن نحمل مسؤولية أي أحد سوى بعضنا بعضًا.

قالت سكارليت وهي في قمة ثورتها: «حسنٌ، على عكسك، أنا لم أرغب في أن أخذل عائلتي. لستُ من النوع الذي بإمكانه أن يحزم حقائبه ويتخلى عن مسؤولياته لمدة شهرين دون سابق إنذار». ثم قالت في قرارة نفسها: *ولقد ظننتُ أنك مثلي.*

قطَّب مايسون جبينه، ومجددًا لم يسع سكارليت سوى أن تقلق من أن هناك خطبًا ما. لم يكن هذا الاستقبال الذي تخيلته. منذ ثوانٍ معدودة، كانت قد شعرت مجددًا بالقرب منه، ولكن فجأةً، شعرت بأن الفجوة بينهما تتسع. في البداية تيفاني والآن مايسون. كان من المفترض أن تتألق وتتحسن أمورها في هذا العام. لماذا لم يبدُ الأمر كذلك؟ ما خطبه؟

منذ اللحظة الأولى التي قابلت فيها سكارليت مايسون وهي تعرف أنه سوف يكون لها وحدها، أنها ستفعل أي شيء لتوقِعه في حبها. غير أنها أحجمت عن استخدام قواها في التعامل معه. لقد فعلت ما كانت أي عضوة في جماعة الغربان لتفعله لو كانت مكانها، لقد جعلت بشرتها أكثر إشراقًا، وشعرها أكثر لمعانًا، وأسنانها أكثر بياضًا، وضحكتها أكثر طربًا. ورغم ذلك لم تتمكن قط من أن تصل لا إلى عقله ولا قلبه. كانت هناك قاعدة، بالطبع، تقضي بألا يغير ميل القلوب تحت أي ظرف، غير أنه لم توجد قاعدة تحرم النظر في القلوب.

لطالما نظرت تيفاني، لقد كان الأمر يقف على الحد الفاصل بين العلم والشعر بالنسبة إليها. قالت ذات مرة: «كم نحن محظوظات بامتلاك القدرة على النظر داخل قلوب البشر؟».

هزت سكارليت رأسها اعتراضًا آنذاك، غير أن الآن، وللمرة الأولى، تُغريها الفكرة. فما الضرر الذي قد يتسبب به هذا، إن استغلت الأمر، هذه المرة فقط، لفهم ما يفكر فيه مايسون وما يشعر به؟

مدَّت سكارليت يدها ومرّرتها خلال شعره. وبينما كانت تستدعي سحرها، شعرت بقلبها يخفق سريعًا بصورة مألوفة، ولكن هذه المرة لم يكن السبب شعورها بالحب أو بالحماسة ولكن بالخوف، الخوف مما قد تراه. ماذا لو نظرت ووجدت قدرًا من الحب أقل مما يجب؟

لا، لا يمكن لسكارليت المخاطرة بذلك. فضلًا عن أنها ما كانت لتخترق خصوصية مايسون بهذه الطريقة. لم يكن ذلك من شيمها. غير أنها تمكنت من تذكير نفسها بمدى توافقهما معًا. حركت يدها إلى الأسفل ومرّرتها على عنقه، ثم على ظهره وبعدها على فخذه.

همست: «لا أملك ساعةً ولكنني أملك خمس دقائق».

اتسعت عينا مايسون: «هنا؟».

فلم يحدث من قبل أن تسكعا في مقر الكابا. إذ إنه لم يسمح لشركاء المنتسبات للجماعة بالدخول إلى المقر في أثناء الليل. أدارت رأسها إلى الخلف وألقت نظرة طويلة عليه وهي تتحرك نحو غرفتها ثم سحبت الباب وأغلقته.

شرع مايسون في الحديث قائلًا: «سكار...».

غير أنها كانت قد سبقته بكثير. إذ إنها وصلت إليه ولفَّت ذراعيها حول عنقه وأدارت رأسه نحوها. أي تردد شعرت أنه يعتمل بداخله في السابق تلاشى بمجرد أن لمسته. وأضحت قُبلته أكثر إثارةً وعنفًا. ثبّتها على الجدار، وأحاط خصرها بإحدى ذراعيه، أما يده الأخرى فقد غاصت في شعرها. ابتسمت وشفتاه مطبقتان على شفتيها، وأخذت تمرر يدها بطريقة مثيرة على صدره ذي العضلات. هذا هو مايسون الذي عرفته. هكذا كانت الأمور تجري بينهما. سرعان ما سينسى أمر هجر كل شيء والسفر حول العالم. سوف يتذكر أنهما كانا بالضبط حيث يفترض بهما أن يكونا، أن كلًا منهما انتمى إلى هذا المكان.

قالت بعد مرور خمس دقائق وهي تنفلت من عناقه: «انتهى الوقت».

كانت أنفاسه متقطعة بينما كانت تقوده إلى الباب.

قال متذمرًا: «سكار، أنتِ تقتلينني».

- قابِلني غدًا في الصباح بعد مراسم اختيارنا للمستجدات. سوف يتسنّى لنا أن نكمل ما بدأناه.

قالت ذلك وهي تُخفي ابتسامتها، وهو يمنحها قُبلة أخيرة قبل أن ينزل الدرج على مضض.

أرأيتم؟ لا حاجة إلى السحر، فقد كان واقعًا تحت سحرها بالفعل.



الفصل الخامس

فيفي

لم تستغرق فيفي سوى خمس عشرة ثانية لتدرك أن قدومها للحفل كان خطأً فادحًا. إذ إنها بمجرد دخولها من أبواب الكابا هاوس، انبهرت في الحال ببهاء الأجواء المحيطة بها. كان موضوع حفل التعارف هو الحانات، وهو ما توافق مع جدران المنزل الوردية الباهتة ومقاعده المصنوعة من خشب الماهوجني ذات الوسائد المخملية. ارتدى الجميع البدلات الأنيقة أو الفساتين اللامعة على طراز العشرينيات، حتى النُدُل الذينَ قدموا المشروبات في فناجين الشاي الرقيقة المصنوعة من الخزف، ارتدوا أزياء على طراز العشرينيات.

ارتدى الجميع أزياء تلائم موضوع الحفل ما عدا فيفي، فقد ارتدت فستانًا كحليًّا منقوشًا عليه زهرات عبّاد الشمس، وهو الفستان الوحيد الذي جلبته معها. إذ إن روزمانتها الاجتماعية الفارغة التي امتلكتها في رينو، لم تستدعِ إحضارها ثيابًا رسمية. سحبت حاشية فستانها، الذي أدركت للتو وجود بقعة عليه. راقبت ضحك ورقص المدعوين بمزيج من الرهبة والحسد. لقد بدأ أسبوع التأهيل منذ اثنتي عشرة ساعة. كيف تسنى لهذا الجمع من الناس تكوين صداقات بالفعل؟ وكيف عرفت كل فتاة أنها يجب عليها حزم فستان من العشرينيات في حقائبها؟ شاهدت عبر الردهة المزدحمة فتاتين كانت قد لمحتهما سابقًا في سكنها الجامعيِّ، كانتا تبتسمان وتهمسان في أجواءٍ من

السرية، غير أن السنوات التي قضتها فيفي كفتاة مستجدة لقنتها درسًا عما سيحدث إذا تطفلت على الناس وسط محادثتهم.

لم تكن الأمور في ويسترلي تسير وفقًا للخطة إلى الآن. فقد وصلت أخيرًا زوي شريكتها في السكن، وألصقت على الفور شريطًا لاصقًا على منتصف أرضية الغرفة لتفصل بين المساحة المخصصة لها من الغرفة ومساحة فيفي. فضلًا عن أنها جلبت نحو عشرات الشموع، التي كانت لكل واحدةٍ منها رائحة نفاذة، ولم تتلاءم إحدى هذه الروائح مع البقية، ما يعني أن غرفتهما كانت لها رائحة هي مزيج من أعشاب الباتشولي العطرية والفانيليا الحلوة المثيرة للغثيان. وعندما استجمعت فيفي شجاعتها أخيرًا لسؤال زوي ما إذا كانت ترغب في مرافقتها إلى قاعة الطعام، بالكاد رفعت نظرها عن هاتفها قبل أن تغمغم: «آسفة، لدي خطط أخرى».

كلما طالت فترة وقوف فيفي في ردهة الكابا هاوس الصاخبة، ازدادت وجنتاها دفئًا. لقد قضت وقتًا طويلًا تتخيل الحياة في الجامعة، مقتنعةً أنها سوف تتيح لها فرصة للبدء من جديد، ولقد اتضح أنها ما زالت دخيلة كعهدها دائمًا. ربما لم يكن لوحدتها المزمنة علاقة بكونها الفتاة المستجدة طوال الوقت. ربما كانت شخصيتها بدرجة من الارتباك وغرابة الأطوار تعيقها عن تكوين صداقات.

استدارت وبينما هي موشكة على الخروج من الباب، اعترضت إحداهن طريقها. شعرت بالرهبة مثلما كان يحدث خلال فترة إقامتهما في لوس أنجلوس، عندما كانت تلمح إحدى الشخصيات المشهورة في أحد مراكز التسوق الفخمة في مدينة كالاباساس. لقد كانت الفتاة ذات الفستان الأخضر الداكن التي رأتها تعبر ساحة الجامعة بصحبة عضوتين من الغربان.

كانت قد بدَّلت ملابسها وارتدت فستانًا أبيض اللون مطرزًا بالخرز، أما عيناها البُنيتان فقد كانتا تشعان ببهجة تحت أهدابها الطويلة، وكأنها عرفت شيئًا لا يعرفه سواها واستمتعت بإخفاء السر. قالت الفتاة وقد رفعت حاجبيها قليلًا: «مرحبًا».

ثم ألقت نظرة سريعة على زي فيفي.

ردت فيفي بصعوبة: «أهلًا».

فقد كانت تلك الكلمة الأولى التي نطقتها منذ أن تبادلت الحديث مع زوي سابقًا.

لاحظت فيفي أن الفتاة تحمل شيئًا ما.. ألعابًا نارية.

قالت: «شكرًا جدًا على حضورِكِ الليلة. وأتمنى ألا تشعري بالانزعاج بسبب زيكِ اللطيف. لا تقلقي بشأن عدم ملاءمته لموضوع الحفل. على كل حال، لا يقدر الجميع على الظهور بمظهرٍ جيدٍ في فستانٍ من العشرينيات».

احمرت وجنتا فيفي وقالت وهي تمد يديها للحصول على إحدى الألعاب النارية: «لم أعمل حساب حزم ملابس ملائمة لحضور حفل كوكتيل».

ازدادت ابتسامة الفتاة المزيفة صرامة: «ينبغي أن تستعد أي عضوة محتملة في الكابا لأي شيء».

- لا. أنا لستُ... أعني أنني لم أخطط لحضور حفل التعارف.

كانت تلك كذبة بالطبع، فقد كانت ترغب في الاختلاط بالجميع. ولكن بعد مكوثها هنا لخمس دقائق فقط، أدركت فيفي كم كان مسعاها بأكمله ضربًا من الخيال. جُل ما أملت في حدوثه وحرصت عليه، هو أن تعرف هذه الفتاة أن فيفي مدركة أنها لا ترقى للانضمام إلى هذا المكان.

قالت فتاة الكابا وهي تمط شفتيها: «فهمت».

- لا أقصد الإساءة لكِ بالطبع. تبدو جماعة الكابا جيدة. ولكنني لستُ...

«جيدة *بما* يكفي»، أكملت فيفي جملتها بصوتٍ خافت إذ إنها ترددت في التصريح بذلك.

عادت الفتاة إلى الابتسام غير أن عينيها ازدادتا قسوة: «عادةً عندما يقول الناس «لا أقصد الإساءة»، فهذا يعني أنهم قالوا شيئًا مسيئًا للتو. هل تريدين نصيحتي؟ إذا لم ترغبي في الانضمام إلى الكابا، لا تضيعي وقت أي أحد. ولكن إذا كنتِ تفكرين في الانضمام إليها، ما كنت لأغادر الحفل في هذا التوقيت لو كنت مكانك».

انصرفت فجأةً، وأعلن حفيف ذيل فستانها الأبيض عن وداعها الصامت، وهي تتحرك نحو الفناء الخارجيّ. ظلت فيفي محدقة تجاهها، وقد تساءلت كيف عرفت الفتاة أنها كانت على وشك الانسحاب من الحفل، ولماذا اهتمت

بذلك. على كل حال، لقد قررت أن تبقى بضع دقائق أخرى، حفظًا لماء الوجه، وتتبعت الكابا عبر القاعة الأمامية المزدحمة إلى أن خرجوا إلى الحديقة. كان الأمر أشبه بالدخول إلى عالم الجنيات. أحيطت الساحة بسياج حديديٍّ طويل مغطى بالعشب، وتدلت سلاسل من الأضواء العسلية الخافتة على أشجار البلوط الحية، وقد علقت على أسلاك لم تتمكن فيفي من رؤيتها. استقرت الشموع الموضوعة في حافظات زجاجية على موائد مستديرة صغيرة بُعثرت في الأرجاء على العشب، ملقية بوهجٍ على وجوه المدعوين الذين كانت جاذبيتهم غير عادية. تشكَّل صفٌ عند طاولة الشرب، حيث كانت إحدى النادلات تَقدم أحد المشروبات من وعاءٍ كريستاليٍّ.

وقعت عيناها على فتاتين جميلتين بصورةٍ لا تُصدَّق في أثناء رقصهما وضحكهما وتمايلهما على أنغام الموسيقى.

- جمالهما يثير الرهبة إلى حدٍ ما، أليس كذلك؟

التفتت فيفي لترى فتاة أخرى مذهلة تقف إلى جانبها. بشعرها الأسود المتموج وبشرتها البُنية الصافية وعينيها الواسعتين كالظبي، كانت بنفس قدر جمال فتاة الكابا التي وبخت فيفي سابقًا. غير أن الابتسامة الصادقة على وجهها جعلتها أكثر ودًا.

قالت فيفي وهي تشعر بمزيج من الدهشة والارتياح أنه حتى الفتاة التي بدت من نوعية فتيات الكابا شعرت بالتوتر: «أجل، إلى حدٍ ما».

ثم تساءلت وهي تتأمل ما حولها في الحديقة: «كيف عرف الجميع أنه ينبغي لهن التحضر لهذا الحفل؟».

- حفل التعارف له أهمية كبيرة هنا. الراغبات بجدية في الانضمام إلى الأخوية يأتين وهن مستعدات لأي شيء. لدرجة أن بعض الناس يُعيِّنون خبراء استشاريين لمساعدتهم في اجتياز حفل التعارف. لقد التحقت أمي بجامعة ويسترلي، لذلك عرفتُ سلفًا ما ينتظرني.

قالت الفتاة هذا وهي تشير إلى ثوب الزعنفة اللامع الذي كانت ترتديه.

سألتها فيفي: «هل ترغبين في الانضمام إلى الأخوية؟».

قالت بتوقٍ أشبه برغبة أحدهم في الحصول على آخر قطعة من الكيك غير أنه مهذب لدرجة تمنعه من أخذها: «أجل، إذا حصلتُ على عرضٍ إلى الانضمام. ولكنني لن أعلق آمالي على هذا. فالكابا هي أكثر الأخويات انتقائية وأصغرها في الحرم الجامعيّ».

حتى بالنسبة إلى مستجدة مثل فيفي في عالم الأخويات، كان واضحًا أن هذه الأخوية تبوأت مكانة مميزة في ويسترلي. لم تكن قد قابلت أيًّا من أعضاء الكابا بصورة رسمية سوى الفتاة ذات الفستان الأبيض التي لم تعرِّف نفسها، غير أن التعرف عليهن وسط الحشد كان سهلًا. فخلافًا للمرشحات المحتملات، اللاتي طغى تململهن وعصبيتهن على ابتساماتهن العريضة، تحركت الشقيقات برشاقة وثقة. شاهدت فيفي بذهولٍ لا يُدارى إحدى الفتيات الآسيويات التي ارتدت ثوبًا زعنفيًّا أحمر اللون، وقد توقفت لتأخذ رشفة رقيقة من شرابها. كان شعرها الأسود اللامع الأملس مقصوصًا حتى ذقنها، أما شفتاها المطليّتان باللون القرمزيّ الداكن فقد بدتا وكأنهما تنتميان إلى نجمة سينمائية صاعدة من العصر الذهبيّ لهوليوود.

لقد كانت بكل بساطة أروع فتاة رأتها فيفي على أرض الواقع، غير أن ما أَسر فيفي هو رزانتها. لقد راقبت الحفل بلا مبالاة، بلا استعجالٍ واضحٍ لإيجاد شخص تتحدث معه. لقد تعودت فيفي، لكونها الفتاة الجديدة دائمًا، الوقوف وحدها، غير أن ذلك التعود لم يهوِّن الأمر قط. لقد أدركت دومًا أن الناس يراقبونها، متسائلين عن سبب كونها وحيدة.

قالت فيفي وقد وجهت انتباهها مجددًا إلى رفيقتها الجديدة: «أنا فيفي».

مدَّت إليها اليد التي لم تكن تحمل الألعاب النارية. ردت الفتاة وهي تمنح فيفي أحد الفنجانين اللذين قبِلتهما من أحد النُّدُل المارين: «أريانا. من الواضح أن الكابا هي الأخوية الوحيدة التي يمكنها أن تفلت بفعلة تقديم مشروبات كحولية في حفل تعارف. ولهذا سأستفيد من الأمر قدر استطاعتي».

أخذت فيفي رشفة بسيطة آملةً ألا تفعل أي شيء يكشف أن هذا شرابها الأول. إذ إنها تعذر عليها أن تكون طالبة متمردة ومحبة للحفلات الصاخبة وهي في المرحلة الثانوية، فضلًا عن أنها لم تحظَ بأي أصدقاء ولم تُدعَ قط

إلى الحفلات. حضَّرت نفسها للشعور بحرقة، غير أن مشروب الكوكتيل الورديَّ كان حلو المذاق بصورة مبهجة.

- لماذا يتسنى للكابا انتهاك القواعد؟

رفعت أريانا كتفيها علامةً على جهلها بالسبب.

- سمعت أنهن يحظين بمعاملة خاصة في شتى الأمور.

التفتت فيفي لترى فتاة سمراء تبتسم لهما وقد ارتدت فستانًا حريريًّا راقيًا أزرق اللون: «أهلًا».

- أنا جيس. هل تستمتعان بوقتكما يا بنتان؟

تجمدت فيفي مكانها وهي لا تدري كيف ينبغي لها أن ترد بعد لقائها الأخير مع إحدى فتيات الكابا. هل كان ينبغي لها أن تسترسل بحماسة في وصف كيف أن هذا الحفل هو أروع حفل حضرته في حياتها؟ أو الأفضل أن تتصرف بهدوء وتدّعي أنها غير منبهرة بالحفل؟

قالت أريانا التي لحسن الحظ كانت قادرة على التحدث إلى الغرباء دون أن تنهار بالكامل: «بالطبع. لقد بذلتن جهدًا واضحًا في هذا الحفل. هل يرتدي النُدُل بِدلًا كلاسيكية؟».

أومأت جيس برأسها، ثم قالت وهي تتجول بعينيها في أنحاء المكان: «هناك قدر من المتعة في إجبار شباب الجامعة على التأنق. رغم أنني لا أحتاج سوى ثلاثة أشياء في الرجل، يجب عليه أن يكون وسيمًا وشرسًا وغبيًّا».

قالت أريانا: «نعم؟».

بينما ضحكت فيفي.

سألتها فيفي: «دوروثي باركر، أليس كذلك؟».

- آسفة، يستحيل أن تمنعي نفسكِ من استحضار أقوال دوروثي وأنتِ ترتشفين مشروبات الكوكتيل من أقداح الشاي.

غمزت لفيفي بعينيها ثم استأذنت في الانصراف.

همست أريانا بعد انصراف جيس قائلة: «كان هذا غريبًا بعض الشيء».

قالت فيفي وهي مبتسمة: «ولكنه رائعٌ بصورةٍ ما».

كانت قد عثرت في الصف السابع على مجموعة من قصائد ومقالات دوروثي باركر في المكتبة، وكان الأمر بالنسبة إلى فيفي أشبه باكتساب صديق. لم تكن قد سمعت أي أحد في مثل عمرها يأتي على ذِكر دوروثي، ومن المؤكد أنها لم تتوقع أن يأتي أحد على ذكرها في إحدى حفلات الأخويات، غير أن هذا الحديث العابر صار أول حديث مفاجئ تحظى به ضمن الأحاديث الكثيرة المفاجئة التي تبادلتها مع عضوات الكابا طوال الليل. فقد أخبرتها فتاة بيضاء متخصصة في مجال الكيمياء وتُدعى جولييت عن بحثها الذي تُجريه عن هرمونات الحب، ثم وجدت فيفي نفسها منغمسة في مناقشة شائقة عن السياسات الصينية مع طالبة متخصصة في مجال التاريخ تُدعى إيتا إلى جانب بعضٍ من زميلاتها. لقد كان هذا موضوعًا لا تعرف عنه الكثير، لذا فقد أدت دور المستمعة فقط أغلب الوقت، ولكنها لم تشعر قط بأنها غريبة أو بأنها لا تنتمي إلى هذه المجموعة. وعلى الرغم من أنه ولا واحدة من الطالبات الأكبر سنًا تعرفها، فإنهن بَدَون سعيدات بالسماح لفيفي بالانضمام إلى نقاشهن. وبحلول الوقت الذي عثرت فيه فيفي على أريانا مجددًا، كانت قد أصيبت بالدوار من فرط السعادة. غمرها مزيج من النشوة والارتياح بالدفء. لقد نجحت أولى حفلاتها الجامعية.

كانت أريانا تتحدث مع الفتاة ذات الثوب الأحمر الزعفني التي لمحتها قبل قليل. بينما كانت فيفي تقترب من الفتاة، ابتسمت لها بدفء، كاشفةً عن أسنان بيضاء كاللآلئ المُعلَّقة حول رقبتها. أخذت رشفة طويلة من شرابها، وعندما أنزلت فنجانها، كان طلاء شفتيها لا يزال في حالة رائعة. لم يكن هناك أي أثر لطلاء شفتيها القرمزي على الفنجان الأبيض.

قالت وهي تمد يدها: «أنا مِي، يسرني أن...».

تلاشى صوتها وسط موسيقى الجاز التي اجتاحت الحديقة فجأةً.

التفتت فيفي لترى خمسة موسيقيين يرتدون بدلاتٍ سوداء أنيقة ويعزفون أغنية مألوفة.

صاحت مِي: «أوه، رقصة الشارلستون».

ودون أن تفلت فنجانها، أخذت تتأرجح سريعًا على مشط قدميها، وهي تحرك ذراعيها في تناغمٍ مثاليٍّ.

ارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة وهي تسحب يد فيفي: «هيا».

قالت فيفي وهي تخطو للوراء: «لا أستطيع».

فهي لم ترقص علنًا من قبل. بل الأدهى أنها لا تتذكر أنها رقصت وحدها حتى. لقد كانت راقصة سيئة، لقد أحرجت نفسها حتى وهي ترقص وحدها.

أفلتت مِي يدها رأفةً بها، وبعدها بأقل من الثانية، سحبها عضو في الفرقة الموسيقية يرتدي بدلة سوداء. راقبتهما فيفي في ذهول وهما يرقصان في انسجامٍ مثاليٍّ، لدرجة أنها تساءلت ما إذا كانا قد صمما هذه الرقصة بأكملها.

همست فيفي لأريانا التي كانت تحدق كذلك في افتتانٍ: «ليتني أستطيع أن أفعل هذا».

نادتها مِي بصوتٍ مبتهجٍ قائلة: «دوركِ».

وقد أفلتت الفتى وأشارت نحو فيفي.

- لا، لا.. أمزح. لا أستطيع.

تراجعت فيفي للخلف بينما أخذ قلبها يدق بصورةٍ محمومة تعبيرًا عن الانزعاج. غير أن ذلك لم يُثنِ الفتى الذي كان لا يزال تحت تأثير سحر مِي عن الاقتراب. استطاعت فيفي بالكاد أن تعطي أريانا فنجانها ولعبتها النارية، قبل أن يمسك الفتى ذراعها ويبدأ في دفعها وسحبها على إيقاع الموسيقى. لوهلةٍ، كل ما تمكنت من فعله هو أن حدقت في رعب وهي تتمايل في ارتباك. بدأت وجنتاها في الاحمرار. يا ترى كم من الناس يحدقون إليها الآن؟

ولكن في اللحظة التي ظنت فيها أن شعورها بالذعر سوف يتملك منها، تحركت قدماها فيما يبدو من تلقاء نفسيهما. تمايل ردفاها في كلتا الجهتين وهي تنقل وزنها من قدمٍ لأخرى. ابتسم الفتى إليها، ودون تفكير بادلته الابتسامة. مهما كانت الطريقة التي تحرك بها، اتبعت خطواته بسلاسة وكأن هناك خيطًا يربطها به.

قالت مِي بمزيج من الاستمتاع والرضا: «كنتُ أعرف أنكِ ستنجحين».

كانت فيفي مستمتعة للغاية، لدرجة أنها لم تتوقف لتسأل نفسها كيف تسنى لِمي سماع ما تمتمت به وسط صخب الموسيقى. أو لماذا شعرت أن

صوت الفتاة يتردد داخل رأسها. غير أن فيفي عندما نظرت إلى جانبها، كانت مِي قد اختفت.

انتهت الأغنية ثم بدأت بعدها أغنية أبطأ إيقاعًا. أدار الفتى رأسه جانبًا وهو يبتسم، داعيًا فيفي دون أي كلام إلى رقصة ثانية. غير أنها لم ترغب في أن تمتحن حظها اليوم.

قالت: «عليَّ أن أجد صديقتي. ولكن شكرًا لك. لقد كان هذا... (احمرت خجلًا وأوقفت نفسها عن الحديث ثم قالت) شكرًا لك».

صاحت أريانا بينما كانت فيفي تقترب نحوها: «كان هذا رائعًا. ليتهم علمونا رقصة الشارلستون في مدرستي لتعليم الرقص الثنائي».

نظرت في أنحاء الحديقة، ثم تنهدت وسلَّمت فيفي مشروبها ولعبتها النارية.

- من الصعب ألا تعلقي آمالكِ على الحصول على عرضٍ للانضمام، أليس كذلك؟

أومأت فيفي برأسها، وقد شاطرتها الشعور نفسه. لم تتخيل نفسها قط عضوة في إحدى الأخويات، ولكن من الناحية الأخرى، لم يسبق أن عرفت أن هناك أخويات مثل الكابا. لقد كانت هؤلاء الفتيات ذكيات وفضوليات وشغوفات، مثل الأشخاص الذين لطالما حلمت فيفي بمصادقتهم في الجامعة. ولكن أليس من الغرور أن تفترض أنهن مهتمات بمصادقتها؟ لمجرد أنها تمكنت من أن تقضي ساعاتٍ قليلة دون أن تفعل شيئًا محرجًا لا يعني أنها انتمت إلى أروع الأخويات وأكثرها تميزًا وخصوصية في ويسترلي.

سرت تمتمة وسط الحشد، وبعدها بلحظة سرى تيارٌ كهربائيٌّ عبر أنامل فيفي. لقد دبَّت الحياة في اللعبة النارية التي تحملها في يدها، مُرسلةً شرارات زرقاء ورمادية اللون في الهواء. شهقت فيفي بينما نظرت أدريانا في ذهول إلى لعبتها النارية وهي تنفجر من تلقاء نفسها، والشرارات الحمراء تهبط على قدميها كهطول المطر. وفي جميع أنحاء الحديقة، اشتعلت الألعاب النارية واحدة تلو الأخرى. غير أنه ولا واحدة منها لمستها النيران.

قالت إحدى الفتيات على يسار فيفي ذلك وهي تهز لعبتها: «أعتقد أن لعبتي بها عيب».

ثم حاولت أن تشعلها بشمعة بالقرب منها. وخبطت فتاة أخرى ترتدي ثوبًا فضيًّا لعبتها في كف يدها بِنية إشعالها.

همست أريانا إلى فيفي وهي تلوح بلعبتها مُشكِّلَةً رقم ثمانية: «ولكننا لم نشعلها حتى».

قالت فيفي: «لا بد وأن هذه واحدة من خدع الحفل»، رغم أن ذلك لم يفسر استمرار سريان التيار الكهربائيٍّ في أناملها.

قالت أريانا بشوق: «يا الله، كم أتمنى أن أحصل على عرضٍ للانضمام».

شعرت فيفي بوخزٍ في رقبتها، ونظرت خلفها لتجد الفتاة التي سلَّمتها لعبتها النارية تحدق إليها. لقد علت وجهها نظرة غريبة أو بالأحرى نظرة مشوبة بالتحدي، ولكن بدلًا من النظر بعيدًا، حدقت إليها فيفي كذلك.

ردت فيفي أخيرًا: «وأنا أيضًا».

وقد أدركت أنها تعني ما تقول.



الفصل السادس

سكارليت

وقفت سكارليت على سطح الكابا هاوس، وأخذت تحدق إلى الحرم الجامعيِّ الهادئ. كان حفل استقطاب الطلاب قد انتهى منذ ساعات، وبقية الفتيات كُنَّ نائمات. كانت ليلة مظلمة وبلا نجوم، وكان مصدر الضوء الوحيد هو مصابيح الغاز العتيقة الوامضة على امتداد الطريق المؤدية إلى المنزل. في مكانٍ ما بالأعلى، تجمعت الغربان في دائرة ونعقت بومة من بعيد. ومرت نسمات خفيفة جعلت أشجار الغابة التي مالت على باحتهن الخلفية تُصدر حفيفًا. لم تدرِ سكارليت ما الذي كانت تفعله بالأعلى، حتى إنها لا تتذكر صعودها إلى السطح. صدر صوت هديل خافت من بيت الطيور الضخم خلفها. وعندما استدارت رأت جميع الطيور وقد اصطفت وأخذت تُصدر أصواتًا خافتة في أثناء نومهن. لقد كانت الغربان شياطينهن، وفيما مضى جرى الاحتفاظ بها في غرفة البنات لحماية الشقيقات. ولكن بمرور الوقت ساد اعتقاد بأن من القسوة إبقاءها داخل حدود الأخوية. إذ إن بإمكانها تأدية الغرض المطلوب منها والحصول على حرية التجول كذلك. والآن صار هذا محل إقامتها، وأصبحت قادرة على الذهاب والمجيء كيفما شاءت. غير أنها دائمًا ما تعود.

انفتحت عينا أحد الغربان ونظرتا إليها. عينان صفراوان التمعتا في الظلام. أيقنت سكارليت أن هذا هو غرابها المفضل هارلو. وفجأةً، سمعت صوت خطوات خلفها.

صاحت: «مرحبًا؟ هل من أحدٍ هنا؟».

كل ما قابلها هو الصمت.

نظرت حولها مرة أخرى ولاحظت وجود نجمة خماسية محفورة على أرضية السطح عند قدميها، وحددت دائرة النجمة بالملح الخشن. واستقرت شمعة بيضاء طويلة مدببة الحواف عند كل نقطة من نقاط النجمة. لقد بدا تصميم هذا الطقس السحريّ مألوفًا، غير أنه لم يسبق لسكارليت أن استخدمته من قبل. لقد خُصص اللون الأبيض لحالات النفي أو التجريد للتخلص من الأمور السلبية في حياتك أو لمنع أعدائك من إيذائك.

ترى هل كانت إحدى الشقيقات تُجري تعويذة هنا ونسيت أن تتخلص من آثارها؟ لم يبدُ ذلك محتملًا. ازدادت سكارليت قلقًا. وفي تلك اللحظة ترددت إحدى الترانيم في الأجواء. لم تتمكن من تمييز الكلمات. لقد بدت مثل ترانيم اليونانيين القدماء، غير أنها لم تكن إحدى الترانيم المباركة التي تذكرها. لقد كانت شيئًا آخر، شيئًا أكثر قتامة. لقد نطقت الكلمات بصوتٍ أجش. وأيًّا كان من نطق هذه الكلمات، فقد زمجر ناطقًا كل مقطع منها.

اخترق صوتٌ أجش أذنها قائلًا: «ما الأمر يا سكارليت؟ هل نسيتِ الكلمات؟».

دارت سكارليت حول نفسها في رعب. ظهر شخص يرتدي عباءة على السطح، حاجبًا المدخل المؤدي للمنزل بالأسفل. اقترب منها ببطء، مُخلفًا وراءه آثار أقدام ملطخة بالدماء. فتحت سكارليت فمها لتتساءل عما يحدث، غير أن الكلمات اختنقت في جوفها. حاولت أن تهرب، غير أن عضلاتها شُلت وقُيدت على نحوٍ سحريٍّ، وعليه لم تعد أكثر من مجرد تمثال مرتعب.

قال الصوت لاهثًا: «أم أن الأمر غير ذلك؟».

لقد استحالت الترنيمة إلى عواء، وهبَّت الرياح فجأةً من العدم، وجعلت خصلات سكارليت الداكنة ترتطم بوجهها، حاجبةً رؤيتها. اقترب هذا الشخص من سكارليت وانحنى نحوها، لدرجة أنها شعرت بأنفاسه الساخنة تلفح وجنتيها. ثم سحب الغطاء من على رأسه لتشهق سكارليت: «*هاربر*».

تشابك شعرها حول وجهها الأبيض الشاحب. وكانت عيناها خاويتين ومظلمتين كبئر ليس لها قرار، جامحتين ومتسعتين. انحدرت دمعة على خدها، مُخلفة أثرًا دمويًا. والتفَّت حول عنقها القلادة الفضية -على شكل قلب- التي لطالما ارتدتها.

همست: «سوف يقضي عليكِ الشعور بالذنب، يا شقيقتي».

ودون سابق إنذار، دفعت سكارليت بقوة. تعثرت سكارليت للخلف وسقطت من فوق السور. وبينما صدرت عنها صرخة، شعرت بنفسها تتهاوى من الطابق الرابع نحو الأرض وأن معدتها تصعد إلى حلقها، و...

صاحت تيفاني: «سكارليت، استيقظي».

انتصبت سكارليت في فراشها مذعورة وهي تتصبب عرقًا. وقفت تيفاني أمامها وقد بدا عليها القلق.

- لقد كنتِ تصيحين في أثناء نومكِ.

نظرت سكارليت في أرجاء الغرفة بإمعان ثم تنفسَت الصُّعداء. واستغرق قلبها دقيقة قبل أن ينتظم إيقاعه. ثم ضغطت بكفها على صدرها وأغمضت عينيها تجنبًا للضوء المتدفق عبر الستائر الشفافة. *لقد كان مجرد كابوس*، هذا ما قالته لنفسها.

- شكرًا على إيقاظي، آمل أنني لم أوقظ المنزل بأكمله.

قالت تيفاني وقد جلست على أحد جانبَي الفراش: «يبدو أنه حلم مزعج».

هزت سكارليت رأسها نافية: «هذا أقل ما يقال عنه».

قالت تيفاني وهي تفرك يديها في ترقب: «حسنٌ، لقد انتهى الآن. وأنتِ بخير. ولقد استيقظ الجميع بالفعل وبدؤوا في الاستعداد لمراسم الاختيار».

استقرت عينا تيفاني على طاولة سكارليت الجانبية، حيث وضعت بطاقات التارو الخاصة بميني في الليلة الماضية، ودسَّت البطاقات التي منحتها أمها إياها في درج مكتبها. أخذت تيفاني تقلب في المجموعة وتتأمل بإعجاب النقوش البسيطة المميزة. لقد كانت البطاقات قديمة لكن تم الحفاظ عليها بصورة جيدة فضلًا عن كونها فريدة من نوعها.

- لقد كان لهذه المرأة (ميني) ذوق رائع.

قالت سكارليت: «أجل، بالفعل. أنا سعيدة أن أوجيني لم تحصل عليها».

اغرورقت عينا تيفاني بالدموع: «حقًا؟ أعتقد أنني محظوظة لكوني ابنة وحيدة. لن يتشاجر معي أحدٌ على بطاقات أمي عندما تموت».

قالت سكارليت برفق وهي تضع يدها على كتف صديقتها: «تيف...».

قالت تيفاني بنبرة مبتهجة مصطنعة وهي تمسح دموعها وتضع البطاقات مكانها بإجلال: «أنا بخير. والآن انهضي، وراءنا عمل. لقد حان وقت اختيار دفعتنا الأحدث من الضحايا».

بعدما تحركت تيفاني بنشاط خارج الغرفة، همهمت سكارليت بسخرية ثم أجبرت نفسها على النهوض من الفراش.

ملحوظة إلى نفسي: فلتكوني شقيقة أفضل. فكرَت في هذا وهي تنحي ستارتها جانبًا وتفتح النوافذ لتسمح للهواء المنعش بالدخول، آملةً في أن يساعد في إفاقتها قليلًا. ومن شرفتها، تمكنت من رؤية مباني الحرم الجامعيِّ المبنية من الطوب الأحمر التي شكّلت ما يشبه المربع حول ساحة الجامعة، التي استقر برج الناقوس في صميمها. وفي الناحية الأخرى استقرت الأشجار القديمة والكثيفة التي حددت بداية الغابات في حرم الجامعة. اندفع أحد الغربان داخل بيت الطيور نحو الأشجار ثم اختفى عن الأنظار.

لقد كان كل شيء طبيعيًّا بصورةٍ مطمئنة، عدا شيئًا واحدًا. لقد كان هناك بريق معدنيٌّ خافت وسط نباتات اللبلاب المستقرة بين ثقوب السياج الحديديِّ للشرفة. اقتربت سكارليت ونحّت بعض الأوراق جانبًا، ومدَّت أصابعها داخل أحد الشقوق لتحرير هذا الشيء.

في العام الماضي، كانت هذه الغرفة تخص فتاةً في السنة الأخيرة تُدعى ليريك، التي انتقلت بعد ذلك إلى مدينة نيويورك للعمل في منظمة للعدالة الاجتماعية غير ربحية. ربما تكون قد نسيت أحد أغراضها بالخطأ. نحَّت سكارليت المزيد من نبات اللبلاب بعيدًا للحصول على رؤية أفضل. سحبت هذا الشيء مرة أخرى بقوة، لينخلع ويسقط في كفها. حدقت سكارليت إليه مطولًا وأخذت نبضاتها تتسارع. لقد كانت قلادة فضية، وكانت السلسلة ملتوية ومتشابكة، والقلب الفضي الصغير ملطخًا. لقد مر عامان، غير أن

سكارليت كانت لتميزها في أي مكان. لقد بدت تمامًا مثل القلادة التي اعتادت هاربر أن ترتديها.

جلست الشقيقات في دائرة على عشب الحديقة الجنوبية. التقطت داليا قارورة من الفقاقيع، مثل التي لعبن بها جميعًا في صغرهن، ثم نفخت الفقاقيع في الهواء. كانت هذه تعويذة للإلهاء، لمنع باقي الموجودين في الحرم من ملاحظة ما يفعلن. وضعت كل فتاة كتابًا خاصًا بالكابا في حجرها. ومن بعيد، بدون وكأنهن يشكلن مجموعة دراسية عادية. ولكن عن قرب، كُنَّ يحددن مصائر الدفعة الجديدة من الغربان.

قالت داليا: «سوف تجدن أمامكن ملفًا كاملًا لكل فتاة امتلكت القوة الكافية لإشعال اللعبة النارية في الليلة الماضية. فلنبدأ في استعراض شقيقاتنا المحتملات».

جلست سكارليت بين مِي وتيفاني، وهي غير منتبهة بالكامل، بينما لمع الكتاب المفتوح على حجرها، وأخذت بعض صور الطالبات المستجدات اللاتي حضرن حفل الاستقطاب في الليلة الماضية، وتظهر على صفحات الكتاب التي كانت فارغة.

- الفتاة الأولى اسمها ستارلا، وهي الأخت الأكبر ضمن ثلاث أخوات...

حدقت سكارليت إلى وجه الفتاة البيضاء ذات الشعر البُنيِّ المتموج، ولوهلة بدا وكأن هاربر تنظر إليها. ولكن عندما طرفت بعينيها، عادت الصورة إلى طبيعتها. لقد كان شعر الفتاة أفتح بدرجتين من شعر هاربر وأنفها أطول وشفتاها أعرض.

هزت سكارليت رأسها قليلًا. لقد كانت فزعة فحسب بسبب حلمها. ولكنه لم يكن أكثر من مجرد.. حلم.

أم كان؟

لم يفسر الحلم القلادة. ولكن مجددًا، كانت هناك ملايين القلادات المشابهة لها. سكارليت نفسها امتلكت قلادة مشابهة في صندوق المجوهرات الخاص بها في المنزل، كانت قد تلقتها من والديها بمناسبة عيد ميلادها السادس عشر. ليس هناك دليل على أن القلادة كانت تخص هاربر. ويحتمل أنها ظلت

عالقة هناك منذ فترة طويلة. لقد كانت مجرد صدفة أن سكارليت عثرت عليها في ذلك الصباح. أليس كذلك؟

اهبطي من سحابتكِ يا سكارليت. تردد صوت تيفاني داخل رأس سكارليت وشعرت بوخزة خفيفة في فخذها. رفعت سكارليت رأسها واندهشت عندما وجدت الدائرة بأكملها تحدق إليها. رفعت داليا أحد حاجبيها المحددين بعناية وكأنها كانت تنتظر.

قالت سكارليت بتردد آملة أنهن كُنَّ يسألن إذا كانت موافقة على المرشحة الأولى: «نعم، موافقة».

أومأت داليا برأسها وقد بدا عليها السرور: «رجاءً التصويت».

فتحت صندوقًا مملوءًا بريش الغربان الأبيض كلون الثلج، ووزعت تلك الريشات، ريشة لكل واحدة من الشقيقات العشرين. لطالما اعتبر الناس الغربان علامة على سوء الحظ أو النوايا الخبيثة، غير أن تاريخها، كان مثل تاريخ السحر ذاته، بل أكثر تعقيدًا من ذلك. إذ إنها بدءًا من عصر اليونان القديمة، اقترنت بالقدرة على كشف المستقبل، وجرى اختصاصها بالحفاظ على أسرار الإله ونشر حكمته.

أما الساحرات، فمثلهن مثل الغربان، فهِمْنَ أسرار الكون، ونِلْنَ سمعةً سيئةً جراء ذلك. ولهذا، منذ مئات السنين، سمَّت مؤسسات الجماعة السحرية أنفسهن الغربان. وظللن متمسكاتٍ بالاسم حتى بعد إدراجهن كإحدى الأخويات، وتَخفَّين حمايةً لنظام الأخوية. وأي طريقة أفضل من هذه للتواري عن الأنظار واستقطاب عضواتٍ جدد وضمهن إلى عشيرتهن؟

للتصويت بضم عضوة جديدة للغربان، يغير المرء ببساطة لون ريشته من الأبيض إلى الأسود. يظهر على الصفحة الفارغة من الكتاب استعراض للمعرفة والقدرة *والقوة*. عندما كانت سكارليت فتاة صغيرة، حلمت باليوم الذي ستتحول فيه الريشات من أجلها.

غير أنها أجبرت نفسها الآن على التركيز على المهمة. اضطربت الريشات، واحدة تلو الأخرى، بدايةً من ريشة داليا، وكأن يدًا خفية نثرتها في الأجواء، وبدأ الأبيض يمتلئ ببطء بلون أسود حبريٍّ لامع. من الناحية النظرية، كانت مراسم الريشات مجرد إجراء شكليٍّ، لقد كانت مجرد خطوة أولى، أما الاختيار

الحقيقي فسوف يحدث خلال ليلة الاختبار الأولى، عندما ترى الشقيقات جوهر الفتيات اللاتي سوف يعملن معهن هذا العام. إذا حالفهن الحظ، سوف يجدن على الأقل فتاة واحدة من كل فئة، ما من شأنه أن يبقى المنزل متنوعًا ومكتملًا. الساحرات من فئة الصولجانات أمثال داليا اللاتي تمكنَّ من إجراء تعاويذ النار، كُنَّ يمِلن إلى أن يكُنَّ معالجاتٍ ورياضياتٍ. أما الساحرات من فئة السيوف أمثال تيفاني فقد تخصصن في الهواء، الهواء بالمعنى الحرفيِّ، مثل الرياح والأشياء ذات الصلة بالذاكرة والتحكم في العقول والنفوذ. والساحرات من فئة النجمة الخماسية أمثال مِي تَصدَّين للسحر الأرضيِّ، مثل الأمور المبهرة التي عدَّلت مظهر الأشياء في العالم الماديِّ. وعادةً ما امتلكن موهبة واضحة في إنماء النباتات. وكون سكارليت تنتمي إلى فئة الكؤوس، فقد أتقنت التعاويذ الخاصة بالماء.. قراءة الطالع والتحكم في المسطحات المائية الصغيرة وتغيير كيمياء السوائل (بما في ذلك المشروبات كافة). أشيع أيضًا أن ساحرات الكؤوس امتزن بتعاويذ الحب التي يلقينها، رغم أن سكارليت نفسها لم تحتج إلى إحداها قط.

مارست كل فئة، كلًّا من المينور أركانا -وهي التعاويذ اليومية البسيطة- والماجور أركانا. كانت الأخيرة هي الأمور التي يمكن للساحرات أن يفعلنها في حالات الضرورة القصوى فقط أو من خلال استهلاك كم هائل من الطاقة. يمكن لساحرة الكؤوس خلق عاصفة مطيرة مثل العاصفة التي استحضرتها سكارليت عندما ماتت ميني. ويمكن لساحرة السيوف أن تستحضر إعصارًا أو عاصفة هوجاء. أما ساحرة الصولجانات فيمكن أن تحرق إحدى الغابات حتى تتحول إلى رماد إن شاءت. ومن الناحية النظرية، يمكن لساحرة النجمة الخماسية أن تتسبب في زلزالٍ، رغم أنه على حد علم سكارليت، لم يسبق أن فعلت إحداهن ذلك.

غير أن السبب الذي جعلهن يدققن في من يخترن للانضمام إلى الكابا، هو أن الغربان اكتشفن كيفية ربط سحرهن ببعضهن بعضًا. عند كل اكتمالٍ قمريٍّ، يؤدين طقوسًا موحدة على نطاق المنزل، تُمنح كلٌّ من الغربان القدرة على استخدام المينور أركانا لكل فئة، وليست فئتها الخاصة فقط. كان هذا سببًا في جعلهن مجلس السحرة الأقوى في العالم. لم تكن تلك القرارات

الوحيدة التي سوف تُتخذ اليوم. إذ إنه الاجتماع الذي سوف تسند فيه داليا أيضًا أعمالًا إلى المرشحات الأقوى لمنصب الرئاسة. تمنت سكارليت أن يحالفها الحظ لرئاسة لجنة العضويات. لقد علم الجميع أنه المنصب الأقوى، إذ إن الشقيقة التي يحالفها الحظ تُكلَّف بإرشاد العضوات المستجدات خلال مرحلة الاختيار، وتدريب الدفعة الجديدة من الساحرات بصفة أساسية. وفي حال أدت رئيسة لجنة العضويات عملها على أكمل وجه، دائمًا ما تصبح زعيمة للأخوية في نهاية المطاف.

وإذا حصلت سكارليت على المنصب الذي تتمناه، فقد خططت للطريقة المثلى للاحتفال. إذ إنها سوف تلتقي مايسون بعد الاجتماع للترحيب به بصورة لائقة... على افتراض أنها سوف تحضر نفسها نفسيًّا ومزاجيًّا لذلك بعد كل ما حدث هذا الصباح.

انتهت داليا من التصويت من أجل فتاة تُدعى كيسلي، وتغير لون حفنة قليلة من الريشات. أما المرشحة التالية فقد كانت فتاة فائقة الجمال من جنوب آسيا، ذات قصة شعر بطول الذقن وعينين بُنيتين ثاقبتين.

قالت داليا: «لقد كانت والدة سونالي، وهي أديتي ماني، من الغربان. ورغم أننا لا نبدي تحيزًا خاصًا تجاه الأجيال المتعاقبة، فإنه شيء ينبغي أخذه في الاعتبار، بما أننا نعلم أن القوى السحرية تميل إلى التوارث من جيل إلى جيل داخل العائلة، ولقد كانت والدتها ساحرة كؤوس قوية إلى حدٍ كبيرٍ، أليس كذلك يا إيتا؟».

إلى جوار سكارليت تمددت إيتا على العشب وهي حافية القدمين، متأنقة كعادتها وكأنها على وشك إجراء تجربة أداء لدور جنية في مسرحية *حلم ليلة صيف*، وقد أضحت بشرتها بيضاء بلون الحليب في ضوء النهار.

- لقد سبق أن قلتِ إنها ترغب في خوض المجال السياسيِّ. أترغبين في تكرار ما فعلته ريس ويذرسبون في فيلم Election (الانتخاب) أو ما فعلته إليزابيث وارين عام 2020؟

مالت الفتيات الأخريات في الدائرة نحوها في اهتمام. لقد كانت مخاوف إيتا معقولة. إذ إن الساحرات اللاتي يمتلكن طموحات سياسية لطالما نُظِر

إليهن بعين الحذر. إذ إن الغربان اللاتي جمعن بين القوة والسياسة وجب عليهن أن يكُنَّ فوق مستوى الشبهات.

قالت داليا: «هازيل، لقد تحدثتِ إليها أكثر مما فعلت. ما تقييمك لها؟».

على الجانب الآخر من الدائرة، رفعت هازيل -وهي طالبة أمريكية ذات أصول كورية من فلوريدا وفي السنة الدراسية الثانية فضلًا عن كونها ساحرة من فئة الصولجانات مثل داليا- رأسها عن كتاب التعاويذ الخاص بها. كانت ترتدي بنطالًا ضيقًا وقميصًا للركض، وبالنظر إلى كعكة شعرها الملساء المثالية المرفوعة لأعلى، وعدم وجود حبيبات من العرق على وجهها، خمنت سكارليت أن السبب وراء ذلك هو أنها خططت للذهاب للركض بعد الاجتماع وليس أنها عادت منه. ولكن مجددًا، مع هازيل، يصعب الجزم. لقد كانت بطلة سباقات الركض دومًا في ويسترلي، ولقد كانت تعدو بسرعة جعلت سكارليت تشعر أنها في حالة بدنية سيئة للغاية. كما أنها تمكنت بصورةٍ ما أن تجعل الملابس الرياضية تبدو أنيقة حتى وإن ارتدتها في الحفلات المختلطة، بعكس سكارليت التي لطالما شعرت أنها غير مهندمة وهي ترتدي ملابس الجيم، حتى وإن كانت في الجيم نفسه.

- إنها ذكية للغاية وطموحة ولكن لا تزال صارمة كذلك. هي صاحبة أفكار أكثر من كونها فاتنة.

أومأت إيتا برأسها واسترخت: «أؤيد تمامًا تولي إحدى الغربان منصبًا في البيت الأبيض».

مازحتها تيفاني وهي تبتسم إلى سكارليت: «وسوف يكون اسمها سكارليت وينتر».

أضافت جيس، وهي المراسلة الرئيسية لصحيفة جازيت، بنبرة أدركت سكارليت أنها تعني بها أنها «سوف تتحقق من دوافعها بنفسها»: «ولكن إيتا محقة، ينبغي لنا أن نظل حذراتٍ تجاه هذه الفتاة».

لقد زاد تشكك جيس من رغبة سكارليت في مساندة الساحرة الجديدة المهتمة بالسياسة. لقد عرفت الآن اللون الذي ينبغي لريشتها أن تكونه.

علّقت داليا بسخرية قائلة: «أريني أسوأ ما لديكِ يا لويس لين. مَن موافق على دعوة سونالي للانضمام؟».

التقطت كل فتاة في الدائرة ريشتها، وانتزعت سكارليت ريشتها من جانبها حيث هبطت. مرة أخرى، تبعثرت الريشات وأصبح لونها داكنًا كظلام الليل، وبأمرٍ هامسٍ من سكارليت، تغير لون ريشتها كذلك، ما يعني موافقتهن بالإجماع على انضمام الفتاة. حدقت إلى الغربان الأخريات، شقيقاتها، في الدائرة من حولها بفخرٍ. إنهن الفتيات اللاتي فيما مضى، خضن العملية ذاتها. أيًا كانت عيوبهن، فما يربطهن معًا يتعدى حدود السحر. لقد كانت الغربان أخوية، أخوية جميلة ومتنوعة مبنية على الحب والقوة. سوف تصبح الفتيات اللاتي سيصوتن لهن الآن خلفياتهن، الجيل الجديد. الفتيات اللاتي سوف يحملن في أحد الأيام إرثهن.

- المرشحة التالية هي ريجان أوستروف، التي تحظى بماضٍ مثيرٍ للاهتمام للغاية.

ملأت صورة لفتاة ذات شعر أحمر ناريٍّ الصفحة، وفي أثناء حديث داليا، ظهرت كلمات تستعرض تاريخ ريجان ومستقبلها المحتمل. ثم سرت همهمات بين الغربان.

- إنها ساحرة رغم أن عائلتها تنحدر من جماعة سحرية مختلفة في نيو أورلينز. هي على دراية تامة بقواها السحرية، ولكن ليس واضحًا إلى أي درجة تتمكن من السيطرة على هذه القوى. لقد نشب حريقٌ في مدرستها القديمة وجرى رصده بسرعة، ولحسن الحظ لم يُصَب أحدٌ بسوء (تجهمت داليا وأردفت) لقد نشب الحريق في المسرح، حيث جرى استبعاد ريجان قبل ذلك بقليلٍ -من قبيل المصادفة طبعًا- من دور البطولة في المسرحية المدرسية. واستلزم الأمر أربع سيارات إطفاء لإخماد الحريق.

قالت مِي: «يبدو أن لدينا برجًا ناريًا بين أيدينا».

- بالتأكيد. إنها قوية لكنها تشكل خطرًا. فهذا النوع من السحر يجب ألا يُمارَس علنًا.

تساءلت سكارليت بدهشة: «لا يمكن أنكِ تقترحين ألا ندعوها، أليس كذلك؟».

لطالما آمنت سكارليت أن الكابا كانت معنيّة بالتآخي والسحر بنفس القدر، غير أن داليا خالفتها الرأي. لقد رغبت في أن تكون الكابا الأفضل، أفضل أخوية وأفضل جماعة سحرية. وبالنسبة إليها، لطالما عنى هذا ضم أقوى الساحرات.

هزت داليا رأسها نافيةً، وقالت: «بل أن نأخذ حذرنا منها فحسب».

قبل أن تنتهي داليا من كلامها، كانت جميع الريشات قد تحوَّل لونها. لقد ضمَّت ريجان أوستروف، ولم يسع سكارليت إلا أن تفكر في أن الغربان نِلن ما يستحققنه.

قالت داليا: «حسنٌ».

توترت سكارليت عندما انتقلن جميعًا إلى الصفحة التالية من الكتاب، ورأت الفتاة البيضاء ذات الشعر البُنيِّ السانجة بطريقةٍ مزعجةٍ، التي منحتها سكارليت اللعبة النارية تحدق إليها. نطقت الصفحة اسمها: *فيفيان ديفيرو*.

قالت سكارليت قبل أن يتسنى لأي أحد الحديث: «لقد قالت لي إنها لم ترغب في الانضمام من الأساس. أي سبب يجعلنا نفكر في ضم شخص لا يحبنا؟».

- هل قالت فعلًا إنها لا تحبنا؟

قطبت مِي حاجبها المنحوت بعناية، أما شعرها الذي كانت قد قصته حتى ذقنها في حفل التعارف، فقد وصل إلى خصرها وصبغت أطرافه بلونٍ أرجوانيٍّ كلون زهور اللافندر.

لوَّحت سكارليت بيدها اعتراضًا: «لقد قالت إنها ليست من النوع الذي ينضم إلى الأخويات، وهو ما كانت محقة بشأنه بالمناسبة. لذا لماذا نهدر أحد عروضنا عليها؟».

ضيَّقت داليا عينيها ونظرت إليها بارتياب وقالت: «عادةً ما تؤيدين دعوة أكبر عدد ممكن من الفتيات. علام كنتِ تجادلين في العام الماضي؟ لن يتسنى لنا أبدًا أن نحكم على مدى قوة أي شخص دون أن نختبره أولًا».

لقد كانت داليا محقة. فلقد كان هذا شيئًا لطالما رددته ميني على مسامعها.

انحنت تيفاني للأمام قائلة: «أنا مع سكارليت (ابتسمت سكارليت لصديقتها سريعًا امتنانًا لها) علاوة على ذلك، هل هذا كل ما نعرفه عن الفتاة حقًا؟».

قالت ذلك وهي تشير إلى الصفحة الفارغة في كتاب الكابا.

الأم: مجهولة.

الأب: مجهول.

الماضي: مجهول.

قالت داليا: «لقد تنقلتْ كثيرًا. لقد وجدنا سجلات من آخر مدرسة التحقت بها في ولاية نيفادا، ولكنها لم تحضر صفوفًا هناك سوى لأربعة أشهر. وقبل ذلك تلقّت تعليمًا منزليًا في بلدة بالقرب من حدود كاليفورنيا الشمالية».

قالت مِي: «أعتقد أنها تمتلك المقومات اللازمة. إنها لا تعرف حتى الآن أنها ساحرة. أنا عن نفسي أود أن أرى ما يمكنها فعله».

- سكارليت (نظرت داليا إليها) الأمر يرجع إليكِ.

رمشت سكارليت بعينيها متفاجئة. في الأحوال العادية يتسنى للرئيسة وحدها اتخاذ قرارات مثل هذه، غير أنها فهمت ما تنطوي عليه كلمات داليا: *«إذا كنتِ ستتزعمين الكابا في العام القادم، ينبغي لكِ أن تكوني قادرة على اتخاذ القرارات نيابةً عن الجميع، وليس عن نفسكِ فقط».*

بعدما أخذت سكارليت نفسًا عميقًا وطويلًا أومأت برأسها قائلة: «أنتِ محقة يا مِي. ينبغي لنا منحها فرصة».

ابتسمت لها مِي سريعًا، واتسعت ابتسامة إيتا كذلك، غير أن وجه سكارليت بقي جامدًا وهي تلتقط الريشة ليصير لونها داكنًا مرة أخرى. لمجرد أنها اختارت أن تتصرف بشهامة لا يعني أنها مضطرة إلى *الإعجاب* بها.

انتهين من التصويت لبقية المرشحات، لفتاة تُدعى أريانا رويز ولأخرى تُدعى بايلي كابلان، اللتان لم تعرفا كذلك أنهما ساحرتان، فضلًا عن مجموعة من التوائم إضافةً إلى فتاة تنحدر من عائلة من السحرة لم تشتعل لعبتها بقدر ما أصدرت شرارة خافتة. شككت سكارليت في أن هذه الأخيرة سوف تجتاز الطقس السحريَّ الأول.

وعندما انتهين تنحنحت داليا قائلة: «قبل أن ترحلن يا فتيات، لدي لكُنَّ مهمة إضافية».

انتصبت سكارليت في جلستها وابتسمت لتيفاني بحماس.

- تيفاني وسكارليت ومِي (نظرت داليا إليهن تباعًا) أنتن الثلاثة أقوى الساحرات المبتدئات في مجموعتي.

نحن الساحرات الوحيدات المبتدئات في مجموعتك بفضل طالبات السنة الأولى الكارثيات.

فكرت سكارليت في ذلك ثم دفعت الفكرة بعيدًا عن ذهنها.

- لضمان أننا سوف نحظى بدفعة مدهشة من الشقيقات الجديدات هذا العام، سوف أكلف كلًا منكن بمهمة خاصة. سوف تساعدنا الطريقة التي سوف تؤدين بها مهامكن في اختيار دفعتنا الجديدة من أعضاء مجلس الإدارة.

تقصدين أن ذلك سوف يساعدكِ في اختيار من يحل مكانكِ.

ثبّتت سكارليت أنظارها على داليا. مهما تكلف الأمر كانت بحاجة إلى التأكد من أن الاختيار سوف يقع عليها.

- تيفاني، سوف تتولين منصب رئاسة اللجنة الاجتماعية. سوف يقع على عاتقكِ مهمة تنظيم جميع فاعلياتنا ومناسباتنا العامة.

إلى جانب داليا جلست تيفاني التي أومأت برأسها بحماس ثم قالت: «سوف أبذل قصارى جهدي».

- أما أنتِ يا مِي، فسوف تصبحين ممثلتنا لدى مجلس الأخويات. سوف تنسقين مع الأخويات الأخرى في الحرم الجامعيّ وتديرين شؤون الخريجات وعلاقتهن ببعضهن بعضًا.

لم تحسد سكارليت صديقتها على ذلك. فقد كان ذلك يعني أنها سوف تتعامل مع نساءٍ قوياتٍ كوالدة سكارليت، التي كانت لديها تحفظات شديدة فيما يتعلق بالكيفية التي ينبغي أن تُدار بها ويسترلي في العموم والكابا على وجه الخصوص.

سددت لِمي نظرة مواسية وهي ترتجف بسخرية، وردت عليها مِي بدورها بابتسامة شجاعة لم تفارق محياها.

- سكارليت (استقامت في جلستها) سوف تترأسين لجنة العضويات. سوف تخططين لاختبارات أسبوع الجحيم للمجموعة وتدققين في عضواتنا الجديدات وتدريبهن على إجراء التعاويذ البسيطة، ليس خلال أسبوع الجحيم وحده بل على مدار العام، بمجرد أن نختار شقيقاتنا الجديدات.

رائع...!

أحنت سكارليت رأسها لتُخفي الابتسامة العريضة التي ارتسمت على وجهها فجأةً. وبطرف عينها، لمحت ابتسامة مِي تخفت. لقد كانت تلك المهمة الأبرز، وأدركنَ جميعهن ذلك.

- لن أخذلكِ.

أومأت داليا برأسها قائلة: «أعلم أنكِ لن تفعلي».

- فلتتذكرن يا شقيقات، أن أسبوع الجحيم وعملية الاختيار بأكملها ليس هدفهما تعذيب أي أحد. بل هدفهما هو العثور على المواهب النادرة وغير العادية وسط هذا الحشد الهائل من الفتيات العاديات في هذه الجامعة. نحن بحاجة إلى العثور على الفتيات اللاتي سوف يحافظن على إرثنا. اللاتي يكُنَّ مثلنا، طموحات وموهوبات وقياديات وذكيات وقويات. أن يكُنَّ غربانًا حقيقيات.

أغلقت كتابها بفرقعة من أصابعها، ثم بتلويحة من يدها فجّرت تعويذة الإلهاء.

نهضت كلٌّ من سكارليت وتيفاني ليصدر صوت اندفاع العشب للأعلى مرة أخرى حيث جلستا في الدائرة.

سألتها تيفاني: «مستعدة لبعض التحدي يا شقيقتي؟».

قالت سكارليت وهي تشبِّك ذراعها في ذراع صديقتها المقربة: «هاتي ما عندكِ».

ابتسمت تيفاني بينما تردد صوتها في رأس سكارليت: عسى *أن تفوز الساحرة الأفضل.*

الفصل السابع

فيفي

للمرة الأولى منذ سنوات تستيقظ فيفي مبتسمة. عبَر ضوءٌ ذهبيٌّ من الفجوة في الستائر التي نسيت أن تغلقها، غير أنها لم تمانع. ملأت شجرة الصمغ الحلو أسفل النافذة الغرفة برائحة قطرات الندى، ومن بعيد، دق الجرس في برج الناقوس.

لن تبدأ أول الأنشطة الإرشادية قبل ساعة، لذا تدحرجت فيفي على الجانب الآخر وضمت وسادتها إليها أكثر. استرجعت أحداث الليلة الماضية، الموسيقى والرقص والألعاب النارية. لم تكن حفلتها الأولى مجرد حفلة ناجحة، بل كانت شيئًا أشبه بالحلم. ثقل جفنا فيفي وكانت على وشك أن تستغرق في النوم مجددًا قبل أن يلفت شيءٌ ما انتباهها، وهو وجود مظروف قرمزيٍّ أعلى طاولة الزينة خاصتها الفارغة من كل شيء سواه.

مدَّت يدها لالتقاطه وهي تطرد النوم من عينيها، ثم عادت إلى سريرها. لقد كان المظروف ثقيلًا على غير المتوقع وغير مميز بعلامة سوى اسمها المكتوب بخط اليد وبالختم الشمعيِّ غريب الشكل على ظهره على هيئة نجمة خماسية مقلوبة. لقد تعرفت على الرمز واكفهر وجهها. لقد كان على بطاقات التارو الخاصة بأمها، رغم أنه عادةً ما يكون موجهًا للأعلى.

جاء صوتٌ فظٌ من خلفها جعلها ترتجف تحت غطائها: «تركت إحداهن هذا من أجلِك».

صحيح، إنها زوي. في غمرة انبهارها بالحفل نجحت أن تنسى وجود شريكتها في الغرفة لبضع ساعات. والآن حدقت بعينين نصف مغمضتين إلى الفتاة في الجانب المقابل من الغرفة، التي كانت قد استيقظت بالفعل وتطلي أظفارها على ما يبدو، استنادًا إلى الرائحة الحمضية المنبعثة من المنطقة المحيطة بمكتبها.

تثاءبت فيفي وهي تجبر نفسها على الجلوس، ثم وقفت: «من؟».

- لا أعلم، لقد كان المظروف هنا هذا الصباح عندما انتهيت من الاغتسال وخرجت من الحمام. أيًّا يكن الشخص، أخبريه ألا يدخل مجددًا إلى غرفتنا دون استئذان.

لم تعلق فيفي على ما سمعت، ودسَّت أصابعها تحت الختم ونزعت البطاقة ذات اللون الأبيض الكريميّ من الداخل. لتجد عليها رسالة مكتوبة بخط اليد: «*فيفيان، كان من دواعي سرورنا لقاؤكِ في الليلة الماضية. نحب أن نتعرف عليكِ بصورة أفضل، وأن نتشرف بدعوتكِ للانضمام إلى جماعة كابا رو نو. نتطلع إلى مقابلتكِ في الكابا هاوس مساء يوم الثلاثاء في تمام الساعة الثامنة.*

مع خالص تحياتي..

داليا إيفرلي، رئيسة الأخوية».

حدقت فيفي إلى البطاقة بارتباك: «إنها من الكابا. لقد دعونني إلى الانضمام».

حتى زوي بدت متفاجئة وحدجت فيفي بنظرة متفحصة، وكأنها تبحث عن شيء فيها أغفلته في تقييمها الأول لها. لم تلُمها فيفي. فقد ساورتها شكوك مماثلة.

- ليست لدي أدنى فكرة عما يحتمل أنني فعلته لترك انطباعٍ جيد.

قالت زوي وهي تبدو منبهرة ومنزعجة في آنٍ واحدٍ: «لا تكوني ناكرة للجميل عندما تتلقين هدية. علاوة على ذلك، إذا قبلتِ، تعرفين أنه يمكنكِ الانتقال من هنا إلى الكابا هاوس، أليس كذلك؟».

فجأةً، أصبح لدى فيفي سبب آخر مُلِح للرغبة في الانضمام إلى الأخوية.

قرقر بطنها معلنًا أن الوقت قد حان أخيرًا للتحلي بالشجاعة للنزول إلى قاعة الطعام. فقد تناولت رقائق البطاطس التي ابتاعتها من ماكينة البيع الآلية على الغداء، وفي الليلة الماضية كان هناك «حفل بيتزا ترحيبي مختلط» في الغرفة العامة في السكن، ولكنها لن تستطيع تأجيل ذهابها إلى هناك أكثر من ذلك. لطالما كرهت الذهاب إلى الكافتيريا للمرة الأولى عند انتقالها إلى مدرسة جديدة. لم تكن القواعد واضحة قط فيما يتعلق بالكم المسموح لكِ بأخذه ولا بما ينبغي لكِ فعله بصينيتكِ بعد ذلك. لم يكن بإمكانها السماح لارتباكها بالفوز هذه المرة، لقد رفضت أن تصبح بطلة مقطع الفيديو الشهير الذي عنوانه: «فتاة تقضي سبع دقائق كاملة في ارتباك أمام إحدى ماكينات بيع الحليب».

استحمَّت سريعًا في الحمام المشترك، ثم عادت إلى غرفتها لجلب هاتفها وبطاقة هويتها. وفي اللحظة الأخيرة انتزعت دعوة الكابا سريعًا من على سريرها. ربما إذا عاودت قراءتها بعد أن تأتي القهوة بمفعولها، سوف تصبح أكثر منطقية بعض الشيء. بينما كانت فيفي ترتدي بنطالًا رياضيًّا، أمكنها أن تشعر بنظرة السخرية التي كانت تطالعها بها زوي، غير أنها لم تهتم.

لم تمتلك فيفي زيًّا من شأنه أن يثير إعجاب شريكتها الأنيقة، وكان من غير المُجدي أن تهدر الوقت في التظاهر بالعكس. وبينما هي تخطو خارج السكن الجامعيّ، الذي كان عبارة عن مبنى أنيق من الطوب الأحمر مغطى بنباتات اللبلاب، شعرت فيفي أن بعضًا من قلقها يتلاشى. لقد عاشت هنا بالفعل، في أحد أجمل أروقة الجامعات في ذلك البلد. سوف تشعر كما لو أنها بالديار قريبًا. إنها متأكدة من ذلك.

- إذن، على حسب ما عرفت، أنتِ الضحية التالية للكابا؟

شعرت فيفي بالفزع، واستدارت لترى فتاة ترتدي سروالًا جينزًا ضيقًا وقميصًا أسود ممزقًا طوليًّا تجلس القرفصاء على العشب. رفعت الفتاة حاجبها بطريقةٍ ذات مغزى وهي تصوب نظرها نحو المظروف القرمزيّ في يد فيفي. اتبعت فيفي حدسها ودسَّت المظروف في حقيبة يدها. إذ إنها لم تكن متأكدة من الطريقة التي يُدار بها الأمر. هل مسموح لها أن تخبر الناس أنها دعيت؟ أم تُبقي الأمر سرًّا؟ اختارت أن تكون إجابتها مبهمة.

- في الحقيقة أنا لا أعرف الكثير عنها حتى الآن.

سددت إليها الفتاة نظرة متفحصة جعلت نظرات زوي تبدو ودودة مقارنةً بها، ثم تكلفت الابتسام ونهضت واقفة على قدميها. قالت وكأنها تحدث نفسها وليس فيفي: «خذي حذركِ منهن».

ثم مضت بخطى متئدة.

لقد كان ذلك غريبًا. فكرت فيفي في ذلك وهي تواصل السير نحو قاعة الطعام. هل تغار الفتاة منها؟ الكابا انتقائيات، والكثير من الفتيات حضرن الحفل أملًا في الحصول على عرضٍ للانضمام، ما جعل فيفي تتساءل أكثر عن سبب اختيارهن لها، فهي لم ترتدِ الملابس المناسبة ولم تعرف كيف ترقص جيدًا. لقد كانت عضوات الكابا اللاتي التقتهن ودوداتٍ معها، غير أنهن كُنَّ يرحبن بالجميع. ماذا لو أن فيفي لفتت انتباههن؟

زوي محقة، فكرت في ذلك للمرة الأولى والأخيرة على ما يبدو. *لا تتساءلي عن السبب، فقط كوني سعيدة أن شيئًا جيدًا يحدث لكِ للمرة الأولى.*

قبل أن يتسنى لفيفي أن تزداد توترًا بشأن الدخول إلى قاعة الطعام وحدها، رأت أريانا تلوح لها على بُعد بضعة أمتار قليلة منها. سألتها أريانا: «هل أنتِ ذاهبة لتناول الإفطار؟ يا الله، لقد كنت أخشى أن أضطر إلى الجلوس وحدي (عضَّت شفتها وكأنها انتبهت لشيءٍ لتوها) آسفة، أعني، لا بأس إذا كنتِ ستقابلين أشخاصًا آخرين، لا أريد إجباركِ على تناول الطعام معي».

ابتسمت لها فيفي وقد شعرت بالارتياح أنه حتى الفتيات أمثال أريانا كانت لديهن مثل مخاوفها، ثم قالت: «سوف يكون ذلك عظيمًا».

سألتها أريانا وهما تصعدان السلالم الحجرية: «كيف حالكِ بعد الليلة الماضية؟ أعتقد أنني تناولتُ الكثير من هذه المشروبات الموضوعة في فناجين الشاي، لدرجة أنني أشعر بصداعٍ رهيبٍ».

- لا يوجد شيء لا يحلّه احتساء القليل من القهوة.

قالت فيفي هذا ثم ترددت للحظة، وقد أخذت تفكر مرةً أخرى في المظروف الذي دسَّته في حقيبة يدها. ثم تابعت: «لقد وجدتُ شيئًا على طاولة الزينة الخاصة بي هذا الصباح...».

لوهلة ندمت على التصريح بأي شيء، تحسبًا لإمكانية ألا تكون أريانا قد حصلت على عرضٍ. غير أنها شعرت بالارتياح عندما منحتها أريانا ابتسامة عريضة: «هل حصلتِ على عرض؟ وأنا أيضًا. متحمسة، أليس كذلك؟ (غام وجه أريانا مجددًا في الحال) يا إلهي! ماذا سأرتدي؟ لم يمنحننا إرشاداتٍ حول ذلك. هل تظنين أن هذا الاجتماع سوف يتطلب الحضور بملابس رسمية مثل حفل الكوكتيل؟ أو الحضور بملابس عمل غير رسمية...؟».

أحسّت فيفي أن شعورها بالهلع يتنامى، وأريانا تثرثر بكافة الاحتمالات إلى أن قطع رنين أحد الهواتف حبل أفكارها.

- سحقًا (توقفت أريانا على سلالم قاعة الطعام وهي تحدق إلى شاشة هاتفها بانزعاج) لقد نسيت شريكتي في الغرفة مفتاحها، هل يمكننا تأجيل موعدنا على الإفطار لوقتٍ لاحقٍ؟ آسفة على تركِكِ بهذه الطريقة. هل ستكونين بخير؟

قالت فيفي: «سوف أكون بخير».

وأملت أن يكون ذلك حقيقيًا.

- أنتِ الأفضل. أوه، دعيني آخذ رقمكِ، سوف أراسلكِ لاحقًا.

أملتها فيفي رقم هاتفها، وشاهدتها وهي تنطلق، وخصلاتها المتموجة تنفلت من كعكة شعرها وتتأرجح للأمام والخلف على جبينها. وبعد ثوانٍ قليلة، رنَّ هاتفها معلنًا وصول رسالة جديدة. إنه رقم أريانا رويز. ابتسمت فيفي وهي تدس هاتفها في جيبها. صحيح أنها سوف تضطر إلى تناول الطعام وحدها، ولكن على الأقل إحدى الصديقات المحتملات كانت تتطلع إلى تناوله معها.

أخذت نفسًا عميقًا واستكملت النزول على درجات السلم العريضة. لقد كانت درجات السلم الحجرية الكبيرة أكثر شبهًا بسلالم الكنيسة منها إلى الكافيتريا، وعندما دفعت فيفي الباب الثقيل فاتحةً إياه، وجدت نفسها في فضاءٍ فسيحٍ لم يسبق لها أن رأت شيئًا مثله. تراصت العوارض الخشبية المكشوفة فوق بعضها بعضًا بالأعلى وتعامدت بطول السقف، وملأت النوافذ التي يتراوح طولها أربعة أمتار الغرفة بأشعة الشمس التي انعكست على

المزهريات الزجاجية، الموضوعة في منتصف كل طاولة مستديرة. بدا الأمر كما لو أن مارثا ستيوارت أعادت تصميم مدرسة هوجورتس للسحر.

لم يكن هناك طابور أمام بوفيه الإفطار، حيث ملأت فيفي طبقها بابتهاج بالبيض المخفوق المقلي والفطائر المحلاة. غير أنها عندما بدأت في التوجه نحو إحدى الطاولات الكثيرة الفارغة، أدركت أنها ارتكبت خطأً فادحًا. لقد كانت هناك طاولة مخصصة لصنع فطائر الوافل. كيف أهدرت وقتها في الحصول على الفطائر المحلاة بينما هناك طاولة للوافلز؟ وضعت صينيتها بعناية على طاولة الوافل وبدأت في غرف الكثير من خليط الوافل في الماكينة المعدنية. صدر صوت صفير مرتفع جعلها تقفز للخلف من المفاجأة وهي ترى الخليط ينساب على الجانبين من الماكينة وينسكب على الطاولة.

همست بصوتٍ غير مسموع: «سحقًا».

وهي لا تعرف كيف تتصرف. هل كان من الممكن أن تحرق المبنى بخليط الوافل؟

- يبدو أنكِ تمثلين تهديدًا حقيقيًا للسلامة العامة، ألا توافقينني؟

لهثت فيفي من فرط المفاجأة، واستدارت لترى الفتى الذي حمل حقيبتيها بالأمس يوجه نحوها ابتسامة عريضة.

قال: «أنا أمزح فحسب. أكاد أجزم أنكِ تسيطرين على الوضع، رغم أنكِ سوف تحتاجين إلى قلب هذه الفطيرة على الجهة الأخرى في مرحلةٍ ما. إليكِ، اسمحي لي بفعل ذلك».

ثم مدَّ يده وقلب ماكينة الوافل على الجهة الأخرى.

تمكنت فيفي من التحدث وقد استعادت هدوءها بعض الشيء: «هل هذه إحدى هواياتك الغريبة؟ أن تتسلل في أنحاء الحرم الجامعيِّ منتظرًا أن تحرج الفتيات أنفسهن كي يتسنى لك اقتحام المشهد فتغدو بطلًا؟».

- بطلًا؟ (كرر الكلمة وهو يتأملها) أتعلمين، سوف يعجبني ذلك. مايسون جريجوري، بطل الإفطار.

مدَّ يده ليصافحها: «منقذ الفتيات البريئات من مهانة التهام فطائر الوافل غريبة الشكل. اعذريني، فالواجب يناديني».

مدَّ يده خلف فيفي وفتح ماكينة الوافل والتقط فطيرة الوافل الذهبية بحرص ووضعها على طبقها. ثم قال بالفرنسية: «Voilà, Mademoiselle - تفضلي يا سيدتي».

ردت فيفي بالفرنسية كذلك: «Vous êtes trop gentil, monsieur - أنت لطيف للغاية يا سيدي».

رفع أحد حاجبيه: «إذن، أنتِ إحدى الفتيات الراقيات، صحيح؟ في هذه الحالة، اسمحي لي أن أحضر لكِ الطبق المميز للمطعم، waffles à la Mason - وافل السيد مايسون».

بدأ في غرف بعض الإضافات على فطيرة فيفي، في البداية وضع شرائح الفراولة، ثم رقائق الشوكولاتة، وأخيرًا دوامة من الكريمة المخفوقة.

قالت فيفي ضاحكة وهي تمد يدها لأخذ طبقها: «حسنٌ، يكفي هذا».

رد بفرنسية رهيبة وهو يرفع الطبق إلى الأعلى في الهواء: «Non, non, mademoiselle - لا لا يا سيدتي، لم أنتهِ من الطبق بعد».

حمل الطبق وتوجَّه ناحية طاولة رقائق الإفطار، ثم رشَّ بعضًا من رقائق الكورن فليكس فوقه.

قالت فيفي ذلك وهي تحاول أن تجذب منه الطبق: «ماذا؟ لا!».

استدار مايسون وتمكَّن من إضافة حفنة من رقائق لاكي تشارمز الملونة، قبل أن تنتزع الطبق من قبضته.

قالت وهي تنظر إلى ذلك المزيج الغريب: «هذا مقرف».

بدا وكأنه قد تأذَّى من كلامها: «أتشككين في مهاراتي في الطهي؟ خذي قضمة فحسب. سوف تندهشين من حلاوتها».

- سوف أحرص على إبلاغك برأيي، إلا إذا... هل أنت جالس مع أحد؟ (توقفت عن الحديث إذ إن دقات قلبها أخذت في التسارع، كعادتها عندما تشعر أنها فعلت شيئًا قد ينتهي بسوء) هل ترغب في أن نجلس معًا؟

في اللحظة التي غادرت الكلمات فمها، ندمت على الفور أنها قالت أي شيء. لقد كانت محادثتهما لطيفة والآن لقد أفسدت كل شيء بكونها غريبة الأطوار.

قال مايسون مبتسمًا: «سوف أتشرف بهذا. أنا مايسون في حالة أنكِ لم تسمعي اسمي قبل قليل».

قالت: «فيفي».

كرر مايسون: «فيفي! يعجبني الاسم».

تبعته نحو إحدى الطاولات المستديرة وأنزلت صينيتها بحذرٍ شديد، حرصًا منها على ألا تنسكب قهوتها أو عصير البرتقال الخاص بها من على حواف الكوبين.

قال مايسون: «آه من الطالبات المستجدات.. البريئات للغاية والمفتقرات إلى الذاكرة العضلية لكيفية حمل صينية».

وضع الصينية على الطاولة بتباهٍ مبالغ فيه.

سألته فيفي: «هل أنت طالب في السنة الثانية؟».

- في السنة الأخيرة.

- إذن، كيف لم تتعلم تحضير وافلز صالحة حتى الآن؟

شهق مايسون متظاهرًا بالاستياء: «كيف يمكنكِ أن تقولي هذا؟ أنتِ لم تجربيها بعد».

ودون استئذان، مدَّ يده إلى الطبق ليقطع لنفسه شريحة من الفطيرة. ولوهلة، لامست ذراعه ذراع فيفي لتشعر بشرارة إعجاب تجتاحها. تجاهلت الحرارة التي اندفعت إلى وجنتيها، بسبب تلك البادرة الحميمية وكانت على وشك أن تقتطع لنفسها مربعًا من الفطيرة عندما ابتلع قضمته وظهر على وجهه الامتعاض.

قالت: «هاه، أرأيت؟».

أنزلت سكينها وشوكتها والتقطت شريحة من لحم الخنزير المُقدَّد بدلًا منه.

ابتسم بسخرية قائلًا: «إذن إلى جانب مهاجمتك للناس بحقائبك، وحرقك لفطائر الوافل، ما الذي تستمتعين بفعله؟ هل أنتِ واحدة من المستجدات اللاتي خطَّطْنَ بالفعل لسنواتهن الأربعة في الجامعة أو من فئة اللاتي يغيرن تخصصهن ثلاث مرات في السنة؟».

- الفئة الأخيرة على الأرجح. لقد قضيتُ حياتي بأكملها وأنا بالكاد أستطيع التخطيط للأسبوع القادم، ما بالك بالسنوات القادمة.

سألها وهو يتطلع إليها باهتمام: «حقًا؟ ما السبب في ذلك؟».

أخذت رشفة من القهوة لتمنح نفسها مزيدًا من الوقت. فآخر شيء رغبت فيه هو أن تتحدث إلى فتى لطيف عن أمها المستفزة.

- لقد كانت طفولتي.. غير تقليدية بعض الشيء. لقد تنقلنا كثيرًا، وأحيانًا دون سابق إنذار.

انتظرت أن تعتلي وجهه نظرة ارتباك -أو الأسوأ، الشفقة- واندهشت عندما لمحت في وجهه آثارًا من الأسى أو الحنين.

- من اللطيف أن يتسنى للمرء البدء من جديد بين الحين والآخر.

- صدقني، سرعان ما ستَمَل من شعور أنك الفتى الجديد.

- أجل، ولكن إذا لم تسِر الأمور كما يجب في إحدى المدارس، يمكنكِ أن تجربي فعل شيءٍ مختلفٍ تمامًا في المدرسة التالية. يمكنكِ أن تكتبي شعرًا وجوديًا قلقًا مع زمرة الفتية القوطيين، أو أن تنضمي إلى فريق المبارزة، أو أن ترتدي قبعة ونظارة بعدسة واحدة كل يوم.

أشاحت بوجهها باعتراضٍ وقطبت جبينها قائلة: «ربما.. إذا كنت الفتى الجديد في المدرسة عام 1894».

ضحك مايسون: «هذا عدلٌ. ولكنني أعتقد أن هناك جوانب إيجابية في تكوين صداقات مع أشخاصٍ لم يعرفوك طوال حياتك، تلك الفئة التي تظن أنها تعرفكِ أكثر مما تعرفين نفسك».

فكرت فيفي في ذلك مليًّا، من جهة، هي مستعدة للتضحية بأي شيء في سبيل الحصول على مجموعة من الأصدقاء الذين يعرفونها حق المعرفة.

ولكن من جهة أخرى، كان محررًا أن تفعل تغييرًا جذريًا، كالانضمام لإحدى الأخويات، دون أن ينتقد أحد قرارك.

- إذن، ما الذي كنتَ لتفعله إذا لم يكن لأيٍّ مما سبق ذكره أي أهمية؟
- لستُ واثقًا (قال ذلك وهو يضع شوكته الفضية على الطبق ويمرر يده في شعره المتموج) أظن أن هذه هي المشكلة (ابتسم ثم هز رأسه) آسف، هذه مواضيع عميقة لا يجب أن تُناقَش على الإفطار.

سألته فيفي: «هل يعتبر هذا الحديث عميقًا بالنسبة إليك؟ يبدو نوعًا متقدمًا من الأحاديث الخفيفة بالنسبة إليَّ».

قال وهو يبالغ في التشدق بالكلام: «ينبغي لكِ معرفة الكثير عن حياة أهل الجنوب يا حبيبتي».

رغم أنها كانت تعرف أنه يداعبها بقوله كلمة «حبيبتي»، فإن الكلمة جعلت قلبها يخفق بسرعة.

- الأمور الوحيدة المسموح لكِ بالحديث عنها على الإفطار هي ارتفاع درجات الحرارة ونتائج المباريات الرياضية.
- حسنٌ، لا أعتقد أن الطقس حار لهذه الدرجة بالخارج، إلى جانب أنني لا أفقه أي شيء في مجال الرياضة، لذا أعتقد أننا سنضطر إلى الجلوس في صمتٍ (توقفت عن الكلام ثم قالت) أو الانتقال إلى جامعة أوبرلين إذا لم يفُت الأوان على ذلك بالنسبة إليَّ.

ضحك ثم سألها: «ماذا عنكِ أنتِ أيتها الفتاة الجديدة، من ستكونين في جامعة ويسترلي؟».

- هذا... سؤالٌ صعب.

في أي حالة أخرى، كانت لتوجه كفة الحديث نحو موضوع ذي طابعٍ شخصيٍّ أقل بكثير، غير أن مايسون كان ينظر إليها باهتمامٍ ومودة خالصَين جعلاها تشعر أنه من الوقاحة ألا تجيبه بصدقٍ.

- أعتقد أنني أرغب في إيجاد شيءٍ أشعر بشغفٍ حقيقيٍّ تجاهه. شيء حقيقي.
- ما الذي تعنيه كلمة «حقيقي» بالنسبة إليكِ؟

- شيءٌ سوف يساعدني على أن أفهم العالم مثل علوم البيئة أو التاريخ أو علم النفس.

توقفت عن الحديث منتظرةً أن يسخر مما تطمح إليه، غير أن كل ما صدر منه هو إيماءة تشجعها على استكمال حديثها: «لقد قضيتُ وقتًا أطول من اللازم وأنا محاطة بأشخاصٍ يرفضون تقبُّل الواقع. لا أرغب في أن أخاف من الحقيقة. هل يبدو هذا منطقيًّا؟».

- نعم.

قال هذا وهو يومئ برأسه، وقد أصبحت تعبيرات وجهه أكثر جدية. ربما تكون قد تمادت في حديثها وهو يفكر في مخرجٍ من هذه المحادثة. لقد كانت تفكر في أن تدّعي أنها تلقّت رسالة نصية من أريانا لتمنح مايسون فرصة للهرب، في اللحظة التي أنقذت فيها عند وصول شخصٍ آخر إلى طاولتهما لينضم إليهما. أو هذا ما اعتقدته فيفي على الأقل، قبل أن يتوقف هذا الشخص ويضع يده على كتف مايسون.

قالت بتشدقٍ: «ها أنت ذا. لقد ظننتُ أننا سنلتقي في ساحة الجامعة».

لقد كانت تلك الفتاة من حفل التعارف التي منحتها اللعبة النارية. لقد انحنت لتطبع قُبلة على خد مايسون وشعرت فيفي بفزعٍ وكأنها فوّتت سلمة وهي تنزل الدرج. *يا للهول*.

- سحقًا، آسف، لم أنتبه للوقت (احتك كرسي مايسون بالأرضية وهو ينهض فجأةً ويحمل صينيته) سوف أعيد هذه فحسب. سأعود في الحال.

قالت الفتاة بلطف ومايسون يهرع في مشيته: «وهو كذلك (ثم التفتت إلى فيفي) أنا سكارليت. اسمك فيفيان على ما أعتقد، صحيح؟».

- نعم. فيفي.
- حسنٌ يا فيفي، أرى أنكِ تعرفتِ على حبيبي.

كان وقْع الكلمة قويًّا عليها، وحاصرتها وسط دوامات من الحرج والإحباط. «حبيبي»، بالطبع كان مايسون مرتبطًا. وليس ذلك فقط، بل بإحدى عضوات الكابا، بطبيعة الحال.

قالت فيفيان بسرعة: «أجل، لقد علّمني كيفية استخدام ماكينة صُنع الوافل. فأنا لا أجيد تحضير الطعام».

قالت سكارليت وقد أخذت الرقة تتلاشى من صوتها: «نبيل كعادته. جرأة منكِ أن تنزلي لتناول الإفطار بملابس كهذه (مشيرةً إلى سروالها الرياضيّ) أتمنى لو كنتُ... مستهترةً إلى هذه الدرجة».

احمرت وجنتا فيفي، والذي ضايقها أكثر هو أنها كانت لا تزال تبحث عن كلمات مناسبة ترد بها، في اللحظة التي وصل فيها مايسون وأمسك بيد سكارليت.

قال قبل أن يتبع سكارليت إلى الكافتيريا: «ابتعدي عن المشكلات يا فيفي».

فات الأوان، لقد كانت غارقة فيها حتى أذنيها.



الفصل الثامن

سكارليت

بينما كان مايسون يرافق سكارليت إلى محاضرتها، تكثفت السحب مظلمةً ومنخفضةً على مرمى البصر. لم تكن متأكدة بنسبة 100% إن كانت هي السبب في هبوب العاصفة أم الطبيعة الأم.

قال مجددًا: «آسف أنني فوَّتُّ إفطارنا يا سكار (لقد أخذ يمطرها بالاعتذارات منذ أن غادرا الكافتيريا) دعيني أعوضكِ عن الأمر. ماذا لو فوّتنا هذه المحاضرة؟ سيتسنى لنا وقتها الذهاب إلى مطعم ميس ديني وتناول طعامٍ حقيقيٍّ».

ردت سكارليت ببرود: «كنتُ لأرغب في هذا، ولكن يبدو أن أحدنا شبعان بالفعل».

غير أن الأمر لم يكن عاديًّا، *فبعضنا لا يفوِّت محاضراته. بعضنا يهتم. بعضنا يظهر حيث يفترض أن يكون، بدلًا من أن يصنع فطائر وافل لإحدى المستجدات اللاتي ينبهرن بأي شيء.* ما ضايقها ليس أنها وجدته يؤدي دور شيف حلويات لهذه الساحرة المستجدة اللقيطة سيئة الحظ، ولكن أنها عادةً ما تضبط ساعتها على مايسون.

قالت له بحزم: «لا يمكنني تفويت هذه المحاضرة».

رجاها مايسون قائلًا: «سكار...».

ولكن عندما أيقن من أنها ثابتة على موقفها، تنهد ثم طبع قُبلة سريعة على شفتيها، ثم مضى وقد أرخى كتفيه. بعدما اختفى في الضباب الذي انسدل فجأةً كستار، لم تقدر على إجبار نفسها على الدخول إلى قاعة المحاضرة. بدلًا من ذلك قطعت الحرم الجامعيَّ عائدةً إلى الكابا هاوس، وقد أحكمت قبضتها بشدة، لدرجة أن أظفارها تركت علامات هلالية في كفيها.

ماذا تظن نفسها هذه الفتاة بحق الجحيم؟ كيف أمكن لمايسون أن يتخلى عنها لأجل نفس الفتاة المزعجة التي لم ترغب سكارليت في التصويت لدعوتها إلى الكابا؟ لقد كانت هذه الفتاة أحط منهن مكانة، تلك الفتاة ذات الثياب الوضيعة والساذجة سذاجة الأطفال. هل كان هذا ما يقصده مايسون عندما سألها إن كانت قد فكرت من قبل في أن تقول سحقًا لكل شيء وتسافر حول العالم؟ *سحقًا* لذلك. دوى الرعد من بعيد، وأجبرت نفسها على التروي وأخذ أنفاس عميقة. لم يكن في إمكانها استخدام إحدى تعاويذ الماجور أركانا الآن.. لا ينبغي هذا في وجود كثيرٍ من الشهود. غير أنها شعرت بالسحر يغلي في عروقها، متوسلًا إليها أن تطلقه. لن تحتاج إلى بذل مجهودٍ كبيرٍ لإطلاقه. لكن ليس في هذه الحالة، وأعصابها مُثارة لهذه الدرجة.

قال صوتٌ واثقٌ: «أنصحكِ بالدخول في أقرب فرصة».

رائع! لقد كان جاكسون يركض بجوارها في ساحة الجامعة.

ردت ببرود: «لماذا؟».

- ألا تذوب الساحرات تحت المطر؟

كادت سكارليت تتعثر في مشيتها. حاولت بجِدٍّ أن تُبقي تعبيراتها هادئةً ولا مبالية. حاولت بجِدٍّ ألا تدرسه بعناية بطرف عينيها.

- يبدو أن أحدهم كان يقرأ أدبًا خياليًّا أكثر من اللازم.

واكبها في وتيرة مشيتها قائلًا: «أنا أقول رأيي فحسب».

- جاكسون، أنا لست في مزاجٍ جيدٍ.

- بحقك يا سكارليت، تقبّلي المزحة.

استدارت نحوه أخيرًا بسرعة، بينما كانت العاصفة تتصاعد قوتها ودمدمت قائلة: «دعني وشأني».

ولولا أن العاصفة الرعدية المتزايدة استهلكت كل قواها، لكانت قد ألقت بالفعل تعويذة إلهاء للتخلص منه. غير أن قدرتها على التحكم سوف تكون ضعيفة في هذه اللحظة. بقدر ما هو مزعج، بقدر ما لم ترغب في أن تقترف خطأً وتؤذيه. لا يمكنها أن تمر بتجربة مشابهة مجددًا. أطبق جاكسون فكه في تصميمٍ. لوهلة، ظننت أنه سوف يرفض. ولكن بصدور دويٍّ للرعد يصمّ الآذان، وهطول المطر، تجهّم ورفع قلنسوة كنزته وهرول بعيدًا.

شاهدته يمضي وكل عضلة في جسدها قد توترت. شبّكت ذراعيها فوق صدرها وقطعت الحرم الجامعيّ سيرًا، وتوجهت نحو الغابة بمحاذاة حرم الجامعة. كانت هذه الطريق التي تسلكها إلى الكابا هاوس أطول قليلًا، غير أن الأشجار وفرت حماية من أسوأ ما قد تجود به العاصفة.

عادةً في مثل هذه الساعة، تعج هذه الطريق بالطلاب الذين يعيشون في أنحاء أخرى في الحرم الجامعيّ. ولكن الآن، بفضل المطر، كانت مهجورة. وبوجود الغيوم السوداء بالأعلى، بدا وكأن الليل قد حلَّ. شقّت سكارليت طريقها وسط الغمام، وقد اكفهر وجهها. على الأقل تماشى الطقس مع مزاجها.

فيفي. ما الذي سوف تفعله معها بحق الجحيم؟ لقد علمت أنها ليست من نوع فتيات الكابا منذ اللحظة التي وقعت عيناها عليها. لقد كانت وقحة وغير أنيقة، فضلًا عن أنها غازلت حبيب سكارليت أمام عينيها.

صحيح أن مايسون اعتذر عن تخلُّفه عن موعدهما. غير أنها لم يسعها ألا تلاحظ عينيه وهما تتعقبان هذه الفتاة فيفي وهما يغادران قاعة الطعام، أو الطريقة التي كان يبتسم ويضحك بها قبل أن تقترب سكارليت من طاولتهما.. والطريقة التي توقف بها عن الابتسام والضحك عندما حلَّت سكارليت محل فيفي.

كل ذلك بسبب بُعد المسافات بينهما في الفترة الماضية. هذا الصيف الذي قضياه بعيدَين عن بعضهما بعضًا كان غلطة. سوف يجب عليها تذكُّر ذلك من الآن فصاعدًا. لأنهما سوف يستمران معًا. لقد انتهيا من التخطيط لحياتهما. أما هذا؟ هذا مجرد أمر تافه. بالكاد يستحق أن تقلق بشأنه. حقًا.

قولي هذا للعاصفة الرعدية. استحوذت عليها هذه الفكرة وهي تتمشى في حديقة صغيرة مشجرة أفضت إلى الممر المؤدي للأخوية. انطلق دوي

الرعد مرة أخرى، أعقبه صوت تصدع شيءٍ ما، كما لو أن أحدًا كان يخطو على غصن شجرة. استدارت في فزع، غير أن الطريق بقيت خالية وكئيبة ومظلمة بدرجة لا تسمح إلا برؤية ما يقع على بُعد خطوات منها. بدأت في استرجاع أنفاسها التي كانت قد تسارعت قليلًا.

وفجأةً، تكرر الصوت مرةً أخرى. استدارت ببطء هذه المرة، وعيناها تتركزان على الأشجار. *هناك*. لمحت ظلًا باهتًا من بعيد، نحيلًا وطويلًا. أخذت تتمتم في سرها، بهمهمة وصوتٍ خفيضٍ، إحدى تعاويذ الحماية. غير أن الغالبية العظمى من سحرها قد استُهلكت في العاصفة، وما تبقى منه بالكاد يشعل شمعة، ناهيك بحمايتها من...

ماذا؟

لقد كانت في ويسترلي، على بُعد خطوات من منزل جماعتها. ما الذي ظنت أنه في الخارج يلاحقها عبر الغابة؟ غير أنها علمت أكثر من أي أحد أن الأمور السيئة يمكن أن تحدث في ويسترلي. فهي لا يمكنها قط نسيان الليلة التي قُتلت فيها هاربر. سوف تطاردها للأبد. ولكن هاربر رحلت، وكذلك جوين. ورغم أن الساحرات حقيقيات، فالأشباح ليست...

ورغم ذلك، نظرت خلفها مرة أخرى ثم...

- بوو..

صرخت سكارليت والتفتت مرة أخرى لتجد تيفاني تقف إلى جوارها. وبينما كانت نبضات قلبها لا تزال تتسارع في صدرها، حدقت إلى تيفاني بغضب ثم قالت: «هذا ليس مضحكًا».

ابتسمت تيفاني بخبثٍ قائلة: «فعلًا؟».

ولكن بمجرد أن لمحت التعبير المرسوم على وجه سكارليت، تعقّلت ثم قالت: «آسفة ولكنني لم أتمالك نفسي، فقد بدوتِ في غاية التوتر».

- لقد ظننتُ أنني سمعتُ...

نظرت سكارليت خلفها مرة أخرى عبر الأشجار. لم يكن هناك أحد.

هزّت رأسها رغبةً منها في إعادة نبضها إلى وتيرته الطبيعية: «لا تشغلي بالكِ».

- ما الذي تفعلينه هنا؟

أشارت تيفاني نحو السماء قائلة: «كنت أبحث عنكِ بالطبع. لقد خمنت أن هناك خطبًا ما. ما الذي حدث؟».

مشت سكارليت عبر الغابة ساحقةً أغصان الأشجار من تحتها ومتوجهة نحو الكابا هاوس، شعرت بالامتنان أن صديقتها المقربة إلى جانبها. على الأقل سوف يمنعها وجودها من الارتعاش خوفًا كلما صادفت ظلًا ما.

تنهدت سكارليت قائلة: «الأمر هو... أن مايسون...».

رفعت تيفاني حاجبها قائلةً: «هل سأضطر إلى إيذاء الفتى الجميل المقيم في جامعتنا بسبب عبثه مع فتاتي؟».

كادت تبتسم، كادت. ثم قالت: «ليس بعد. ولكنني بحاجة إلى مساعدتكِ في تشريح الأمر وتحليله».

أحاطت تيفاني سكارليت بذراعها: «حسنٌ إذن. أنا معكِ. ولكنني متاحة كذلك لإجراء تشريحٍ فعليٍّ إن لزم الأمر».

ضحكت سكارليت وشعرت بامتنانٍ غامرٍ.

جعَّدت تيفاني أنفها قائلة: «أنا لا أمزح يا سكار. لقد جعلتني داليا أساعدها في تشريح فضلات البوم في الليلة الماضية من أجل تعويذة تتدرب عليها».

- أعتقد أنها انزعجت أنني لم أشعر بالقرف أكثر منها، ولكنها نسيت أنني تخصصت في علم الأحياء في غفلة من الزمن في سنتي الدراسية الأولى.

- ألم يخطر ببالك أن تسندي هذه المهمة لإحدى شقيقاتك الأصغر سنًا؟

مازحتها سكارليت وهما تسلكان الطريق وتنعطفان عند زاوية الكابا هاوس.

- تعرفين كيف هي طبيعة الأمور مع داليا. لو قالت لكِ اقفزي... (وكزت تيفاني سكارليت قائلةً) بصرف النظر. هل أنتِ بخير فعلًا؟ لأنه إذا احتاج مايسون ما يُذكّره بأنه بطريقةٍ ما نجح في الحصول على الفتاة الأذكى والأظرف والأجمل في هذا الحرم الجامعيّ بأكمله، فأنا في الخدمة. أنتِ تستحقين الأفضل، ولا أود أن يعاملك أي أحد...

توقفت تيفاني عن الحديث فجأةً في اللحظة التي ظهر منزلهما أمامهما.

قالت سكارليت لاهثة: «يا إلهي!».

لقد لُصق على الباب الأماميِّ، على مرأى من الجميع، أربع بطاقات تارو: ملكة السيوف، ملكة الصولجان، ملكة الكؤوس، ملكة النجمة الخماسية. ولُطِخت كل بطاقة منها بحرف x مكتوب بلونٍ أحمر دمويٍّ.



الفصل التاسع

فيفي

بينما كانت فيفي تشق طريقها في الممر الحجريّ الضيق المؤدي إلى الكابا هاوس يوم الثلاثاء، أدركت أنها لم تقبل فعليًّا عرض الانضمام إلى الكابا. إذ إنها لم تتسلم بطاقة دعوة، ولم يكن هناك بريد إلكتروني ولا رقم هاتف. ثارت بداخلها موجة من التمرد جعلتها تتوقف مكانها. فهي لم تكن قد سمعت عن هذه الأخوية إلا قبل بضعة أيام، لماذا افترض تلقائيًّا أنها سترغب في الانضمام؟ غير أنها عندما حدقت إلى منزل الأخوية الأنيق، علمت أنها لن تستدير عائدةً من حيث أتت.

رغم أن الأيام القليلة الماضية كانت متخمة بالأنشطة التدريبية والمحاضرات والحفلات واللقاءات مع مختلف المدربين، فإنها لم يسعها التوقف عن التفكير في الدعوة. لقد طغت هذه الفكرة على بقية أفكارها في أثناء محاضرتها الأولى في صف علم الأعصاب، الذي كانت قد حصلت على تصريح خاص بحضور محاضراته كطالبة مستجدة. لقد شعرت بموجة من الإثارة تجتاحها وهي في مكتبة الكتب النادرة الأشبه بالمتاحف، التي اندهشت فيفي أن أي حد مسموحٌ له بالمذاكرة فيها. الشيء الوحيد الذي مثَّل تهديدًا لحماسها هو ذكرى سذاجتها مع مايسون في قاعة الطعام في الصباح الماضي. لقد عاملها فتى ظريفٌ بلطف لخمس دقائق لتتمكن بعدها من إقناع نفسها بأنه مهتم بها.

تقلصت معدتها وهي تتذكر التعبير الذي ارتسم على وجه سكارليت وهي تقترب من طاولتهما، وابتسامتها المتعالية التي تتصنع اللطف. لقد كرهت فيفي منذ البداية، وهذا لن يحسِّن موقفها كما هو واضح. السؤال هو إلى أي درجة سوف يؤثر هذا في فرصتها للالتحاق بالأخوية.

لقد استقر الكابا هاوس الرصاصي المكون من أربعة طوابق بمنأى عن الشارع، مختبئًا وسط أشجار البلوط الحية التي تلقي بظلالٍ طويلة في الشفق. أما الأضواء العسلية التي ظنت أنها عُلقت من أجل حفل التعارف فقط، فقد كانت لا تزال مُعلَّقة على الأشجار، غير أن تأثيرها كان مختلفًا دون صخب الموسيقى والضحك. التفَّت النباتات المعترشة حول الشرفات الحديدية التي زينت كل طابق، ولم يسع فيفي إلا أن تتخيل كيف سيكون شعورها وهي جالسة على الشريط المحيط بمدخل المنزل تحتسي شراب الكوكتيل المخلوط بالنعناع. أيًا كان طعمه.

وبينما كانت فيفي منتظرة أريانا التي وعدتها أن تقابلها بالخارج، تأملت البيوت المتجاورة. رغم أنها جميعًا كانت ضخامًا، فإنها اختلفت كثيرًا عن القصور الفارهة العقيمة التي كانت رمزًا للثراء في رينو. لقد كانت هناك مبانٍ على الطراز الفيكتوريِّ على مرمى البصر، فضلًا عن القليل من المباني على الطراز الجورجي، ومبنى واحد على الطراز اليونانيِّ مُكمَّل بأعمدة من الرخام، وجميعها حظيت بنفس الشرفات الحديدية التي أصبحت فيفي تربط بينها وبين سافانا. ومعظم هذه المباني كانت مغطاة بنباتات اللبلاب، أو على الأقل أحد جدرانها، وحفنة منها كان دهانها مقشرًا، وفي حين كانت بعض هذه التفاصيل تدل على تدنِّي المستوى الاجتماعيِّ في الأحياء الأخرى، إلا أنها زادت هنا من الشعور بالانحلال. لقد ذكَّرت هذه البيوت فيفي بالأرستقراطيين البريطانيين غريبي الأطوار الذين قرأت عنهم، هؤلاء الناس الذين ارتدوا الملابس الفاخرة ذات الماركات الشهيرة مع أحذية موحلة، وأخفوا لوحاتهم الزيتية التي لا تُقدَّر بثمن في السندرات المكتظة الخاصة بهم.

جاءها صوت لاهث يقول: «آسفة على التأخير».

التفتت فيفي لترى أريانا وهي تهرول وتبدو مرهقة ولكن مذهلة في فستانها الأسود الليليِّ الذي رأته فيفي سابقًا هذا الصباح. في الليلة الماضية،

عندما اعترفت فيفي أنها لا تمتلك أي زيٍّ رسميٍّ، أصرت أريانا أن تأتي فيفي إلى غرفتها في اليوم التالي وتستعير زيًّا مناسبًا، لقد كانت لديها ستة فساتين سهرة تركتها لها قريباتها بعد بلوغهن سن الخامسة عشرة.

قالت فيفي: «صدقيني، لم أكن متعجلة على الدخول. حسنٌ، هل نطرق الباب؟».

نظرت أريانا إلى الباب بتوتر ثم قالت: «أظن هذا».

قالت فيفي: «لا يبدو لي هذا المكان من النوعية التي يمكن دخولها دون استئذان».

فكل النوافذ كانت مغلقة ولم يكن هناك أي أصوات تدل على أي حركة بالداخل.

وبينما هي وأريانا تحدقان إلى الباب، انفتح فجأةً، كاشفًا عن رواقٍ خالٍ.

قالت فيفي: «من فعل هذا؟».

متسائلةً عن سبب الأمور الغريبة التي تفعلها الرياح في وجودها في كل مرة.

تبادلت هي وأريانا نظرة دلَّت على اتفاقٍ صامتٍ أُبرم بينهما، ثم دخلتا إلى المنزل. لقد أقيم معظم حفل التعارف في الحديقة، وأدركت فيفي أنها لم تمعن النظر في الديكور الداخليِّ من حولها. لقد تراصت اللوحات على الحائط، بعضها لنساءٍ يرتدين ملابس قديمة الطراز، في حين صوَّرت لوحاتٍ أخرى مناظر طبيعية جميلة ولكن تبعث على الكآبة، كغابة يحجبها الضباب، غراب يحط على شجرة قاحلة في حقلٍ موحشٍ. غير أن المنزل نفسه كان يشع أناقة ودفئًا، بدايةً من الشموع التي تومض على أسطحٍ عشوائية وصولًا إلى ذلك الفائض من آنية الزهور المتناثرة في الأجواء.

قالت أريانا بصوتٍ خافتٍ: «واو. انظري إلى هذه».

ثم أشارت للأسفل إلى رواق أدى إلى صوبة زجاجية مغلقة. مرَّ ضوء القمر خلال الزجاج كاشفًا عن مجموعة من النباتات المتشابكة والشجيرات المحفوظة في أصائص ونباتات اللبلاب التي تسلقت على جدران الصوبة.

قالت فيفي: «أعتقد أن عضوات الكابا مهتمات بالبستنة».

صدر صوت همهمات من غرفة أخرى. أشارت فيفي إلى أريانا كي تنضم إليها، وتتبعتا الصوت المؤدي إلى غرفة المعيشة، حيث جلست فتاتان على زوجين من الأرائك في مواجهة بعضهما بعضًا. جيس، الفتاة التي اقتبست دوروثي باركر في الحفل، كانت منحنية إلى الأمام وتصغي باهتمام. لقد ارتدت نظارة ذات إطارٍ غليظٍ أبرزت عظام وجنتيها الدقيقة، فضلًا عن بلوزة حريرية بيضاء أنيقة، ما كانت فيفي لتتمكن قط من الحفاظ عليها دون بقع. وفي هذا المساء، سحبت ضفائرها الملتوية إلى الخلف بعيدًا عن وجهها بدبوس شعر. أخذت الفتاة البيضاء التي تتحدث إليها، والتي كان من الواضح أنها عضوة جديدة، تلفّ على أصابعها خصلة من شعرها الأسود الطويل بتوتر وهي تثرثر: «لقد شعرتُ بالارتياح حقًا عندما قُبِلت أنا وحبيبي في جامعة ويسترلي. ولكن بعد ذلك، في اللحظة الأخيرة، أعني قبل انتهاء مهلة التسجيل بأربع ساعات فقط، قرر أن يذهب إلى جامعة فاندربيلت بدلًا منها. كنتُ قد أرسلت بالفعل الدفعة الأولى من مصروفات الجامعة ولم يعد بوسعي فعل أي شيء. سوف نجرب هذا الشيء المعروف بالعلاقة عن بُعد، ولكنني قلقة للغاية، لأنه نشر هذه الصورة على إنستجرام له ولفتاة رائعة الجمال، وكان التعليق الذي كتبه على الصورة «مزايا اكتساب أصدقاء جدد» الذي يمكن تفسيره بالعديد من الطرق المختلفة. لكن مع ذلك...».

أرادت فيفي أن تشير إلى الفتاة كي تتوقف عن الحديث. لم يسعها أن تصدق كم المعلومات التي تشاركتها هذه الفتاة مع إنسانة غريبة عنها، ولا سيما إن كانت هذه الشخصية المسؤولة عن تقييمها للانضمام إلى الأخوية.

- من اللطيف أن نراكما مجددًا. تفضلا بالجلوس.

سددت أريانا لفيفي ابتسامة مرتبكة، ثم سارعت بالجلوس إلى جانب المرشحة الأخرى، تاركةً فيفي تجلس على الأريكة إلى جانب جيس.

- أنتما أريانا وفيفيان، أليس كذلك؟

قالت فيفي هذا وهي تحاول أن تتذكر متى أخبرت جيس باسمها في الحفل: «فيفي».

- فيفي، بالطبع. ما رأيكِ في ويسترلي حتى الآن؟

- أعجبتني. لقد كانت صفوفي الدراسية رائعة وكل من قابلتهم كانوا لطفاء للغاية.

هكذا يجاب عن السؤال. فكرت فيفي في هذا. أن تكوني مهذبة ومبتهجة ولكن ليس أن تثرثري بكل فكرة تخطر ببالكِ.

- من أين أنتِ؟

قالت فيفي هذا وهي تلوح بيدها، مخططة لإنهاء المحادثة عند هذا الحد: «أوه، من أماكن كثيرة. الأمر معقد قليلًا».

أومأت جيس برأسها قائلة: «يمكنني تصور هذا».

لقد كانت تطالع فيفي بمزيجٍ من الفضول والتفهم ما ملأ صدر فيفي بشعورٍ غريبٍ بالدفء.

استطردت فيفي قائلة: «لم يسبق لي أن بقيت في أي مكان لأكثر من عامين».

وكلما أطالت جيس النظر إليها، صعب عليها أكثر أن تظل صامتة. لقد كان الأمر كما لو أن الكلمات تُسحب منها بواسطة قوة غامضة. ولكنها لم تمانع. لقد شعرت بارتياحٍ أن تتحدث إلى هذه الفتاة المتعاطفة ذات العينين الطيبتين التي أبدت اهتمامًا صادقًا بالتعرف عليها. كانت فيفي على وشك أن تحكي لها عن أمها في اللحظة التي دخلت فيها أربع فتيات أخريات الغرفة.

قالت إحداهن بطريقة جافة: «مرحبًا بكن في الكابا».

لقد كانت طويلة وشقراء، وذات جمال من النوع الصارم اللافت للأنظار.

- أنا داليا، رئيسة جماعة كابا رو نو. وهذه سكارليت وينتر رئيسة لجنة العضويات.

صُدمت فيفي. لقد كانت سكارليت المسؤولة عن اختيار المتقدمين. رائع.

- وهذه مِي، المسؤولة عن التنسيق بين الخريجات.

استغرقت فيفي لحظة لتتعرف على مِي في تلك الليلة. إذ إن شعرها بدلًا من أن يكون مقصوصًا حتى الذقن، أصبح طويلًا حتى خصرها وأطرافه أرجوانية. ولكن كيف يعقل هذا؟ لقد كانت فيفي متأكدة بنسبة 99.9% أن

مِي لم تكن ترتدي شعرًا مستعارًا في تلك الليلة، ومن الواضح أنها لم تكن ترتدي وصلة شعر.

رفعت فتاة ودودة ذات شعر أشقر مائل للبياض يدها وابتسمت: «وهذه تيفاني، رئيسة اللجنة الاجتماعية».

وعلى مدار الدقائق القليلة التي تلت ذلك، ملأت نحو اثنتي عشرة فتاة غرفة المعيشة، ومن ضمنهن الفتاة الطويلة ذات الشعر الأحمر التي رأتها فيفي ترقص على إحدى الطاولات في حفل التعارف، فضلًا عن فتاة بيضاء لها وجه مستدير وشعر بُني ترتدي نظارة عصرية بدت متوترة للغاية لدرجة أن فيفي خشيت أن تتقيأ بالفعل.

قالت داليا: «يبدو أننا مستعدات للبدء. يمكنكن جميعًا الجلوس في أي حيز تجدنه».

التصقت فيفي أكثر بجيس لتفسح مجالًا على الأريكة، بينما سحبت بعض عضوات الكابا كراسي مخملية وثيرة ومساند للقدمين ليشكلن دائرة.

همست جيس لعضوة الكابا الجالسة إلى جوارها من الناحية الأخرى: «أتمنى ألا يستغرق هذا وقتًا طويلًا. يجب أن أسلم مقالي إلى صحيفة جازيت بحلول منتصف الليل».

لم تندهش فيفي عندما عرفت أن جيس تكتب في صحيفة جامعة ويسترلي. فقد بدا أنها تمتلك موهبة خاصة في حمل الأشخاص على البوح بأسرارهم.

أطفأت إحداهن النور، إذ إن الشموع والقمر المكتمل الذي سطع من خلال النافذة الكبيرة وفرت ما يكفي من الإضاءة. مالت داليا نحو طاولة القهوة المنخفضة في منتصف الدائرة وأشعلت الشمعة المتبقية. ظهرت بالكاد شعلة خافتة، غير أن فيفي لم ترَ قداحة أو عود ثقاب في يد داليا.

قالت داليا وقد أضحى صوتها أكثر هدوءًا، رغم أن فيفي ما كانت لتواجه صعوبة في سماعها في هذه الغرفة الهادئة الفسيحة: «مرحبًا بكن يا شقيقات. بعضكن، اللواتي ينضممن إلينا للمرة الأولى، سوف يلاحظن أن الكابا أخوية صغيرة، فنحن الأخوية الأكثر انتقائية في جامعة ويسترلي، بل قد نكون

الأكثر انتقائية في البلد بأسره. وهذا لأننا نبحث عن شيءٍ نادرٍ واستثنائيٌ في مرشحاتنا، عن صفاتٍ تميزنا عن بعضنا بعضًا. لقد وجدنا بعض هذه الصفات فيكن جميعًا، وهذا سبب وجودكن هنا في هذه الليلة».

شعرت فيفي بالقليل من الانزعاج. إذ إنها لم يسعها التفكير في صفة واحدة من «صفاتها» يمكن أن تبدو جذابة لعضوات الكابا، إلا إذا كُنَّ يرغبن في ضم مرشحاتٍ حصلن على درجة 5 في اختبار المستوى المتقدم في صف الأحياء ويعانين من حساسية شديدة من المحار.

نظرت حولها في الغرفة متسائلةً مَن يا ترى غيرها شعرت بنفس المزيج من الشك والحيرة. لقد بدا الارتباك على أريانا مثلها، وعلى معظم الفتيات المفعمات بالأمل اللاتي يقارب عددهن اثنتي عشرة فتاة. غير أن حفنة من المرشحات -ومن بينهن الفتاة ذات الشعر الأحمر- تبادلن ابتساماتٍ متحمسة ذات مغزى.

استطردت داليا قائلة: «مرحلة اختيار المرشحات في الكابا ليست عادية، إذا أبهرتمونا الليلة، سوف تنضممن إلى الكابا. ولكن لا تظنن الأمر سهلًا (سددت إلى كلٍّ منهن نظرة ثاقبة. لم يسع فيفي ألا تسري القشعريرة في جسدها عندما التقت عيناها وعينَي داليا) نحن لا نضُم سوى اللواتي يبذلن قصارى جهدهن من أجل هذه الأخوية. على مدى السنوات الماضية، دائمًا ما كانت تفشل عضوة مرشحة واحدة على الأقل في أن تصل إلى المرحلة النهائية. وفي بعض الأحيان لا ينجح أي أحد».

بدا أن جميع من في الغرفة يحبسن أنفاسهن قبل أن تعاود داليا الابتسام قائلة: «غير أن اختبار اليوم بسيط».

سألتها أريانا: «أي نوع من الاختبارات؟».

ثم اتسعت عيناها في دهشة بعدما تحدثت، وكأن الكلمات خرجت من فمها من تلقاء نفسها. لقد سُرَّت فيفي أن أريانا طرحت هذا التساؤل، إذ إنها كانت تفكر في نفس الشيء.

- سوف تعرفين بعد لحظات، ولكن لا تقلقي، إذ إنه لم يكن في وسعكن فعل أي شيء في سبيل الاستعداد له، ولا بوسعكن فعل أي شيء للإخفاق فيه. إما أنكن ملائماتٍ للكابا وإما غير ذلك.

أومأت داليا برأسها لِمي التي وضعت كومة من البطاقات على طاولة القهوة، إلى جوار الشمعة التي أشعلتها داليا للتو، تلك الشمعة الطويلة الموضوعة في شمعدانٍ فضيٍّ مزخرفٍ.

تبادلت فيفي وأريانا النظرات. هل سوف تتخذ عضوات الكابا قراراتهن بناءً على مجرد لعبة كوتشينة؟

وزعت داليا البطاقات في هيئة مروحة على الطاولة ووجهها للأسفل.

- دعونا نرى... من ستبدأ أولًا؟ بايلي، من فضلكِ اسحبي بطاقة (ثم توقفت عن الحديث) بايلي؟

كانت الفتاة ذات النظارة الغليظة تنقل نظرها بارتباكٍ بين داليا والبطاقات.

- آسفة، أنا محتارة بعض الشيء. ما الذي تفعلينه بالضبط؟

ابتسمت داليا قائلة: «اهدئي فحسب وثقي بنا. اسحبي بطاقةً من فضلك».

مالت بايلي إلى الأمام وأخذت أصابعها تحوم في الهواء للحظات ثم انتزعت إحدى البطاقات من المروحة الورقية. وفي اللحظة التي لامست أصابعها البطاقة فيها، ازدادت الغرفة ظلامًا. استحال الضوء المنبعث من الشموع إلى ومضات خافتة، غير أن الضوء المنبعث من الشمعة الموضوعة على الطاولة ازداد قوةً وسطوعًا، ملقيًا بوهجٍ غريبٍ على وجهها.

همست بايلي قائلة: «يا إلهي».

وكادت تفلت البطاقة.

قالت داليا بهدوء وهي يبدو عليها الاستمتاع: «أمسكي بها».

ازدادت الشعلة وتراقصت حتى أصبحت أطول من الشمعدان الفضيّ. ثم انقسمت الشعلة إلى تيارين، وكأن فتيل الشمعة انقسم إلى نصفين. وبعدها بلحظة، انقسمت هاتان الشعلتان مجددًا وبدأتا في الانحناء في الهواء، وكأنهما خصلتان من الشعر مخلوقتان من النار.

تمتمت أريانا بشيءٍ ما في سرها، غير أن فيفي لم تنظر إليها. إذ إنها لم تستطع أن تشيح ببصرها بعيدًا عن ألسنة اللهب المتراقصة، التي زادتها صدمةً وارتباكًا عندما بدا أنها تكوِّن صورة. حامَ طائرٌ برتقاليٌّ متوهج مائل للحمرة في الظلام فوق الشمعة التي انطفأت. إنه طائر العنقاء. لقد ميزته

فيفي. لقد رفرف بجناحيه المتقدين ثم أخذ بالارتفاع تجاه السقف ثم تلاشى مُخلفًا وراءه سحابة من الشرارات المتوهجة التي هبطت على الدائرة.

إنه هولوجرام (صورة ثلاثية الأبعاد)، فكرت فيفي في هذا وهي تحاول إقناع نفسها بالفكرة. *أو صورة منعكسة من آلة عرض. هذه مجرد خدعة لإضفاء المزيد من الأجواء المرحة على الأمر.* غير أنه حتى هذه الكلمات التي ترددت داخل رأسها، بدت جوفاء.

قالت داليا: «من فضلكِ، ضعي البطاقة ووجهها إلى الأعلى على الطاولة».

بيدين مرتعشتين، نفذت بايلي ما أمرت به، كاشفةً عن صورة امرأة جميلة ذات شعر أسود طويل وابتسامة غامضة. وقد حط على كتفها طائر برتقاليٌّ مائل للحمرة، وفي إحدى يديها أمسكت بجسمٍ خشبيٍّ نحيلٍ وطويلٍ.

لم تكن هذه بطاقات كوتشينة. في اللحظة التي أدركت فيها فيفي هذا سرت القشعريرة في جسدها. لقد كانت بطاقات تارو، رغم أنها لا تشبِه إطلاقًا مجموعة البطاقات المبهرجة ذات الألوان الزاهية التي استخدمتها أمها مع زبائنها. لقد ذكَّرت الصورة المطبوعة على البطاقة فيفي بلوحة زيتية باهتة في خلفية إحدى الكنائس الموحشة، تلك التحفة المنسية التي يغفل عنها العالم.

قالت داليا ووجهها تعلوه ابتسامة: «ملكة الصولجانات، البرج الناري. أهلًا بكِ في كابا رو نو يا بايلي».

ما الذي حدث للتو؟ هل قُبِلت بايلي لمجرد أن بطاقتها تشابهت بصورة غريبة مع الصورة التي تكونت في لهيب الشمعة؟ ولكن كيف يُعقل هذا؟ وكيف يمكن أن تتكرر هذه الظاهرة الاستثنائية أكثر من مرة؟

قالت داليا: «سونالي، هذا دوركِ».

أومأت فتاة جنوب آسيوية أنيقة الملبس كانت تعبث بقلق بسوارها الذهبيِّ منذ أن جلست برأسها بثقة مثيرة للدهشة. وفي اللحظة التي اختارت فيها بطاقتها من المجموعة، عاود لهيب الشمعة الظهور وأخذ ينمو، مثلما حدث قبل قليل. ولكن هذه المرة، بدلًا من طائر العنقاء، كوَّن اللهيب غيمة مضيئة انجرفت عبر الظلام تجاه السقف.

هذا مستحيل، فكرت فيفي في هذا وهي ترمش بعينيها سريعًا. لكن مهما كان عدد المرات التي أعادت تركيز بصرها فيها، بقيت الصورة المضيئة كما هي. بعد بضع ثوانٍ، انطلقت صاعقة رعدية مصنوعة من ألسنة اللهب من الغيمة، وتحولت إلى وابلٍ من الشرارات المتوهجة.

قالت داليا بهدوء: «ضعي بطاقتكِ على الطاولة يا سونالي».

قلَّبت الفتاة بطاقتها وكتمت فيفي زفرة كادت تصدر عنها. ظهرت على البطاقة امرأة أخرى جميلة رغم أنها كانت لا ترتدي سوى ملابس بيضاء وتحمل سيفًا أزرق لامعًا. في التارو، كانت كل فئة مرتبطة بأحد عناصر الأرض الأربعة. لقد ارتبطت فئة السيوف بالهواء، وهذا يفسر الغيمة الرعدية. ولكن كيف بحق السماء يمكن لأي أحد أن يرتب لهذا؟ حتى لو كانت الشموع أحد عروض الهولوجرام، كيف عرفت عضوات الكابا أي بطاقات سوف تختارها الفتيات؟

- ملكة السيوف. البرج الهوائي. أهلًا بكِ في كابا رو نو يا سونالي.

أخذت نبضات قلب فيفي تتسارع، وحضَّرت نفسها لاجتياح الخوف إياها. ولكن الذي أدهشها هو أن صدرها امتلأ بحماسةٍ جعلتها ترتجف بدلًا من ذلك. لقد كانت أصابعها متشوقة بالفعل أن تلتقط إحدى البطاقات.

لقد كان الدور على الفتاة الثرثارة ذات الشعر الأسود التي كانت تتحدث إلى جيس. مدَّت يدها بتردد لتلتقط إحدى البطاقات، ومالت فيفي إلى الأمام كي تتمكن من الرؤية بصورة أفضل. غير أن الشعلة لم تعاود الظهور عندما لمست الفتاة البطاقة. لم يحدث أي شيء.

بعد لحظة طويلة، قطعت داليا الصمت قائلة: «حسنٌ، إنه لأمر مؤسف».

ثم وقفت وبمنتهى التلقائية انتزعت البطاقة من يد الفتاة ومنحتها لِمي.

- تعالي معي يا عزيزتي.

وهي في حالة من الذهول، نهضت الفتاة وهي ترتجف وسمحت لداليا أن تقودها خارج الغرفة. نقَّلت فيفي بصرها بين مِي وعضوات الكابا الأخريات، ولكن لم يبدُ الاهتمام على أي واحدة منهن. وبعدها بدقيقة، عادت داليا وجلست ثم قالت: «من التالية؟».

سألتها بايلي: «ما الذي حدث لها؟».

قالت داليا باستخفاف: «لا تقلقي بشأنها، بمجرد أن خرجت من الباب لم تعد تتذكر أي شيء مما حدث الليلة. سوف تكون في حيرة من أمرها. والآن لنواصل... هيا يا أريانا».

ولكن بدا أن أريانا شُلَّت من الخوف إلى أن وكزتها فيفي هامسة: «يمكنكِ النجاح في هذا».

رغم أنها لم تكن لديها أدنى فكرة عن ما أشارت له كلمة «هذا». اختارت أريانا بأصابع مرتعشة إحدى البطاقات. ومرت ثوانٍ قليلة قبل أن يزداد لهيب الشمعة ويتحول إلى موجة بحر في ذروتها.

قالت داليا بعد أن قلبت أريانا بطاقتها: «ملكة الكؤوس، البرج المائي. أهلًا بكِ في كابا رو نو يا أريانا».

تكررت هذه العملية ثلاث مرات إضافية مع فتيات عجزن كذلك عن إشعال اللهيب. ومع خروج كلٍّ منهن، تنامى داخل فيفي الشعور بالحماس والرهبة بنفس القدر.

قالت داليا وهي تومئ برأسها لفيفي: «دوركِ يا فيفي».

حدقت فيفي إلى البطاقات الموضوعة على الطاولة وقد أبقت ذراعيها إلى جانبها. لم ترغب في أن يجري إقصاؤها وتترك كل شيء خلفها. لم ترغب في نسيان ما رأته. *ولكن هذا مستحيل*، هذا ما قالته لنفسها. *لا يمكن لرئيسة إحدى الأخويات أن تمحو ذاكرة أي شخص*. أخذت نفسًا عميقًا، ثم مدَّت يدها ناحية الطاولة وسمحت لأصابعها أن تحوم حول البطاقات.

أصابها التردد، لقد كانت غير متأكدة من كيفية اتخاذ القرار. غير أنها شعرت بشيءٍ ما يلوي معصمها بقوة لدرجة أنها ظنت أن أحدًا ما يشدُّها. رفعت فيفي رأسها، غير أن جميع الفتيات الأخريات كُنَّ جالساتٍ. لم تتحرك إحداهن من مكانها.

استرخت فيفي سامحةً لهذه القوة أن تسحبها مثل المغناطيس، إلى أن لامست أصابعها إحدى البطاقات. وبمجرد أن لمستها، تلاشى ذلك الشعور

بالشدة العنيفة. ويدها ترتعش، أمسكت بطرف البطاقة وسحبتها من المروحة الورقية.

وبعدها بثانية اشتعل اللهيب في فتيل الشمعة، وكاد يصل إلى السقف. شهقت فيفي وقد أخذت تشعر بحرقة في جلدها. لقد شعرت وكأن تيارًا من الطاقة يندفع من ذراعها، وكأنها تُصعَق بالكهرباء. غير أنها لم تشعر بأي ألم. بل بالعكس في الحقيقة، لقد شعرت بالقوة والحيوية.

عدا أن هذه الطاقة لم تكن تسري في ذراعها. بل أدركت أن العكس هو الصحيح. لقد كانت الطاقة تتدفق *منها*. شهقت فيفي مرة أخرى عندما انقسم اللهيب إلى خمسة تيارات تراقصت والتفَّت في الهواء قبل أن تكون صورة نجمة خماسية مدببة. في هذه المرة، لم يتسبب هذا المشهد الاستثنائي في حدوث موجة من الارتباك. فقد شعرت فيفي بموجة من السكينة تجتاحها، جارفة زمرة من مشاعر القلق والحيرة التي لم تكن على علمٍ بوجودها.

قالت داليا وقد تغلغلت في نبرة صوتها مشاعر الرضا والإعجاب: «ضعي بطاقتكِ على الطاولة».

قلبت فيفي بطاقتها ووجدت نفسها تحدق إلى صورة امرأة أخرى. ما كانت لتصف هذه المرأة بأنها جميلة كليًّا. فقد كان وجهها الشاحب طويلًا بعض الشيء، وتعبير وجهها قاسيًا أكثر من اللازم. غير أن فيفي بالكاد منحت أهمية لذلك، فما أهمية الجمال بالمقارنة مع قوة هذه المرأة؟ أمسكت في إحدى يديها بقرصٍ ذهبيٍّ كبيرٍ نُقِش عليه صورة نجمة خماسية. والتفَّت نباتات اللبلاب السميكة والزهور حول ذراعها الأخرى، وكان من الواضح أن هذه المرأة هي من تتسبب في إنمائها. لقد كانت مُحاطة بمخلوقاتٍ من شتى الأنواع -الطيور والأفاعي فضلًا عن غزالٍ- ومخلوقاتٍ بديعة تنجذب إلى طاقتها.

- ملكة النجمة الخماسية، البرج الترابي. أهلًا بكِ في كابا رو نو يا فيفي.

شعرت فيفي بأريانا تعتصر يدها، غير أنها كانت تشعر بالخدر لدرجة أنها لم تقدر إلا على تسديد ابتسامة غامضة لها، ثم توجه انتباهها مرة أُخرى لما سيجري لاحقًا. لقد رُفضت فتاة أخرى، وكانت الفتاة ريجان ذات الشعر الأحمر، التي تنتمي إلى برجٍ ناريٍّ، آخر من قُبِلن من المرشحات.

وبمجرد أن اختبرت كل فتاة من المرشحات وجَرى اصطحاب جميع من فشلن للخارج، سحبت داليا جميع البطاقات وجمعتها في رزمةٍ أنيقةٍ.

- مرحبًا بكن أيتها المستجدات في أقدم وأعرق وأقوى أخوية في البلاد. لقد كنا في انتظاركن سواء أدركتن ذلك أم لا. لقد قادكن القدر إلى ويسترلي ثم إلى كابا رو نو.

سألتها أريانا بنبرةٍ بحدة: «من تُكنَّ؟».

ارتسمت على وجه داليا ابتسامة عريضة: «نحن ساحرات».

ساحرات. مرت الكلمة داخل فيفي بنفس بطء وحلاوة تشدق داليا في الحديث.

ساحرات، لقد بدا الأمر لوهلة مطمئنًا أكثر من كونه غريبًا، كما لو أن جانبًا منها لطالما عرف هذه الحقيقة. غير أن فيفي أجبرت نفسها على العودة للواقع. لا بد أن ذلك جزء من مزحة مدبرة بإتقانٍ، أو جـزء من هذه الطقوس الغريبة، أو الأسوأ نوع من المقالب التي سـوف تُنشر على اليوتيوب. غير أن فيفي كانت قد قضت معظم حياتها وهي تراقب المشعوذين أمثال أمها، ورغم ذلك وجدت صعوبةً في تخيُّل الكيفية التي نفّذت بها الكابا خدعة كهذه.

استطردت داليا قائلة: «لقد ولدتن ساحرات. غير أنكن الليلة اتخذتن أول خطوة في سبيل أن تصبحن شيئًا أكثر أهمية: شقيقات. إذ إن كابا رو نو أكثر من مجرد أخوية، بل إنها أقدم وأقوى جماعة سحرية في البلاد. لقد أُسست في القرن السابع عشر لمساعدة النساء على الفرار من الاضطهاد، وعلى مدار السنين، أصبحت واحدة من أقوى المؤسسات في العالم (نظرت في الدائرة من حولها ووجهها يعلوه تعبير ذو مغزى) الساحرات قويات بمفردهن، ولكن معًا، نحن لا نُقهَر. على مدار السنوات الأربعة المقبلة، سوف نعلمكن كيف تُسخرن سحركن وتسيطرن عليه. وكيف تطلقن العنان لقدراتٍ تفوق أي شيء حلمتن به من قبل. ولكن يجب عليكن الاجتهاد لتحقيق ذلك (نظرت إليهن جميعًا، الواحدة تلو الأخرى) لكي تصبحن عضواتٍ في الكابا بالكامل، سوف يجب عليكن اجتياز أسبوع الجحيم. ثم سيجب عليكن الاستمرار في إبهار شقيقاتكن في الأسابيع التي سوف تلي ذلك. لا يكفي أن تمتلك كل واحدة منكن السحر، بل يجب عليها أن تصبح واحدة منا».

انتفضت فيفي عند سماع كلمة سحر. إذ إنها منذ أقل من ساعة كانت لتهزأ بهذه الفكرة. غير أنها لم يسعها التفكير في مصطلح أفضل لوصف ما شهدته للتو، والقوة التي شعرت أنها تتجلى بداخلها. هل يمكن أن تكون *ساحرة* بالفعل؟ لقد كانت الفكرة مثيرة ومربكة للغاية في آنٍ واحدٍ، لدرجة أنها لم يسعها إلا أن تتفوه بهذا السؤال فجأةً وقد خطرت أمها على بالها: «هل يعرف أي أحد خارج الكابا بشأنكن... أعني عن حقيقتنا؟».

تعالت نبضات قلبها. هل يعني هذا أن دافني أيضًا ساحرة؟

قالت مِي وهي تهز رأسها نفيًا: «لا بالطبع. إلا إذا كُنَّ من الغربان أيضًا».

سألتها فيفي: «ولكن الكثيرين من غير المنتمين إلى الكابا حضروا حفل التعارف... ألا تعد هذه مجازفة بعض الشيء؟».

لقد كادت تشعر بصوت طقطقة السحر في الهواء، بشيء يشبه فرقعة الكهرباء في اللحظات التي تسبق العاصفة. تساءلت عن سبب عدم شعورها بأي شيءٍ مماثلٍ لهذا من قبل.

- ماذا لو لاحظ أي أحدٍ شيئًا غريبًا؟

تحدثت داليا مرةً أخرى: «لقد كانت الساحرات يختبئن على مرأى من الجميع طيلة قرون، والغربان واحدة من الجماعات السحرية الكثيرة الموجودة في جميع أنحاء البلاد. غير أن معظم الناس غير قادرين على فتح أعينهم على الحقيقة. فكلما تصرفنا كأخوية عادية ليس لديها ما تُخفيه، زادت احتمالية أن يدعونا وشأننا. وهذا سبب اختيارنا لأن نصبح أخوية في المقام الأول، لقد كانت وسيلة التستر المثلى لمجموعة من السحرة».

نظرت حولها إلى العضوات الجديدات وأردفت قائلة: «تنفيذ السحر ليس بالأمر السهل، وإذا لم تكُنَّ حذراتٍ للغاية، يمكن أن يصبح الأمر خطيرًا إلى حدٍ كبيرٍ. ولهذا السبب سوف تُعيَّن لكلٍّ منكن شقيقة كبرى، مثلما يحدث في بقية الأخويات. عدا أن مسؤوليات الشقيقة الكبرى سوف تمتد إلى ما هو أبعد من مجرد ضمان أنكن سوف ترتدين الدرجة المناسبة من اللون الأزرق السماوي في أسبوع الهمة. لأنها سوف تعلمكن فنون السحر وتحرص على ألا تفجرن أنفسكن، أو ويسترلي».

صمتت داليا بينما أخذت الفتيات يضحكن.

- سونالي (تطلعت الفتاة للأعلى وأومأت برأسها) سوف تكون مِي شقيقتكِ الكبرى.

وقفت مِي وابتسمت بحرارة مشيرةً إلى سونالي أن تقف إلى جوارها.

استكملت داليا عملية تكوين التشكيلات إلى أن وصلت إلى فيفي.

- فيفي سوف تكون سكارليت شقيقتكِ الكبرى.

شعرت فيفي بإحباطٍ، *بالطبع* سكارليت، الفتاة الوحيدة التي يبدو أنها لا تطيقها، كانت شقيقتها الكبرى. وللمرة الأولى منذ أن خطت داخل الغرفة، تلاقت عينا سكارليت وعينَي فيفي. لم تبلغ ابتسامة الفتاة الأخرى الضيقة عينيها.

ولكن قبل أن يتسنى لأيٍّ منهما أن تنبس بكلمة، سُمع صوت ضربة قوية على الباب الأماميّ.



الفصل العاشر

سكارليت

توقف الجميع عن الثرثرة وتوجهت أبصارهن نحو الباب الأماميِّ. التقت عينا داليا، التي عكرت تكشيرتها صفو وجهها الجميل، بعينَي سكارليت.

- تخلصي من الطارق أيًا يكن. ووحدن صفوفكن الليلة.

أومأت سكارليت برأسها مرة واحدة، وقد انزعجت أن الفرصة قد ضاعت عليها للتلذذ بالرعب الواضح على فيفي كونها أصبحت شقيقة سكارليت الصغرى. مثلما اختار السحر الشقيقات، اختار كذلك ثنائي الأخت الكبرى والصغرى هذا. لقد كانت للبطاقات عدالتها الشِعرية الخاصة بها، سوف يكون لسكارليت الحق بالإجماع في تعذيب فيفي لكونها الشقيقة الصغرى.

سددت إلى فيفي التي شحُب لونها ابتسامةً ثم توجهت نحو البوابة الرئيسية. كُنَّ قد خفَّفْنَ أضواء البهو وأشعلن الشموع الموضوعة في أوعية زجاجية، لإضفاء سحر وغموض خاص على المنزل بمناسبة قضاء المستجدات ليلتهن الأولى هنا. مشت سكارليت على أطراف أصابعها بمحاذاة أحد الجدران وقد اعتادت عيناها الظلام، وتلاشت الأصوات الصادرة من غرفة المعيشة إلى أن لفَّ الصمت كل شيء، وألقت الشموع بظلالٍ متراقصة على الجدران، لقد ذكّرتها تلك الظلال بحامل الشموع المعدنيِّ على هيئة لعبة الأحصنة الدوارة الذي أهدته لها ميني بمناسبة عيد ميلادها الثامن عشر. لقد كانت به نجمات وأقمار ذهبية رقيقة تدور ببطء حول إحدى الشموع المضاءة

الموضوعة في إطارٍ معدنيٍّ، منحتها القليل من السحر قبل أن تتمكن من ممارسة سحرها الخاص ببراعة تامة.

بووم.

قُرِع الباب مرة أخرى، غير أن الصوت كان أعلى هذه المرة. قبل أن يتسنى لسكارليت أن تصيح قائلةً إنها قادمة، أُدير مقبض الباب، ثم انفتح الباب عن آخره وارتطم بالجدار. ثم اندفعت رياح شعواء غير عادية إلى الردهة، مُطفِئةً كل الشموع عدا شمعتين.

لهثت سكارليت.

لقد وقفت فتاة عند المدخل. كانت عيناها سوداوين وقاسيتين، وشعرها مطلوقًا ومنسدلًا حتى خصرها، غير أنه كان متشابكًا ومعقودًا. لقد ارتدت بنطالًا جينزًا أسود مهلهلًا وكنزة سوداء فضفاضة بدت وكأنها لم تُغسل منذ أسابيع. وفي يدها اليسرى، ارتدت خمسة خواتم فضية، خاتمًا في كل إصبع: جمجمة، أفعى، نجمة خماسية، وردة، سيف. وكانت يدها الأخرى، مرفوعة للأعلى وقد ضمت أصابعها في هيئة قبضة، كما لو أنها قد استخدمتها للتو في فتح الباب. وكانت قد لوَت فمها وعبس وجهها في غضب.

لقد كان الطارق شخصًا لم تتوقع سكارليت أن تراه مجددًا. غير أنها لم تكن هاربر، الفتاة التي تطاردها في أحلامها، بل كانت أعز صديقات هاربر.

غوين.

لوهلة تساءلت سكارليت ما إذا كان ذلك كابوسًا. إذ إنها لم ترَ غوين منذ تلك الليلة البعيدة. لقد كانت غوين قد وُضعت على جهاز التنفس الاصطناعيّ، وكان جسدها مملوءًا بالغرز والرضوض، والأجهزة تتنفس نيابةً عنها وتُبقيها على قيد الحياة. وعندما سُرِّحت أخيرًا من المستشفى، تركت الجامعة وعادت إلى موطنها في مدينة ناشفيل، ولم يسمع عنها أحد منذ ذلك الحين. لم يكن من المفترض أن تعود مجددًا قط.

أجبرت سكارليت نفسها على أن تأخذ نفسًا عميقًا ثم تُخرجه. تنفس. تمكنت سكارليت من التحدث بعدما استعادت صوتها مجددًا: «يا إلهي، غوين! ما الذي تفعلينه هنا؟».

حدقت إليها غوين فحسب، ولهيب الشمعتين المتبقيتين يتراقص في عينيها المظلمتين.

قالت لها سكارليت: «جاوبيني».

بقيت غوين صامتة وأخذت تتنفس بصعوبة، كما لو أن مجرد الوقوف هنا كلّفها شيئًا ما.

قالت لها سكارليت: «لا يمكنكِ الوجود هنا، عليكِ أن ترحلي».

أخذت سكارليت خطوة للوراء، ثم خطوة أخرى. لقد سمعت أصواتًا أعقبها صوت لهاث، ثم وقْع أقدام. التفتت لترى تيفاني تقطع الرواق ركضًا نحوها. وخلفها تجمعت حفنة من عضوات الغربان القدامى: إيتا وهازيل وجيس، وكلهن يحدقن ناحية الباب الأماميّ بفضول.

تقدمت تيفاني إلى الأمام ووقفت إلى جوار سكارليت وقالت بصوتٍ فولاذيٍّ بارد: «ما الذي تفعلينه هنا؟».

قالت سكارليت وقد شجعها وجود شقيقاتها: «قولي أي شيء يا غوين».

فتحت غوين فمها كما لو أنها على وشك أن تتحدث.. ولكن عوضًا عن ذلك شرعت في الاختناق. لقد كان صوت اختناقها الصادر من أعماق حنجرتها مروعًا ومبحوحًا. لقد قبضت بإحكام على عنقها وجثت على ركبتيها وهي تحاول التقاط أنفاسها.

سحقًا.

صرخت جيس قائلة: «يا إلهي».

- لا بد أن نتصل برقم 911، إ-إ-إنها تختنق.

تلعثمت سكارليت ثم هرعت نحو غوين لتساعدها. لقد غزت الحمرة وجه الفتاة وتطاير اللعاب من فمها المفتوح، ونشبت أظفارها في الأرضية.

جاءهن صوت هادئ قائلًا: «لا، إنها لا تختنق (اندفعت داليا وسط الحشد) إنه السحر».

سألتها سكارليت: «ماذا؟».

- يا فتيات، اضممن أياديكن معًا.

أمرتهن داليا بهذا وهي تشير لكل واحدة منهن كي تنضم إليها على سلالم المنزل الأمامية.

شبَّكت سكارليت يديها مع تيفاني وجيس لاستكمال الدائرة. عادةً ما كانت تشعر بأنها في ذروة قوتها واكتمالها عندما تشبِّك يديها في أيادي جماعتها السحرية. ولكن الآن وهي تشاهد غوين تتلوى وتلهث، ووجهها يتقلص من الألم، لم تشعر سكارليت بأنها قوية. لقد شعرت بأنها... خائفة. خائفة من الجانب المظلم لقواهن. خائفة من الخراب الذي أحدثته.

- سكار، ركزي.

أمرتها داليا بذلك وكأنها تمكنت من استشعار تردد سكارليت. بينما كانت سكارليت تطرد عن نفسها شعورها بالفزع، أخذت داليا تتمتم بتعويذة. سمحت سكارليت لسحرها أن يسري في شقيقاتها، واندمجت قواهن بينما كانت التعويذة تصيب هدفها. توقف لهاث غوين الأجش المزعج وكأن تلفازًا أُطفئ لتوه. وأُطفِئ كذلك اللهيب الغاضب في عينيها. تهدَّلت كتفاها مثل عرائس الماريونيت عندما تنقطع خيوطها. لقد تلاشى الغضب، ولكن بدا كما لو أن غوين تلاشت معه أيضًا. لقد فرغت عيناها من لهيبهما، وحلَّ مكانهما تحديقة بليدة وخاوية.

قالت داليا: «تصبحين على خير يا غوين».

ودون أن تنبس ببنت شفة، نهضت غوين وأخذت تهبط على درجات الممشى الأماميّ، مبتعدةً عن المنزل.

وبمجرد أن اختفت عن الأنظار، التفتت سكارليت إلى داليا قائلة: «ماذا كان ذلك بحق الجحيم؟».

قالت داليا: «إنها تعويذة التجريد. السحر دقيق للغاية لهذا السبب بالتحديد».

سألتها سكارليت وقد تزايد شعورها بالقلق والتوتر: «ماذا تقصدين؟».

- نحن لم نجردها من قواها فحسب، بل منعناها من التحدث عن السحر للأبد. وهذه هي التبعات التي سوف تواجهها إذا حاولت مرة أخرى.

قالت مِي وهي تختلس النظر إلى شقيقاتها من حولها: «لماذا عادت؟ والأهم من ذلك، كيف عادت؟ لقد نفيناها».

قالت سكارليت بهدوء: «لقد نفيناها من الجماعة لا من المنزل».

سألتها مِي: «ولكن ما الذي تريده منا؟».

أطرقت سكارليت برأسها وحرصت على ألا تتلاقى عيناها وعينَي تيفاني. لقد انصبَّ اهتمامها فقط على التقاط أنفاسها. آه من الطريقة التي كانت تنظر بها غوين إليها... لقد بدا كما لو أنها تود أن تقتلها.

قالت فيفي برِقة: «إن القمر مكتمل الليلة».

وانتفضت سكارليت عند سماع صوتها. إذ إنها لم تسمع وقْع خطواتها وهي قادمة. أدركت ومشاعر الفزع تنتابها أن شقيقتها الصغرى الجديدة شهدت الفصل الأخير من هذه المهزلة.

- لطالما قالت أمي إن هذا الأمر يدفع الناس لفعل أشياء غريبة.

لقد عرفت سكارليت أكثر من أي أحدٍ أن غوين لم تكن بحاجة إلى القمر المكتمل لكي تنفجر غضبًا. لقد كان لديها سببٌ كافٍ لا علاقة له بأي ظواهر طبيعية. على كل حال هذا ليس من شأن فيفي. لقد شعرت بموجة جديدة من الاستياء تجتاحها بسبب تطفُّل شقيقتها الصغرى على منزلها وعلى حياتها.

ثارت سكارليت قائلة: «كونكِ شقيقتي الصغرى لا يعني أن تلاحقيني كظلي يا فيفي. مَن منحكِ الإذن بمغادرة الحفل؟».

قالت داليا بنبرة ألطف من سكارليت ولكن لا تخلو من صرامة: «عودي إلى الداخل يا فيفي ووطدي علاقتكِ بشقيقاتكِ الجديدات. وسوف نعود في الحال».

نقَّلت فيفي نظرها من فتاة لأخرى، وقد اكفهر وجهها وسُحب فمها للأسفل وكأنها ترغب في قول المزيد. ولكن بعد لحظة، استجابت لكلمات داليا وخطت إلى الداخل عائدة إلى غرفة المعيشة.

- ينبغي لنا جميعًا العودة إلى الداخل. هذه ليلة مهمة للترحيب بالفتيات الجديدات في الجماعة. ولا كلمة أخرى عن هذا الموضوع إلى أن تغادر المستجدات.

أمرتهن داليا بذلك بتصفيقة من يديها. أومأت الشقيقات الأكبر سنًا برأسهن باقتضاب، متسللاتٍ إلى الداخل ومتهامساتٍ فيما بينهن.

سحبت سكارليت داليا قبل أن تخطو للخلف عائدة إلى البهو. قالت بهدوء: «داليا، بطاقات التارو التي لُصِقت على الباب... لقد كانت غوين الفاعلة، أليس كذلك؟».

قبل مراسم اختيار العضوات، كانت سكارليت قد أطلعت داليا على بطاقات التارو التي وجدتها هي وتيفاني مُسمَّرةً على الباب الأماميّ. لقد رغبت سكارليت في أن تلقي تعويذة لمعرفة من ترك هذه البطاقات وسبب تركه إياها. لقد ظنت سكارليت أن الغرض من هذه البطاقات هو إيصال رسالة تهديد، غير أن داليا استخفَّت بالأمر واصفةً إياه بأنه مقلب سخيف، وأصرت أن تتخلص سكارليت من البطاقات قبل وصول المستجدات.

قالت: «لا نود إخافتهن قبل أن يتعهدن بالانضمام حتى. لا تهولي من هذا الأمر التافه».

ورغم ذلك أشارت داليا إلى أنهن أقمن حفل تعارف في العام الماضي موضوعه بطاقات التارو، وربما لا تزال إحدى المدعوات غاضبة لأنها لم تحصل على عرضٍ للانضمام. لطالما شعر الناس بالغيرة من الغربان. لقد أكدت لها داليا أن سرهما لا يزال محفوظًا. ولكن الآن لم تعد سكارليت متأكدة من هذا.

ورغم ذلك لم يبدُ على داليا القلق، بل الاستياء فحسب. إذ إنها لطالما كرهت أن تشكك الشقيقات في مدى سيطرتها على الأمور: «سوف نلقي بتعويذة حماية على المنزل بمجرد أن تغادر المستجدات. أعلِمي الجميع، إذ إننا سوف نحتاج إلى تشبيك أيادينا جميعًا لأداء هذه الطقوس».

أومأت سكارليت برأسها وهي لا تزال غير واثقة فيها بعد. أفلتت ذراع داليا ودفعت الباب الكبير بقوة مغلقةً إياه.

كانت قد وصلت للتو إلى غرفة المعيشة عندما سمعت مجددًا طرقًا عنيفًا على الباب. تظاهرت سكارليت بالشجاعة وتسللت إلى أسفل الرواق وفتحت الباب مجددًا بعصبية.

- غوين، لقد أخبرناكِ أنه لا يمكنكِ...

تجمدت في مكانها، لم يكن هناك أحد. لقد انبعث صوت خافت لموسيقى الراب من منزل أخوية ساي دلتا لامبدا في نهاية الشارع. وأصدرت حشرات السيكادا التي اختبأت وسط العشب صوتًا يشبه الأزيز. غير أن الشارع كان خاليًا بالكامل إلا من بضع سيارات مركونة ودراجة جامعية حمراء بالية مستندة على إحدى أشجار البلوط.

وفجأةً وقعت عيناها على شيءٍ صغيرٍ وفضيٍّ يتلألأ في منتصف الطريق. لقد كان أحد خواتم غوين: الجمجمة الفضية. لا بد أنه وقع منها وهي تخربش الأرض بأظفارها. مضت سكارليت إلى الأمام لتلتقطه لتصطدم قدمها بشيءٍ لينٍ.

نظرت إلى الأسفل ثم دوَّت صرختها. عند قدميها وجدت غرابًا أسود هائل الحجم، لقد لُوِيَ عنقه بزاوية غريبة. لقد ميَّزته من وسط الغربان في برج الطيور على سطح المنزل. خفق قلب سكارليت بجنون. لقد كانت تلك إشارة لا لبس فيها. لقد عنت شيئًا واحدًا فقط: الموت.



الفصل الحادي عشر

فيفي

لم يكن قد مر على الحفل أكثر من أربع وعشرين ساعة، ورغم ذلك ظل قلب فيفي يخفق بقوة. لقد شعرت كما لو أنها واقعة تحت تأثير مزيجٍ من نشوة القوة والدوار، كما لو أنها ألقت بنفسها من على لوح غطس وتهاوت عبر الهواء غير متأكدة مما سيحدث عندما ترتطم بالمياه، أو من كونها سوف ترتطم بالمياه من الأساس. كل شيء ظنت أنها تعرفه عن العالم كان خاطئًا. لقد كان السحر حقيقيًا. لقد كانت ساحرة. ولم تكن الوحيدة.

في أثناء نزهتها القصيرة من مسكنها إلى الكابا هاوس، أخرجت فيفي هاتفها واتصلت بأمها للمرة الثالثة في اليوم نفسه. ومجددًا، حُوِّل الاتصال مجددًا إلى البريد الصوتيِّ. لم تمانع قط في الماضي أن تمتنع أمها عن تلقي أي اتصالات، غير أن هذه كانت حالة طارئة. وجب عليها اكتشاف مدى معرفتها بهذا الأمر. هل كانت ساحرة؟ هل كانت قراءات التارو خاصتها صادقة؟ أو أنها كانت ساذجة مثل فيفي وغير مدركة أن السحر حقيقيٌّ جدًا جدًا؟

السحر. لقد ظلت تتذكر مشهد النجمة الخماسية وهي تنبثق من لهيب شمعتها. والتيار الذي سرى في أطراف أصابعها. لقد رغبت في أن تختبر هذا الشعور مجددًا. أن تفهمه. أن تعلم ما الذي فاتها طوال هذه السنوات. أن تكتشف كيف سوف يغير هذا من مسار حياتها الباقية.

استخدمت مفتاحها الذي تسلّمته حديثًا للدخول إلى الكابا هاوس، ثم وقفت على عتبته وتعجبت من حقيقة أن الديكور الداخليَّ للمنزل بدا مختلفًا

تمامًا عما كان خلال زيارتيها السابقتين. فاليوم، كان يعج بالأثاث العصريِّ المصنوع من الخشب الخفيف، وبالوسائد الوردية المريحة التي جعلت الغرف تبدو مبهجة وجذابة.

أخذت فيفي تسير نحو غرفة المعيشة لانتظار الأخريات هناك. غير أنها بالكاد تقدمت خطوتين إلى الأمام، قبل أن تضغط يد على كتفها مثبتة إياها في مكانها.

- انتبهي.

لقد كانت مِي، لقد وقفت قبالتها مشيرةً إلى خطٍ مستقيمٍ من الملح ذي اللون الرماديِّ الورديِّ على الأرضية كادت فيفي تخطو عليه. وحملت مِي في يدها وعاءً زجاجيًّا امتُلئ على ما يبدو بأعشابٍ مطحونة تطفو في الزيت. لقد ذكَّرها هذا الوعاء بأعشاب الروزماري المنقوعة في زيت الزيتون التي أحبت أمها استخدامها في الطهي.

قالت فيفي وهي تختلس النظر إلى الملح قبل أن توجه انتباهها مجددًا نحو مِي: «آسفة، لم أرَ ذلك».

بدلًا من أطراف الشعر الأرجوانية التي تأنقت بها في الليلة الماضية، أصبح شعرها اليوم أسود فاحمًا ومقصوصًا بزاوية حتى ذقنها، قصيرًا من الخلف ومتدرجًا في الطول من الأمام، مبرزًا عظام وجنتيها العاليتين.

- يعجبني شعركِ. هل... أعني... إنه...

تراجعت عن السؤال وقد أدركت أنها لا تملك المفردات اللازمة لطرحه.

ابتسمت مِي وهي تدس شعرها خلف أذنيها قائلة: «اسمها تعويذة التجمُّل، وهي تعويذة يمكن لساحرات النجمة الخماسية أمثالنا استخدامها بمنتهى السهولة».

جعلتها كلمة *«أمثالنا»* ترتجف من فرط الترقب.

- إذن ما الذي يعنيه ذلك تحديدًا؟

لقد كانت لديها فكرة بالطبع عن فئات التارو الأربعة. فقد كان من المستحيل أن تنشأ في كنف دافني ديفيرو دون أن تُلِم بالماجور والمينور

أركانا، غير أنها رغبت في معرفة ما الذي عناه ذلك بالنسبة إليها، بالنسبة إلى سحرها.

- إن قوانا تندرج تحت فئة الأبراج الترابية، هذا يعني أننا نجد سهولة في التلاعب بالطبيعة أو التأثير فيها، سواء كان ذلك بالأشجار أو الحيوانات أو... (رفعت رأسها بشموخ وقلَّدت وقفة عارضات الأزياء بطريقة مبالغ فيها) جمالنا الطبيعي.

سحبت مِي هاتفها من جيبها وأمالت رأسها وكأنها تستعد لالتقاط سيلفي، ولكن وبينما هي تزم شفتيها، تحولت قصة شعرها الملساء القصيرة إلى قصة مموجة طويلة وازداد أحمر شفاهها المنطفئ قتامةً إلى أن استحال للون الكستنائيِّ.

سألتها فيفي وهي في غمرة اندهاشها: «هل يمكنكِ تعليمي كيفية فعل ذلك؟».

قالت لها مِي وهي ترفع الصورة على حسابها الموثَّق على إنستجرام: «بالطبع».

هذا الصباح كانت فيفي قد بحثت على موقع جوجل عن كل الغربان اللاتي أمكنها تذكُّرهن، وعلمت أن مِي كانت مدوِّنة في مجال الجمال والموضة تحظى بشعبية كبيرة، وأن مسقط رأسها في الأصل منطقة خليج سان فرانسيسكو، وتمتلك نحو مليون متابع.

- رغم أنكِ ينبغي لكِ أولًا أن تركزي على ما سوف تعلمكِ سكارليت إياه أيًّا كان.

كادت فيفي تلوِّي وجهها في اشمئزاز وهي تتخيل ابتسامة سكارليت المصطنعة المتعالية: «أليس من الأفضل أن تكوني أنتِ شقيقتي الكبرى بما أننا ننتمي إلى نفس الفئة؟».

- ما يجعل الغربان مميزات هو أن سحر كلٍّ منا ينافس الآخر. الأمر لا يتعلق بما نشترك فيه من صفات بل بما يميِّزنا عن بعضنا بعضًا -بكلٍّ من مواطن قوتنا الفريدة من نوعها- هذا ما يجعلنا قويات. أعلم أن

حديثي يبدو مبتذلًا ولكنه حقيقيٌّ. إن ما تتعلمينه من شخص مختلفٍ عنكِ يفوق ما تتعلمينه من شخصٍ يشبهكِ. هل يبدو هذا منطقيًا؟

قالت فيفي: «فهمتُ. إذن ما الغرض من هذا الوعاء؟».

أشارت مِي إلى الباب الأمامي قائلة: «إنني أدهن مداخل المنزل. القليل من الحماية الإضافية ممن يريدون أن يلحقوا بنا الأذى».

أومأت فيفي برأسها وهي تعود بذكرياتها إلى ليلة الأمس. لقد تملّكتها النشوة بعد الحفل لدرجة أنها بالكاد استوعبت الفوضى التي أحدثتها الفتاة ذات الشعر الأسود. غير أنها كلما أطالت التفكير في الأمر، زادتها هذه الحادثة إرباكًا. فكرت فيفي في أنها قد تكون الفتاة التي أوقفتها في ساحة الجامعة لتحذرها من الغربان، غير أن ملامحها كانت قد تقلصت من فرط الألم والغضب لدرجة أن التأكد من هويتها أصبح شديد الصعوبة.

- من كانت تلك الفتاة؟

زَمَّت مِي شفتيها واختلست النظر إلى جانبها في قلق، لدرجة أن فيفي لم تتمكن من تحديد ما إذا كانت تبحث عمن يُخرجها من هذا المأزق أو أنها تتأكد من أن لا أحد يمكنه سماعها.

- لقد كانت واحدة من الغربان. لقد أقصيناها من الجماعة قبل بضع سنوات بعد أن انتهكت أهم قواعدنا.

سألتها فيفي وقد انتابها القلق بشأن عدد القواعد غير المعلنة التي يمكن أن تكون قد انتهكتها بالفعل: «أي هذه القواعد؟».

غير أن مِي ابتسمت بغموضٍ قائلة: «لا تقلقي، سكارليت هي المسؤولة عن تعليمكِ، سوف توضح لكِ كل ما تحتاجين معرفته في درسكِ الأول. إنها تنتظرك في الصوبة الزجاجية».

- حسنٌ، شكرًا.

خمنت فيفي أن مِي لم ترغب في مواصلة النقاش حول هذه الحادثة، غير أنها لم تتمكن من صرفها عن بالها، لم تتمكن من التخلص من ملامح الفتاة المحمومة أو هيئتها وهي تتلوى على عتبة الباب وتزحف على الأرض في

محاولة لإيجاد مخرج من المنزل. كل ما كانت تعرفه هو أنها لم ترغب أن ينتهي بها الحال مثلها، أن تتطلع إلى ما لم يعد يمكنها الحصول عليه.

رغم أنه لم يسبق لفيفي أن قضت وقتًا طويلًا في الصُوَب الزجاجية، فإنه أمكنها الجزم بأن هذه الصوبة فريدة من نوعها. رغم جدرانها الزجاجية، كانت مظلمة على غير المتوقع، حيثما نظرت وجدت نباتات عملاقة تمتد خارج جرارٍ طينية ضخمة، وأوراقها الوافرة تلقي بظلالٍ لا تعد ولا تحصى. استنشقت الهواء المحيط بها وتمكنت من تمييز هذا المزيج غير المعتاد من الروائح: رائحة اللافندر والفلفل الحار والنعناع والثمار الناضجة والمريمية ونفحة من العفن.

كانت أربعٌ من المستجدات قد جلسن بالفعل عند طاولة مستديرة في منتصف الصوبة: أريانا وبايلي وسونالي وريجان. استغرقت فيفي دقيقة قبل أن تتمكن من الوصول إليهن إذ إن النباتات لم تفسح مجالًا للعبور، واضطرت إلى الانحناء تحت العديد من نباتات اللبلاب المتسلقة، وأخذت أوراقها المغطاة بقطرات الندى تدغدغ مؤخرة عنقها. غاصت في المقعد الشاغر بين سونالي وبايلي في اللحظة التي ظهرت فيها سكارليت حاملةً سلةً منسوجةً مغطاة بوشاح أرجوانيٍّ رقيق.

- أهلًا بكن يا فتيات.

قالت سكارليت ذلك بحيوية وهي تمد يدها داخل السلة وتبدأ في رص محتوياتها على الطاولة، بضع شموع حمراء قصيرة وثخينة القطر وصحن فضي منقوش وريشة سوداء كظلمة الليل الحالكة. وقبالة فيفي، انتفضت أريانا عندما وضعت سكارليت آخر محتويات السلة على الطاولة -جمجمة بشرية- بخلاف فيفي التي كادت تنكب على وجهها إلى الأمام من فرط الحماس. أخيرًا، بعد أن عاشت حياتها بأكملها على المحك، سوف يتسنى لها معرفة خبايا السر الدفين الأقوى في العالم، كيفية ممارسة السحر الحقيقيّ.

- لقد دعوناكن أنتن الخمسة للانضمام إلى جماعة كابا لأننا تنبأنا لكُنَّ بمستقبلٍ واعدٍ (تنقّلت نظرات سكارليت بينهن جميعًا وتركزت على فيفي أكثر من غيرها. ولسببٍ ما لم ترتح فيفي إلى ذلك) غير أن الموهبة الطبيعية ليست الشيء الوحيد المهم عندما يتعلق الأمر

بممارسة السحر. إذ إن السحر يتطلب انضباطًا. يمكن للسحر أن يكون صديقكن المقرب، أن يفتح لكُنَّ الأبواب حرفيًّا. أو أن يجعلكن تشكلن خطرًا على أنفسكن وعلى كل من حولكن.

ولتوضيح فكرتها، أخذت جميع النباتات في الصوبة تتمايل وتتهامس، وكأن رياحًا خفية تحركها. شهقت فيفي عندما شعرت بشيءٍ يلامس أعلى قدمها. نظرت إلى الأسفل ثم انتفضت جانبًا، إذ إن شيئًا ما طويلًا وداكن الخضرة أخذ يزحف بجانبها.

همست بايلي: «إنه مجرد نبات متسلق».

وأخذت تشاهده بعينين متسعتين عن آخرهما. وبفرقعة من أصابع سكارليت تجمدت كل النباتات مكانها.

- ولكن قبل أن نتابع، من الضروريِّ أن تفهمن قوانيننا وتلتزمن بها. القانون الأول هو: ممنوع التعدي على الإرادة الحرة لأي شخص آخر أكثر من اللازم.

سألتها بايلي وقد أخذت عيناها ترمشان خلف نظارتها السوداء: «ما الذي يعنيه هذا بالضبط؟».

قالت سكارليت: «هذا يعني أن تعاويذ الإلهاء وتعاويذ السيطرة لا بأس بها، في حدود المعقول. غير أننا لا نستخدم تعاويذ التحكم في العقول أو نسحر الناس لنجعلهم يتصرفون بطرقٍ يمكن أن تغير مسار حياتهم، أو تلحق بهم الضرر بأي صورة».

ثم تابعت: «القانون الثاني هو أننا لا نؤذي أي أحد جسديًّا إلا في حالة الدفاع عن النفس. وبالطبع، القانون الثالث والأهم هو...».

قالت سونالي بسرعة: «لا تخوني شقيقاتكِ الغربان أبدًا».

أومأت سكارليت برأسها بالإيجاب قائلة: «هذه القاعدة لا تتعلق بالسحر فقط. إذ إننا نحمي بعضنا بعضًا بصرف النظر عن أي شيء. أولئك الفتيات هن شقيقاتك، عندما يحتجن إليكِ تساعدينهن. تسيران كل اثنتين معًا، وتطمئنان على بعضكما بعضًا في الحفلات. لا تسمحي لإحدى شقيقاتك بأن تتجول وحدها ليلًا بعد أن تثمل، ولا تذهب إحداكن، تحت أي ظرف، إلى

إحدى الغرف الخاصة في أثناء حفل للأخوة. تذكّرن أن الكحول يؤثر في قدرتكن على الحكم السليم على الأمور وفي قدراتكن السحرية. وأن الهدف الأسمى هو الحفاظ على سلامتكن».

صمتت سكارليت برهة وكأنها تمنحهن الفرصة لاستيعاب كلامها ثم استكملت حديثها قائلة: «الغالبية العظمى من السحر الذي نمارسه قائمة على التعاويذ. سوف تبدأنَ بتعلُّم تعاويذ المينور أركانا الخاصة بكن، إنها التعاويذ اليومية البسيطة. سوف نحتفظ بتعاويذ الماجور أركانا الخاصة بكن -وهي التعاويذ الكبرى والمعقدة- لوقتٍ لاحقٍ. أول شيء سوف تحتجنه هو مجموعة بطاقات التارو الخاصة بكن».

مدَّت سكارليت يدها داخل السلة ووضعت ثماني مجموعات مختلفة من بطاقات التارو على الطاولة.

- التقِطن المجموعة التي تناديكن.

كانت فيفي قد رأت بعض هذه المجموعات في جلسات قراءة الطالع الخاصة بأمها، برسوماتها البراقة زاهية الألوان وشخصياتها المتموضعات بصورة مبالغ فيها. مدَّت يديها لتمرر أصابعها على مجموعة لأوراقها من الخلف لون أرجواني كزهور اللافندر، ومطبوع عليها رسومات رقيقة باللونين الأبيض والأسود. غير أنها قبل أن يتسنى لها التقاط البطاقات لتمعن النظر فيها، لمحت بطرف عينيها شيئًا ما يتلألأ. لقد كانت كومة من البطاقات ذات لونٍ بُنيٍّ غنيٍّ ومنقوشة برسوماتٍ بماء الذهب تلألأت كالجواهر، رغم أن الضوء الذي انعكس عليها كان خافتًا. مررت أطراف أصابعها على البطاقة العلوية وأرسلت زفرة إذ إن شعورًا غريبًا ومهدئًا اجتاحها، وكأنها تغوص في فراشٍ وثيرٍ وناعمٍ على غير المتوقع.

- اخلطن الأوراق ثم ضعن أول ورقتين من كل مجموعة على الطاولة ووجهاهما للأسفل.

أمرتهن سكارليت بذلك ونفذن ما أُمِرن به.

- والآن اقلِبن الأوراق.

بيدين مرتعشتين بعض الشيء قلبت فيفي بطاقتيها لتكشف عن بطاقتَي الأحمق والإمبراطورة.

همست بايلي الجالسة إلى جانبها قائلة: «سحقًا».

ألقت فيفي نظرة على بطاقتَي بايلي لترى نفس الشكلين أمامها. تبادلت المستجدات فيما بينهن نظراتٍ مرتبكة ومتوترة وقد أدركن جميعًا ما حدث للتو. لقد سحبن جميعًا البطاقات نفسها.

قالت سكارليت وهي غير متفاجئة على الإطلاق بما حدث للتو: «ترمز بطاقة الأحمق إلى الكائن البريء والساذج في بداية رحلته. وهذا ما أنتن عليه الآن. أما الإمبراطورة فهي تجسيد للإله. هاتان هما القوتان الرئيسيتان للماجور أركانا اللتان تحتاجان إلى توجيههما لإلقاء تعاويذكن الأولى، ومع ذلك سوف أخصص لكلٍّ منكن تحديًا مختلفًا، استنادًا إلى فئة التارو الخاصة بكلٍّ منكن».

سألتها بايلي وهي لا تزال منبهرة بمجموعتها الجديدة: «هل سوف نحتاج البطاقات معنا أينما كنا كي نتمكن من تنفيذ التعاويذ؟».

قالت سكارليت: «لا. يمكن للساحرات الأقوى في الغربان أن يستدعين سحر أي فئة. وبالممارسة، سوف تتمكنَّ جميعًا من تنفيذ التعاويذ الخاصة بفئة كلٍّ منكن دون الحاجة لاستخدام البطاقات. على الأقل من سيصبحن منكن عضواتٍ بالكامل في الغربان. لأن بعضكن لن يصلن إلى تلك المرحلة بطبيعة الحال (قالت ذلك مُسددةً نظرة إلى فيفي ثم التفتت إلى سونالي قائلة) حسنٌ، سونالي الدور عليكِ. من فضلكِ اقلبي بطاقة ثالثة».

نفذت سونالي ما أمرت به، كاشفةً عن بطاقة ملكة السيوف، نفس البطاقة التي سحبتها بالأمس.

سألتها سكارليت: «هل أنتِ مستعدة لاستحضار سحر ساحرة السيوف؟ رددي ورائي: *أهيب بملكة السيوف، اللبيبة الحسناء، أن تنعم عليَّ بقوتها لاستحضار الهواء*».

بصوتٍ متهدجٍ قليلًا، رددت سونالي الكلمات. لم يحدث شيء.

قالت سكارليت بلطفٍ غير معتادٍ منها: «لا بأس. في الوقت الراهن، هذه مجرد كلمات. لكي تحوليها إلى تعويذة، ينبغي أن تستعيني في نطقها بما هو أكثر من شفتيكِ وأنفاسكِ. عليكِ أن تشعري أن الكلمات تنبع من قلبكِ».

لقد كان ذلك شيئًا أمكن فيفي تخيُّل دافني تقوله وهي تحاول خداع أحد زبائنها، ولكن هنا في الكابا هاوس كانت هذه الكلمات كافية ببث القشعريرة في جسدها.

أخذت سونالي نفسًا عميقًا، وعندما تحدثت مرة أخرى أضحى صوتها حازمًا ورنانًا: *«أهيب بملكة السيوف، اللبيبة الحسناء، أن تنعم عليَّ بقوتها لاستحضار الهواء».*

أخذت درجة الحرارة تنخفض في الصوبة وأصبح الهواء ثقيلًا مثلما يحدث قبل هبوب عاصفة رعدية. لقد كادت فيفي تجزم أنها شعرت بنسمات هواء تدغدغ مؤخرة عنقها، ولكن هذا مستحيل، إذ إن جميع نوافذ الصوبة كانت مغلقة بإحكام. غير أن الذي أثار دهشة فيفي هو أن النباتات من حولها أخذت في التمايل، إذ إن رياحًا خفيفة ولكن جلية، هبَّت داخل الصوبة، وأخذت قوتها تتصاعد تدريجيًّا إلى أن تطاير شعر سونالي خلفها.

لم تنبس إحداهن ببنت شفة، بل لم يتنفسن حتى إلى أن ابتسمت سكارليت وقالت: «أحسنتِ يا سونالي».

وكأن سونالي قد أعادت إرسال رمية مراوغة في مباراة تنس لا أنها تلاعبت بقوانين الطبيعة.

- بايلي؟ من فضلكِ اقلبي بطاقتكِ الثالثة.

لقد كانت بطاقة ملكة الصولجانات، البرج الناري، التي سحبتها بايلي في أثناء اختبارها الأول. وتابعت: «على مر العصور، كانت ساحرات الصولجانات الجديدات يبدأن تدريبهن السحريَّ بإجراء تعويذة بسيطة لاستحضار النار».

أسهبت سكارليت في شرح هذا قائلة: «والآن ركزي طاقتكِ على إحدى هذه الشموع ورددي ورائي: *أهيب بملكة الصولجان أن تُرينا عجائب قدرتها وتنعم علينا بضياء النهار».*

أخذت بايلي نفسًا عميقًا ثم قالت: «أهيب بملكة الصولجان أن تُرينا عجائب قدرتها وتنعم علينا بضياء النهار».

بمجرد خروج الكلمة الأخيرة من فمها أخذ الدخان المنبعث من فتيل الشمعة أمامها يتلوى في الهواء، وبعدها بلحظة اندلع لهيب الشمعة.

حدقت بايلي إليها وهي في حالة من الذهول، ثم ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهها.

- أعتقد أن الأمر نجح. كيف بحق الجحيم يفترض بي أن أعود إلى دراسة الفيزياء بعد هذا؟

وبينما كانت سكارليت تتجول حول دائرة المستجدات، أخذ قلب فيفي يخفق بسرعة لدرجة أنها وجدت صعوبة في التقاط أنفاسها. لقد كانت في أشد الحاجة لإلقاء تعويذتها الأولى، ولقد كانت مرتعبة كليًّا من أن تفشل، أن يتضح أنها مجرد محتالة، وأن تضطر عضوات الغربان إلى محو ذاكرتها. لم يعد بإمكانها العودة إلى حياتها الطبيعية بعد أن اختبرت شيئًا استثنائيًّا كهذا.

عندما حان دور فيفي أخيرًا، قلبت بطاقتها الثالثة لتكشف عن ملكة النجمة الخماسية. رغم أنها كانت تتوقع حدوث هذا عند هذه المرحلة، فإن قوة البطاقات جعلتها ترتجف. مدَّت سكارليت يدها داخل السلة ثم أخرجت أصيصًا صغيرًا مملوءًا بالطين: «أنتِ ساحرة نجمة خماسية، لذا يستمد سحركِ جذوره من الطبيعة».

قالت سكارليت وهي تسلم فيفي الأصيص: «لقد غرستُ بذرة هنا، أريدك أن تجعليها تنمو بأن ترددي ورائي: *أهيب بملكة الأرض أن تدلل على سلطانها على الموت والبعث*».

قالت فيفي: «حسنٌ» وهي تحاول الحفاظ على ثبات أعصابها.

ثم تابعت: *«أهيب بملكة الأرض أن تدلل على سلطانها على الموت والبعث»*.

لم يحدث شيء.

قالت سكارليت: «حاولي مرة أخرى وتمهلي. فأنتِ تلقين تعويذة ولستِ تطلبين وجبة من ماكدونالدز».

أخذت فيفي نفسًا عميقًا بقدر ما سمحت لها أعصابها ورددت الكلمات ببطء هذه المرة.

بقي الطين على حاله بعنادٍ. شبَّكت سكارليت ما بين ذراعيها وبدا عليها الغضب.

- هل تعرفين ماهية شعور استدعاء سحركِ؟

عادت فيفي بتفكيرها إلى اللحظة التي دبَّت فيها الحياة في اللعبة النارية، إلى الطاقة التي سرت في عروقها. وتبادر إلى ذهنها في أعقابها ذكرى أخرى، لم ترغب في استدعائها. وهي ذكرى لمس مايسون لذراعها. نفس تلك الشرارة. شعرت بغصةٍ في حلقها وقلقت أن تكون سكارليت قادرة على معرفة ما يدور برأسها وأن تطلع على أفكارها الغادرة. أكرهت فيفي نفسها على الإيماء برأسها.

- استدعي هذا الشعور مجددًا.

أغمضت فيفي عينيها وحاولت ألا تلقي بالًا لهيئتها إن بدت سخيفة. استدعت ذكرى اللعبة النارية مرة أخرى. فكرت في الطريقة التي شعرت بها بوخزٍ خفيفٍ في أطراف أصابعها، نفس الشعور الذي انتابها عندما لمست بطاقة التارو في الليلة الماضية. لقد كان الأمر أشبه بالتعرض لصدمة كهربائية أو بتلك المرة التي لامست فيها بالخطأ السياج المنخفض المكهرب الذي أحاط بالبحيرة التي جاورت منزلهما في ولاية أوريغون. لقد جعلها ذلك تشعر بدغدغة في فروة رأسها. وزحف هذا الشعور بالدغدغة حتى مؤخرة عنقها وسرى في ذراعيها وصولًا إلى أسفل ظهرها. وكأن بدنها اقشعر ملايين المرات دفعة واحدة.

قالت سكارليت: «والآن، ركزي على هذا الشعور (لقد بدا صوتها كما لو أنه يصدر من مكانٍ بعيدٍ جدًا جدًا) فكري فيما ترغبين في أن تريه يتحقق. *وآمني بأنه* سوف يتحقق».

شعرت فيفي بشيءٍ يهتز داخل صدرها، وعندما بدأت في التحدث، أضحى صوتها قويًّا وعميقًا: «*أهيب بملكة الأرض أن تدلل على سلطانها على الموت والبعث*».

ارتجف الأصيص قليلًا وأحكمت فيفي سيطرتها عليه أكثر. لقد شعرت بنبضٍ خافتٍ، أشبه بدقات القلب، ومرت على خاطرها صورة لبذرة ترتجف وتنبثق منها جذور رفيعة. فتحت فيفي عينيها وشعرت بيديها ترتعشان وبقواها وقد استُهلِكت، وكأنها قد انتهت للتو من الركض في سباقٍ شاقٍ لمسافة طويلة. غير أن ما وجدته ماثلًا أمامها هو فسيلة صغيرة لا يتجاوز طولها إصبع يدها الصغير، نبتت أعلاها ورقة خضراء واحدة. لقد كانت نبتة أنمتها عن طريق السحر.

لقد تملكت النشوة فيفي بعد درسهن لدرجة أنها ظلت تبتسم لساعاتٍ. حتى سلوك سكارليت البارد نحوها لم يقدر على تثبيط معنوياتها. أن يقال لها إنها ساحرة، هذا شيء، وأن يتسنى لها فعل سحرٍ حقيقيٍّ، هذا شيءٌ أفضل كثيرًا. اتسعت ابتسامتها العريضة البلهاء وهي تحاول أن تتخيل ما بمقدورها فعله أيضًا بقواها. هل يمكنها أن تُعِد أطباقًا شهية فاخرة دون أن تكون قد تعلمت الطهي بتاتًا؟ أو أن تجعل غرفتها في السكن الجامعيِّ في قمة الفخامة؟ أو أن تجعل رفيقتها في السكن خفية؟

ولكن الآن، وهي تجلس مع الفتيات الأخريات في مكتبة العلوم الساعة الثالثة صباحًا، أخذ شعورها بالبهجة يتلاشى. إذ إن سكارليت أرسلتهن في الجزء الثاني من فترتهن التدريبية، لدراسة كتب التعاويذ التي سُحرت لتبدو مثل كتب الكيمياء العضوية المدرسية المملة والمتهالكة ومطوية الحافات لغير الساحرات.

قالت لهن سكارليت: «أمامكن أربع وعشرون ساعة لحفظ كل تعويذة في كتاب التعاويذ. وفي مساء الغد في الوقت نفسه، قابِلنني هنا مجددًا لأكلفكن باختباركن القادم».

على عكس بقية الأماكن عتيقة الطراز في الحرم الجامعيِّ، كانت مكتبة العلوم عبارة عن مبنى عصريٍّ مستطيل الشكل بلا روح ومكون من أربعة عشر طابقًا. وكان كل طابق مطليًّا حسب تدرجات ألوان مقياس درجة الحموضة. لقد جلسن عند طاولة في الطابق الأول، وكُنَّ الوحيدات الجالسات في المكان. لم يضطر أحد سواهن إلى السهر طوال الليل للاستذكار في الأسبوع الأول للدراسة، حتى أمينة المكتبة نفسها عادت إلى منزلها.

قالت ريجان وهي تغلق كتابها بإحباط: «لا يمكن لأي إنسان أن يحفظ كل هذا في ليلة واحدة».

قالت بايلي وهي تحدق إلى كتابها برهبة: «صدقيني، الأمر أكثر إمتاعًا من دراسة الكيمياء العضوية الحقيقة».

أشارت إلى تعويذة مطبوعة بالحبر الذهبيّ فوق ثلاث بطاقات تارو لها ألوان الأحجار الكريمة، ذكّرت فيفي بإحدى مخطوطات القرون الوسطى المزخرفة.

- إنها تعويذة لإسكات صوت عدوكِ.. هل تصدقين هذا؟

قالت ريجان وهي تنحني لتتمعن في الكتاب: «أتساءل عما إذا كان بإمكاني استخدامها على رفيقتي في السكن. إنها تهاتف حبيبها في تكساس كل ليلة، وتقضي ساعات تحكي له عن أدق التفاصيل في حياتها التافهة».

قالت سونالي: «هذا قاسٍ بعض الشيء، ألا تظنين هذا؟».

سددت إليها ريجان نظرة غاضبة: «إنها تخبره بكل شيء أكلته في هذا اليوم. *كل شيء* حرفيًا، مثل: لقد ذهبت إلى قاعة الطعام وتناولت حبوب الإفطار مع نصف موزة. أما بالنسبة إلى وجبة الغداء، فقد ذهبت إلى محل المخبوزات هذا ولكنني وجدت أن كعك الزبيب بالقرفة قد نفد من عندهم، لذا...».

قاطعتها سونالي وهي تفرك صدغيها قائلة: «يا إلهي، توقفي. أنتِ محقة، هذا لا يُحتمل».

قالت أريانا بصوت ضعيف وهي تنظر إلى كتابها باستياء: «أنا لا أعلم حتى أي لغة هذه. هل هي اللغة اليونانية القديمة؟».

قالت سونالي وهي تنحني أكثر على الكتاب لتتمعن فيه: «أظن هذا».

بخلاف باقي الفتيات، بدا أنها تزداد قلقًا بمرور ساعات الليل، وقد أخذت تتحدث مع نفسها بصوتٍ خفيضٍ وهي تنكب على دراسة التعاويذ.

- لقد كانت أمي من الغربان، ولكنها لم تذكر أي شيء عن حفظ كتاب تعاويذ كامل في ليلة واحدة. هل يمكن أن تكون قد حجبت هذا الأمر من ذاكرتها؟

قالت بايلي وهي تغمض عينيها وتحرك كتفيها إلى الخلف في حركات دائرية بسيطة بضع مرات: «أو ربما لم ترغب في أن تثنيكِ عن الانضمام إلى الجماعة؟».

أصدرت صوتًا من أنفها اعتراضًا، قائلةً: «مستحيل. لقد كان هذا الأمر هو محور نقاشنا. لقد وضحت لي تمامًا أنني إذا لم أحصل على عرضٍ للانضمام، سوف تتبرأ مني».

قالت ريجان: «ثقي بي، الأمر كله مضيعة للوقت»، ثم تثاءبت. لقد شدَّت ذراعيها فوق رأسها جاعلةً قميصها الواصل حتى سُرتها يرتفع أكثر مما كان، «أمي وخالاتي كلهن ساحرات بارعات، ورغم هذا لا أعتقد أنهن حفظن أي تعاويذ. بمجرد أن تتعلمن كيف تُسخرن سحركن، لن تضطررن إلى النظر في أي كتاب».

سألتها بايلي وقد استعادت حيويتها فجأةً: «كيف كان شعوركِ وقد نشأتِ وسط ساحرات؟».

رفعت ريجان كتفيها بلا مبالاة قائلة: «لم أعرف شعورًا آخر لأقارنه به».

وفي تلك اللحظة، رنَّ هاتف فيفي، ما جعلها تنتفض في فزع. إذ إنه لم يسبق لأحدٍ أن اتصل بها من قبل. وبالأخص في منتصف الليل. غير أنها عندما رأت الاسم على الشاشة، انتزعت هاتفها وسارعت نحو كومة من الكراسي في الجانب الآخر من الغرفة.

قالت هامسةً وهي تهرع بعيدًا عن الطاولة وتدخل في أحد الممرات المظلمة: «أمي؟ هل أنتِ بخير؟».

- حبيبتي، لقد تلقيتُ رسائلكِ الصوتية للتو (كانت هناك أصوات صاخبة على الطرف الآخر من الخط بدت وكأنها أصوات تلاطم أمواج) آسفة أنني لم أستطع الاتصال بكِ في وقتٍ أبكر من هذا. لقد كنتُ أجرب تقنية التأمل المؤثرة هذه التي...

قاطعتها فيفي قائلة: «أمي، لماذا لم تخبريني أنني ساحرة؟».

تلا ذلك صمت طويل.

- أمي، هل ما زلتِ على الخط؟

اقتربت من إحدى النوافذ آملةً في الحصول على إشارة أفضل لهاتفها المحمول. لقد واجه هذا الجانب من المكتبة مجموعة من الأشجار الكثيفة فضلًا عن ساحة صغيرة محاطة بمجموعة من المباني الإدارية.

- لقد أخبرتكِ يا فيفي بالفعل. ولكنكِ لم تكوني مستعدة لسماع ذلك.

أنتِ مميزة يا فيفي. أنتِ مليئة بالسحر. كانت دافني قد أمضت طفولة فيفي بأكملها تردد على مسامعها جملًا كهذه. غير أن فيفي لم تدرك فحسب أنها حقيقية.

- هل هذا معناه أنكِ أيضًا ساحرة؟

- أنا أمتلك فحسب.. بعض القدرات غير المعتادة، ولكن قواي لا تشبه قواكِ على الإطلاق يا عزيزتي.

انفجرت فيفي فيها غاضبة وأخذت ترتعش من فرط الاستياء: «لماذا قد تخفين كل هذا عني؟ هناك أخوية بحالها هنا تعج بالساحرات وقد لا أتمكن من النجاح في اختباراتها لأنني لا أدري ما الذي أفعله».

بقيت دافني صامتة لوقتٍ طويلٍ لدرجة أن فيفي تساءلت ما إذا كانت قد أنهت المكالمة أم لا.

- أمي، هل ما زلتِ هنا؟

- فيفيان، اسمعيني. هناك طرقٌ كثيرة يمكن أن تكوني بها ساحرة. لا تقعي في فخ التفكير في أن هناك طريقة وحيدة للمضي قدمًا.

- إن طريقتهن تبدو أفضل كثيرًا من طريقتكِ.

علمت فيفي أن هذا من شأنه أن يجرحها ولكنها كانت غاضبة لدرجة أنها لم تبالِ.

- أولئك الفتيات مذهلات. سوف يُدِرن العالم ذات يوم. بل إنني أعتقد أن بعضهن يفعلن ذلك بالفعل.

أعقب ذلك وقفة مطولة أخرى.

- ينبغي لكِ أن تكوني حذرة للغاية يا فيفي. فأنتِ لا تعرفين ما الذي تفعله السلطة بالناس. لقد شهدتُ على ذلك بنفسي. لا يمكنكِ الوثوق بأيٍّ ممن تسمينهن ساحرات الأخوية.

شعرت فيفي بموجة من الغضب تضطرم بداخلها مشوشة على شعورها بالإرهاق.

- على الأقل تكبدن عناء إخباري أنني ساحرة. وفي الوقت الراهن يبدو أنهن من يهتممن بأمري.

أنهت المكالمة وهي في حالة من الغضب العارم. لم تكن المشكلة تكمن في الغربان، بل في دافني التي تصرفت بطريقتها المعهودة.

كانت فيفي على وشك الانضمام مجددًا إلى المستجدات الأخريات عندما سمعت صوت صراخٍ خارج النافذة. استدارت فيفي سريعًا وهي في حالة من الفزع، ثم رفعت رأسها لتلقي نظرة عن قرب، غير أنها لم ترَ شيئًا باستثناء ظلال أغصان الأشجار البعيدة. وبعدها بثوانٍ قليلة، علا صوت الصراخ مرة أخرى. غير أنه لم تكن أي علامة على وجود حركة بين فروع الشجر.

تمتمت فيفي قائلة: «ما هذا بحق الجحيم؟».

كانت قد أخذت تندفع ببطء إلى الأمام عندما ارتطم شيءٌ ما بالزجاج مُحدِثًا دويًا مروعًا.

قفزت فيفي للخلف وأخذ قلبها يدق بعنف. ثم أدركت وهي في حالة من الفزع أن مصدر الصوت عثة، غير أنها كانت أكبر عثة رأتها على الإطلاق. لقد كانت تضرب الزجاج بعنفٍ بجناحيها، لدرجة أن زجاج النافذة أخذ في الاهتزاز. لقد كان لجناحيها لونٌ بُنيٌّ فاتح مع وجود شكل أبيض اللون في منتصف كلٍّ منهما. شكلٌ بدا بالضبط مثل الجمجمة المبتسمة.

شهقت فيفي وأسقطت هاتفها الذي انزلق على الأرضية الملساء. وقبل أن تتمكن من الوصول إليه، أخذت إضاءة المكتبة الخافتة تومض وتنطفئ إلى أن انطفأت تمامًا، وغرق الرواق في ظلامٍ دامسٍ.

قالت فيفي: «سحقًا».

وهي في حالة من التذمر، جثت على ركبتيها وأخذت تتلمس طريقها زحفًا على الأرض، داعيةً أن يكون الشيء الذي سوف تلامسه أصابعها تاليًا هو هاتفها.

صاحت: «سونالي؟ أريانا؟ هل أنتما هنا؟».

ربما بقيت الفتيات الأخريات بلا حراكٍ لفترة طويلة للغاية، لدرجة أن أجهزة الاستشعار أطفأت الأنوار. غير أن النوافذ الكبيرة كانت مظلمة كذلك، فقد أطفأت الأنوار في ساحة الجامعة وكذلك الأضواء التي تنير برج الناقوس. جثم شعور مخيف على صدر فيفي بينما كانت تنتظر أن تعتاد عيناها الظلام. غير أن الظلام كان ثقيلًا أكثر من اللازم، دامسًا أكثر من اللازم، لقد بدا الأمر كما لو أنها محبوسة في قبوٍ تحت الأرض.

صاحت: «أريانا؟».

وقد سمعت صوت احتكاك كرسي من بعيد.

صاحت أريانا: «فيفي؟ أين أنتِ؟».

أجابتها فيفي بصوتٍ مرتعشٍ: «أنا في الرواق. لا... لا أعتقد أننا وحدنا».

لقد تذكّرت الفتاة التي وصلت إلى الكابا هاوس في الليلة الماضية، والغضب الجنوني في عينيها الواسعتين.

- لقد أسقطتُ هاتفي ولا يمكنني رؤية أي شيء.
- ابقي مكانكِ، سنأتي إليكِ.

غير أنه قبل أن يتسنى للمستجدات الوصول إليها، انفتح باب المكتبة الأماميُّ عن آخره.

صاحت فيفي وهي تستند بظهرها على الجدار: «من هناك؟ ماذا تريد؟».

أخذت تتحسس ما حولها كالمجنونة، محاوِلةً أن تحدد موقعها في المكتبة. ثم أطبقت يدان على كتفيها بعنف، لتطلِق فيفي صرخة مدوية.

صرخت مجموعة من الأصوات في أذنها قائلة: «أسبوع جحيم سعيد أيتها الساحرات».

وفجأةً، أضيئت الأنوار مجددًا، ووجدت سكارليت وتيفاني ومِي وداليا واقفاتٍ أمامها إلى جانب بقية الطالبات الأكبر سنًا في الأخوية. لقد كانت الفتيات القدامى يضحكن، بينما وقفت فيفي والمستجدات الأخريات اللاتي اقتحمن الرواق للتو في حالة من البلاهة وهن يطرفن بعيونهن في محاولة للتكيف مع الأضواء الساطعة.

قالت سكارليت: «هذا الأسبوع، سوف يُطلب منكن أن تفعلن أمورًا مستحيلة».

ولكن هذه المرة كانت ابتسامتها مشرقة وصادقة، بل ومُعدية. ورغم نبضها الذي كان لا يزال متسارعًا، أخذت فيفي تبتسم أيضًا.

ركزت سكارليت بصرها على فيفي قائلة: «إذا لم تتمكنّ من الصمود في هذه المهمة، لن تتمكنّ حتى من ذِكر السحر ثانية. ولكن إذا اجتزتن هذا الأسبوع، قد نجعل منكن ساحرات في نهاية المطاف».



الفصل الثاني عشر

سكارليت

حدقت إليها فيفي بفمٍ مفتوحٍ قائلة: «تريدين مني فعل ماذا؟».

نظرت إليها سكارليت بهدوء وأخذت تشرح لها: «لقد وبَّخ دين ساندرسون هازيل لاحتجاجها على تخصيصه طابورًا للمتحدثين الذكور فقط في يوم التخرج».

سألتها فيفي: «هذا أمرٌ فظيع. ولكن هذا ليس مبررًا لــ... أعني ألا يمكننا أن نطلي المبنى الإداريَّ باللون الورديِّ. أو نمتنع عن المشاركة في يوم التخرج؟».

صمتت سكارليت طويلًا ثم وجهت إليها الضربة القاضية: «تأتي حماية شقيقاتنا في المقام الأول، ولهذا أريدكِ أن تجلبي لي قلب هذا المدعو دين».

قالت فيفي بحذر وهي تتأمل عينَي سكارليت الواسعتين كشخصٍ يخشى أن يُغضِب قاتلًا مختلًا: «لقد ظننتُ أننا لا يُفترض بنا إلحاق الأذى بأي أحد».

لم تتمالك سكارليت نفسها واتسعت زوايا فمها كاشفةً عن ابتسامة ساخرة باهتة.

تنهدت فيفي ارتياحًا وتوردت وجنتاها مجددًا.

- أوه، لقد كانت هذه مزحة.

انفجرت سكارليت في الضحك: «ليتكِ رأيتِ التعبير المرتسم على وجهكِ».

لقد شكَّت في أن هناك ساحرة بمثل هذه السذاجة. وللمرة التي شعرت أنها الألف تعجبت من أن شخصية بمثل هذه البساطة جعلت مايسون ينسى موعدهما. جزءٌ من سكارليت علم أنها غير منصفة في سلوكها تجاهها، غير أن شيئًا ما بخصوص هذه الفتاة أزعجها، ولسببٍ يتخطى مجرد رؤيتها تتحدث مع مايسون. لقد كانت مندفعة إلى حدٍ ما. بريئة أكثر من اللازم... حرة أكثر من اللازم. لقد عاشت حياة كاملة دون أن تحمل عبء توقعات الآخرين لها. لقد كان كل هذا جديدًا ومثيرًا بالنسبة إليها. لم تستطع سكارليت أن تحدد ما إذا كانت تحسدها على ذلك أم تكرهها بسببه. كل ما عرفته هو أنها سوف تستمتع بكل لحظة في أسبوع الجحيم.

أشارت سكارليت إلى الدرج قائلة: «الطابق الثاني، الباب الثالث على يسارِك. كوني دقيقة».

- ماذا؟

- حمامنا. هذه هي مهمتكِ.

تلاشى الشعور بالحرج على وجه فيفي وحلَّ محله الغضب.

- دعيني أخمن، عليَّ ألا أستخدم أي شيء في تنظيفه سوى فرشاة أسنان.

حدقت سكارليت إلى الفتاة بوجهٍ جامدٍ وهي غير راضية عن ما سمعته: «لا يا فيفيان. ينبغي لكِ استخدام السحر».

وقفت فيفي مكانها في حالةٍ من التردد وهي تخشى أن تُطالِب بمزيدٍ من التوضيح.

قالت سكارليت: «لا تقلقي، ميرتل النوّاحة ليست بالداخل».

لقد رأت لمحة من القلق تظهر على وجهها، وكأنها تتوقع فعليًا أن الفتاة الشبح التي عاشت في حمام هوجوورتس تقيم في منزلهن. انتظرت حتى صعدت فيفي السلالم الرئيسية قبل أن تتبادل الابتسام مع تيفاني التي تمددت على الأريكة إلى جوارها. صفقت لها تيفاني ببطء مهنئةً إياها.

قالت تيفاني: «أنتِ شريرة».

- ولماذا نحن صديقتان في رأيكِ؟

ضربتها تيفاني على ذراعها وسألتها وهي تتطلع إلى السلالم: «ما الذي تخططينه للفتاة الساذجة كمسلسل بيت صغير في البراري على كل حال؟ هل اخترتِ الدماء أم الحشرات؟».

قالت سكارليت: «العفن».

ثم شعرت ببعض الإحراج للتسبب لها بالقليل من العناء. لولا ظهور غوين مساء يوم الثلاثاء الماضي، لكانت سكارليت قد حضَّرت تعويذة مخيفة للغاية بدلًا من هذه التعويذة المملة، كأن تسحر شيئًا تخاف منه فيفي كي يزحف خارجًا من أحد المراحيض. ولكن بالنظر إلى كل ما حدث في تلك الليلة، لم... لم يمكنها فعل هذا.

جعَّدت تيفاني أنفها انتقادًا لها ثم قالت: «لا تقولي لي إنكِ لنتِ يا سكارليت وينتر».

- أبدًا. أنا فقط أرغب في منحها شعورًا خادعًا بالأمان قبل أن أنقض عليها.

أومأت تيفاني برأسها ولم يبدُ عليها الاقتناع بالكامل.

- أين شقيقتكِ الصغرى؟

لم تكن سكارليت قد رأت أريانا طيلة اليوم. لقد كانت المستجدات الأخريات مشغولاتٍ ببعض المهام التي كلفتهن بها شقيقاتهن الكبيرات جميعهن باستثناء بايلي، التي حالفها الحظ بأن تحصل على إيتا كشقيقة كبرى. لقد قضيتا اليوم بأكمله معًا في المطبخ تضحكان وتعدان وصفة سحرية جديدة لتمليس الشعر كانت إيتا متلهفة لتجربتها.

- لقد أرسلتها إلى أخوية ألفا تاو باي لتُلقي تعويذة على الصبية هناك تصيبهم بالنحس.

نبهتها سكارليت قائلة: «سوف يثير هذا غضب داليا».

لقد كانت داليا من ذلك النوع من الرئيسات اللاتي يرغبن في معرفة -والتحكم في- كل شيء يدور في المنزل. إذا كنتِ تخططين للخروج عن المألوف، فمن المعروف أنه ينبغي لكِ إخبارها أولًا.

- إلا إذا كان ذلك انتقامًا من شيءٍ فعلوه بكِ.

ابتسمت تيفاني بسخرية قائلة: «هوني عليكِ. إن التعويذة التي منحتها إياها لا قيمة لها. كل ما ستفعله هو أنها ستجعلها تتوهم أن يديها ملطختان بالدماء خلال الساعة التالية».

ضحكت سكارليت بسخرية قائلة: «بل أنتِ الشريرة ولست أنا».

تظاهرت صديقتها بالبراءة قائلة: «أحاول فحسب أن أُلقِن شقيقتي الصغرى في مرحلة مبكرة درسًا عن أهمية قوانين السحر. إذا لعنتِ شخصًا آخر، دائمًا ما سوف تنقلب عليكِ التعويذة بغير قصدٍ منكِ».

تنهدت سكارليت قائلة: «عندما تمسّين الشر، يمسّك».

لا يزال بإمكانها سماع صوت ميني يتردد داخل رأسها بعد كل ذلك الوقت.

ألقت تيفاني بنظرة خاطفة في أنحاء غرفة المعيشة. غير أنهما كانتا وحدهما.

همست قائلة: «سكار، ينبغي لكِ التوقف عن التركيز في هذا الأمر. لقد أصبح جزءًا من الماضي».

قطّبت سكارليت جبينها قائلة: «ولكن هذا ليس صحيحًا يا تيف. الحاضر يحاصرنا هنا في هذا الحرم الجامعيّ. لقد *عادت* غوين. لا يسعني التوقف عن التفكير في وجهها في تلك الليلة. لقد كانت فاقدةً للسيطرة ويائسة للغاية».

لقد أخذت تفكر في كل الأمور الغريبة التي حدثت منذ وصولها إلى الحرم الجامعيّ. القلادة على شرفتها. ووقْع الخطوات التي لاحقتها في الغابة. وبطاقات التارو على الباب. هل يمكن أن تكون غوين وراء كل ذلك؟

قالت تيفاني بحزم: «بعد... نوبتها الأخيرة، من المستحيل أن تجرؤ على الاقتراب منا ثانيةً (أحكمت ربط شعرها المشدود للخلف وأردفت) لن أفهم أبدًا سبب قبولها في الكابا من الأساس. أي أحد كان ليدرك أن هذه السافلة خطيرة».

غير أن كلمات تيفاني جعلت وجه سكارليت يزداد عبوسًا. لقد راقت غوين لسكارليت في البداية، لم تكن السنوات قد صقلت شخصيتها مثلما فعلت مع سكارليت. لقد كانت عملية وفظة أكثر من كونها مجرد حسناء من الجنوب، ولكنها كانت ذكية وقوية وسليطة اللسان ما جعل سكارليت تضحك دومًا على

حديثها، إلى أن أصابت سلاطة لسانها صديقة سكارليت المقربة. لقد انتمت غوين كذلك إلى فئة السيوف، وكانت هي وتيفاني دائمًا في حالة من التنافس الصامت للحصول على لقب ساحرة السيوف الأقوى في المنزل. إلى أن ساءت الأمور بينهما كثيرًا في النهاية.

- لا يمكنني التوقف عن التفكير في منظرها، لقد كانت تبدو وكأنها تتعرض للخنق.

انتفضت سكارليت وأردفت قائلة: «لقد تسبب سحرنا في هذا».

تذمرت تيفاني قائلة: «تتذكرين ما فعلته بي، أليس كذلك؟».

- أعلم يا تيف.

- لو لم نوقفها عند حدها من يدري ماذا كانت لتفعل ومن كانت لتؤذي أيضًا؟

احتضنت تيفاني يدَي سكارليت قائلة: «سكار، ما حدث لهاربر كان مروعًا ولكن لحسن الحظ أنه لم يُصَب أي شخص آخر بأذى».

عادت سكارليت بذاكرتها سريعًا إلى سنتها الدراسية الأولى، إلى حفلٍ عاديٍّ أقيم في أخوية ساي دلتا. إلى اليوم الذي لطالما حاولت ألا تفكر فيه. إلى اليوم الذي ماتت فيه هاربر. لقد بدأت هذه الليلة مثل كل الليالي. لقد كانت غوين واقفة في الشرفة المطلة على الفناء الخلفيِّ لمنزل الأخوية وانضمت إليها هاربر.

لقد حدث كل شيء بسرعة. لقد كان هناك الكثير من السحر. الكثير من الرعب. ثم... كل ما تذكرته هو وجه هاربر، وصرختها المخيفة، والخوف في عينيها، والشرفة تتهاوى على الأرض. وبعدها بدقيقة، كانت قد لفظت أنفاسها. لقد كانت تلك غلطة سكارليت وتيفاني.

همست تيفاني قائلة: «لقد كانت مجرد حادثة يا سكارليت، لا شيء يمكن أن يعيد هاربر ثانيةً. ولقد حرصنا على ألا تتسبب غوين في إيذاء أي أحد مجددًا».

وأنها لن تحكي أبدًا عن ما فعلناه.

تنهدت سكارليت قائلة: «أنا فقط... أحيانًا لا يسعني ألا أتساءل ما إذا كان...».

عندما تمسّين الموت، يمسّك.

ثم أكملت جملتها: «ما إذا كان علينا أن نبقيها هنا».

سددت إليها تيفاني نظرة مرتابة وقالت: «أين؟ أن نحتجزها في القبو؟ أنتِ حقًا شريرة للغاية يا أختاه».

- لا، أقصد أننا كان بإمكاننا أن نلقي عليها تعويذة أخرى، أن ننفيها من الحرم الجامعيّ أو...

قاطعتها تيفاني قائلة: «لو كنا ألقينا عليها مزيدًا من السحر، لا أعتقد أنها كانت لتنجو منه».

سألتها سكارليت وقد أخذت تبوح بمخاوفها: «ولكن ماذا لو كانت النسخة التي صنعناها منها أسوأ مما كانت عليه قبل ذلك؟».

قالت تيفاني بحزم: «هذا ليس ممكنًا. أنتِ تقلقين أكثر من اللازم يا سكار. ربما ينبغي لنا أن نلقي تعويذة عليكِ أنتِ».

تطلعت إليها سكارليت سريعًا في ذهول قائلة: «ماذا؟».

قالت تيفاني بنبرة أرق: «تراودكِ الكوابيس. ربما تخفف تعويذة نسيان بسيطة من حدتها».

هزت سكارليت رأسها رفضًا. بقدر ما رغبت في النسيان، لم ترغب في أن يوقَع بها خلسة. إذا ظهرت غوين مجددًا، لا بد أن تتمكن من توقع قدومها.

صاحت فيفي معلنة ذلك من أعلى الدرج: «انتهيت من كل شيء».

جفلت سكارليت -إذ إنها قد نسيت بشأن شقيقتها الصغرى تمامًا- ونهضت واقفةً.

- لنرى.

سددت نظرة خاطفة إلى تيفاني في الخلف التي كانت تهمُّ بالنهوض بالفعل، لتزيل على الأرجح بعض الدماء السحرية من على يدَي شقيقتها الصغرى.

- مهلًا يا سكار، حاولي أن تهدئي، اتفقنا؟ لن يمسّنا أي شيء.

أومأت سكارليت لتيفاني بإيماءة بسيطة قبل أن تتجه إلى الطابق العلويّ لتنضم إلى فيفي. وما أدهشها هو أن شقيقتها الصغرى لم تكن تمزح. لقد كان الحمام بأكمله نظيفًا كليًا من أوله لآخره. لقد كان حوض الاستحمام

ذو الأقدام المخلبية يتلألأ، وكانت دعاماته النحاسية تلمع كالذهب. لقد كان الحوض ناقصًا المجموعة المعتادة من مستحضرات التجميل الملطخة حول محيطها العلويِّ، حتى المرآة جرى تلميعها بإتقانٍ شديدٍ لدرجة أن انعكاس سكارليت فيها بدا متوهجًا.

- إذًا؟

وثبت فيفي بقلقٍ إلى جوارها وقد بات واضحًا أنها كانت تتطلع إلى تربيتة على الرأس ومكافأة. ولكنها لن تتلقى أيًا من ذلك من سكارليت.

قالت سكارليت: «لقد أغفلتِ تنظيف بقعة».

أجابتها فيفي طلبًا للتوضيح: «أين؟».

غير أن سكارليت كانت قد ركزت قوتها بالفعل للتأثير في سحر شقيقتها الخماسيّ. وبلمسة واحدة من يدها للجدار المبلط بمحاذاة حوض الاستحمام، كساه عفن أخضر دبِق على البقعة تحت يدها. لقد تتبع أثر يدها بطول الحائط وصولًا إلى الباب.

قالت لها سكارليت وهي تهم بالمغادرة: «عندما تفرغين من ذلك، تجهَّزي لحفل أخوية بيكا المختلط الليلة. ومن فضلكِ أسدي لي معروفًا ولا تأتي إلى الحفل ومظهركِ يشبه الراقصة جوجو سيوا. هناك درجة من الظرف يصل إليها بعض الأشخاص لدرجة تدفعك إلى الرغبة في قتلهم، صحيح؟ اختاري إطلالة ساحرة، اتفقنا؟».

في الواقع لقد كان واجبًا على سكارليت أن تغير مظهر فيفي لحضور الحفل، الذي كان موضوعه جيمس بوند، ما يعني بذلات أنيقة للفتية وفساتين براقة للفتيات. بعض الشقيقات الكبيرات ألبَسْنَ شقيقاتهن الصغيرات وكأنهن دمى باربي الخاصة بهن، ولقد علمت سكارليت أن المسؤولية تقع على عاتقها للتأكد من أن فيفي سوف تحضر إلى الحفل ومظهرها يختلف كثيرًا عن، أو في الواقع، يشبه مظهرها المعتاد. ولكن بصراحة، كل ما رغبت في فعله هو أن تجعل فيفي تتلاشى. لقد علم صوتٌ تردد داخل رأسها (صوت ميني) أنها لم تكن محقة في ما تفعله. لقد علم هذا الصوت أن هذه لم تكن الطريقة التي عوملت بها سكارليت نفسها عندما كانت مستجدة. لقد علم أن هذه التصرفات لا تصدر عن قائدة حقيقية.

عندما كانت سكارليت طالبة في السنة الأولى، اصطحبتها داليا إلى غرفتها في الطابق العلويّ لتحضّرها لحفلها المختلط الأول. لقد رفعت داليا يدها ثم أخفضتها في الحال: «لا تقولي لأحدٍ إنني قلت هذا، ولكنني لا أرغب في تغيير أي شيء فيكِ. آل وينتر مثاليات كما يشيع عنهن (وبعدها بوهلة أضافت) سوف نعرف بمرور الوقت ما إذا كانت قوتكِ تضاهي جمالكِ».

آه لو عرفت حقيقتها. تركت سكارليت فيفي في الحمام وذهبت إلى غرفة نومها ثم انتقلت إلى المذبح الصغير الذي نصبته تحت حوض الأزهار عند شباكها. أيًّا كان ما قالته تيفاني، لقد كان هناك سبب أقوى لعودة غوين. لا بد أنها حاولت العودة إلى الكابا هاوس لسببٍ وجيهٍ. ولم يسع سكارليت التوقف عن التفكير في الأصوات المروعة التي صدرت عن غوين في أثناء اختناقها. *ما الذي كانت تحاول أن تقوله؟ ما الذي كانت تحاول أن... تخبرنا به؟*

انتزعت وعاء الاستدلال الرخامي فاحم السواد من المذبح. وإلى جواره، احتفظت بإبريق به مياه كانت قد جمعتها من جدول المياه الذي كان يجري خلف المنزل ويشحن تحت ضوء القمر المكتمل. ملأت الإبريق وجلست القرفصاء أمام مذبحها، وقد أغمضت عينيها، وأخذت تتنفس عبر أنفها، وتُخرج الهواء من فمها، وهي تتخيل ضوءًا ذهبيًا يطهر المكان. وبعدما أخذت المزيد من الأنفاس العميقة، فتحت عينيها وحدقت إلى الوعاء الذي حملته بين يديها. لقد أخذ الوعاء يسخن ببطء بلمسة منها، وأخذ سطح المياه يترقرق تحت أنفاسها.

همست إلى السحر الساري في عروقها، وإلى صوت الطقطقة المنتشر في الأجواء: «أهيب بملكة السيوف والنجم السحيق أن يكشفا عن هاجس عدوي من بعيد».

ولوهلة، لم يحدث شيء.

وبعدها، حين فجأة، انطفأت جميع الأضواء في الغرفة. وتسلل ضوء خافت عبر النوافذ كان كافيًا لأن ترى سكارليت، رغم رداءة الإضاءة، كل ما يحدث حولها.

زحف شيءٌ ما على يديها حيث تشبثتا بالوعاء. وبصرخة منها، أسقطت الوعاء وانسكب منه سائل زلق ملطخًا سجادتها. لقد بدا هذا السائل داكنًا

وداميًا مثل الأحشاء. وهي تنظر إليه، أخذ يتمدد ويتسلل على الجدران مبقعًا إياها، وعلى يديها وذراعيها. ومعه انتابها شعور رهيب وبارد. لقد أطبق على معصميها وتسلل عميقًا إلى عروقها. لقد ميَّزت سكارليت هذا الشعور، لقد اختبرته من قبل، غير أنه لم يكن بهذه الوحشية. لقد كانت جذوره أعمق من الغضب، أعمق من الكراهية. لقد كان شعورًا *بالقرف* بكل بساطة.

تساءلت فيفي وقد ظهر في نبرة صوتها مزيج من الدهشة والخوف: «ما هذا؟».

شهقت سكارليت ودحرت السحر، واضعةً حدًّا لسيطرته. لقد تبددت هذه الصور الخادعة، وومضت الأضواء فوقها في الحال. لقد تلاشى ذلك الشعور بالبرودة وارتعدت سكارليت حين زواله. وتلاشت كذلك البقع على سجادتها وعلى يديها مُخلفةً وراءها مياه صافية تبلل أرضيتها. وها هي ذي فيفي تقف عند الباب ومن الواضح أنها رأت كل شيء. تقدمت فيفي نحوها وقد قطَّبت جبينها في قلقٍ قائلة: «هل أنتِ بخير؟ هل تريدين مني الذهاب وطلب المساعدة؟».

قالت سكارليت بنبرة مهاجة وبصوتٍ مختنقٍ في حلقها وكأنه عواء: «أنا بخير».

سعلت وهزت رأسها كما لو أنها كانت تُصفِّي ذهنها. ما كان عليها أن تكون نافدة الصبر بهذه الدرجة. كان أولى بها أن تنتظر إلى أن تغادر فيفي المنزل قبل أن تجرب هذه التعويذة. لقد كانت هذه المرة الثانية التي ترى فيها فيفي شيئًا ما كان ينبغي لها رؤيته. وكان يمكن تفادي هذه المرة. لن ترتكب هذا الخطأ مجددًا.

أدارت سكارليت ظهرها إلى فيفي قائلة لها بنبرة آمرة: «اذهبي وتحضَّري للحفل».

- سكارليت...

عندما استدارت مرة أخرى وجدت فيفي لا تزال واقفة ووجهها تعتليه نظرة قلقة. ولسببٍ ما، أثار هذا غضب سكارليت أكثر من أي شيء آخر. ربما لأن تعابير وجهها اقتربت بدرجة ضئيلة من الشعور بالشفقة.

- لقد قلتُ لكِ اذهبي.

الفصل الثالث عشر

فيفي

لقد بدا البيكا هاوس مثلما تخيلت فيفي منازل الإخوة تمامًا. لقد كان الديكور الخارجي الفاخر مبنيًّا من الطوب الأحمر مع وجود أعمدة بيضاء سميكة وأحرف لاتينية بارزة مختومة على سقيفة الشرفة الأمامية. وكانت هناك دكة مطلية بدهان رش أخضر في الحديقة، وكرة بينج بونج نصف مسحوقة على العشب، ما بدا وكأنها زوجان من السراويل الداخلية علقا بين الشجيرات التي أحاطت واجهة المنزل. لقد فاحت من الهواء المار عبر الباب الأماميّ رائحة ضعيفة من البيرة المعتقة ورائحة الفتية المعتادة، وصدحت الموسيقى عبر النوافذ.

أخذت فيفي نفسًا عميقًا واستعدت للدخول. حتى الآن -وبصورةٍ رسمية- كانت قد حضرت حفلًا واحدًا، غير أن هذا كان الحفل الفعلي الأول الذي تحضره في وجود شباب الجامعة. لقد شارك في هذا الحفل المختلط أربع من أبرز الأخويات: ساي دلتا لامبدا وكابا رو نو وثيتا أوميجا شي، وأخوية بيكا التي علمت فيفي أن مايسون ينتمي إليها. مجرد التفكير في أنها سوف تراه ثانيةً جعل معدتها تتقلص لشعورها بمزيجٍ من الإثارة والخزي الذي لا يزول. هل أمكنه أن يلاحظ أنها كانت تبذل قصارى جهودها المثيرة للشفقة للتودد إليه؟ ألهذا السبب تصرف بغرابة شديدة وهمَّ بالمغادرة بمجرد وصول سكارليت؟ لوهلة بدت فكرة اجتياز عتبة البيكا هاوس أشق من ممارسة

السحر للمرة الأولى، إذا كانت لم تستطع أن تدير محادثة مع فتى واحدٍ دون أن تتسبب لنفسها بالإحراج، فما بالك بمنزلٍ كاملٍ من الفتية؟

رغم أن تلك كانت المرة الأولى التي تحضر فيها حفلًا مختلطًا، فإنها كانت المرة الأولى كذلك التي تدخل فيها إلى مكانٍ في صحبة وحماية كل عضوات الكابا. في اللحظة التي خطت فيها للداخل بصحبة شقيقاتها الجديدات، فهمت كيف يكون شعور امتلاك قوة حقيقية. سرى صمتٌ مطبقٌ في الحفل بأكمله وتوجهت نحوهن جميع الأعين في القاعة. غير أنها لم تكن النظرات الغاضبة المرتابة التي اعتادت فيفي أن تتلقاها لكونها الفتاة الجديدة باستمرار. لقد نظر إليهن الناس برغبة، وكأنهم مستعدون للتضحية بأي شيء في سبيل أن يكونوا مكانهن.

كانت سكارليت قد اختفت تمامًا في أثناء التحضيرات للحفل، لذا قبل أن تغادر مِي الكابا هاوس، سحبت فيفي إلى غرفتها وفحصتها بعينٍ ناقدةٍ. سألتها فيفي بتوتر وهي تتطلع للأسفل إلى الزي الذي اختارته بعد أن تشاورت مع أريانا: «هل ثمة أملٌ فيَّ؟ افعلي سحركِ.. امنحيني ما أحتاجه أيًّا كان».

ابتسمت مِي قائلة: «ليس بهذا السوء، صدقيني».

سددت إليها فيفي نظرة متشككة وقالت: «بالطبع، ما دمتُ أتجنب الوقوف إلى جواركِ في أي وقتٍ خلال هذه الليلة».

أغمضت مِي عينيها ليتلاشى مكياجها وتصفيفة شعرها المتقنة، تاركين إياها جميلةً، ولكن وجهها طبيعي وغير مبهر. قالت: «هذه هي الهيئة التي وُلدتُ بها (ثم مدَّت يدها لتملس ذراع فيفي) وهذه هي الهيئة التي *وُلدتِ* بها. تقبّليها. تباهي بها. غيّريها وقتما تشائين وكيفما تشائين. إنها أداتكِ ولكنكِ لا تُعرِّفين بها، بل أنتِ من تُعرِّفينها، يمكنكِ الاختيار. هذا ما يعنيه أن تكوني من الغربان».

وفي النهاية، أضفت عليها مِي «ورنشة» سريعة كما أسمتها، مستخدمةً تعاويذ جمال بسيطة لإطالة رموش فيفي وإضفاء لمعانٍ إضافيٍّ على شعرها وتعديل بنطالها الجينز بحيث يلتصق أكثر بردفيها وساقيها. لم يكن ذلك شيئًا قد تعجز فيفي عن تحقيقه بنفسها من خلال الزيارات باهظة الثمن إلى

صالون تجميل وإلى خياط، غير أنها لم تملك قط المال أو الرغبة في فعل أي شيء من هذا القبيل. ناهيك بوجود من يرافقها. غير أن هذه التغييرات البسيطة كانت كافيةً لجعل فيفي تشعر وكأنها شخصٌ مختلفٌ كليًا. بدلًا من أن تمشي بتثاقل وعيناها مطرقتان إلى الأرض، محاولةً ألا تلفت الانتباه إليها. دخلت فيفي إلى الحفل مرفوعة الرأس.

اثنتان من المستجدات من أخوية ثيتا اللتان تعرفت فيفي عليهما في صف الأحياء، ابتسمتا ولوّحتا إليها وعيونهما مفعمة بالأمل. عندما ابتسمت فيفي ورفعت يدها تحيةً لهما، ضحكتا وهمستا لبعضهما بعضًا وكأن أحد المشاهير قد حيّاهما للتو. وإلى جانبها وقفت ريجان وأخذت تتظاهر بتجاهل أشقاء بيكا الذين رمقوها بنظراتٍ ولهانة حيث جلسوا على الأريكة وهي تستعرض خصلاتها الحمراء الطويلة المتموجة برميها فوق كتفيها.

أخذت عينا بايلي تلمعان خلف نظارتها، وحتى سونالي التي تبدو متحفظة عادةً بدت مسترخية بينما كانت الفتيات يعبرن الباب الأماميّ. همست إلى فيفي وقد أخذ خصرها يتمايل بالتزامن مع أنغام الموسيقى قائلة: «يمكنني الاعتياد على هذا».

قالت فيفي وهي تتفادى ظهور نبرة تردد في صوتها: «وأنا أيضًا».

- إذا أُقصيتُ من الكابا، أتمنى أن أظل متذكرة مدى الروعة التي شعرتُ بها في هذا الأسبوع الوحيد.

قالت لها ريجان بابتسامة يشوبها الاستياء: «كفاكِ، لن يجري إقصاؤكِ».

- لا أعرف. يبدو أن سكارليت تطوعت وحدها بمهمة حملي على التراجع عن الانضمام.

قالت أريانا وهي ترتجف قليلًا: «لا شيء شخصي في الأمر. إنه أسبوع الجحيم فحسب. لقد جعلتني تيفاني أتوهم رؤية دماء».

قالت بايلي بفضول: «ترى كيف فعلت ذلك؟».

لقد عبث الكشف عن أن السحر حقيقيٌّ، بعقلها الميّال للعلوم، وبدا أنها تتعامل مع مسألة أنشطة التعارف بأكملها وكأنها تجربة علمية كبيرة.

سألت فيفي ريجان: «كيف تسير الأمور معكِ؟».

من ضمن زميلاتها المستجدات الأربعة، كانت ريجان الأصعب فيما يتعلق بفهم دوافعها للانضمام إلى الجماعة. إذ إنها كانت من عائلة مرموقة من سحرة الجنوب الذين لم يرتادوا جامعة ويسترلي ولكن تمتعوا بسلطة عظيمة.

ردت بلا مبالاة وهي تجول بنظرها في أنحاء الغرفة: «بخير (وقد بات واضحًا أنها مهتمة بفتية الأخويات أكثر من اهتمامها بالحديث عن فترة تدريبها) لقد كنتُ أجري هذا النوع من التعاويذ منذ أن تمكنت من المشي».

- يا لكِ من محظوظة. لقد سلَّطت سكارليت عفن حمامها عليَّ.

ترددت فيفي بعد تفوهها بهذا، إذ إنها تذكرت ما حدث في غرفة سكارليت. لم تستطع أن تصرف عن ذهنها صورة سكارليت والذعر بادٍ على وجهها وهذه البقعة الغريبة آخذة في الانتشار على ذراعها. مجرد التفكير في ذلك جعلها تشعر بوخزٍ في مؤخرة عنقها، مثلما حدث عندما تركتها دافني وحدها في ذلك المنزل الفسيح على الطراز الفيكتوري الذي كانتا قد استأجرتاه ذات مرة في مدينة باتون روج، وسمعت فيفي أصواتًا غريبة تصدر من سندرة التخزين خاصته.

- لقد شاهدتُ شيئًا... غريبًا بعض الشيء. لقد كانت سكارليت تجري هذه التعويذة، وأعتقد أنها ارتدَّت عليها أو ما شابه ذلك. لقد بدا وكأن الدماء تزحف على ذراعيها.

اتسعت عينا سونالي: «هل أنتِ متأكدة؟ هذا يبدو وكأنه سحر أسود».

سحرٌ أسود. لقد وصفت الكلمتان بدقة ما شعرت به فيفي في غرفة سكارليت، هذا المزيج من الشعور بالخطر والقوة، وكأن الهواء كان محملًا بآلاف الأفاعي الخفية التي تتحين فرصة للهجوم.

قالت فيفي متسائلة: «لا أعرف، هل يمكن أن تمارس سكارليت السحر الأسود حقًا؟».

صحيح أن شقيقتها الكبرى كانت لديها نزعة للتصرف بلؤم، غير أن كونها فتاة متنمرة تبذل جهدًا في العناية بشعرها أكبر مما تبذله في تدريب شقيقتها الصغرى، لا يعني بالضرورة أنها شريرة.

قال صوتٌ يتصنع البهجة: «فقط إذا حصلت بسببه على خصمٍ لدى مصممة الأزياء ليلي بوليتزر».

سحقًا، إنها سكارليت.

كالعادة، بدت مثالية تمامًا. لقد توهجت بشرتها السمراء الذهبية، وانسدل شعرها المتموج حول وجهها، وعانق فستانها الورديُّ المصنوع من الدانتيل خصرها تمامًا. لقد حملت في يدها كأسًا فعليًا لشراب الكوكتيل، خلافًا للأكواب البلاستيكية الحمراء التي كان يشرب منها الجميع.

قالت فيفي وهي تتراجع عن رأيها في الحال: «لا، أنتِ محقة، أنا آسفة. لم أكن متأكدة فحسب مما رأيته».

- ممم (مالت سكارليت برأسها جانبًا) حسنٌ. من الأفضل أن نحتفظ بنقاشاتنا عن أمور الأخوية *داخل* مقر الأخوية، إلا في حالة أن ألقيتِ تعويذة إلهاء أولًا، وهو بالطبع، ما لا تعرفين كيفية فعله حتى الآن.

بدأت فيفي تشعر بحرقة في وجنتيها: «أجل، صحيح. لقد فهمت. لن يتكرر الأمر مجددًا».

- جميل.

انصرفت بعدها عن المستجدات دون وداع وانضمت إلى داليا وتيفاني اللتين كانتا تتحدثان إلى بعض الرفاق الذين كانوا ينظرون إليهما بعين الإعجاب، ومن ضمنهم مايسون.

- أخ (أشاحت فيفي بنظرها قبل أن يتسنى لعيونهما أن تتلاقى. زفرت بانزعاج وهي تنعطف رجوعًا إلى الأخريات) لا أصدق أنني فعلت ذلك.

قالت أريانا مطمئِنةً إياها: «لم يكن الأمر بذلك السوء».

ضحكت ريجان قائلة: «معذرة، ولكنها اتهمت شقيقتها الكبرى للتو بممارسة السحر الأسود. الأمر بهذا السوء».

وارت فيفي وجهها بين كفيها.

قالت بايلي وهي تتأبط ذراعَي فيفي: «لا عليكِ، أنتِ بحاجة إلى شراب. إلى جانب أنني بحاجة إلى التحدث مع شبيه المغني دريك الواقف إلى جوار طاولة البينج بونج».

سمحت فيفي لبايلي أن توجهها ناحية منطقة المشروبات الكحولية. لقد توقعت أن تجد طاولة قمار خشبية محطمة عليها زجاجات فودكا من النوع الرخيص، غير أن البيكا امتلكوا طاولة بار فعلية مصنوعة من خشب البلوط اللامع التفَّت حول زاوية الغرفة. لقد كانت مجهزة بالكامل بصنابير الشراب والعشرات من زجاجات الخمور المُسكِرة قوية المفعول فضلًا عن مشروبات روحية ملونة لم تسمع بها فيفي من قبل. لقد كان المؤشر الوحيد على كونهن في حفلٍ للإخوة ولسن في حانة في وسط مدينة سافانا هو الأكواب البلاستيكية الحمراء. لقد تولى ثلاثة من المستجدين تقديم المشروبات في البار، ولاحظت فيفي أنهم صبوا المشروبات بسخاءٍ لهازيل وإيتا أكثر مما فعلوا مع فتاتين جميلتين من أخوية ثيتا.

اتكأ فتى بُني البشرة بعينين عسليتين على الطاولة وابتسم إلى فيفي قائلًا: «ماذا يمكنني أن أقدم لكِ؟».

لم يكن لدى فيفي أدنى فكرة، إذ إنها في الواقع لم يسبق لها أن طلبت مشروبًا.

قالت ريجان بابتسامة خبيثة: «خمسة أكواب من التيكيلا».

زمجرت أريانا قائلة: «لا يا ريجان».

- لا بد أن نفعل ذلك. إنه حفلنا المختلط الأول. إنه بمنزلة طقس عبور من الطفولة إلى الشباب.

قالت سونالي: «أهكذا نحتفل؟ بالسكر والتقيؤ؟».

قالت فيفي بتجهم: «الجيد في الأمر هو أنني أتقنت فن تنظيف الحمامات بالفعل».

- سوف نأخذ خمسة أكواب من نبيذ النعناع.

قالت أريانا ذلك متجاهلةً ريجان التي قلَّبت عينيها في ضجر ومنحت كل فتاة كوبًا بلاستيكيًّا أحمر بينما كان ساقي البار يمزج المشروبات. عندما تسلّمت فيفي كوبها أخذت رشفة بسيطة ثم امتعض وجهها.

- حسنٌ، آسفة ولكن مذاق هذا المشروب يشبه مخفف الطلاء.

قالت أريانا: «انتظري لحظة».

ثم رافقتهن إلى أحد الأركان حيث تراصت مجموعة من المجاديف على الجدار -نُقِش على كلٍ منها تاريخ سنةٍ ما- يعود إلى بدايات القرن العشرين.

- لا يمكن الوثوق في الفتية فيما يتعلق بإعداد نكهات أصلية. سوف أجرب شيئًا علمتني إيتا إياه.

وضعت إحدى يديها على كوب فيفي وهمست قائلة: «*أهيب بملكة الصولجان وبطاقة الكؤوس أن تدلل على سلطانها بإتقان هذا المشروب*».

قالت بايلي: «مستحيل أن تكون هذه تعويذة حقيقية».

رفعت أريانا حاجبها عندما بدأ الكوب يرتعش قليلًا ثم أومأت برأسها إلى فيفي قائلة: «جربيه».

حضَّرت فيفي نفسها لابتلاع جرعة حارقة أخرى، ولكن هذه المرة كان مذاق المزيج ذو الرغوة منعشًا وحلوًا.

قالت هذا وقد شعرت بعينيها تتسعان وهي تنظر من خلف كوبها إلى أريانا التي كانت تبتسم بتفاخر: «واو».

قالت أريانا باستخفاف: «احذري فحسب، إذ إنني متأكدة أن هذا الشراب لا يزال يحتوي على نفس المادة الكحولية الموجودة في مخفف الطلاء».

قالت ريجان وهي تحمل كوبها: «الدور عليَّ».

ثم أخذت أريانا تضفي سحرها على أكواب الجميع.

سألت بايلي سونالي: «هل جميع التعاويذ مُقفّاة؟».

رفعت سونالي كتفيها علامةً على جهلها وأخذت رشفة كبيرة من شرابها.

وبامتلاك المستجدات مشروبات جديدة ومحسنة في متناول أياديهن، أخذن يتجولن في الحفل متنقلاتٍ بين مجموعاتٍ أخرى من الغربان. لقد كان من السهل العثور عليهن، إذ إنهن دائمًا ما أُحِطنَ بزمرةٍ من المعجبين أو بمن أخذوا يرمقونهن بنظرات إعجاب من بعيد. انتهى بهن المطاف منزوياتٍ في أحد أركان الحفل إلى جانب جيس وشقيقتها جولييت.

جذبت جيس جولييت من يدها قائلة: «تعالي وارقصي معي».

قالت جولييت وهي تتلفت حولها بحذر: «ينبغي أن تبقى إحدانا لمراقبة الأوضاع هنا».

- اهدئي، لسن بحاجة إلى حارس شخصيٍّ الليلة. ولكنني بحاجة إلى من يراقصني قبل أن أضطر إلى الذهاب وإهدار أمسيتي مع أحد فتية بيكا المتحرشين.

تبعت جولييت جيس على مضض إلى منتصف الغرفة، رغم أنها بمجرد أن أحاطتها جيس بذراعيها وأخذتا في التمايل، تلاشى تيبُّس ذراعيها. لم يمر وقت طويل قبل أن يتفرق الحشد ويُعاد تشكيله حولهن، لينشئوا ساحة رقص مؤقتة أخذت ثنائيات أخرى تنضم إليها. رغم التحسينات التي أضفتها عليها تعويذة التجمل الخاصة بِمي، لم تتخيل فيفي أنها سوف تحظى بما يكفي من الثقة لكي تكون أول من يرقص في الحفل. استحالت تعابير وجه جولييت الجدية إلى ابتسامة وهي تتمايل في انسجامٍ مثاليٍّ مع جيس، واستحال شعور فيفي بالإعجاب إلى شعورٍ بالحسد إذ إنها شعرت بشوقٍ جارفٍ لم تشعر بمثله من قبل. ترى ما هو شعور أن تحظى بشخصٍ ينظر إليها وكأنها الإنسانة الوحيدة في العالم؟ أشاحت بوجهها بعيدًا غير راغبة في التطفل على ما أخذ يتحول إلى لحظةٍ خاصةٍ، لتجد نفسها فجأةً في مواجهة مايسون.

لقد كان يتحدث إلى شابين اتضح أنهما شقيقان له في الأخوية، أحدهما فتى وسيم يبدو واثقًا بنفسه وله بشرة بُنية داكنة، وثانيهما فتى أبيض طويل له ذلك الشعر الرمادي الذي يميز السباحين الماهرين. وعوضًا عن البدلات الأنيقة التي ارتداها بقية الفتية الآخرين، ارتدى مايسون بنطالًا من الجينز وقميصًا أبيض مزررًا حتى الأسفل يلائمه تمامًا، ومفتوحًا عند الرقبة كاشفًا عن لمحة من سمرة صدره الصيفية. نظر مايسون ناحيتها وكأنه أحس بنظراتها تتركز عليه. التقت عيناه بعينيها وابتسم، ليسري في جسدها تيار أشبه بالكهرباء من فرط الابتهاج، لا يختلف عن الشعور الذي خالجها عندما كانت تمارس السحر.

قبل أن يتسنى لها أن تقرر ما إذا كانت سوف تبتسم أو تلوح له أو تتظاهر بأنها لم ترَه، ظهرت سكارليت فجأةً إلى جانبه. أدارت فيفي ظهرها للوراء وقلبها يخفق بقوة وتجرعت رشفات قليلة من شرابها ثم جفلت. صحيح أن

أريانا حسَّنت مذاق شرابها، غير أن المادة الكحولية فيه كانت قوية بما يكفي لترك شعورٍ حارقٍ في جوفها. وبينما هي واقفة مع المستجدات الأخريات تستمتع بنصف اهتمام إلى ريجان وهي تقص حكاية عن ساحرة عرفتها وصلت إلى الدور النهائيِّ في برنامج «الأعزب - The Bachelor»، أخذت الغرفة المكتظة تبدو ضبابية عند أطرافها، ليستقر داخل صدرها شعور مريح بالدفء. وفجأةً بدت ساحة الرقص أقل رهبة كثيرًا، بل بدت جذابة.

تلفّتت فيفي حولها إلى أن وقعت عيناها على الساقي اللطيف. انتظرت لحظة لترى ما إذا كان سيتطلع إليها، غير أن تركيزه كان منصبًا على مزج المشروبات، وحتى وفيفي في حالة من الثمالة، لم تمتلك الشجاعة الكافية لقطع الغرفة وإجراء محادثة مع شخصٍ غريبٍ. ثم تذكرت تعويذة كانت قد صادفتها في كتاب التعاويذ تتعلق بلفت انتباه شخص منخرط في شيءٍ ما. لقد كانت واحدة من التعاويذ الكثيرة المكتوبة بلغة غير الإنجليزية، غير أن فرنسية فيفي بالكاد كانت كافية لفهم معناها.

همست فيفي بصوتٍ خافتٍ قائلة: «أهيب بملكة السيوف أن تدلل على قوتها بتلبية رغبتي».

«J'en appelle à la Reine d'Épées et invoque la Force. Que ma volonté soit exaucée».

شعرت بالضغط يتزايد بداخلها بينما أخذ الشعور بالدفء داخل صدرها ينتشر في جميع أنحاء جسدها، ضاغطًا على جلدها وكأنما يحاول الهرب. وبعدها بلحظة تطلَّع الفتى للأعلى والتقت عيناه بعينيها وسط الحشد. أدارت فيفي رأسها نحو ساحة الرقص ورفعت حاجبها وقد ارتسم على وجهها تعبيرٌ متسائلٌ، وهي إيماءة لم تعرف قبلًا أنها قادرة على فعلها، ثم شعرت بالحماسة عندما ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وأومأ برأسه بالموافقة. تقابلا في منتصف القاعة، ودون أن ينبس ببنت شفة لفَّ ذراعيه حول خصرها وجذبها إليه. كان ذلك أكثر اتصالٍ جسديٍّ مع فتى حظيت به منذ أن كانت في المرحلة الإعدادية عندما حظيت بحبيبٍ لمدة لا تزيد على أسبوع، وخلال هذه الفترة تحدثا معًا ثلاث مرات وقبّلا بعضهما بعضًا مرة واحدة.

ورغم أن الشعور الناجم عن لمسات الفتى لم يكن مألوفًا، فإنه لم يكن غير مستحبٍ بالطبع.

اقشعر جلدها جراء ثقل يديه وهو يقودها من جانبٍ إلى آخر على إيقاع الموسيقى. ولكن رغم أنه كان بلا شك الفتى الأوسم ضمن الفتية الذين أبدوا أي اهتمامٍ بها، فإنها لم يسعها ألا تتخيل شخصًا آخر مكانه. شخصٌ ليس بإمكانها قطعًا أن ترغب فيه. شخصٌ رغبت فيه على أي حال.

بعد مرور ساعة، جذبت أريانا يد فيفي وسحبتها خارج ساحة الرقص، حيث كانت ترقص مع فتى ثانٍ، اقترب منها دون تأثير أي تعويذة. تناقص عدد الحضور في الحفل قليلاً غير أن الثنائيات ومجموعات الأصدقاء على ساحة الرقص كانوا لا يزالون يحتفلون بقوة، وقد أخذوا يرددون كلمات أغنية للمغنية ليزو تصدح من مكبرات الصوت.

سألتها فيفي بأنفاس متقطعة قليلًا: «ما الأمر؟».

كانت قد تعرَّقت من فرط الرقص، ورغم أنها لم تتناول أي مشروب آخر، فإن الدنيا كانت تدور من حولها قليلًا عند زاويتَي عينيها.

قالت أريانا وهي تقهقه: «يود نيكو أن يرينا غرفة البلياردو».

ثم قادتها نحو درج في الجزء الخلفيِّ من المنزل، حيث وقفت كلٌّ من ريجان وبايلي وسونالي.

سألتها فيفي: «من هو نيكو؟».

- إنه الفتى الذي كنت أرقص معه، ألم تريه؟ لم يعد له مثيلًا حيث نشأت. حقًا إن شباب سافانا قادرون على أن يبدوا رائعين في البدلات الأنيقة. والآن تعالي (جذبت أريانا فيفي من ذراعها قائلة) هو وأصدقاؤه ينتظروننا في الطابق السفليِّ.

كانت فيفي ثملة غير أنها لم تكن ثملة لدرجة أن تعجز عن سماع دوي ناقوس الخطر في رأسها: «لا أعتقد أننا ينبغي لنا الذهاب، لقد أمرتنا سكارليت ألا نغادر الحفل الرئيسيَّ تحت أي ظرف».

قالت ريجان وهي تشعر بمزيجٍ من المتعة والانزعاج: «بحقكِ. لا تعامليهم وكأنهم غرباء، إنهم أشقاؤنا في الأخوية المجاورة».

نقَّلت سونالي نظراتها بقلقٍ بين فيفي والأخريات وقالت: «إنها لا تقصد أن الأمر خطير بالضرورة، بل أننا لا ينبغي لنا مخالفة سكارليت».

قالت فيفي وهي ترتعد: «صدقيني، لن ترغبي في إثارة غضبها».

قالت بايلي: «حقًا؟ لقد رأيتُ داليا وتيفاني ومِي يصعدن إلى الطابق العلويِّ منذ نصف ساعة. إنهن لا يلتزمن حتى بقواعدهن الخاصة».

سألهن فتى جذاب ذو شعر أشقر فوضويٍّ: «هل ستأتين يا فتيات؟».

ثم مر سريعًا بالقرب منهن واختفى أسفل الدرج.

قالت أريانا بحزمٍ: «نعم».

وهي تشد يد سونالي وتدفعها ناحية الدرج خلف ريجان التي بدأت في النزول بالفعل.

همست فيفي لبايلي قائلة: «ما رأيكِ؟».

أجابتها بتردد: «لا أعرف. لا يعجبني السماح لسكارليت بأن تُملي عليَّ أفعالي، فضلًا عن أن لعب البلياردو لبضع دقائق لا يبدو أمرًا خطيرًا. ولكن من ناحية أخرى، لم يسبق لي أن أغضبتُ إحدى الساحرات من قبل».

أفضى الدرج إلى غرفة بلا نوافذ يكسو أرضيتها بلاط قديم قذر، حيث أخذت مجموعة من فتية بيكا يلعبون بونج البيرة. صُدمت فيفي عندما أدركت أن مايسون واحد منهم. التقت عيناه بعينيها لوهلة وابتسم بتكلف ثم أعاد تركيزه إلى اللعبة.

اكفهر وجه فيفي، إذ إن شيئًا ما بخصوص تعبير وجهه بدا غير معتاد. هذه الابتسامة المتكلفة لا تليق بالفتى اللطيف المرِح الذي حمل حقيبتيها وساعدها في إعداد فطائر الوافل. لقد بدت عيناه أقسى، أما ضحكته التي سمعتها من نهاية الغرفة فقد كانت عنيفة بعض الشيء. بعدها انفتح فمه عن آخره والتوى بصورة غريبة غير طبيعية، وكأن فكه انخلع من مكانه. شاهدته فيفي وهي في حالة من الفزع إذ أخذ جلده يسيل وكأنه شمع ذائب، مثلما حدث مع وجوه الفتية الآخرين.

تمتمت بايلي قائلة: «ما هذا بحق الجحيم؟».

وتلاشت كلماتها وسط صراخ أريانا.

استمرت وجوه الفتية وجلودهم في الذوبان والتشكل من جديد، وبعدها بلحظاتٍ قليلة، وقفت تيفاني وسكارليت وداليا ومِي مكانهن. نظرت داليا إليهن بعبوس وقد شبَّكت ذراعيها، بينما اعتلى وجه مِي ابتسامة ماكرة وقد تظاهرت بأنها تتفحص أظفارها. لا بد أن الأمر بأكمله كان نتاجًا لإحدى تعاويذ مِي، حسبما تبيّن لفيفي، غير أنها لم تدرك أن السحر الخماسيَّ كان قادرًا على تغيير هيئة فتيات الغربان الأنيقات إلى فتيان الأخوية.

قالت سكارليت: «لقد أدركتن على الأرجح أن هذا كان اختبارًا. وأنكن فشلتن فيه».

تذمرت سونالي بصوتٍ خافتٍ قائلة: «ألم أخبركن؟».

أردفت سكارليت قائلة: «أنتن أقوى مما يتخيل بعضكن. وهذه القوى توجِب مسؤولية عظمى لحماية أنفسكن وشقيقاتكن. إذا أمرتكن بالبقاء معًا أو بالبقاء وسط المجموعة، تُطعن الأوامر. لا يهم من يحاول إقناعكن، مجموعة من فتيان الأخوية الوسيمين أو روح شيطانية قديمة استدعَيتُنَّها بمحض الصدفة من خلال إلقاء تعويذة غير متقنة».

سألتها بايلي: «مهلًا، هل الشياطين حقيقية أيضًا؟».

أجابتها تيفاني بابتسامة شريرة: «لقد تسببتن لأنفسكن جميعًا بالحصول على عملٍ في المقبرة».

سألتها أريانا وهي لا تزال ترتعش جراء مشهد التحول المرعب: «ما الذي يعنيه هذا؟».

تبادلت الفتيات الأربعة الأكبر سنًّا نظراتٍ ذات مغزى ثم قالت مِي بصوتٍ رخيمٍ: «سوف ترين بأنفسكن».

أدارت سكارليت أصابعها تجاه المستجدات ثم اتجهت للأعلى برفقة الفتيات الأكبر سنًا وصاحت قائلة: «أتمنى فحسب أن تكُنَّ لا تخشين الظلام أو الأموات».



الفصل الرابع عشر

سكارليت

في الصباح الذي تلا الحفل المختلط، تمددت سكارليت على العشب الأخضر وقد أسندت رأسها على صدر مايسون. تحرك الطلبة حولهما مندفعين إلى صفوفهم أو ذاهبين لملاقاة أصدقائهم. أخذت مجموعة من الفتية يلقون قرصًا دوارًا جيئةً وذهابًا. بينما أخذت مجموعة من السيدات يعلقن لافتة بمناسبة افتتاح أحد معارض الطلاب. أما سكارليت فقد وجدت السلوى في تلك الأجواء المشرقة المعتادة. لقد كان استلقاؤها هنا ودقات قلب مايسون المنتظمة المهدئة تنبض في أذنها ما احتاجته في ذلك الوقت.

لقد نامت بالكاد في الليلة الماضية، إذ إنها لم تكن قادرة على التوقف عن التفكير في التعويذة التي انفجرت في غرفتها قبل الحفل المختلط. لم يسبق لها قط أن رأت السحر يتفاعل بهذه الطريقة. لقد رافقت السحر طاقة، أشبه بالاهتياج. قد ينفذكِ غير أنكِ لا تشعرين أنه يفترِسك من الداخل إلى الخارج. عندما انفجرت التعويذة شعرت كما لو أن قوة غاضبة وهمجية تحاول اختراق جسدها. لقد قضت الليلة بأكملها منشغلة بالتفكير في ما تعنيه التعويذة، ولكن هنا، تحت ضوء النهار والشمس المشرقة، وقد شبَّكت أصابعها في أصابع مايسون، وجدت صعوبة في تصديق أن شيئًا مشؤومًا كان يجري داخل جامعة ويسترلي. فضلًا عن أن ليلة الأمس لم تكن سيئة تمامًا. إذ إنها تسنى لها الاستمتاع بإخافة المستجدات عندما تحولت هي والأخريات من خلال إحدى تعاويذ التجمل إلى فتية أخوية بيكا.

لقد كانت نظرة الرعب على وجه فيفي كافية لجعلها تبتسم حتى في هذه اللحظة.

سألها مايسون وصدره يهدر تحت رأسها: «ما المضحك لهذه الدرجة؟».

- لقد كنت أفكر في حفل الأمس. لقد كان ماتعًا، أليس كذلك؟

قال: «أظن ذلك».

وشعرت به سكارليت يرفع كتفيه بلا مبالاة.

- ألم يكن مسليًا بما فيه الكفاية بالنسبة إليك يا سيد جريجوري؟

- أعني، إنه مجرد حفل مختلط يتكرر فيه نفس الهراء كل مرة. لقد قضى جوثام نصف الليلة محاولًا كسب ود مولي من جديد، ثم قضى النصف الثاني يتبادل القُبل مع واحدة من أعز صديقاتها. أما بنجامين فقد تقيأ في حمام السباحة بعدما غادر الجميع. وفيما يخص الفتية المستجدين، فأقسم إنهم نسخ طبق الأصل من الفتية في دفعتنا. نفس الإخوة، وألوان مختلفة من قمصان البولو. الأمر ممل.

تجهمت سكارليت قائلة: «يا لها من طريقة لطيفة للتحدث عن الحفل الذي نظمته أخويتك!».

لقد حرصت على جذب مايسون إلى ساحة الرقص كي يتسنى لهما قضاء بعض الوقت معًا. لقد بدا وكأنه مستمتع، ترى هل كانت مخطئة في حكمها على الأمر؟ هل كانت مخطئة في حكمها عليه؟

صحيح أنه لم يرتدِ بدلة أنيقة كما كان مفترضًا به، ولكنه أخبرها أنه نسي أن يحزمها ضمن بقية أغراضه بعد عودته من الإجازة، ولقد صدَّقته. غير أن شعورها تغير الآن. ربما *اختار* ألا يرتديها فحسب. وأجل، ربما كان هناك الكثير من فتية البيكا الذين طلبوا مشروباتهم الموضوعة في أكوابٍ بلاستيكية «مهزوزة وليست مُقلَّبة» (على غرار جيمس بوند)، ولكن هذا مجرد جزء من حياة الأخويات، أن تضحك على النكات الغبية المتوقعة مع أصدقائك. ولكن مع عودة غوين، تمنّت سكارليت لو أن أسوأ مشكلة تواجهها الكابا هي أنهن يشعرن بالملل.

قال مايسون: «صدقًا، لا أظن أنها سوف تصبح أخويتي بعد الآن».

قطَّبت سكارليت جبينها قائلة: «ماذا تقصد؟».

- متى كانت آخر مرة قرأتِ فيها كتابًا بغرض المتعة؟

توترت سكارليت، إذ إنها شعرت أنها تخضع لاختبارٍ. ويفترض أنها ومايسون تجاوزا المرحلة التي تُطرح فيها أسئلة على شاكلة «هل نحن مناسبان لبعضنا بعضًا؟ ولماذا؟».

تنهد، مُشيحًا بنظره بعيدًا: «لقد ظل جوثام يسخر مني لمدة نصف ساعة كوني أطالع كتابًا ليس مدرجًا في المنهج الدراسي».

- إنه جوثام يتصرف كجوثام فحسب.

قال لها مصححًا: «بل هي أخوية بيكا تتصرف كأخوية بيكا».

- لا أظن أنك عادل في حكمك على أشقائك.

- هذه هي المشكلة، إنهم ليسوا أشقائي حتى. بل إنهم ليسوا أصدقائي بالضرورة. لقد سألت نفسي هل كنت سأختارهم لو لم أنتمِ بالفعل إلى أخوية بيكا، وصدقًا، لست واثقًا من ذلك.

أغمضت سكارليت عينيها تفاديًا لضوء الشمس وقالت: «ما سبب هذا الكلام؟ إنك تعشق جوثام».

- وسوف يظل صديقي مع أو دون البيكا.

سألته وهي في حالة تأهب: «دون البيكا؟».

شعرت بصدره يعلو ويهبط وهو يقول متنهدًا: «أفكر في الانسحاب من البيكا».

اعتدلت سكارليت في جلستها في لمح البصر ثم استدارت لتحملق في حبيبها الممدد على العشب، الذي جلس بدوره وأخذ يمرر يده عبر الخصلات السوداء المجعدة الفوضوية: «ماذا؟».

- أين المشكلة؟ الأمر ليس بهذه الأهمية.

- ولكن يا مايسون، ماذا عن أشقائك؟ ماذا عن والدك؟ لقد انضم كل رجال عائلة جريجوي إلى أخوية بيكا على مدى الأجيال الثلاثة الماضية.

ضحك مايسون ومدَّ يده ليحتضن يدها قائلًا: «سكار، أنا معجب بإخلاصكِ، ولكنكِ تأخذين كل أمور الأخويات هذه على محمل الجد أكثر مني. أعلم أن الكابا مميزة جدًا بالنسبة إليكِ وأنا أحترم هذا. ولكن... «الأشقاء» و«أمور التعهد» (هز كتفه بلا مبالاة ثم أردف قائلًا) البيكا مجرد نادٍ اجتماعيٌّ. إنه وسيلة لطيفة للتواصل والتعرف على الناس بحسب اعتقادي. ولكنني انضممتُ إليه في المقام الأول بناءً على رغبة والدي، وفي الليلة الماضية ونحن واقفون نتحدث مع نفس الأشخاص القدامى عن نفس التفاهات، شعرتُ فحسب... بالملل. أعني، أهكذا أرغب في قضاء أمسياتي لحين تخرُّجي في الجامعة؟».

قالت سكارليت بحدة: «تعني مع أعز أصدقائك وحبيبتك؟».

عادت بذاكرتها إلى أول مرة رأته فيها، إلى حفل البيكيكي وزهرة البلوميريا. لقد كانت أخوية بيكا جزءًا من قصتهما، وها هو ذا الآن يضرب بكل ذلك عُرض الحائط.

أصبحت ملامح وجهه أكثر صرامة وقال: «سكار، إن علاقتنا لا تعتمد على انتمائي إلى إحدى الأخويات. أو على الأقل، لا ينبغي لها هذا».

- بالطبع لا تعتمد على هذا. ولكنني لا أفهم فحسب. هل حدث شيء ما؟ هل خضت شجارًا مع فتى آخر من البيكا؟

هز مايسون رأسه نافيًا: «لا، لم يحدث أي شيء من هذا القبيل».

- إذن، ما هي المشكلة؟

- أنا فقط... (تنهد مجددًا ثم أردف قائلًا) هل شعرتِ من قبل بالرغبة في تجربة شيءٍ جديدٍ؟ وأن تلقي كل هذه القواعد والخطط وراء ظهركِ، وتكتشفي كيف يمكن أن تكون الحياة إذا توقفتِ عن إخبارها كيف ينبغي لها أن تكون؟

حدقت سكارليت إلى حبيبها. من أين أتى كل هذا؟ ما سبب هذا التغيير الكبير والمفاجئ في شخصه؟ قفزت إلى ذهنها صورته هو وفيفي وهما يضحكان في الكافتيريا، تلك الأريحية التي أسند بها يده على كتفها. لم يتحدثا في الحفل المختلط ليلة أمس -حرصت سكارليت على ذلك- ولكن

كانت هناك لحظة واحدة، عابرة للغاية لدرجة أنها تساءلت ما إذا كانت قد تخيلتها، ظنت فيها أنها رأتهما يتبادلان النظرات عبر الغرفة.

فتح مايسون ذراعيه عن آخرهما قائلًا: «العالم أوسع من أخوية بيكا. إنه أوسع كذلك من الكابا، ونحن أوسع من كليهما. ليتكِ ترين هذا».

- أرى هذا بالفعل.

ولكن هل كان ينتقدها لتمسكها بشقيقاتها؟ وإذا لم ينتقدها الآن، هل سينتقدها في المستقبل؟ هل تمهد هذه المحادثة للمرة التي سوف يطلب منها فيها أن تختاره وتتخلى عنهن؟ غمرتها مشاعر الاستياء، وهمَّت بالنهوض قبل أن يتسنى لمايسون أن يلمح الألم في عينيها. قالت وهي تتفادى نظراته إليها: «لا تنسَ موعدنا على العشاء مع والديَّ الليلة. ما لم تكن تلك نوعية المخططات التي ترغب في رميها من النافذة».

سدد إليها مايسون نظرة مستاءة: «سكارليت... لا تتصرفي هكذا. ابقي».

قالت له: «ألستَ على موعد مع مجموعتك الدراسية لدراسة علم الاجتماع الآن؟ ينبغي لك الذهاب، لديك اختبار قريبًا».

جلس مايسون في حالة من التردد. لقد علمت سكارليت أنه يرغب في مواصلة الحديث، غير أنها شعرت بغصة في حلقها وبحرقة في عينيها. لقد أبت أن تنهار هنا في حديقة الجامعة على مرأى من الجميع. الغربان لا يبكين علانيةً. ولهذا السبب استدعت سحرها، ليحل الشعور بالحرقة في أطراف أصابعها محل الشعور بالحرقة في عينيها.

رجته قائلة: *«ارحل. اذهب الآن»*.

قال لها مايسون فجأةً مستجيبًا للأمر السحريِّ الخفيِّ الصادر منها: «يجب أن أذهب إلى المجموعة الدراسية الآن يا سكار».

ثم قبّلها على خدها واستدار مغادرًا. ورغم أنها من أصدرت هذا الأمر، فإن رؤيته يرحل بعيدًا حطمت قلبها.



الفصل الخامس عشر

فيفي

- أهذا ما سوف ترتدينه الليلة؟

سألت فيفي ريجان هذا وهي تنظر إلى سروالها القصير بينما كانتا تستظلان تحت واحدة من عشرات أشجار البلوط الضخمة التي طوَّقت ساحة الجامعة الرئيسية. لقد كانت هي وريجان في صف علم الفلك نفسه، والليلة خاضتا رحلتهما الأولى إلى المرصد الفلكيِّ، وهو مبنى جديد تمامًا مُوِّل من قِبل إحدى خريجات الكابا الثريات. لم تكن فيفي متأكدة من المدة التي سوف تستغرقها المهمة، لذا كانت تحاول أن تنجز أكبر قدر ممكن من القراءة في ظهيرة هذا اليوم. لقد بدأت المحاضرات بالفعل، غير أنها بصورةٍ ما كانت غير مواكبة لها. لقد وجدت سهولة أكبر في عدم التأخر عن إتمام الواجبات المدرسية في ذلك الوقت الذي لم تحظَ فيه بأي أصدقاء. سألتها ريجان وهي تتدحرج على الأرض مستقرةً على بطنها وقد أغمضت عينيها: «هل تخشين أن أشوِّه سمعة التلسكوبات؟».

وقد بات واضحًا أنها لا تخطط لاستغلال وقت الفراغ في هذه الظهيرة لإتمام قراءاتها المتأخرة. وفقًا لما استنتجته فيفي عنها، كانت ريجان فائقة الذكاء غير أنها لم تكن مهتمة على الإطلاق بالمجال الأكاديميِّ، لقد أخبرتها أريانا أن ريجان طُرِدت من ثلاث مدارس داخلية مرموقة. لقد شعرت فيفي أن الغربان لا بد وأنهن استخدمن نفوذهن لإلحاقها بجامعة ويسترلي على

الرغم من مستواها الدراسيِّ الباهت، وربما كان غرضهن من ذلك الحصول على استحسان والدتها الساحرة القوية وخالاتها.

كان الأمر صادمًا فيما يتعلق بتصديق أن هناك ساحرات يعشن في جميع أنحاء البلد، بل في جميع أنحاء العالم. نساءٌ استخدم أسلافهن السحر لتغيير خارطة التاريخ... ودفعن في المقابل ثمنًا فادحًا.

قالت لها فيفي باستخفافٍ أكثر مما تُكِنه: «بل أن ما يقلقني أكثر هو أن تلدغ الحشرات مؤخرتكِ. فمن الواضح أن المرصد يقع إلى جوار مستنقعٍ كبيرٍ».

تقلَّبت ريجان على الجانب الآخر ثم نهضت واقفة وقالت: «لديكِ وجهة نظر ممتازة يا ديفيرو. أظن أنني سوف أغيِّر ملابسي قبل العشاء. أراكِ الليلة».

غادرت ريجان بتثاقل، وفتحت فيفي كتاب الرياضيات، غير أنها لم تكن قد طالعت الكثير منه قبل أن يهبط ظلٌ ما على الصفحة التي تطالعها.

- منغمسة في بعض القراءة الخفيفة، صحيح؟

نظرت للأعلى لتجد مايسون واقفًا ووجهه تعتليه ابتسامة ودودة. رفعت فيفي الكتاب ونظرت إلى غلافه بتعبيرٍ متسائلٍ قائلة: «إنه مجرد كتاب في التفاضل والتكامل. سوف أسمي هذه قراءة خفيفة بالفعل».

- مقارنة بماذا؟ بالجراحة المتقدمة للمخ والأعصاب.

- مقارنة بصف الجبر غير الخطي الذي أحضر محاضراته كمستمعة فقط. إذ لا يحق للطلاب المستجدين الالتحاق به بصورة رسمية.

اتسعت ابتسامة مايسون، كاشفةً عن الغمازة التي جعلت قلبها يرفرف: «أهكذا؟ انظروا إلى هذه الطالبة الصغيرة المتفوقة».

تمالكي نفسكِ، إنه حبيب شقيقتكِ في الأخوية. لا تكوني غريبة الأطوار.

هذا ما قالتها لنفسها. قالت فيفي وهي تحاول أن تبدو هازلة دون أن تبدو مغازِلة رغم أنها ستكون أول من يعترف بأنها غير مؤهلة للتمييز بين الأمرين: «لا تحاول أن تتصرف وكأنك أروع من أن تركز على دراستك».

أشارت إلى كتاب ورقي الغلاف يبرز من حقيبته الجلدية الأشبه بحقيبة ساعي البريد، لقد كانت نسخة بالية من رواية «الحب في زمن الكوليرا» ملأى بالفواصل الملونة. سألته: «أهذه من أجل صفٍ معينٍ؟».

أجابها مايسون ببعض الخجل: «بل للتسلية».

- إذن، أنتَ نابغة أحمق مثلي.

- بل أكثر منكِ بكثير. تعالي معي، هناك شيء أريد أن أريكِ إياه.

مدَّ يده إليها لمساعدتها على النهوض، غير أنها لم تكن واثقة من شعور سكارليت حيال تمضيتها بعض الوقت مع حبيبها على انفراد.

قال مايسون وهو يخفض ذراعه بحرجٍ إلى جانبه: «أدرك أنكِ قادرة على النهوض بمفردكِ تمامًا. لقد كانت دروس أمي في الإتيكيت بائدة بعض الشيء».

قالت فيفي وهي تنهض سريعًا على قدميها: «لقد كنتُ أفكر فحسب في جدول محاضراتي. ولكنني لدي بعض الوقت، ما الذي ترغب في أن تريني إياه؟».

أشرق تعبير وجهه. لم تكن فيفي متأكدة أنها سبق لها وقابلت شخصًا تتجلى مشاعره بهذا الوضوح على وجهه.

- إنه بالقرب من هنا، سوف ترين حالًا.

قادها مايسون عبر ساحة الجامعة ثم هبطا معًا مسارًا تصطف الأشجار على جانبيه وصولًا إلى أشهر مكتبات ويسترلي، وهي الهيوبت، التي وفقًا لحديث المرشد السياحيِّ في أثناء الجولة التي أجرتها خلال الفترة الإرشادية، ضمَّت مجموعة المقتنيات النادرة المملوكة للجامعة.

سألته فيفي: «هل مسموحٌ لنا بالدخول؟ لقد قال المرشد السياحي إن الدخول متاح فقط للخريجين والباحثين الزائرين».

- إن قسم الأرشيف وحده هو ما يستلزم تصريحًا خاصًا بالدخول، ولكن الدخول إلى المتحف مجانيٌّ ومتاح للجميع.

- هناك متحف في الحرم الجامعيِّ؟

هز مايسون رأسه اعتراضًا وقال: «تؤ تؤ، إما أنكِ حظيتِ بمرشد مقصِّرٍ في عمله، وإما أنكِ لم تكوني منتبهة. لستُ واثقًا أي هذين السيناريوهين يفطر قلبي أكثر».

وهما يصعدان على السلالم الرخامية البيضاء صوب دهليز المكتبة المؤلف من الأعمدة، أمعنت فيفي النظر إلى مايسون بابتسامة.

- إذا كان قلبك يتحطم بهذه السهولة، سوف تصبح الحياة صعبة عليك.

وضع يده على صدره قائلًا: «ليس لديكِ أدنى فكرة يا آنسة ديفيرو».

- كيف عرفت اسمي الأخير؟

- لقد كدتِ تغتالينني في يومكِ الأول في الجامعة، لقد أخبرتكِ أنني بحاجة إلى تعقُّب خطواتكِ لدواعٍ خاصة بالسلامة العامة.

رفعت فيفي حاجبها، أو هذا على الأقل ما أملت أنها كانت تفعله. لقد كانت إيماءة برعت في أدائها للغاية، وهناك احتمال كبير أنها شكّلت ملامحها على نحوٍ غريبٍ فحسب. فتح الباب نيابةً عنها، ورغم تأكدها أنه فعل هذا لكل امرأة صادفها، فإن هذه البادرة اللطيفة غمرت صدرها بمشاعر الامتنان.

قال مايسون وهو يشير إلى مجموعة من الأبواب الخشبية المزدوجة: «قسم الأرشيف من هذه الناحية».

وإلى جواره كان هناك مكتب استقبال مزخرف شغلته امرأة تبدو عليها الهيبة ذات شعرٍ رماديٍّ ونظارة ذات إطارٍ معدنيٍّ.

- هذا هو المكان الذي يخزنون فيه معظم مقتنياتهم. هناك غرفة واحدة في المتحف يعرضون فيها نحو %10 من هذه المقتنيات، وهي هنا بالأعلى.

اقترب مايسون من المكتب مبتسمًا: «كيف حالكِ يا سيدة إيرما، هل أنتِ بحاجة لتفقُّد بطاقتَي هويتنا؟».

قالت المرأة، وقد لانت ملامح وجهها الصارمة: «لا بأس يا مايسون، ادخلا».

قاد فيفي نحو قاعة ضيقة وطويلة اصطفت على جانبيها صناديق عرض زجاجية.

- تحت أي فئة يندرج هذا المتحف بالضبط؟

سألته فيفي هذا وعيناها تتنقلان بين صينية أشبه بظهر السلحفاة رُصِّعت بالجواهر وغليون أثري لتدخين التبغ وما بدا وكأنه آلة موسيقية مصنوعة من أنياب الفيل.

- أعتقد أن اسمه الرسميَّ هو مجموعة هيويت من الغرائب والعجائب، ولكنه في الأساس عبارة عن مزيج من المقتنيات الغريبة والقيمة التي أهداها الناس إلى متحف على مر السنين.

أخذت فيفي بضع خطوات تجاه مجسم لفئران محنطة متأنقة اجتمعت معًا في حفل شاي: «لا أصدق أن أحدًا قد يتخلى عن هذا».

- هناك مقتنيات جيدة في هذا المكان، صدقيني. والآن تعالي، سوف أريكِ قطعتي الفنية المفضلة.

قادها للأسفل إلى الرواق الرئيسيِّ حيث استقر صندوق عرض في الركن الخلفيِّ، استقر على وسادة حمراء بداخله كتاب ذو غلاف أخضر فاخر. مالت فيفي إلى الأمام وأمعنت النظر فيه محاوِلةً فك شفرة عنوانه المكتوب بخطٍ ذهبيٍّ على غلافه الأماميِّ: «إنها مجموعة من قصائد إيميلي ديكنسون».

أومأ مايسون برأسه بالإيجاب وقال: «لقد عُثر عليها داخل جيب جندي لاقى حتفه في فرنسا بعد أسابيع من انتهاء الحرب العالمية الأولى».

قالت برِقة وهي تشعر بألمٍ يعتمل في صدرها حسرةً على الفتى الذي لم يعد لوطنه قط: «ولماذا هي قطعتك المفضلة؟».

- يعجبني أنه جلب معه كتاب شِعر إلى ساحة المعركة. بعد كل الموت والخراب الذي لا بد وأنه شهد عليه، كان لا يزال قادرًا على التماس الجمال والمعنى في اللغة. أعتقد أن هذا ملهمٌ للغاية.

من خلال نظرة الشجن في عينيه، كان من الواضح أنه يعني ما يقول.

قالت فيفي وهي خائفة مما قد تقوله إذا لم تعد لنبرتها المازحة: «كان يجب أن يعينوك أنت لإدارة الجولات».

- هذا ما يفعلونه بالطبع. أنا واحد من أكثر المرشدين شعبيةً في الجامعة.

قالت له وهما يشقان طريقهما للخارج: «لماذا لا يدهشني هذا؟ (نظرت إلى ساعة هاتفها المحمول ثم صاحت قائلة) سحقًا، عليَّ المغادرة الآن. آسفة. لقد كلفونا بالعمل في المقابر ليلة الغد، وعبث هذا بجدولي بالكامل».

- آه صحيح، العمل في المقابر، هذا ما تقوله كل الفتيات عندما يرغبن في التخلص مني.
- لا أمزح. إنه أمرٌ خاص بالكابا. يجب أن أغادر سريعًا، أراك لاحقًا؟

قال لها بوجهٍ يعتليه تعبيرٌ غامضٌ: «أتمنى ذلك بكل تأكيد».

تسارعت نبضات قلبها واستدارت سريعًا كي لا يرى التعبير الظاهر *على وجهها*.. تعبيرٌ تأكدت أنه لن يجد صعوبة في قراءته.

مرت سحابة كبيرة فوقها ملقية بظلالٍ طويلة على العشب. خلا الحرم الجامعيُّ من الطلاب، إذ لم يكن أحدٌ جالسًا على المقاعد الخشبية أو مستظلًا تحت أشجار البلوط. مشت فيفي بخطواتٍ متراقصة بفضل مشاعر الحماسة الجياشة التي تكونت بداخلها في أثناء محادثتها مع مايسون. وبينما هي تهرع على الطريق المؤدية إلى البوابات الرئيسية، لمحت ظلًا لشخصٍ يقف وحده في الجانب الآخر البعيد من ساحة الجامعة. شخصٌ يقف في سكونٍ تامٍ موجهًا أنظاره نحو فيفي.

لقد كانت غوين.

لقد بدت خلال ضوء الغروب الباهت الذي يتلاشى سريعًا، كمخلوقٍ من خارج هذا الكوكب، بشعرها الأسود الفاحم ووجهها الشاحب المروع، ولقد كانت ترمق فيفي بنظرة لم يسبق لها أن رأتها موجهة نحوها. بكراهية خالصة.



الفصل السادس عشر

سكارليت

جلست سكارليت في مكتبة الكابا وكتاب علم النفس الخاص بها مفتوح أمامها وغير مقروء. لقد كانت هذه غرفتها المفضلة في المنزل بأكمله. لقد كانت الجدران الأربعة مغطاة من الأرض إلى السقف بالكتب القديمة المجلدة، التي يعود تاريخ بعضها إلى القرن الخامس عشر، قبل أن تصبح الغربان جماعة سحرية بصورة رسمية. تخللت تلك الكتب أدراج شبيهة بتلك الموجودة في محلات العطارة احتوت على بلوراتٍ كريستالية وأعشاب ومخطوطات مصفرة دوِّنت عليها الشقيقات القدامى تعاويذ غير مكتملة. لقد طُلي السقف باللون الأزرق اللازوردي ونُقشت عليه النجوم في سماء الليل بالحبر الذهبيِّ. وفي منتصف كل هذا استقرت بوصلة دائرية، غير أن اتجاهاتها الرئيسية لم تُشِر إلى أحرف بل إلى عناصر الأرض الأربعة: النار والهواء والماء والأرض. كان الجلوس في هذا المكان أشبه بالسفر عبر الزمن، تذكِرة بكل النسوة اللاتي سبقنها، تذكِرة بأن مشكلاتها كانت بسيطة وعابرة في نظر التاريخ، بل في نظر الكون بأكمله. تذكِرة كانت في أشد الحاجة إليها في هذه اللحظة.

كانت قد عادت إلى منزلها قبل ساعة من تجمعٍ عائليٍّ شتويٍّ تقليديٍّ على العشاء، لقد توددت أمها إلى مايسون، وانهال عليــه أبوها بالأسئلة بشأن خططه لما بعد التخرج ودرجاته في اختبار الالتحاق بكلية الحقوق. أما أوجيني فقد تباهت بكم الدعاوى القضائية التي تتولاها وهي توجه أسئلة محددة حول ترشح سكارليت لمنصب رئاسة الجماعة. وفيما يتعلق بمايسون،

فقد فتنهم، مثلما يفعل كل مرة. لقد اعتذر كذلك إلى سكارليت على شجارهما السابق وجلب إليها زهرة بلوميريا، كتلك التي منحها إياها من طوق زهوره في الليلة التي تقابلا فيها.

كان ينبغي أن يخالجها شعور بأن الأمور على ما يرام، بل أنها جيدة. غير أن الأمور كانت لا تزال... غريبة. حتى وهي في بيتها وسط مجموعة من الناس الذين يفترض أنهم يحبونها أكثر من أي أحد في العالم، شعرت أنها وحيدة. وكأنها الوحيدة التي لاحظت أن الأرض تهتز برفق من تحتها. ومثل كل مرة، شعرت بغياب ميني أكثر في أثناء وجودها في البيت، حيث كانت كل المساحات التي اعتادت أن تحتلها خالية بصورة ملحوظة.

مثلما كان الكابا هاوس في هذه الليلة، وهو ما لم يساهم في تحسين مزاجها. إذ إنهن جميعًا إما كُنَّ يدرسن أو يتسكعن في الحانات.

تنهدت وفتحت مذكرة علم النفس خاصتها، ثم أطلقت ضحكة مفاجئة صاحبها سعال خفيف. لقد رسمت إحداهن شخصًا في هيئة عصاة وسحرته ليرقص. ابتسمت سكارليت وهي تتذكر كل الليالي التي قضتها هي وتيفاني تصممان رقصات مضحكة، رقصات كانت تيفاني تؤديها أحيانًا في العلن فقط لتبهج سكارليت عندما كانت تمر بيومٍ سيئ. لا بد أن تيفاني رسمت هذا في مذكرتها في وقتٍ سابقٍ، لقد بدا أنها تعرف دومًا عندما تكون سكارليت بحاجة إلى دفعة معنوية. كانت سكارليت على استعدادٍ للتضحية بأي شيء لتحظى بصديقتها إلى جانبها حينها بدلًا من جلوسها وحيدة في هذا المنزل.

نظرت من النافذة ورأت أحد الغربان من برج الطيور يحط على أحد أغصان الأشجار، ويقف جامدًا كالتمثال. لقد كان القمر من خلال كوة السقف في مرحلة الأفول، وهو الوقت الأنسب لإلقاء التعاويذ لتغيير النفس وتحسينها، مثلما اعتادت ميني أن تقول دومًا. قمرٌ للبدايات الجديدة. سواء رغبتِ في ذلك أم لا.

التقطت سكارليت زهرة البلوميريا من خلف أذنها ووضعتها على الطاولة أمامها. ولاحقًا سوف تضعها في كتاب الكابا الخاص بها، إلى جانب الزهرة الأصلية التي وضعتها داخل الكتاب قبل عامين. غير أن هذه الزهرة لم يكن لها نفس تأثير سابقتها. لقد كانت الزهرة الأولى وعدًا بما هو آتٍ. أما الآن فقد

شعرت أنها ومايسون يناضلان لتذكُّر هذا الوعد. تهادت أصواتٌ وضحكاتٌ على الدرج، وبعدها بلحظة دخلت كلٌّ من داليا ومِي وتيفاني إلى المكتبة.

قالت سكارليت وهي تصطنع ابتسامة: «أين كنتن؟».

قالت تيفاني وهي تُقلِّب عينيها ضجرًا: «آآآخ، في اجتماع ميزانية حفل العودة للدراسة».

لقد كانت الكابا مسؤولة عن استضافة هذا الحدث السنويِّ على نطاق الجامعة بأكملها للطلاب الحاليين والخريجين. في كل عام كانت اللجنة التنظيمية تندهش من قدرة الكابا على صرف القليل من الميزانية المخصصة للديكور. لقد وازنَّ بمهارة بين ما رفعنه من تقارير إلى مجلس الأخويات وبين ما نفذنه بتلويحة سحرية من أياديهن.

قالت مِي: «كان عليكِ سماع ما قالته ماريا. لقد حاولت إقناع المجلس بأن أخوية ثيتا هي الأحق باستضافة الحفل، وأن الكابا ينبغي لها تنظيم حفل الشتاء الرسميِّ في المقابل».

لقد كانت ماريا رئيسة أخوية ثيتا، ولقد كانت ثيتا تحاول طيلة سنواتٍ أن تتنافس مع الكابا على لقب الأخوية الأفضل. وكأنها تملك أدنى فرصة.

قالت سكارليت: «تصرفٌ معتادٌ منها. من الذي يهتم حتى بحضور حفل الشتاء الرسميِّ؟».

قالت تيفاني وهي تغوص في المقعد الجلديِّ إلى جوار سكارليت: «هذا ما قلته بالضبط».

ثم تردد صوت تيفاني داخل رأسها قائلًا: *«هل أنتِ بخير؟ تبدين مستاءة»*.

لا يقدر أحد على رؤية ما يعتمل بداخلها سوى أعز صديقاتها. اتصلت سكارليت بسحر السيوف الخاص بشقيقتها كي تتمكن من الرد عليها: *«سوف أخبركِ بكل شيءٍ لاحقًا»*.

أومأت تيفاني برأسها، ضاغطةً برفق على ذراع سكارليت.

قالت تيفاني: «هل يمكنكن تخيُّل ما قد تقوله أمهاتنا إذا خسرنا حفل العودة؟».

قالت داليا بهزة من رأسها: «كُنَّ ليمتن».

ضحكت مِي بينما بقيت تيفاني صامتة وقد ترقرقت عيناها فجأةً بالدموع ثم قالت: «هذا ما سوف يحدث حرفيًا في حالة أمي».

شحبت داليا فجأةً وقالت: «يا إلهي، أنا آسفة يا تيفاني. لم أقصد... لم أفكر...».

قبل أن يتسنى لها أن تنهي كلامها، دوى صوت فرقعة أشبه بصوت طلقة المسدس، أعقبه صوت انفجارٍ مدوٍ ثم صوت فرقعة آخر.

قالت تيفاني: «ما هذا بحق الجحيم؟».

تبادلت الفتيات النظرات فيما بينهن وهن مرتبكات.

سألتهن مِي وقد جعَّدت أنفها: «هل تشممن رائحة دخان؟».

- آآآه، لو كانت أخوية سيج تاو تشعل المفرقعات النارية ثانيةً...

نحَّت سكارليت كتابها جانبًا ثم نهضت ومشت إلى النافذة التي أطلَّت على الفناء الأماميِّ ومساكن الأخويات. غير أن مصدر الصوت لم يكن المفرقعات النارية على الإطلاق. كان أحدٌ قد دقَّ في الحديقة بالأسفل أربعة أوتاد خشبية على العشب، وربط في كلٍّ منها فزاعة ترتدي عباءة وقبعة سحرة مدببة، ثم أضرم فيها النار.

لوهلة، كان كل ما تمكنت سكارليت من فعله هو التحديق، ثم أطلقت صيحة ليهببن إليها جميعًا. هبطت الدرج في سرعة البرق وصولًا إلى الطابق الأول ثم شقَّت طريقها عبر هواء الليل الدافئ وشقيقاتها خلفها.

استعر لهيب الفزاعات، وأخذت ألسنة اللهب تتقافز وتتراقص وهي تلتهم القش، بينما أخذ نسيج الأردية يذوب ويتلوى. وعن قربٍ، حظيت سكارليت بوقتٍ كافٍ لملاحظة أن الفزاعات رُسم على وجوهها باللون الأحمر ابتسامات ماكرة. وبعدها بلحظة، تلاشت هذه الوجوه جراء النيران التي التهمتها. رفعت سكارليت ذراعيها إلى الأعلى ثم تواصلت تلقائيًا مع سحرها، مستدعيةً المياه لإخماد الحريق.

همست داليا قائلة: «سكارليت، لا!».

وفي تلك اللحظة أدركت سكارليت أن حشدًا صغيرًا من الناس تجمّع حولها. بعض الأشقاء الثملين من أخوية سيجما زيتا تاو وقفوا جانبًا بأفواهٍ

مشدوهة وهم يحملون علب البيرة في أياديهم. بينما وقفت بضع فتيات من أخوية بيتا بيتا بيتا يرتدين بيجاماتٍ قصيرة ونعال شاطئ في مجموعة وتهامسن معًا. بينما هرعت اثنتان من أخوية ثيتا خارج المنزل يدًا في يد، وقد ارتسمت على وجهيهما نظرات مرتعبة.

قال أحد فتية سيجما زيتا تاو مهللًا وهو يرفع قبضته في الهواء: «محرقة».

بينما سألهن فتى آخر وهو ينزل من على دراجته ويقف إلى جوارهن: «هل أنتن بخير؟».

وقالت فتاة سلَّمت سكارليت بأنها رئيسة أخوية جاما ثيتا رو: «هل من المفترض أن هؤلاء... ساحرات؟».

قالت سكارليت بسرعة نظرًا إلى زيادة أعداد الطلاب الذين اقتربوا منها ووجوههم تعتليها تعبيرات قلقة وفضولية: «يبدو أن أحدهم تمادى في تخطيطه لأسبوع الجحيم هذا العام».

ثم أخرج أحدهم هاتفه وكأنه ينوي تصوير فيديو.

قالت واحدة من أخوية تراي بيتا، وألسنة اللهب البرتقالية تنعكس في عينيها الداكنتين: «إذا كانت أخوية أخرى هي من تسببت لكُنَّ في هذا، ينبغي لنا رفع الأمر إلى مجلس الأخويات. هراء، بل ينبغي لنا الاتصال بالنجدة».

ثم مدَّت يدها لإخراج هاتفها المحمول.

قالت سكارليت في محاولة لتهدئة الأوضاع: «لا نريد أن نوقِع أي أخوية أخرى في مشكلات، حتى ولو استحقت هذا».

سددت سكارليت إلى داليا نظرة مذعورة، لتهمهم الأخيرة بشيءٍ غير مسموعٍ، وتشعر سكارليت بطنين السحر المميز. وفي الحال، حدقت عينا فتاة التراي بيتا إلى الفراغ، وأصبح الحشد بأكمله مخدَّرًا. انقلبت فتاة التراي بيتا على عقبيها وعادت إلى منزلها، ثم تفرَّق بقية الطلاب كذلك، عائدين إلى الدراجات التي تركوها تسقط على العشب أو إلى منازلهم.

تنفست سكارليت الصُّعداء بعدما تفرَّق الجميع، وقالت وهي ترتجف: «اللعنة». ثم، ودون أي لحظة تردد، استدعت سحرها. سرى تيار كهربائيٌّ في عروقها، وشعرت بحرقة في أطراف أصابعها. مدَّت ذراعيها، وأخذت

تدفعهما على نطاقٍ أوسع وأوسع، حتى بدا وكأن كل قطرة مياه في الأجواء كانت تتغنى باسمها، وتعلق في شباكِها الموسَّعة. الصقت الجزيئات معًا أكثر فأكثر، وبعدها وبدفعة أخيرة منها، أطلقت سراحها. وعلى الفور، انهمرت أمطار غزيرة. هسهست ألسنة اللهب وطقطقت قبل أن تخمد تمامًا. ثم جثَت سكارليت على ركبتيها، وقد استُنفِدت قواها.

ظلت بقايا الفزاعات المتفحمة ترمقهن بمكرٍ إلى أن ألقت مِي عليها تعويذة، جعلتها تتناثر كالغبار، ثم أزالت عبر إحدى تعاويذ التجمل آثار الحريق على العشب.

قالت مِي وهي تتنفس بصعوبة جراء جهودها: «كان من الممكن أن تنتهي الأمور بصورةٍ سيئة حقًا».

هزت سكارليت رأسها اعتراضًا وهي تنهض على قدميها قائلة: «هذا وصفٌ بسيط لها»، ثم قالت وهي تجسد عبر الكلمات الشعور المتزايد بالضيق الذي تملَّك جسدها منذ أن شاهدت ألسنة اللهب الأولى: «داليا، هناك خطبٌ ما هنا. في البداية بطاقات التارو، والآن هذا. لا أظن أنها مجرد مصادفات أو مقالب بريئة. هناك من يسعى خلفنا، ويزداد جرأة في كل مرة».

توقعت سكارليت أن تجادلها داليا، غير أن الشقيقة الكبرى أومأت برأسها بالموافقة وقالت: «لا تبدو هذه مجرد صدفة عابرة. هناك من يرغب في إيذائنا أو فضحنا».

قالت تيفاني بحزم: «إذن، علينا حماية أنفسنا. نحن ساحرات، نحن قويات. من واجبنا أن نبقي شقيقاتنا وسرّنا في أمان».

سألت سكارليت داليا: «ماذا عن مهمة أسبوع الجحيم في ليلة الغد في المقابر؟ هل علينا تكليفهن بشيءٍ آخر؟ يمكننا تكليف طالبات السنة الثانية بتجهيز مقبرة في الباحة الخلفية في الحال».

فكرت داليا في الأمر لوهلة وأخذت تنقر بأظفارها المطلية المثالية على كف يدها: «لا، سوف تبقى الأمور على حالها. إنه تقليد. لن يرهبنا شخصٌ مجنونٌ. أنا وتيفاني ومِي سوف نرافقكِ لمراقبة الأوضاع».

عندما أومأت سكارليت برأسها، أردفت داليا قائلة: «مِي، عودي إلى المنزل معي، أود أن أتحقق من تعاويذنا الوقائية. تيف وسكارليت، نبِّها الفتيات الأخريات».

وبينما كانت مِي وداليا تسيران عائدتين إلى الكابا هاوس، التفتت سكارليت إلى تيفاني قائلة: «يمكنني أن أرسل رسالة نصية إلى المنزل بأكمله كي يكُنَّ على حذرٍ...».

صمتت فجأةً، إذ إنها لمحت لمعان شعر أسود تحت أحد أعمدة الإنارة في نهاية الطريق.

غوين.

لقد ضيَّقت الفتاة عينيها، والتوى فمها في غضبٍ. وبمجرد أن تلاقت عيناها وعينَي سكارليت، ابتعدت عن الضوء وتوارت في الظلام.

جذبت سكارليت ذراع تيفاني قائلة: «تيف».

قالت تيفاني بتجهم: «أعلم، لقد رأيتها كذلك».

سرت رعشة في جسد سكارليت وقالت: «عليكِ الاعتراف بأن التوقيت غريب. تظهر غوين مجددًا في الحرم الجامعيِّ بعد كل تلك الشهور، وبعدها مباشرةً تبدأ الأمور الغريبة في الحدوث».

رفعت تيفاني حاجبها تعجبًا وقالت: «ما الذي تلمحين إليه؟ هل تظنين أنها وراء كل هذا؟».

سألتها سكارليت: «هل من الصعب تصديق هذا حقًا؟».

- ولكننا ألقينا تعويذة حماية على المنزل، لا يمكنها أن تخطو داخل المبنى دون أن تشعر أنها تمشي على الجمر، أو دون أن تُعذَّب بأيِّ كان ما أضافته داليا إلى التعويذة.

لقد علمت سكارليت ما تفعله تيفاني، لقد كانت تحاول أن تنكر صحة التفسير المنطقيِّ الوحيد للأمر. التفسير الوحيد الذي حمَّلهما مسؤولية ما يحدث. غير أن سكارليت عرفت في قرارة نفسها أن غوين تمكنت بصورةٍ ما من الالتفاف حول التعويذة وفعل هذا.

- لقد أعددت تعويذة في الليلة الماضية للبحث عن النوايا السيئة داخل الحرم الجامعيّ.

شهقت تيفاني بصوتٍ مسموعٍ ثم أظلم وجهها وقالت: «ما الذي أنبأتكِ به؟».

اعترفت سكارليت قائلة: «في الواقع، لم تخبرني بشيءٍ محددٍ. لقد انفجرت التعويذة نوعًا ما، ولكنني أتذكر شعوري. لقد كان شعورًا... مظلمًا».

لقد كان هناك نوع آخر من السحر، نوع كان أكثر سوادًا وخطورة من السحر الذي مارسته الغربان. ذلك النوع من السحر الذي ينطوي على الموت والألم. نوع السحر الذي قد يتسبب في مقتل الناس.

ولكن بدلًا من أن يعكس وجه تيفاني شعور سكارليت المتزايد بالفزع، أخذ يصفو: «يبدو هذا مخيفًا للغاية، ولكنكِ قلتِ بنفسكِ إن التعويذة لم تنجح. فضلًا عن أن غوين لم تعد ساحرة بعد الآن. لقد حرصنا على ذلك».

جادلتها سكارليت قائلة: «أنا جادة، لقد عادت غوين لسببٍ ما. ماذا لو كان كل هذا من تدبيرها؟ ماذا لو كانت تحاول الانتقام منا بطريقةٍ مريضةٍ لتجريدها من قواها؟ لأن في هذه الحالة، الذنب يقع على عاتقينا».

احتضنت تيفاني يد سكارليت، وقد بات واضحًا من تعبير وجهها أنها ظنت أن سكارليت فقدت صوابها تمامًا.

- أحبكِ، تدرين أنني صادقة، ولكن حتى ولو كانت غوين وراء ذلك، ما الذي تظنين أنها قادرة على إلحاقه بنا بالضبط؟ إنها مجرد ساحرة غاضبة تسعى للتشبه بنا، أهدرت فرصتها في أن تكون عضوة في جماعة سحرية مرموقة. سوف تتوقف عن ملاحقتنا في نهاية المطاف إذا توقفنا عن السماح لها بمضايقتنا.

هزت سكارليت رأسها اعتراضًا قائلة: «لا أعرف. يساورني هذا الشعور الرهيب فحسب. ماذا لو وجدت غوين طريقة لاستعادة قواها؟ إذا كانت تحاول أن تؤذي من أذوها، فهذا يعني أننا جميعًا في خطر. علينا أن نوقفها عند حدها».

ضيَّقت تيفاني عينيها قائلة: «ما الذي تقترحينه بالضبط؟».

عضّت سكارليت على شفتها في ارتباكٍ قائلة: «أعتقد أن علينا إخبار داليا بما حدث، بما حدث فعلًا».

قالت تيفاني بنبرة قاسية: «تعلمين أننا لا يسعنا فعل هذا. إذا أخبرنا داليا، من يدري كيف ستكون ردة فعلها؟ في أفضل الأحوال، سوف نعاقَب، وفي أسوئها، سوف تطردنا خارج الجماعة وتجردنا من قوانا. لا يمكننا تحمُّل عواقب هذه المخاطرة. نحن ساحرات، ولن يحرمنا أحد، ولا داليا ولا غوين من هذا. نحن صغيرات وحمقاوات، ولقد اقترفنا خطأً لا يغتفر. أنا أول من يُقر بذلك. ولكن عليكِ التفكير في ما تقولينه».

فركت سكارليت ذراعيها في محاولة لتبديد القشعريرة التي سرت في جسدها. وضعت تيفاني يديها على كتفَي سكارليت وحدقت إلى عينيها مباشرة قائلة: «مهلًا، ما جرى كان حادثًا. سوف تكون الأمور على ما يرام يا سكار. أعدكِ بهذا. أنا وأنتِ الساحرتان الأروع في الجماعة. لا شيء سوف يحدث لنا أو لشقيقاتنا. لن نسمح بذلك. إذا اضطررنا إلى ذلك، سوف نتصدى أنا وأنتِ لغوين بأنفسنا. ولكنكِ رأيتِ بنفسكِ أنها لم تستعِد قواها. لقد نجحت تعويذة التكبيل. لا يسع غوين مجرد *التفوه* بكلمة سحر، ما بالكِ باستخدامه لقتل أي أحد. لا تسمحي لها بأن تكون السبب في فقدانكِ لقواكِ أيضًا».

تطلعت سكارليت إلى صديقتها، بل شقيقتها. لقد كانت عيناها متسعتين وصادقتين. ولم تجد سكارليت مفرًا من الاعتراف بصحة كلامها. لم تكن خسارتها لسحرها مخاطرة يمكنها تحمُّلها. ودون السحر، ليس لديها أدنى فكرة عن من ستكون.

تنهدت سكارليت ببطء قائلة: «أنتِ محقة، أنا أتصرف بسخافة».

ولكن مهما حاولت، لم تستطع أن تصرف عنها ذلك الشعور المُلِح بأن تفصيلة ما فاتتها. تفصيلة واضحة بصورة مؤلمة. تفصيلة قد تتسبب في مقتل إحدى شقيقاتها.



الفصل السابع عشر

فيفي

فركت فيفي ذراعيها، لا من أجل التماس الدفء، بل لطرد القشعريرة التي سرت في جسدها، جراء الأحداث المُقلِقة التي جرت في الأيام القليلة الماضية. كلٌّ من لقائها المروع بغوين وقصة الفزاعات المشتعلة، خلّفا داخلها شعورًا باردًا ومُقبضًا، لم يستطع طقس سافانا الصحو أن يمحوه، وتفاقم هذا الشعور بعد دخولها مقبرة بونافنتور هذا المساء.

لقد نمت الأشجار في هذا الجزء من المقبرة الشهيرة على مقربة شديدة من بعضها بعضًا، لدرجة أن أغصانها شكّلت مظلة حجبت الغالبية العظمى من ضوء القمر. لقد جعلت نباتات الطحلب الإسباني المدلاة أشجار البلوط تبدو وكأنها ترتدي حجابًا، وكأنها كانت في حالة حداد مستمرة على الجثث المدفونة تحت ظلالها. حتى النباتات الهزيلة التي نبتت بصورة عشوائية بين شواهد القبور انكمشت من فرط الحزن، لقد كانت أوراقها المتدلية وزهورها الشاحبة بعيدة كل البعد عن النباتات المورقة المزدهرة التي ارتبطت في ذهنها بسافانا.

دخلت المستجدات المقبرة في صمتٍ وأخذن يشققن طريقهن بحذرٍ وسط القبور. لقد كُنَّ من المفترض أن يقابلن الفتيات الأقدم في بقعة تُدعى «قبر الإله الأقرن»، أيًّا كان ما يعنيه ذلك. لم تزودهن نتائج البحث على الإنترنت بأي شيء مفيد.

قالت أريانا هامسة: «فلتنظرن إلى هذا».

تتبعت فيفي نظراتها إلى أن استقرت عيناها على تمثال لطفلة صغيرة يستقر على ربوة مكسوة بالعشب يحدها سياج حديديٌّ. كل شيء يتعلق بها نُفِّذ بعناية فائقة، بدءًا بشرائط الشعر المثبتة في خصلاتها المموجة وصولًا إلى رباط حذائها. كل شيء عدا عينيها الكبيرتين الفارغتين اللتين بدا أنهما تتبعان فيفي وأريانا وهما تسرعان للحاق بالمستجدات الأخريات.

تساءلت بايلي وهي تشير إلى ضريح ضخم يستقر خلف مجموعة من أشجار البلوط: «أيمكن أن يكون هو؟».

لقد كان هو المكان المنشود بالفعل، إذ ظهر وميض كشافٍ يدويٍّ إلى جانب المدخل، وتجمّعت حوله مجموعة من الأشخاص.

- استنتاجٌ جيدٌ.

قالت فيفي هذا رغم أنها لم تكن متشوقة بالضرورة لاكتشاف ما ينتظرهن. إذ إنها لم تكن قد بذلت الكثير من الجهد لإثارة إعجاب سكارليت خلال أسبوع الجحيم، ولقد تنامى شعورها بالقلق إزاء إمكانية عدم وصولها إلى المرحلة النهائية.

عندما وصلن إلى الضريح، وجدن داليا وسكارليت وتيفاني ومِي يحملن الشموع، ويرتدين عباءات سوداء، أُسدلت قلنسواتها على وجوههن. لقد وقفن تحت سقيفة رواق الضريح، التي نُحتت على هيئة وجه رجل متجهم له قرنان يبرزان من صدغيه.

قالت سكارليت وهي تخطو للأمام: «مرحبًا بكن أيتها المبايعات. لقد جلبنكن هنا الليلة لنبيّن لكُنَّ مدى أهمية هذه الأخوية، ولنخبركن بما سيحدث عندما لا تأخذن نذوركن بجدية».

ثم أشارت إلى مقبرة رخامية يصل ارتفاعها إلى الركبة، نُقش عليها اسم ووترز.

- هذه إيفيلين ووترز، أو بالأحرى، هذه هي المقبرة الخاوية المهداة إلى ذكراها.

ثم صمتت لبرهة.

طرحت بايلي أخيرًا السؤال الذي كانت بانتظاره قائلة: «ولماذا هي خاوية؟».

- لأن إيفيلين اختفت في عامها الجامعيّ الأخير، ولم يُعثر على جثتها قط (أسندت سكارليت يدًا مُجمَّلة بصورة مثالية بطلاء الأظفار على المقبرة ثم أردفت قائلة) لقد كانت إيفيلين رئيسة للكابا. لقد تزعمت الأخوية لعامٍ قبل اختفائها. وفي عهدها، كانت الجماعة أقوى وأهم مما هي الآن. هل سمعت إحداكن من قبل عن طلسم هينوسيس؟ (هزت فيفي رأسها نفيًا، وكذلك فعلت أريانا وريجان وبايلي، وحدها سونالي من اتسعت عيناها إدراكًا له) تُترجم كلمة هينوسيس تقريبًا إلى «اتحاد» أو «وحدانية». لقد صُنِع الطلسم في عصر اليونان القديمة وجرى اكتشافه في أثناء إحدى عمليات التنقيب في أواخر القرن الثامن عشر. لقد اقتنته جامعة ويسترلي لعرضه على قسم التاريخ، وتمكنت إحدى ساحرات الكابا من فك شفرة اللوح الذي دُفن مع الطلسم. لقد كانت تعويذة. لم تُفسِر فحسب كيف تتشارك الساحرات القوى فيما بينهن، بل كيفية استحواذ ساحرة على قوى ساحرة أخرى للأبد.

جفلت فيفي من فكرة استحواذ شخصٍ آخر على سحرها. رغم أنها أصبحت على دراية بقواها منذ فترة قصيرة، فإنه من المخيف تخيُّل الشعور بالفراغ والخسارة إذا سلبت هذه القوى. إذ إن هذا ما جعل الاكتشاف استثنائيًّا للغاية، لم يبدُ الأمر وكأن عضوات الكابا لوَّحنَ بعصى سحرية ومنحن فيفي السحر، لقد ساعدنها ببساطة على تسخير القوى التي كانت دومًا بداخلها.

سألتها بايلي: «كيف يمكن أن يحدث هذا؟ أليس...».

قاطعتها ريجان قائلة: «لقد اعتقدت أنه كان لزامًا عليكِ أن تولدي والسحر بداخلكِ. لقد سمعت أن الساحرة لا يسعها أن تملك هذا الكم من السحر ما لم تكن قد وُلِدت به».

قالت سكارليت: «هذا حقيقيٌّ. في الظروف الطبيعية. ولكن إذا كنا نتحدث عن الظروف غير *الطبيعية*...».

تجمدت تيفاني في مكانها ووقفت بلا حراك بالقرب منهن، بينما أخذت مِي تُبدِّل بين ساقيها في أثناء الوقوف. الفتاة الكبرى الوحيدة التي لم يبدُ

عليها الارتباك هي داليا. لقد انعكس في عينيها لهيب شمعتها المتراقص، الذي جعل لونهما يبدو وكأنه أحمر.

أردفت سكارليت قائلة: «التعويذة ليست سهلة، فضلًا عن أنها ليست دائمة، ليس دون طلسم هينوسيس. إذ إنه الأداة الوحيدة على وجه الأرض التي تسمح لكُنَّ بتخزين السحر المسلوب. يمكنكن من خلال الطلسم، الاستيلاء على قوى ساحرة أخرى مدى الحياة. ودونه تقتربن من حتفكن. علاوةً على أن السارق يتكبد خسائر فادحة».

التقت عينا سكارليت بعينَي فيفي. وفي ضوء القمر، كادت فيفي تقسم إن عينَي سكارليت بدتا مختلفتين. أغمق، يكاد يكون لونهما أسود.

- لكي تستحوذي على قوى ساحرة أخرى، عليكِ قتلها.

ارتعدت فيفي خوفًا بينما تهادت همسات الرياح عبر الأشجار، جاعلةً الشعر الذي يكسو مؤخرة عنقها ينتصب رعبًا. لقد انطلق صوت فرقعة من بعيد، أشبه بكسر غصن شجرة. أدارت رأسها لتتبع مصدر الصوت. لم تحرك كلٌّ من داليا ومِي ساكنًا، غير أن فيفي رأت لمحة من الخوف على وجهَي سكارليت وتيفاني.

سألتها ريجان بنفاد صبر، وقد بات واضحًا أنها لم تبالِ بذلك الصوت: «إذن... هل تعتقدين أن شخصًا ما قتل إيفيلين ووترز؟».

قالت سكارليت وهي تمرر أطراف أصابعها على قمة شاهد المقبرة: «كل ما نعرفه هو أن إيفيلن في ربيع سنتها الدراسية الأخيرة، اختفت من الكابا هاوس. واختفى معها الطلسم».

قالت مِي في أول مرة تتحدث فيها منذ وصولهن: «لذا، عندما نقول إن الشقيقات ينبغي لهن حماية بعضهن بعضًا...».

أنهت سكارليت جملتها قائلة: «نعني أن في بعض الأحيان ينبغي لهن التضحية بأرواحهن في سبيل ذلك».

ظلت كلماتها مُعلَّقة في الهواء بينما ساد الصمت بين الجميع. ولكن بعدها بلحظة دوى صوت فرقعة قوي، إذ انفجر كشاف النور الذي استقر إلى جوار مدخل الضريح. شهقت جميع المستجدات وتراجعن إلى الخلف.

قالت سكارليت: «الليلة، سوف تحظين بفرصتكن الأولى للعمل كفريق، وتثبتن إلى أي مدى أنتن قادرات على التضحية لحماية بعضكن بعضًا».

رفعت يديها لتدب الحياة في المزيد من كشافات النور، التي أضاءت درجًا لولبيًّا أفضى إلى داخل الضريح الهائل خلفهن.

- هذا جزء من شبكة أنفاق تربط بين الغالبية العظمى من مدينة سافانا القديمة وحرم ويسترلي الجامعيّ. بمجرد دخولكن إليه، سوف نحبسكن فيه.

قالت مِي: «لقد تركنا لكُنَّ قرائن في كل ردهة. سوف تحتجن إلى التعاون معًا إذا رغبتن في تلمس طريق العودة إلى الكابا هاوس».

تدخلت تيفاني قائلة بصوتٍ مفعمٍ ببهجة كريهة: «إما هذا، وإما أن تخاطرن بالاحتجاز تحت هذه المدينة للأبد».

مدَّت داليا يدها لجمع هواتفهن المحمولة جميعًا. تخلّت فيفي عن هاتفها وهي في حالة من الذعر، إذ إنها تتمكن بالكاد من التنقل *باستخدام* هاتفها.

سلَّمت سكارليت فيفي قلادة فضية بالية، نُقش عليها رموز غريبة: «سوف تساعدكِ هذه في العثور على طريق العودة. حظٌّ سعيدٌ».

قالت تيفاني وهي تتبادل مع سكارليت ابتسامة ذات مغزى: «سوف تحتاجينها».

~

باشرت ريجان وبايلي البحث في المقابر أولًا، ترددت سونالي لوهلة، ثم لحقت بهما.

تبعت فيفي أريانا في عتمة مدخل الضريح، وكانت قد هبطت سُلمتين بالكاد عندما سمعت صوت صريرٍ عاليًا. استدارت لترى الباب الثقيل يُغلق خلفها. ولجزءٍ من الثانية، التقت عيناها بعينَي سكارليت. لقد بدا على الفتاة الكبرى *القلق*. فكرت فيفي في هذا، ولكن قبل أن يتسنى لها التمعن في تعبير شقيقتها الكبرى أكثر، أُغلق الباب بإحكام ليغرقن في ظلامٍ دامسٍ.

وبينما كانت فيفي تنتظر أن تعتاد عيناها الظلام، مدَّت يديها وأخذت تتحسس الجدار لتهتدي إلى طريقها. امتعضت عندما لمست يدها شيئًا رطبًا ولزِجًا. انحدرت الطريق للأسفل، ورغم أن الجزء المنطقيَّ في دماغ فيفي علم أن هناك وفرة من الأكسجين بالأسفل، فإن استجابتها الطبيعية كانت أن أخذت أنفاسًا قصيرة مذعورة.

لم يسعها التوقف عن التفكير في الأجراس الصدئة التي رأينها بجوار بعض المقابر، تذكارًا من الأيام الغابرة قبل ظهور أجهزة مراقبة نبضات القلب وأجهزة استشعار النشاط الدماغي، عندما كان الناس يفيقون في بعض الأحيان من غيبوبة ليجدوا أنفسهم دُفنوا أحياء.

قالت ريجان: «هذا جنون».

وتبعتها أريانا قائلة: «صحيح. سوف يحظون ببضعة قبور فارغة إضافية إذا تُهنا في هذا المكان».

قالت بايلي وصوتها يتردد صداه بين الجدران: «إنها على الأرجح مجرد قصة اختلقنها لإخافتنا. أراهنكن أن إيفيلين ووترز لم تكن من الغربان حتى».

قالت سونالي بصوتٍ خافتٍ لدرجة أن فيفي سمعتها بصعوبة: «بل كانت من الغربان. لقد عرفتها أمي. لقد اختفت بالفعل».

لم تنبس إحداهن ببنت شفة. كانت الأصوات الصادرة الوحيدة هي أصوات أنفاسهن المتهدجة فضلًا عن صوت تنقيط مياه مستمر قادم من بعيد.

سألتهن أريانا أخيرًا: «هل سنمضي في طريقنا ونحاول العثور على مخرج من هذا المكان أم أننا سنظل واقفات هنا طوال الليل؟».

قالت فيفي: «سوف يكون من المفيد لنا أن نتمكن أولًا من رؤية الطريق التي نسير فيها. أعتقد أنه لا واحدة منكن تحمل شمعة يمكننا أن نشعلها».

قالت ريجان: «لا للأسف. لقد تركتُ مجموعتي من الشموع في حقيبة يدي الأخرى».

قالت بايلي بهدوء: «قد لا أحتاج إلى شمعة. فقد كنت أتدرب. مهلًا». صدر صوت خشخشة خفيف قبل أن تقول: «*أهيب بملكة الصولجان أن تُرِينا عجائب قدرتها وتنعم علينا بضياء النهار*».

كانت الكلمة الأخيرة قد خرجت بالكاد من فمها عندما بزغت في الظلام شعلتان برتقاليتان متوهجتان أخذتا تحومان فوق راحتَي كفيها المقلوبتين.

قالت أريانا: «حسنًا فعلتِ. هل أحضرتِ معكِ بطاقاتكِ؟».

هزت بايلي رأسها نفيًا بحذر وكأنها كانت خائفة من أن تحتك الشعلتان ببعضهما بعضًا.

- أعتقد أن التدرب أتى بثماره.

سألتها سونالي: «هل تأذيتِ؟».

أجابتها بايلي بنبرة متفاجئة: «لا، إطلاقًا».

قالت ريجان بابتسامة عريضة وهي تستحضر شعلة في كلٍّ من كفيها كذلك: «يتطلب الأمر أكثر من هذا لحرق ساحرة».

لقد كان الضوء المنبعث من الشعلات الأربع كافيًا لتشكيل دائرة صغيرة متذبذبة حول المستجدات وهن يواصلن الهبوط على الدرج الضيق، وقد احتككن بالصخور الرطبة التي بدا وكأنها تضيق الخناق عليهن. وبعد فترةٍ طويلةٍ بدت وكأنها قرون، وصلن إلى أسفل الدرج ووجدن أنفسهن في مواجهة عمودٍ حجريٍّ عليه نقوش بدت وكأنها كتابات بالهيروغليفية. وخلفه، تفرعت ثلاثة دروب في اتجاهات مختلفة.

قالت سونالي وهي تمرر يدها على النقوش: «أعتقد أنها تعويذة. انظرن، إن الرموز ليست منقوشة بالفعل على الصخور. بل إن هذا مجرد سراب. لا بد أن هذه هي القرائن التي أشارت إليها مِي».

خطت بايلي للأمام ومدَّت يديها إلى أن وصل الضوء الصادر من الشعلات إلى العمود: «إنها رموز خيميائية (ثم أومأت برأسها ناحية سهمٍ تصاعديٍّ يتخلله خط) إنه رمز الهواء. أما السهم التنازليُّ على يساره الذي يتخلله خط فهو رمز الأرض. هذا السهم بالأسفل يرمز للمياه، أما السهم الأيمن فيرمز للنار. لقد تعلمنا هذه الرموز في صف تاريخ العلوم في العام الماضي».

سألتها أريانا: «إذن، ما الذي تعنيه هذه الرموز؟ هل هي اتجاهات؟».

هزت سونالي رأسها نفيًا قائلة: «لو كانت هذه بوصلة، فمن المفترض أن يكون رمز الأرض بالأعلى، مشيرًا إلى الشمال».

أمسكت فيفي القلادة التي منحتها إياها سكارليت ثم تساءلت: «بايلي، ما هذا الرمز؟».

مشيرةً إلى حرفٍ هيروغليفيٍّ شابه الرمز الذي يشير إلى المرأة باستثناء وجود هلال على قمته.

- أظن أنه رمز كوكب عطارد، ولكنني ليست لدي أدنى فكرة عما يعنيه في هذا السياق.

اقترحت ريجان عليهن شيئًا قائلة: «ماذا لو كانت لهذه الرموز علاقة بالميثولوجيا الإغريقية؟ ربما...».

توقفت عن الكلام إذ انتشر في الأجواء صوت حفيف خافت، وكأن أمطارًا تتساقط من بعيد.

- ما هذا بحق الجحيم؟

تلفَّتت فيفي حولها بحثًا عن مصدر الصوت، ثم شعرت بمعدتها تتقلص بعنف. لقد غُمر أحد الممرات فجأةً بمياه متماوجة، كانت تتجه نحوهن مباشرة.

قالت وهي تدور على عقبيها وتدفع رفيقاتها المستجدات إلى الأمام: «سحقًا. هيا، ينبغي لنا الهرب. الآن!».

استحال صوت الحفيف إلى صوت عقيق بينما كانت المياه تزداد اقترابًا.

قالت سونالي وهي تلهث: «لقد كان عطارد، مبعوث الآلهة المجنح. إله السرعة. لقد كان الرمز.. يخبرنا.. بأن.. نتحرك».

انطفأت شعلات كلٍّ من بايلي وريجان وهما تنطلقان مسرعتين، ما أعاد النفق إلى الظلام الدامس. تعثرت فيفي على الأرض غير المستوية والتوى كاحلها بصورة مؤلمة. غير أنها شعرت برذاذ المياه المتدافعة على مؤخرة عنقها، لتسري بداخلها دفعة من الأدرينالين. واصلت الركض لاحقة بالأخريات، إلى أن دوى صوت صياح أريانا: «إنه مسدود. ثمة جدار».

توقفن هن الخمسة فجأةً. أطبقت فيفي جفنيها بقوة واستعدت لصفعة المياه المندفعة، ولكن بهذه البساطة، توقف صوت الضجيج الصاخب،

وأخذت المياه تنحسر، كالكلاب البوليسية عند استدعائها. ظلت الرطوبة عالقة في الأجواء غير أن الأنفاق سادها الصمت.

أخذت فيفي أنفاسًا بطيئة عبر أنفها، محاوِلةً أن تهدئ نبضات قلبها المتسارعة. لا بد أن هناك طريقة للعودة إلى الكابا لم تنطوِ على السباحة عبر نهرٍ تحت الأرض.

- هل تعرف إحداكن تعويذة لتحديد الموقع؟

قالت سونالي وهي تتنفس بصعوبة كذلك: «هناك تعويذة للعثور على مالِك أحد الأغراض. يمكننا استخدامها على القلادة للعثور على سكارليت، غير أنها إحدى تعاويذ الماجور أركانا. لا يفترض بنا استخدام هذا النوع من التعاويذ إلى أن نصبح غربانًا بالكامل ونحظى بقوى الفئات الأربعة».

قالت ريجان: «أنا مع تجربتها. أي شيء أفضل من الوقوف هكذا في الظلام في انتظار هجوم آخر مفاجئ».

قالت أريانا بحزم: «سوف نفعلها. سونالي، أخبرينا بما ينبغي لنا فعله».

- أولًا، ينبغي لكُنَّ أن تشبكن أياديكن معًا (كان هناك بعض الضجيج إذ إنهن تخبطن في الظلام للعثور على بعضهن. وأخيرًا، تجمعن معًا. شبَّكت فيفي يديها في يدَي أريانا وبايلي) فيفي، هل تملكين القلادة؟

- أنا أرتديها.

- حسنٌ، فلترددن ورائي جميعًا: «*أهيب بالكاهن والنجم السحيق أن ينعما علينا* بحكمتها *للتقفي* من بعيد».

أغمضت فيفي عينيها وقالت: «*أهيب بالكاهن والنجم السحيق أن ينعما علينا* بحكمتها *للتقفي* من بعيد».

خرج صوتها مرتعشًا ومترددًا، غير أن الفتيات الأخريات انخرطن في الإنشاد، ليصبح صوتها أعلى وأكثر يقينًا. لم يمضِ وقت طويل قبل أن يتردد صدى أصواتهن عبر الأنفاق، أصوات غنية ورنانة، لقد بدا كما لو أن الأموات النيام انضموا إلى الجوقة.

«*أهيب بالكاهن والنجم السحيق أن ينعما علينا بحكمتها للتقفي من بعيد*».

في البداية، كان كل ما شعرت به هو تنميل في أطراف أصابعها، العلامة التي باتت مألوفة لسريان سحرها بداخلها. وبعدها بثوانٍ قليلة، أخذ هذا الطنين المحبب إلى النفس يتعاظم متحولًا إلى شيء آخر. سرت تيارات كهربية مؤلمة في صدرها، واندفعت دماؤها، كثيفة وسريعة، لدرجة أنها شعرت أن عروقها على وشك الانفجار. أخذت الأرض تدمدم تحت قدميها، نافضةً الغبار والركام من فوقهن.

صاحت أريانا: «فيفي، تراجعي. إنكِ تزودين التعويذة بقوى أكثر من اللازم».

صرَّت فيفي على أسنانها، وحاولت أن تتخيل سحرها وهو ينحسر، غير أنها شعرت وكأنها تحاول كبح إعصارٍ: «لا أستطيع».

لهثت وأخذت تتنفس بصعوبة. أصبح صوت الدمدمة أكثر عنفًا، وبدأت صخور أكبر في التساقط. حاولت فيفي أن ترفع يديها لحماية نفسها، غير أنها لم تتمكن من رفع ذراعيها، ولا حتى عندما خدش شيءٌ باردٌ ومسننٌ وجهها من الجانب.

صاحت سونالي فيها، بينما أخذ النفق يرتج بأكمله قائلة: «لا بد أن تتراجعي. سوف نُدفن أحياء. أما بقيتكن، فلتواصلن الإنشاد».

تشبثت فيفي بيدَي صديقتيها أكثر وأخذت تسحب سحرها بكل ما أوتيت من قوة، وقد استُنفِدت وكأنها كانت تحاول أن ترفع شاحنة نقل عملاقة. وفي اللحظة التي ظنت فيها أنها على وشك الانفجار، أخذ الضغط الواقع على أطرافها في الانحسار وهدأت الدمدمة.

«أهيب بالكاهن والنجم السحيق أن ينعما علينا بحكمتها للتقفي من بعيد».

تردد صدى الكلمات بين جنبات النفق.

وبعد برهة، جُذِبت السلسلة حول عنق فيفي.

«أهيب بالكاهن والنجم السحيق أن ينعما علينا بحكمتها للتقفي من بعيد».

أُزيحت القلادة عن صدر فيفي ثم رفرفت أمامها. وبعدها، وبرعشة عنيفة، دارت إلى الناحية المعاكسة وجذبتها إلى الخلف إلى أقصى يسار النفق. شهقت فيفي، إذ إن السلسلة حول عنقها أخذت تجرح بشرتها.

صاحت أريانا عبر الظلام عندما أخفضت فيفي يدها قائلة: «فيفي؟ ما المشكلة؟».

حاولت أن تجيبها، غير أنها عندما فتحت فمها، لم يخرج أي صوت. وفيفي في حالة من اليأس، حاولت انتزاع السلسلة إذ بدأت النجوم تظهر عند طرفَي عينيها. وباستخدام آخر ذرة من قواها، تمكنت من خلع السلسلة. أخذت نفسًا عميقًا للغاية ويداها تتشبثان بالقلادة.

اندلعت الشعلتان في راحتَي يدَي بايلي مجددًا، كاشفتين عن وجوه المستجدات القلقة.

سألتها بايلي بعينين متسعتين من فرط الذهول: «هل أنتِ بخير؟».

أومأت فيفي برأسها وأخذت نفسًا عميقًا وهي تنتفض جراء الجهد الذي بذلته: «من هذا الاتجاه».

قادت فيفي هذا الموكب المترنح والقلادة تسبقها وكأنها مشدودة بخيطٍ خفيٍّ. وأخيرًا، سمعت صوت تصادم، إذ إن القلادة اصطدمت بشيءٍ صلبٍ. تقدمت أريانا إلى جانب فيفي وأخذت تتحسس الجدار: «إنه باب».

عثرت على مقبضه وفتحت الباب على مصراعيه، ليغمر الضوء النفق. جفلت فيفي وحجبت عينيها عن الضوء، بينما جذبتها أريانا من ذراعها وأخذت تضحك بارتياحٍ وتقول بصوتٍ مبحوحٍ: «لقد وصلنا؟».

سألتها فيفي وهي تخرج مترنحة من النفق إلى ما بدا قبوًا تتراص على جانبيه قنينات مُغبَّرة. حظيت بعض هذه القنينات بملصقات غريبة: *آدم وحواء*، *جاذبية*، *أفضل الأعمال*، *الخداع*. أما الزجاجات الأخرى، مثل زجاجات الخمر، فقد سهل التعرف عليها أكثر.

اهتزت القلادة بعنف وأشارت نحو سلالم قريبة في اللحظة التي فُتِح فيها باب القبو.

- أنتن هنا بالفعل؟

ظهرت تيفاني أعلى الدرج برفقة سكارليت التي أخذت تحدق إلى المستجدات بارتياب.

حررت فيفي سلسلة القلادة لتطير إلى الناحية الأخرى من القبو. التقطتها سكارليت قبل أن تصطدم بها. أخذت تقلب في القلادة ثم قالت: «هل استخدمتن تعويذة تقفي الأثر عليها؟».

أجابتها فيفي بنبرة متسائلة وهي تختلس النظر إلى رفيقاتها المستجدات: «ماذا كان عسانا أن نفعل غير ذلك؟».

- لقد كانت الرموز المنقوشة على هذه القلادة قرائن على الاتجاهات التي رسمناها داخل النفق. لا نتوقع من طالبات في السنة الأولى أن يؤدين تعويذة تقفي الأثر.

قالت أريانا بنبرة دفاعية وقد أمسكت يد فيفي: «حسنٌ، لقد كانت هذه فكرة فيفي ولقد نجحت».

أخبرتهن سونالي كيف ارتجَّت الأنفاق وكادت تنهار: «لم يسبق لي أن رأيت قوى مماثلة».

قالت تيفاني وهي يبدو عليها الانبهار: «واو».

غير أن تركيز فيفي كان منصبًا على سكارليت التي كانت تحدق إليها بوجهٍ جامدٍ. حضَّرت فيفي نفسها لوصلة من التأنيب، ولكن ما أدهشها وأراحها، هو أن سكارليت ابتسمت فحسب وقالت: «أحسنتِ صنعًا يا شقيقتي الصغرى. والآن، فلنحتفل».



الفصل الثامن عشر

سكارليت

كانت إحدى علامات السحرة الضئيلة المختبئة وسط الخط الاحترافيِّ الكبير على اللافتة، المؤشر الخارجي الوحيد على أن هذا المتجر الصغير في سافانا القديمة كان أكثر من مجرد متجر للنباتات. لقد كان رصيف المتجر يعج بنباتات الصبار وزهور الأوركيد والأعشاب وأشجار الفاكهة الصغيرة. ولكن من الداخل، إذا علمتِ أي بابٍ من الأبواب ذات المرايا غير المعلمة ينبغي لكِ الدخول منه...

- واو.

تمكنت سكارليت بالكاد من منع نفسها من الابتسام جراء حالة الذهول التي كانت فيها الفتاة المستجدة عندما دخلت إلى متجر *المرجل والشمعدان* للمرة الأولى. لقد تدلَّت الأعشاب المجففة من السقف، بينما اصطفت الأحجار الكريستالية على أحد الجدران، وملأت الشموع من كل لونٍ ونوعٍ جدارًا آخر. أما الجداران الباقيان، فقد احتلتهما رفوف من الكتب تعج بكل شيء بدءًا بكتب عن المقابر القديمة وصولًا إلى كتب السحر المعاصرة الشعبية.

قالت فيفي بحماس: «وكأنها حانة سحرية».

وفي منتصف الغرفة كانت هناك رفوف لمعدات الطقوس السحرية الأكبر حجمًا، مثل المكانس والمذابح وتماثيل الآلهة من كل طائفة يمكنكِ التفكير فيها. وبالطبع المراجل والشمعدانات التي حمل المتجر اسمها.

أشارت فيفي إلى صفٍ من الأحجار الكريستالية قائلة: «ما هذه؟».

- حجر الكوارتز الوردي لفتح القلوب، حجر السبج للهبوط، حجر اللازورد لفتح العين الثالثة. يحمل الناس هذه الأحجار لتحسين مزاجهم أو لاستخدامها كتعاويذ وقائية.

أشارت سكارليت إلى الأعشاب المتدلية من السقف قائلة: «كل شيء يحوي طاقة بداخله. بعض الأعشاب والأحجار الكريمة تمد بعض التعاويذ التي نفعلها بطاقاتها المتفردة، جاعلة إياها أقوى (ثم أشارت إلى المراجل قائلة) تساعدكِ معدات الطقوس السحرية على التركيز على غايتكِ. تجعلكِ ساحرة أقوى».

كان هذا نشاطًا إلزاميًا على الشقيقة الكبرى والصغرى. لقد مرت بضعة أيام منذ أن أحرق أحدهم الفزاعات المتشبهة بالساحرات في فنائهن الأماميّ، ولقد احتجن إلى المزيد من المؤن لتقوية تعاويذ الحماية خاصتهن، غير أن سكارليت سلَّمت بأن التبضع مع فيفي كان ماتعًا إلى حدٍ ما. لقد كانت جريئة وعفوية إلى أقصى حد. لقد فغرت فاها أمام كل شيءٍ جديدٍ تصادفه وكأنها طفلة تتذوق الحلوى للمرة الأولى. لقد كان هذا مسليًا نوعًا ما. لقد سلَّمت أيضًا بأن شقيقتها الصغرى كانت أقوى كثيرًا مما تخيلت. لقد كادت فيفي تتسبب في زلزالٍ في الأنفاق. كان هذا النوع من القوى نادرًا، وإذا وقع في الأيدي الخطأ سيكون خطيرًا. غير أن فيفي كانت تبذل قصارى جهدها للسيطرة على قواها. في صباح هذا اليوم، تمكنت من تغيير هيئة الصوبة الزجاجية لتبدو وكأنها غابة مطيرة.

أمسكت فيفي بحزمة من أعشاب العرعر قائلة: «أهذا ما ينقصنا؟».

- نعم. أحضري خمس حزمات على الأقل. فنحن نستخدمه بصورة كبيرة.

أمسكت سكارليت بالسلة قائلة: «إنه نوع من الأعشاب المطهرة الشاملة أو الماحية. في كل مرة تتطلب فيها إحدى التعاويذ أوراق الغار أو أعشاب الصنوبر، يمكنكِ استبدال أعشاب العرعر بها».

سألتها فيفي وهي تكوِّم الفروع المجففة داخل السلة: «كيف تعرفين كل هذا؟».

- لقد علمتني أمي.

قالت فيفي بحزن: «يا لكِ من محظوظة. لم تخبرني أمي حتى أنني ساحرة».

- لستُ متأكدة من أن *محظوظة* هي الكلمة الصحيحة. أعني... لا تسيئي فهمي، أنا سعيدة أنني ساحرة. غير أن السحر يترافق معه الكثير من التوقعات... (صمتت برهة غير متأكدة إلى أي مدى يمكنها البوح ثم أردفت قائلة) أمي تضع عليَّ ضغوطًا كثيرة.

- أظن أنني كنت لأفضّل ذلك (مررت فيفي يديها على صفٍ من الأحجار الكريمة) لم تفسر لي أمي أيًا من هذا. لقد اعتدنا التنقل فحسب دون سابق إنذار. مثل تلك المرة التي كنا نعيش فيها في فيغاس، عدتُ آنذاك إلى البيت لأجد كل أغراضي قد وضُعت في السيارة. قالت إننا سوف نتوجه إلى سان دييغو في نفس ذات اللحظة، لأنها رأت «شرًا كبيرًا في أوراق الشاي خاصتها».

قالت سكارليت بنبرة ساخرة: «كل هذا ولم تشُكي أنكِ ساحرة؟».

ضحكت فيفي قليلًا قائلة: «أفحمتِني، أعني، صحيح أن كل العلامات كانت حاضرة، ولكنني قضيت معظم طفولتي أظن أن أمي دجالة، وربما هي كذلك، صحيح؟ لستُ متأكدة حتى هذه اللحظة ما إذا كانت تعرف أي سحر حقيقيٍّ أو أنها بارعة للغاية فحسب في إخبار النساء اليائسات أن ظروف أزواجهن الفاشلين على وشك التحسن».

رفعت سكارليت حاجبيها في دهشة. لم تكن تتوقع هذا. لسببٍ ما، لطالما تخيلت أن طفولة فيفي كانت... عادية. خالية من كل الضغوطات الموجودة في عالم السحر. خالية من الحاجة الدائمة لأن تكون الأفضل والأذكى والأقوى.

- إنها على الأرجح ساحرة حقيقية. قوى سحرية كقواكِ تتوارث عبر الأجيال.

أمالت فيفي رأسها جانبًا تأملًا ثم قالت: «إذن، هل أخفت قواها على مرأى من الجميع طوال حياتي؟ بصورةٍ أو بأخرى يبدو ذلك أسوأ».

- تظنين أن هذا سيئ؟ في منتصف حفل تخرجي في المدرسة الثانوية، ألقت أمي خطابًا عن مدى فخرها بـ... شقيقتي.
- كنتُ كلما تأخرت دراسيًا، كانت أمي تلقي باللوم على المدرسين. لقد زعمت أنها علمت أشياء عنهم من البطاقات. وفي إحدى المرات، شنَّت هجومًا على مدير المدرسة، وأشاعت أنه كان يتقاضى رشاوى لقبول طلبات الالتحاق. وقررت أن تعلن هذا بينما كنت على خشبة المسرح في حفل استعراض المواهب.

ضحكت سكارليت قائلة: «أنا واثقة أنكِ حظيتِ بشعبية كبيرة بعد ذلك».

قالت فيفي: «قطعًا، لقد انهالت عليَّ طلبات الصداقة. وبالطبع، أظن أن أمي كانت محقة بشأن كل شيء. ولكنني لم أصدقها آنذاك. ولكن انظري إليَّ الآن، موشكة على الانضمام إلى الأخوية الأقوى في الجامعة بأسرها (ثم تداركت خطأها سريعًا قائلة) *إذا* سمحتِ لي بالطبع».

قالت سكارليت وهي تختار المزيد من الأحجار الكريمة: «أشياء أغرب من هذه تحدث. سوف أكون صريحة معكِ، لم أثق كثيرًا في قدراتكِ في البداية».

- يا له من حديثٍ مشجع يا شقيقتي الكبرى.

سددت سكارليت إليها نظرة جادة ثم أردفت: «دعيني أُكمِل كلامي. لقد كنتُ محظوظة، إذ إنني لم أحظَ فقط بأمي في أثناء نشأتي، بل بميني أيضًا، مربيتي».

- بالطبع حظيتِ بمربية.
- لقد عنت لي أكثر من ذلك. لقد رافقت عائلتي خلال جيلين. كانت ساحرة، رغم أنها لم تنتمِ إلى طائفة رسمية من السحرة. لقد فضلت أن تمارس السحر بمفردها وأن تصوغ قواعدها الخاصة. لطالما وُجِدت ساحرات مستقلات، بعضهن نبذنَ معاشر السحرة تمامًا، وأخريات اخترن أن يرشِدن ويعلِّمن، مثلما علمتني ميني. لا غنى عن الساحرات المنشقات، فهن نزيهات ومحايدات، وليس لديهن أي رغبة في تكوين طوائف فردية، شاغلهن الوحيد هو سلامة كل الساحرات. فضلًا عن أن

الساحرة المستقلة تعد بمنزلة خط دفاع إضافيٍّ في حالة أن فسدت طائفة كاملة من السحرة.

- هل تظنين أن أمي ساحرة مستقلة؟

رفعت سكارليت كتفيها علامة على جهلها وقالت: «ربما، هل جربتِ أن تسأليها؟».

تنهدت فيفي قائلة: «محاولة إرغام أمي على منحي إجابة صريحة وواضحة تتطلب سحر السيوف. بعيدًا عن هذا، تبدو ميني رائعة».

- لقد كانت كذلك. لم تربطني بها قرابة دم، ولم تكن من الكابا، ولكنها كانت معلمة أرق كثيرًا من أمي. لقد ملأت فجوات حياتي، وليست فقط الفجوات السحرية (اختنق صوت سكارليت ثم أردفت) لقد توفيت في العام الماضي.

قالت فيفي برفق: «تعازيَّ يا سكارليت».

- رغم أن ميني مارست السحر وحدها، فإنها اعتادت أن تقول «*ساحرة وحيدة قوية، طائفة من السحرة لا تقهر*». أنتِ قوية يا فيفي، بل أنتِ أقوى ساحرة نجمة خماسية حظينا بها منذ سنوات. إذا كان هذا رأيي، فسوف يصبح رأي داليا كذلك.

منحتها فيفي ابتسامة سريعة ولكن فجأةً بات تعبير وجهها قلقًا.

- سكارليت، مع كل ما يجري هنا... الساحرات المحترقات في الفناء الأماميّ... سوف تكون جماعة الغربان بخير، أليس كذلك؟

قالت سكارليت سريعًا: «بالطبع. لقد وُجِدت جماعة الغربان طيلة قرونٍ من الزمن. نحن أقوى معشر سحرة في البلد بأسره. لا شيء سوف يمنعنا من استكمال مسيرتنا».

ليتها تصدق ما تقول.

أشارت إلى رف الكتب في الجانب البعيد من المتجر قائلةً: «إذا رغبتِ في أن تسبقي أقرانكِ، عليكِ تفقُّد كتاب خلاصة *الأعشاب*، إذ إنني سوف أكلفكن بقراءته في جلستنا المقبلة».

انطلقت فيفي بالفعل نحو رف الكتب المشار إليه. ما منح سكارليت وقتًا لجمع ما أتت من أجله حقًا. صحيح أن تعاويذ الحماية الخاصة بالكابا هاوس كانت بحاجة إلى التجديد، غير أنها احتاجت شيئًا محددًا لنفسها. نظرت بقلق إلى جانبها للتأكد من أن وجه فيفي كان مدفونًا في كتاب الأعشاب. ثم سارت نحو مخزن المتجر إلى رفٍ مغطى بستارٍ كستنائيٍّ احتوى على جمجمة مبتسمة. أحكمت سكارليت معطفها حولها، بينما رنَّ هاتفها المحمول في حقيبة يدها.

مايسون: «ما رأيكِ باستراحة قصيرة من الاستذكار؟».

سكارليت: «لا أستطيع، أنا في مهمة رسمية للكابا».

مايسون: «بحقكِ يا سكار، أفتقدكِ».

سكارليت: «أفتقدك أيضًا. سوف أراسلك لاحقًا».

أعادت هاتفها إلى حقيبتها وهي تشعر بتأنيب الضمير. لقد كانت هذه المرة الثالثة التي تؤجل فيها مواعيدها مع مايسون خلال الأيام القليلة الماضية، غير أن منصب رئيسة لجنة العضويات استهلك وقتها بالكامل. لقد أعطت المستجدات دروسًا استغرقت ساعات عن أطوار القمر، ودربتهن على قراءة بطاقات التارو لبعضهن بعضًا، وتفقدت خزانات ملابسهن لاختيار قطع الملابس غير الملائمة للغربان، وهو بصراحة في حالة فيفي، ما كان عبارة عن نصف ما اقتنته من ملابس. غير أنها لم تكن تؤدي مهامًا خاصة بالمستجدات في ذلك الوقت... تفحصت جيب معطفها مرة أخرى للتأكد من وجود الخاتم فيه. الخاتم الذي أسقطته غوين عندما جاءت إلى الكابا هاوس. لقد أوحت لها تعويذة تقفي الأثر الخاصة بفيفي بفكرة. لقد عدَّلت التعويذة قليلًا، وأعدَّتها بحيث تتقفى أثر المكان الذي ينتمي إليه الخاتم وليس مكان غوين نفسها. لقد أملت أن تقودها إلى المكان الذي تمكث فيه غوين، إذ إن سكارليت علمت بعدما سحرت أمين السجلات، أن غوين لا تعيش في أيٍّ من مساكن الطلبة أو الأخويات. لقد نالت سكارليت كفايتها من التخمين والقلق. إذا كانت غوين قد استعادت قواها مجددًا، إذا كانت لعودتها علاقة بكل الأمور الغريبة التي تحدث في الحرم الجامعيِّ، كانت في حاجة لمعرفة ذلك.

ولكن الآن، وسكارليت تنعطف إلى مبنى متداعٍ اصطفت على جانبيه منازل مهجورة في ضواحي سافانا، تساءلت ما إذا كانت هذه فكرة جيدة على أي حال. لقد قادها الخاتم إلى متجر غير مرخص ومتهدم للأدوات المنزلية. لقد علقت لافتة عدوانية مكتوب عليها باللون الأحمر *«مغلق»* إلى جوار بابٍ زجاجيٍّ، لُوِيت مفصلاته لدرجة أنها كادت تنكسر. وإلى جوار الباب الزجاجيِّ، استقرت منفضة سجائر امتلأت عن آخرها بكومة من أعقاب السجائر، كانت إحداها لا تزال مشتعلة.

بعدما أخذت سكارليت نفسًا عميقًا، طرقت على حواف الباب الزجاجيِّ، الذي تمكنت أن ترى من خلاله رواقًا يفضي إلى درج. نادت بعد برهة قائلة: «مرحبًا؟ هل من أحدٍ هنا؟». لقد علمت من خلال السجلات أن غوين كان يفترض بها الوجود في محاضرة عن تاريخ القرون الوسطى، ولكنها لن تستبعد فكرة تفويت أحد الصفوف على فتاة أحبت ممارسة السحر الأسود، لذا طرقت مجددًا.

لم يُجِب أحد.

بدقات قلب متسارعة، تلفتت حولها. لا أحد هنا غيرها. حاولت فتح الباب الزجاجيِّ، فانفتح. دلفت إلى الرواق، ثم وقفت في تردد. لقد جذبها الخاتم نحو الدرج ثم إلى بابٍ مُعلَّمٍ برقم 3 مائل. طرقت الباب مرة ثانية، ولكن أعلى هذه المرة، ثم عدّت حتى رقم 20، ثم تمتمت بِرِقة: *«أهيب بالكامنة وعتوما أن يهدياني إلى وجهتي. تفضلا عليَّ واسمحا لي بالمرور».*

كانت قد تعلمت هذه التعويذة في سنتها الدراسية الأولى، عندما كلفتها داليا، التي كانت شقيقتها الكبرى آنذاك، بمهمة لأسبوع الجحيم، وهي اقتحام مكتب رئيس الجامعة وإعادة ترتيب أثاثه. لقد ثبت أن فتح ذلك الباب آنذاك كان أصعب كثيرًا من فتح هذا الباب. إذ إن قفله لم يقاوم على الإطلاق. لقد أصدر صريرًا ثم قادها إلى الداخل، إذ إن الصدأ الذي يعلوه كان الشيء الوحيد الذي يُبقيه مغلقًا.

أخذت سكارليت نفسًا عميقًا للغاية ثم ألقت نظرة سريعة على الرواق الكئيب خافت الإضاءة، ثم دخلت إلى الشقة. لم تكن واثقة مما ينبغي لها توقُّعه. حيوانات مسلوخة، مذبح قرباني لا يزال مضرجًا بالدماء، أو ربما

بعض العظام أو أكوام من تراب القبور أو خصلة من الشعر. غير أن ما وجدته كانت... غرفة معيشة عادية.

لقد كانت هناك أريكة تساقطت منها بعض قطع الحشو، وتلفاز قديم أشبه بالصندوق بدا وكأنه سُلب من العام 1998، فضلًا عن سجادة رثة ورف خالٍ من أي شيء باستثناء كتب فيليب بولمان. تقدمت أكثر داخل الشقة وهي تسير على أطراف أصابعها. وجدت حمامًا صغيرًا ذا مساحة ضيقة للاستحمام وزجاجة شامبو لا يتجاوز سعرها دولارًا أمريكيًّا. وغرفة نوم بها سرير صغير غير مرتب فضلًا عن خزانة ملابس من إيكيا نصف أدراجها مفتوحة وتتدلى منها ملابس سوداء. لا شيء. لم يقتصر الأمر على عدم وجود أي علامات على السحر الأسود، بل لم تكن هناك أي علامات على وجود سحر من الأساس. لا شموع ولا أعشاب ولا بخور، ولا حتى أحجار كريمة للحماية.

لمحت سكارليت كتابًا على المنضدة، تشقق ظهره من فرط قراءته: *كيف تتغلب على الوحدة*. وإلى جانبه استقرت صورة وحيدة موضوعة في إطارٍ رخيصٍ، لغوين وهي ترتدي ثوب التخرج وتقف إلى جوار ثنائي أكبر سنًا، قد يكونان أبويها أو جديها على الأرجح. لقد أحاطاها بذراعيهما، وابتسم الثلاثي إلى الكاميرا. لم يسبق لسكارليت أن رأت غوين تبتسم بهذه الطريقة منذ الحادثة.

وهي تشعر بتأنيب الضمير، استدارت سكارليت وكانت على وشك مغادرة غرفة النوم عندما وقع نظرها على صورة أخرى. لم تكن هذه الصورة موضوعة في إطار، بل مدسوسة في حافة المرآة، باهتة ومجعدة بفعل الزمن. غير أنها ميَّزت الوجوه على الفور. غوين ضاحكة وإلى جوارها أحاطتها فتاة بذراعها معانقةً إياها: *هاربر*.

أشاحت سكارليت ببصرها بعيدًا وتوجهت عائدة إلى غرفة المعيشة. ألقت حقيبتها على الأرض وأخذت تفتش فيها إلى أن عثرت على المكونات التي تحتاجها. استقر وعاؤها الرخاميُّ في منتصف سجادة غوين الممزقة. ثم وبوجهٍ مكفهرٍ، أخرجت الحقيبة البلاستيكية ذات السحاب التي احتوت على الغرض الذي حازته في متجر المرجل والشمعدان. قالت هامسة في تلك الأجواء شبه المظلمة: «آسفة يا ميني، أنا مضطرة إلى هذا».

شعرت بغصة في مؤخرة حلقها عندما فتحت الحقيبة البلاستيكية. اجتاحت رائحة الفورمالين المختلطة برائحة الدماء كيانها. الرائحة وحدها جعلت عينيها تدمعان وتحرقانها. غير أن في السحر، الجزاء من جنس العمل. كي تتمكني من الكشف عن السحر الأسود، ينبغي لكِ الانخراط فيه أولًا. حبست سكارليت أنفاسها وأفرغت محتويات الحقيبة في وعاء الاستدلال الخاص بها. سقطت المحتويات مُحدِثةً صوت ارتطامٍ مروعًا.

أنزلت يديها فوق الوعاء، بقدر ما جرؤت، ثم أغمضت عينيها وقد أصبحت في كامل تركيزها. تجمَّع السحر في الهواء وانطلقت شرارته، وأخذت الأضواء تومِض وتنطفئ مرة بعد مرة والرياح تهز النوافذ.

قالت سكارليت هامسة وهي قادرة بالكاد على نطق الكلمات بصوتٍ أعلى: *«يا قلب كل الشرور امتَثِل إلى أمري»*.

لم يسبق لها أن فعلت شيئًا مماثلًا. سوف تسلخها أمها وهي حية إذا عرفت بالأمر. أجبرت نفسها على صرف هذه الأفكار المقلقة عن ذهنها. لقد كانت بحاجة إلى التركيز. التركيز على التعويذة: *«دماءٌ بدماءٍ، عينٌ بعينٍ، اجعلا أي سحر مظلم ينكشف لناظري»*.

أعقب ذلك صمت مطبق، لدرجة أنها أخذت تتساءل ما إذا كانت قد أخطأت في نطقها للكلمات... بوم بوم بوم. فتحت عينيها عنوةً وأخذ قلبها يخفق بشدة. لقد أخذ قلب الأرنب المحفوظ في الفورمالين الذي اشترته ووضعته في وعاء الاستدلال ينبض. بوم بوم بوم بوم. أخذت تراقبه في فزع ودماء فائرة تتسرب منه وتملأ وعاء الاستدلال.

مدَّت يدها بسرعة وأسقطت خاتم غوين داخل الوعاء. هبط على سطح السائل اللزج، ثم غاص ببطء تحت السطح وكأنه جرى ابتلاعه. أغمضت سكارليت عينيها مجددًا وهي تشعر بالغثيان، ثم رددت هذه الترنيمة: *«اجعلا أي سحر مظلم ينكشف لناظري»*.

بات صوتها أقوى وأكثر ثباتًا في كل مرة كررت فيها الترنيمة. وعلا صوت نبضات القلب وتسارعت أكثر فأكثر، بوم بوم بوم بوم بوم.

وأخيرًا، عندما شعرت بالطاقة تحتدم، وتتوق إلى أن يُطلَق سراحها، انفتحت عيناها فجأةً مرة ثانية وقالت آمرة بصوتٍ أعمق وأخشن من صوتها المعتاد: «*اكشفا لي*».

أخذت الدماء التي أصبحت تملأ الوعاء الآن تتحول وتلمع. وبينما كانت سكارليت تراقبها، استقرت صورة وسط هذه القذارة. لقد كان وجه غوين.. غير أن هيئتها اختلفت عما كانت عليه في صورها المبتسمة في غرفة نومها، لقد شابهت الهيئة التي بدت عليها في آخر مرة رأتها سكارليت فيها، نحيلة وشاحبة، وشعرها وبشرتها في حالة يرثى لها.

ينبغي أن تكشف التعويذة عن أي نوايا سيئة، عن أي دليل على أن غوين انخرطت في ذلك النوع من السحر الأسود الذي أبدت اهتمامًا به في سنتها الدراسية الأولى. غير أن وجهها في وعاء الاستدلال بقي على حاله. وبعد برهة، تخلل صورتها وهجٌ ذهبيٌّ خافتٌ، لقد أخذ في الانتشار إلى أن سطع الوعاء بضوءٍ ذهبيٍّ زاهٍ لدرجة أن سكارليت لم تتمكن حتى من رؤية القلب في منتصف الوعاء بعد الآن. تلفَّتت حولها في الغرفة. لا شيء، لا سحب دخانية ولا أشباح تتوارى في الزوايا المظلمة. لا أثر لوجود أي سحر على الإطلاق. لا شيء سوى ذلك الضوء الذهبيِّ المتواصل.

لم تستخدم غوين السحر الأسود. لم تلعن أي أحد. إذا كانت محتويات شقتها تدل على أي شيء، فهو على أنها لم تعد تحظى بأي قوى على الإطلاق. تراجعت سكارليت للوراء وهي غير واثقة ما إذا كان ينبغي لها الشعور بالارتياح أم الانزعاج. ذلك حينما دوى صوت ارتطام الباب الزجاجيِّ. «سحقًا»، هبَّت سكارليت على قدميها وانتزعت الحقيبة البلاستيكية التي أحضرت القلب فيها، ثم أفرغت محتويات الوعاء بأكمله بداخلها مباشرةً وقد جعدت أنفها اشمئزازًا. لا بد أن تتخلص من تلك المحتويات في مكانٍ ما على الطريق المؤدية إلى المنزل، لقد فات الأوان على التخلص منها الآن.

هرعت سكارليت خارجة من باب الشقة وهي تحمل حقيبة السحر المُهدَر وحقيبة يدها، ثم توقفت وأسندت أذنها على الخشب للتنصت. لم تسمع أصوات وقْع أقدام ولا أي أصواتٍ أخرى من الجهة المقابلة. لا بد أنه أحد الجيران. أخذت نفسًا عميقًا وفتحت الباب بحذر ثم أغلقته وراءها وأعادت

القفل مكانه. نزلت بخفة على الدرج ثم انسلّت من الباب، وحرصت على إبطاء حركته كي لا ينغلق بقوة.

جاء صوتٌ من خلفها قائلًا: «ما الذي تفعلينه هنا؟».

دبَّ الذعر في أوصال سكارليت واستدارت سريعًا لتجد جاكسون يتكئ على الجدار الأسمنتيِّ المجاور لمدخل البيت. *سحقًا*. لماذا أصبحت تراه في كل مكان فجأةً؟ استغرق نبضها المتسارع وهلة قبل أن ينتظم. وحينها ضيَّقت عينيها قائلة له: «أنا؟ ما الذي تفعله *أنت* هنا؟ هل تتبعني؟».

- لا تغتري بنفسكِ. أعلم أن هذا قد يبدو صادمًا بالنسبة إليكِ، ولكنكِ لستِ محور الكون.

اضطرت سكارليت إلى التحدث بنبرة استهزاء قدر استطاعتها قائلة: «هل تعيش هنا؟».

اتسعت ابتسامته قائلًا: «لماذا؟ هل كنتِ تبحثين عني؟».

أجابته بنظرة احتقار سددتها إليه، وقد أبقت وجهها جامدًا خلال ذلك. لقد ارتدى بنطالًا جينزًا مُرقَّعًا وقميصًا أزرق باهتًا. استقرت عيناها لثوانٍ على البشرة البُنية الداكنة التي أطلَّت من الشق المتعمد في بنطاله فوق منطقة الركبة. وعندما رفعت رأسها، مرَّر جاكسون يده على شعره القصير ووجدت نفسها تحدق إلى عينيه البُنيتين الماكرتين اللتين برزتا فوق عظام وجنتيه الجذابتين. لقد كان عليها الاعتراف بأنه ليس سيئ المظهر، لا يعني هذا أن لديها أدنى اهتمام به. فلديها مايسون.

رفعت رأسها بتكبر قائلة: «مستحيل. لقد كنتُ أحاول العثور على غوين».

- إنها ليست بالمنزل الآن.

رفعت سكارليت حاجبها تعجبًا قائلة: «هل تواعدها أو ما شابه؟».

مال جاكسون برأسه واتسعت ابتسامته الساخرة المثيرة للغيظ: «أتغارين؟».

لا بد أن نظراتها الساخطة قدمت له جوابًا شافيًا، إذ إن ابتسامة جاكسون تلاشت قليلًا.

- أنا وغوين يربطنا شخصٌ عزيزٌ يكترث كلانا لأمره. ربما تتذكرينها.

اقترب جاكسون أكثر وشمَّت سكارليت رائحة عطره الخافتة، رائحة خشبية وحادة.

تراجعت للخلف قائلة: «من تقصد؟ هل هي واحدة من عشيقاتك السابقات؟».

ضاقت عينا جاكسون وتلاشى أي أثر للاستمتاع من على وجهه.

- إنها أختي غير الشقيقة في الواقع. هاربر ويلسون.

انحبست أنفاس سكارليت في حلقها. *اللعنة.*

ولا بد أن جاكسون تمكن من قراءة ما يدور بخاطرها، إذ إنه شبَّك ذراعيه وقال بصرامة: «أجل، صحيح. لقد كانت من الكابا، وقبل عامين، قتلتِها أنتِ وشقيقاتكِ».





الفصل التاسع عشر

فيفي

لقد كانت فيفي مستمتعة بجميع صفوفها حتى الآن، غير أن ما أدهشها هو أن صفها المفضل كان تاريخ الفنون. إذ إنها خلال نشأتها، لم تمتلك شغفًا واضحًا بالفنون. لقد مرت سنوات طوال منذ أن عاشت في مدينة بها متاحف ومعارض مرموقة، أما أهل المدينة الذين تحدثوا بحماس عن المعاني الخفية في لوحات الفن التشكيليّ التي هي عبارة عن لطخات عشوائية من الألوان، فقد ذكّروها بزبائن دافني الذين سعوا للعثور على المعنى وسط قسوة وعشوائية العالم.

غير أنها في أثناء جلوسها في قاعة تاريخ الفنون في الطابق الأرضيّ من أحد المباني من القرن التاسع عشر الذي كان كنيسة فيما مضى، لم يسع فيفي إلا أن تشعر بالذهول وهي تشاهد بروفيسور بارنوم وهو يُقلّب شرائح العرض التقديمي المصورة التي استعرضت طريقة استخدام الرسام الإيطالي كارافاجيو للظلال والضوء. لقد غيرت دراسة السحر الطريقة التي تفكر بها في كل شيء تقريبًا. لقد بات العالم أقل عشوائية مما اعتقدت سابقًا، لقد كانت هناك قوى غير مرئية تدير الأمور ومعانٍ خفية في كل مكان إذا دققت النظر، ولقد كان الفن انعكاسًا لذلك.

ولكن على الرغم من اهتمامات فيفي المكتشَفة حديثًا، حظيت المهام التي كلفتها بها الكابا بأولوية على حساب قراءات هذا الصف، ولقد علمت أنها كانت غير جاهزة بالمرة لمحاضرة اليوم في تاريخ الفنون، وهذه مشكلة كبيرة،

بالنظر إلى ميول بروفيسور بارنوم السادية بعض الشيء لاختيار الطلبة المستجدين. كانت تيفاني قد طلبت مساعدتها في تحضير تعويذة تجمُّل من أجل حفل العودة للدراسة في عطلة هذا الأسبوع، وفي الليلة الماضية سهرت حتى الساعة الرابعة صباحًا تقريبًا للانتهاء من مهمة كلفتها بها سكارليت: كتابة تعاويذ لجعل جسم ثقيل بخفة الريشة، لاستحضار عاصفة مطيرة، وثالثة لجعل أظفار قدمَي أحد الأشخاص تتساقط. لقد أخذت تحلم باستخدامها على زوي في المرة القادمة التي تدعو فيها صديقاتها لقضاء السهرة في الساعة الثانية صباحًا. لقد كان كل ذلك مذهلًا وغريبًا بصورة رائعة بالطبع، إلا أن جانبًا من فيفي تمنى لو أن الشقيقات خصصن وقتًا أقل قليلًا لأظفار القدم ووقتًا أكثر للأشياء الغريبة التي أخذت تحدث في الكابا هاوس مؤخرًا. صحيح أن فيفي كانت طالبة مستجدة، إلا أنها أمكنها ملاحظة أن هناك خطبًا ما. لقد تركها لقاؤها الأخير مع غوين في ساحة الجامعة في حالة من الفزع مثلما حدث عندما سمعت عن حريق الفزاعات، غير أن سكارليت بدت غير راغبة في مناقشة أيٍ من هذه الأمور.

- فيفيان، هل يمكنكِ الإجابة؟

وقفت فيفي مكانها وهي في حالة من الذهول، لتجد بروفيسور بارنوم واقفًا أمامها وهو يبدو عدائيًّا كالمعتاد. لقد كان محاضِرًا عبقريًّا غير أنه لم يشتهر بكونه متعاطفًا. لقد سرت إشاعة مفادها أنه جعل طالبًا فوَّت اختبار منتصف المدة نظرًا إلى خضوعه لجراحة عاجلة يرسب في الاختبار.

وإلى جانب فيفي، جلست سونالي التي أخذت تحملق فيها بعينين متسعتين وكأنها تحاول إخبارها بشيء.

- آسفة.

نظرت فيفي إلى شريحة العرض التقديمي على الشاشة، لقد كانت لوحة زيتية مؤثرة لصبي لا يرتدي سوى ملاءة ويحمل كأسًا من النبيذ. طلبت منه وهي تماطل لكسب الوقت: «هل يمكنك أن تعيد السؤال؟».

- لقد سألتكِ لماذا حظي باخوس بشعبية كبيرة لدى رعاة القرن السادس عشر. ولكن ربما لم يكن ينبغي أن يحال سؤال بمثل هذه الأهمية التاريخية لكِ، بالنظر إلى مظهركِ الشاحب وعدم اهتمامكِ

بمحاضرتي. قد أوصيكِ بالتوقف عن فعل أنشطة الأخوية الليلية والتركيز على السبب الأساسيّ الذي أنتِ هنا من أجله: الأكاديميا.

شعرت فيفي بوجهها يحمر خجلًا، وأخذت مجموعة من الطلبة في نهاية القاعة يتضاحكون هامسين إلى أن نظر البروفيسور إليهم شزرًا أيضًا.

ثم تردد صوت سونالي داخل رأسها وكأنه حبل نجاة: *«في كثيرٍ من الأحيان، كُلف الرعاة باخوس برسم بورتريهات لإبراز ثرواتهم ونجاحاتهم».*

ودون أن تتوقف فيفي لتفكر في ماهية التعويذة التي استخدمتها سونالي للتو، سددت إليها نظرة امتنان، ثم التفتت مرة أخرى للبروفيسور بارنوم.

قالت: «آسفة، لم أسمعك في المرة الأولى».

ثم رددت إجابة سونالي. كانت على وشك أن تعاود الجلوس عندما أمدَّتها سونالي بخاطرة أخرى، لذا واصلت التحدث قائلة: «هذه اللوحة بالتحديد التي كلفه برسمها الكاردينال ديل مونتي، ألمحت كذلك إلى الهوية الجنسية المفترضة لكلٍّ من كارافاجيو والراعي. إنها تنطوي على طابعٍ وثنيٍّ أعيدت صياغته في الرموز المسيحية».

حدق البروفيسور إلى فيفي لوهلة ثم أومأ برأسه قائلًا: «أحسنتِ. والآن، ومن منظور معاكس، فلنتحدث عن لوحة باخوس وأريادن لتيتيان...».

ثم مضى في حديثه.

همست فيفي قائلة لسونالي ذلك بابتسامةٍ عريضة، مُذكِّرةً نفسها بأن تطلب منها لاحقًا أن تعلمها هذه التعويذة: *«شكرًا».*

- *عفوًا.*

غمر الدفء صدر فيفي، ولكن لأول مرة لم تكن لهذه الحرارة علاقة بالشعور بالحرج. لم تتردد سونالي لثانية قبل أن تهب لنجدة فيفي. في أغلب مراحل حياتها، عانت فيفي بشدة للعثور على أشخاصٍ تعتبرهم أصدقاء حقيقيين لها، والآن أصبح لديها منزل يعج بهن. بل أفضل من الأصدقاء، شقيقات.

هو نفسه بحاجة إلى حفل مجون وعربدة على غرار احتفالات باخوس الرومانية. ربما حينها قد يسترخي قليلًا. مررت إليها سونالي هذه الخاطرة. تجسدت فكرة ماكرة غير معتادة من فيفي داخل ذهنها. فتحت ملف وورد

جديدًا على حاسوبها المحمول وكتبت: *ربما علينا أن نساعده في هذا*، ثم وجهت شاشة الحاسوب ناحية سونالي. ارتسمت على وجه سونالي ابتسامة ساذجة. *بالطبع*.

تفقدت فيفي سريعًا الأشخاص الآخرين الجالسين في صفهما لتتأكد من أن أحدًا منهم لم يكن ينظر إليها، ثم أغمضت عينيها وهمست بتعويذة الهلوسة التي كانت تتدرب عليها، مخفية كلماتها تحت صوت بروفيسور بارنوم الجهوري.

وبعدها بلحظة، تحولت اللوحة المعروضة على الشريحة إلى بورتريه عارٍ للبروفيسور بارنوم نفسه، وهو يرشف النبيذ عند حافة مغطس ساخن وقد وُضِعت منشفة على حِجره في موقعٍ حيويٍّ. شهقت مجموعة من الأشخاص، واستدار بارنوم سريعًا لينظر إلى الشاشة وتخضَّب وجهه بالحمرة من فرط الغضب. أخذ يلعن ويسب وجذب حاسوبه المحمول وبدأ ينقر عليه بجنون محاولًا الانتقال إلى شرائح أخرى، غير أن اللوحة المسحورة بقيت على الشاشة في عناد.

تبادلت فيفي وسونالي ابتساماتٍ عريضة سعيدة بينما ارتجَّت القاعة بالضحكات الهستيرية المصدومة.

- من الواضح أننا نواجه بعض الصعوبات التقنية اليوم. انتهت المحاضرة، فلينصرف الجميع.

قال بارنوم هذا ثم أخذ يتمتم بشيء بخصوص تلاعب القسم التقني بحاسوبه وعن تقديمه شكوى إلى الإدارة.

تمكنت فيفي من تمالك نفسها حتى خروجهما من القاعة، ثم تهاوت هي وسونالي أرضًا، وأخذتا تضحكان بقوة حتى دمعت عينا كلٍّ منهما.

قالت سونالي وهي تمسح عينيها: «كان ذلك رائعًا».

أجابتها فيفي: «بل *أنتِ* من كنتِ رائعة».

رنَّ هاتفها الجوال في حقيبتها، أخرجته ثم تلاشى شعورها بالرعونة عند رؤية الرسالة النصية على شاشته: «**أحتاج إلى التحدث إليكِ في الحال. قابليني في الغابة خلف الكابا هاوس. غادري الآن**».

شعرت فيفي بقلبها يسقط في حذائها البُنيِّ الداكن الواصل حتى كاحلها، الذي سحرته هذا الصباح ليخفي حذاءها الرياضي. أيًّا كان الأمر، فلم يبدُ مطمئنًا. ألقت نظرة سريعة على سونالي لتجدها تحدق في قلق إلى هاتفها.

- هل تلقيتِ رسالة أيضًا؟

أرتها فيفي الرسالة.

أومأت سونالي برأسها قائلة: «تلقيتها للتو من مِي».

قطَّبت جبينها في قلق قائلة: «لا تعتقدي أنهن عرفن...».

ثم سددت نظرة ذات مغزى لقاعة المحاضرة.

قاطعتها فيفي قائلة: «لا أعلم».

بينما اجتاحتها نوبة أشد من الفزع. كانت ممارستهما للسحر علانيةً بهذه الصورة مخاطرة كبيرة، وبخاصة أنهما لم تصبحا شقيقتين في الأخوية بصورة رسمية بعد. ربما امتلكت شقيقاتهن الكبيرات طريقة لمراقبتهن للتأكد من عدم استخدامهن للسحر على نحوٍ غير ملائمٍ. لم تكن فيفي متأكدة في الواقع من الكيفية التي تُدار بها عملية إقصاء إحدى المستجدات. أيكونُ هناك احتفال رسميٌّ يتجمع فيه الكل؟ أم أن سكارليت سوف تستدعي فيفي في أي وقت لتخبرها أنها لم يجرِ اختيارها؟ ما الذي قد تعنيه جملة «*أحتاج إلى التحدث إليكِ في الحال*» غير «أحمل خبرًا غير سار»؟ وما الذي سوف يحدث بعد ذلك؟ هل سوف تمحو سكارليت ذاكرة فيفي بحيث تصبح أفضل أسابيع حياتها لا شيء أكثر من ومضة عابرة في أعماق ذاكرتها؟ للمرة الأولى حظيت بأصدقاء، حظيت بمعنى لوجودها. هل كانت موشكة على خسارة كل ذلك؟

تنهدت فيفي قائلة: «يجدر بنا الذهاب. أيًّا كان ما يُردنه منا، سوف نزيده سوءًا إذا تأخرنا».

كانت الشمس قد أخذت في الغروب بحلول الوقت الذي وصلت فيه فيفي وسونالي إلى الكابا هاوس. وبدلًا من دخولهما إياه، دارتا حوله وتوجهتا نحو مجموعة الأشجار الكثيفة التي نمت خلف الباحة الخلفية. انخفضت الحرارة

فجأةً، وأخذت فيفي تفرك ذراعيها وقد تمنت لو كان بإمكانها أن تحضر كنزة قبل أن تخطو إلى تلك العتمة الكئيبة.

سألتها سونالي: «هل تظنين أن علينا الانتظار هنا؟».

كانتا قد قضيتا معظم نزهتهما من الحرم الجامعيّ في صمتٍ، إذ انشغلتا للغاية بمخاوفهما الخاصة عن التحدث.

- لقد أخبرتانا، أن نقابلهما في الغابة، لذا أعتقد أن علينا مواصلة السير.

ودون أن ينبسا ببنت شفة، دخلتا الغابة. لقد كان ذلك أشبه بالدخول إلى عالمٍ آخر، لقد حجبت أغصان الأشجار السميكة والمتشابكة معظم ضوء الشمس الآخذة في الغروب، رغم أنهما بين الحين والآخر، كانتا تصادفان بقعة ضوء على الأرض الدبِقة.

قالت سونالي وهي تشير إلى يمينها: «أظن أن علينا الذهاب من هذا الاتجاه».

- كيف عرفتِ؟

ضحكت سونالي وأومأت برأسها ناحية كرمة مزهرة بورود وردية نمت في ترتيب غريب كوّن هذه الكلمات: *«المستجدات، من هنا»*.

لقد تحولت نهاية الكرمة إلى سهم. ورغم توتر فيفي، فإنها ضحكت أيضًا. قد تكون عضوات الغربان غامضاتٍ لدرجة مثيرة للغضب، إلا أنهن بكل تأكيد فعلن كل شيء بأسلوبٍ مميز.

واصلت هي وسونالي السير إلى أن أخذ عدد الأشجار يقل، كاشفًا عن رُقَع من السماء شديدة الزرقة فوقهما. وأمامهما، تمكنتا من سماع همهمات أصوات خافتة، تتبعتا الصوت حتى دخلتا منطقة خالية من أي أشجار. لقد كانت عضوات الأخوية جميعًا هناك، وجميعهن ارتدين عباءات سوداء ما عدا داليا التي ارتدت عباءة لونها أحمر قانٍ. لقد وقفن في دائرة كبيرة، وعندما اقتربت فيفي وسونالي انفتحت الدائرة لتفسح لهما مجالًا للدخول فيها، حيث انتظرت المستجدات الأخريات. أخذت أريانا تتلفت حولها بعينين متسعتين، بينما بقيت بايلي جامدة وصارمة، بينما كشفت عيناها اللتان أخذتا تجوبان

في كل مكان عن شعورها بالقلق. حتى ريجان، التي عادةً ما تحافظ على أجواء من الانفصال النفسيِّ والسخرية، تململت في مكانها من فرط التوتر.

ودون أن ينطقن بأي كلمة، تقدمت الشقيقات الكبيرات للأمام واقتربن من شقيقاتهن الصغيرات. كانت ملامح وجه سكارليت غامضة عندما اقتربت من فيفي وكستها بعباءة سوداء حول ذراعيها، ثم وضعت إكليلًا من الزهور البيضاء على رأسها. فعلت بقية الشقيقات الكبيرات نفس الشيء، باستثناء اختلاف ألوان أكاليلهن، ثم عُدن إلى مواقعهن في الدائرة.

أما داليا التي كانت تقف إلى جوار كومة كبيرة من الحطب، فقد تقدمت للأمام واقفة في مركز هذا الجمع: «آن الأوان أيتها الساحرات. أهلًا بفيفي وبايلي وريجان وأريانا وسونالي. لقد دخلتن هذه الغابة وأنتن مستجدات، ولكن ستخرجن منها وأنتن شقيقات. هذه طقوس انضمامكن إلى الكابا. من فضلكن، قفن في أماكنكن المستحقة في الدائرة».

رغم الطابع الرسميِّ المهيب للحدث، فإن فيفي عجزت عن إخفاء ابتسامة عريضة ارتسمت على وجهها. وإلى جوارها، أطلقت سونالي تنهيدة طويلة وتمتمت قائلة: «حمدًا لله».

بينما صاحت أريانا وصفقت. قالت أريانا بحذر: «إذن، للتأكد فقط. هذا يعني أننا...».

قالت داليا ضاحكة: «نعم. لقد نجحتن. جميعكن. أنتن هنا لتصبحن شقيقات بصورة رسمية».

لقد استنفدت فيفي كل ما تملك من قدرة على ضبط النفس كي لا تقفز فرحًا وهي تنضم إلى الدائرة، التي اتسعت لتفسح مجالًا للشقيقات الجديدات. لقد نجحت. للمرة الأولى في حياتها تحقق شيئًا حلمت به. سوف يتغير كل شيء من الآن فصاعدًا. لقد كانت ساحرة تملك قوى سحرية، والأفضل من ذلك أنها كانت من الغربان.

- لقد اجتمعنا هنا لنعزز روابط أخويتنا ونرحب بأحدث المنضمات إلى عائلتنا. ولكن أولًا، عليَّ أن أتوجه بالشكر إلى سكارليت، رئيسة لجنة العضويات (التفتت داليا إلى سكارليت) هذه أول مرة منذ سنواتٍ عدة تقبل فيها كل مرشحاتنا كشقيقاتٍ بصورة كاملة، والفضل يعود

إلى حسن تدريبها إياكن (اتسعت ابتسامة سكارليت وتألقت عيناها بالحماس) والآن فلنبدأ (التقطت داليا غصنًا من الأرض المطحلبة، وبعدها بلحظة، اشتعل الطرف الآخر منه) شبِّكن أياديكن ودعونا نطهر هذا الحيز.

ابتسمت فيفي وهي تشبك يديها في يدَي مِي وسكارليت، ثم راقبت داليا وهي تُسقِط الغصن على كومة الحطب مُشعِلةً فيها النيران. تقافزت ألسنة اللهب حولهن قاهرة الظلام الزاحف. كادت فيفي تقسم إنها رأت صورًا لطيور مُحلِّقة وفتيات متراقصات. بدأت الشقيقات في الهمهمة وأصدرن أصواتًا جعلت القشعريرة تسري في جسدها.

سرت رجفة خلال الدائرة حيث ضممن أياديهن، ولوهلة بدا لفيفي وكأنهن مخلوق واحد، يتنفسن معًا، وقلوبهن تنبض في تناغم. وفي وهج النار، بدت الجماعة وكأنهن أطياف، وكأنهن الأرواح التي تظهر في هذه الغابات، شعورهن منسدلة وجامحة في مهب الريح.

قالت داليا بنبرة مترنمة: «*بمشيئتي، أشكِّل هذه الدائرة. وبكلماتي، أناشدها*».

أفلتت مِي وسكارليت يدَي فيفي، وتحولت الشقيقات معًا نحو اتجاهٍ واحدٍ، وأياديهن مرفوعة. حذت فيفي حذوهن وتبعتها الأخريات.

صاحت داليا قائلة: «*نهيب بملكة السيوف وروح الشرق أن تحلَّ أهلًا وتنزِل سهلًا*».

استدرن جنوبًا، والتقت عينا فيفي بعينَي أريانا لوهلة وابتسمت.

«*نهيب بملكة الصولجان وروح الجنوب* (ثم أردفت داليا قائلة) *أن تحلَّ أهلًا وتنزِل سهلًا*».

هبَّت الرياح بقوة، والتفَّ شعر فيفي حول وجهها وكأنه إعصار مصغر.

استدرن ثانيةً.

«*نهيب بملكة الكؤوس وروح الغرب، أن تحلَّ أهلًا وتنزِل سهلًا*».

ككيانٍ واحدٍ، اتجهت الشقيقات ناحية الشمال. استدارت فيفي معهن، ويدها مرفوعة في الهواء.

«نهيب بملكة النجمة الخماسية وروح الشمال، أن تحلّ أهلًا وتنزِل سهلًا».

سرت ومضات من الطاقة في جسد فيفي بأكمله، ابتداءً بقدميها وصولًا إلى كفيها.

صاحت داليا قائلة: *«أتضرع إلى الإمبراطورة والكاهنة العليا، أرواح السحر والشعوذة والأنوثة المقدسة»*.

أصبح صوتها أكثر عمقًا وكأن ذلك الطقس أمدَّها ببعضٍ من قوته.

«ندعوكن للانضمام إلينا الليلة ونحن نضم أولئك الشقيقات الجديدات إلى صفوفنا. اشملنهن برعايتكن وباركنهن بقواكن وحكمتكن... وسلطانكن».

جفلت فيفي بينما تنامت قوة تيار الطاقة، جاعلةً شعر ذراعيها ينتصب. ورغم أن معظم الحطب تحوَّل إلى رماد، فإن ألسنة اللهب علَتْ وأصبحت أكثر سطوعًا من ذي قبل.

سألتهن داليا: «من ترغب في إرشاد المستجدة سونالي إلى أخويتنا؟».

تقدمت مِي إلى الأمام. كانت قد اختارت لشعرها اليوم قصة شَعر قصيرة رمادية تتخللها خصلات سوداء. لقد جعلتها هذه الإطلالة تبدو بمظهر الساحرة أكثر من أي وقتٍ مضى. وبخاصة أن عينيها، حتى دون المكياج، بدتا كبيرتين بصورة غير طبيعية، وتقوَّست شفتاها على أكمل وجه قائلة: «أنا».

- من ترغب في إرشاد المستجدة فيفي إلى أخويتنا؟

تقدمت سكارليت إلى الأمام قائلة بجدية: «أنا».

وهكذا، نادت داليا المستجدات وشقيقاتهن الكبيرات الواحدة تلو الأخرى إلى أن وقفن جميعًا داخل الدائرة.

قالت داليا: «فلتركعن أيتها المستجدات. من الآن فصاعدًا سوف تربطكن هذه الطقوس ببعضكن بعضًا. وبمجرد أن تنهضن، سوف تصبحن كاملات العضوية في هذه الأخوية، مع كل ما سوف يترتب على ذلك من كافة الحقوق والمسؤوليات. هل تقبلن قوانين الكابا وتوافقن على الالتزام بها من هذا اليوم فصاعدًا؟».

قالت فيفي وبايلي وأريانا وسونالي وريجان في آنٍ واحدٍ: «نوافق».

تلفَّتت داليا حولها في الدائرة قائلة: «تجهزن لاستقبال قوى شقيقاتكن. سوف نحشد الآن سحرنا ونوجهه ناحية كل المستجدات. في حالة أصبح السحر أقوى من اللازم أو أثقل من اللازم، سكارليت، سوف تتدخلين لمساعدة المستجدات في الحد من هذه الطاقة الفائضة. هل توافقين؟».

أجابتها سكارليت قائلة: «أوافق».

ارتعدت فيفي عند سماع هذه الكلمات *في حالة أصبح السحر أقوى من اللازم*، وقد عادت بذاكرتها إلى ما جرى في المقبرة عندما كادت تتسبب في انهيار النفق. هل يمكن أن يتكرر شيءٌ كهذا الليلة؟ لم يكن السحر كله رقيات وتعاويذ، لقد كان نظامًا يتصل بقوى الكون العظمى وينطوي على إمكانية التحول إلى شيءٍ سيئ للغاية، مثلما حدث مع إيفيلين ووترز.

أومأت داليا برأسها ورفعت كل الشقيقات في الدائرة أياديهن ووجّهن كفوفهن ناحية المستجدات.

قالت داليا مترنمة: «*أتضرع إلى الإمبراطورة والكاهنة العليا أن تنعِما عليهن بقوانا*».

انضمت إليها الأخريات وعلت أصواتهن في كل مرة كررن فيها الترنيمة.

شعرت فيفي بتنميل في أطراف أصابعها، ثم أخذ ينتشر متقاطرًا عبر ذراعيها كقطرات المياه، متغلغلًا ببطء في جسدها. تعالى صوت الإنشاد إلى أن شعرت فيفي أن أصواتهن تتردد داخل صدرها.

«*أتضرع إلى الإمبراطورة والكاهنة العليا أن تنعِما عليهن بقوانا*».

اجتاح جسدها فجأةً طوفان عنيف من الطاقة. بدا مثل القُبلة الأولى، مثل الوقوف خارجًا في أثناء عاصفة برقية، خطيرًا ومثيرًا في آنٍ واحدٍ. مدَّت فيفي ذراعيها إلى الأمام مستقبلةً سحر شقيقاتها. تطاير شعرها طافيًا حول جبهتها وكأنها كانت مغمورة تحت المياه. ارتفع جسدها بأكمله وطفت قدماها على بُعد بضعة سنتيمترات من الأرض. ولمحت بطرف عينيها الأخريات وهن يرتفعن عن الأرض مثلها، رغم أنها لم تكن بحاجة إلى رؤيتهن للشعور بهن. لقد ربطهن خيط واحد الآن جميعًا، ولقد اختبرت ذلك بكل ذرة من كيانها.

لقد تمكنت من الشعور بفخر سونالي وحماسة أريانا الطائشة وشعور بايلي المختلط بالذعر والبهجة، والأدعى للاستغراب، شعور ريجان بالراحة بعد اليأس.

«أتضرع إلى الإمبراطورة والكاهنة العليا أن تنعِما عليهن بقوانا».

تعالت أصوات الغربان إلى أن تحولن إلى جوقة.

«أتضرع إلى الإمبراطورة والكاهنة العليا أن تنعِما عليهن بقوانا».

وفي اللحظة التي شعرت فيها فيفي أنها غير قادرة على استقبال المزيد من القوى، عندما شعرت أنها ستنفجر من فرط الطاقة التي تسري فيها، صاحت داليا بصوتٍ أعلى منهن جميعًا قائلة: *«في الأرض كما في السماء، فلتكن مشيئتنا».*

هدأت الرياح وتوقفت ألسنة اللهب عن التقافز صوب النجوم، وتهاوت فيفي كما لو كانت دمية من القماش، وسقطت بلا حول ولا قوة إلى أن لحقتها مجموعة من الغربان قبل أن ترتطم بالأرض. كانت إحداهن سكارليت، التي وجهت إليها أصدق ابتسامة رأتها منذ أن تقابلتا.

- مرحبًا بكِ في الكابا يا أختاه.



الفصل العشرون

سكارليت

لقد تفوقت تيفاني على نفسها.

في كل عام كانت الكابا تنظم حفل العودة. وبصفة تيفاني رئيسة اللجنة الاجتماعية، فقط خططت لرقصة هذا العام، ومنذ اللحظة التي فتح فيها مايسون باب سيارة الليموزين التي استأجرها هو وثنائيات من أخويتَي بيكا وكابا، لم يسع سكارليت التوقف عن التحديق إليها.

بعد اجتماع داليا بهن لشكرهن على أمسية ضم المستجدات، تهيأ لسكارليت أنها ضمنت الترشح لمنصب الرئاسة، غير أن عليها الاعتراف بأن هذا مذهل.

- ما رأيكما؟

هرعت صديقتها المفضلة لتحييها هي ومايسون بقُبلات على الخدين. لقد ارتدت فستانًا ذهبيًّا حريريًّا قصيرًا يناقض ويبرز فستان سكارليت الأسود الطويل. لقد كانت سكارليت أشبه بالسماء في ليلة غاب فيها القمر إلى جانب شمس تيفاني المتلألئة الساطعة.

لقد تماشى فستان تيفاني مع الشجيرات المزينة بالأضواء البراقة خلفها. لقد قررت أن تقيم الحفل في حديقة النباتات الساحلية في جورجيا، ولقد كان خيارًا مثاليًّا. لقد كانت الغربان مخلوقات أنيقات غير أنهن لم ينسين قط

مصدر قوتهن: الأرض. لذا شعرن أن قدومهن إلى الحديقة بفساتين السهرة البراقة أشبه بعودتهن إلى الديار.

لقد سبق أن زارت سكارليت هذه الحديقة في وضح النهار غير أنها كانت مختلفة في أثناء الليل. فقد أضاءها ضوء القمر وسلاسل الأضواء الرقيقة، لقد كانت ذلك النوع من الغابات الذي لا تجده سوى في القصص الخيالية. من المؤسف أنها لم تكن متأكدة من الكيفية التي سوف تنتهي بها هذه القصة. هل كانت هي العذراء الجميلة أم الساحرة الشريرة؟ ربما تعتمد الإجابة على من يوجَّه إليه السؤال. تلفّتت حولها باحثة عن جاكسون، رغم أن الشباب أمثاله لا يحضرون عادةً فعاليات مماثلة. لم ترَه منذ أن غادرت شقة غوين. لقد أنكرت اتهامه إليها بالطبع ورحلت وهي حالة من الغضب. غير أنها لم تعد لطبيعتها كليًّا منذ ذلك الحين. ما الذي عرفه؟ ما الذي ظن أنه يعرفه؟

كان عزاؤها الوحيد هو أن غوين لم تستعِد سحرها. هذا، وحقيقة عدم حدوث أي أمور غريبة منذ واقعة الفزاعات في الباحة الخلفية. لقد كانت تيفاني محقة، رغم الضغينة التي تُكِنُّها غوين للغربان، فإنها على الأقل لم تعد تحظى بأي قوى سحرية تساعدها في تنفيذ تهديداتها. فلتحاول أن تأتي إلى هنا ثانيةً. إن فتاة فانية وحيدة ليست ندًا لمعشرٍ كاملٍ من السحرة.

إذًا؟ تردد صوت تيفاني داخل رأس سكارليت. لقد غمزت لسكارليت بعينيها وقد بات واضحًا أنها في انتظار مديحها، الذي أدركت سكارليت أنها لم تمنحها إياه.

قالت: «يا صديقتي العزيزة، أنا في أشد الغيرة أنني لم أفعل هذا بنفسي».

نظرت تيفاني إليها واتسعت ابتسامتها.

قالت هازيل التي أتت من خلفهما: «إنها مدهشة يا تيف».

وفوقهن، تلألأت سلاسل الأضواء المسحورة التي تخللت أغصان أشجار البلوط الإسبانية وتحركت وكأنها أفاعٍ ذهبية متوهجة. واصطفت الشموع الوامضة على جانبَي الطريق الرئيسية، واستبدلت تيفاني بالمسار الموحِل المعتاد لوحًا صلبًا من الجليد، شفاف كالزجاج، عكس الأضواء فوقه، وهو إنجاز رائع بالنظر إلى حرارة الطقس التي بلغت ثمانين درجة مئوية.

قال مايسون مبتسمًا: «من المؤسف أنني نسيت أحذية التزلج خاصتي».

- لا داعي للقلق (أخذت تيفاني خطوة واسعة إلى الوراء على الجليد على حذائها ذي الكعب العالي وأشارت إلى ما حولها قائلة) إنه مصمم بصورة خاصة.

مصمم باستخدام السحر بالطبع، وهذا أقل ما يمكن فعله باستخدام السحر.

أخذت أوراق الشجر فوقهم تتغير، متحوِلةً ألوانها إلى ألوان الخريف الزاهية: الأصفر والأحمر والبرتقالي الزاهي، ثم أخذت تتساقط من الأشجار في وابل أشبه بندف الثلج، وبعدها أخذت البراعم تنمو وتورِّق مجددًا كما في فصل الربيع. كان الأمر كما لو الغابة بأكملها تتنقل سريعًا بين المواسم كل بضع دقائق.

قال مايسون عندما خطوا على الجليد الذي بدا صلبًا تحت أقدامهم كما لو كان رصيف مشاة: «لا بد أن أجهزة العرض هذه كلفتكن ثروة هائلة».

سألت سكارليت تيفاني بصوتٍ خافتٍ: «كيف نجحتِ في تحضير كل هذا؟».

هزت تيفاني كتفيها بلا مبالاة قائلة: «لقد ساعدتني مِي كثيرًا، ودالیا وإيتا بالطبع. حتى إنني نجحت في إقناع جولييت وبعض طالبات السنة الثانية بالمشاركة. وأذهلتنا شقيقتكِ الصغرى بما قدمته من عونٍ. إن هذه الفتاة قوية حقًا».

قطَّبت سكارليت حاجبيها استنكارًا وقالت: «لم تحتاجي إليَّ؟».

في الوقت الفاصل بين أسبوع الجحيم وظهور غوين ثانيةً، لم يكن لديها متسع من الوقت للتحدث إلى تيفاني. ورغم ذلك، آلمها عِلمها بأن تيفاني طلبت مساعدة الجميع عداها.

- لقد كنتِ مشغولة مع العضوات الجديدات.

فهمت سكارليت تلميحها: *لقد حصلتِ على كفايتِك من الفرص للتباهي.*

استمع مايسون إلى الحديث الدائر بينهما بأكمله، وباتت نظراته شاردة وغامضة.

ضمَّت يده بقوة قائلة: «أكل شيء على ما يرام؟».

لقد التزم الصمت بعض الشيء وهما في الليموزين. لم تلقِ بالًا لذلك، غير أنه بدا شارد الذهن.

قال وهو يندفع إلى الأمام: «بالطبع».

عزفت فرقة للجاز أمام ساحة رقص خشبية، في حين زيّنت الطاولات المستديرة حدود المكان، ومر النُدُل المرتدون بدلات أنيقة على الطاولات بأطباق المُقبِّلات. اختلطت طالبات ويسترلي بفساتينهن وطلاب ويسترلي ببدلهم مع الخريجين والقيادات العليا للجامعة. تلألأت الأضواء في الشجرة فوقهم، التي تدلى منها كذلك الطحلب الإسباني.

وإلى شمالها تمامًا، لمحت سكارليت أمها التي ارتدت فستانًا ضيقًا وقصيرًا ورائعًا من الساتان لونه أزرق سماويٌّ. لقد كانت تقف مع والد سكارليت ووالدة تيفاني فيرونيكا. لقد تقاطعت طرق مارجوري وفيرونيكا لمدة عامٍ واحدٍ في الكابا. لم تكونا مقربتين في ذلك الوقت، غير أن صداقتهما توطدت من خلال ابنتيهما.

أشارت مارجوري بإصبعها لسكارليت للقدوم، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة متكلفة، تلك الابتسامة التي تبديها عندما تضطر إلى الاختلاط مع محامين من شركاتٍ منافِسةٍ. لقد دهشت سكارليت أنها لم تدرك ذلك قبل الآن، لقد كان حفل العودة المناسبة الاجتماعية المفضلة لأمها في العام كله.

- أمي، مدام بيكيت (عانقت سكارليت والدة تيفاني قائلة) لم تخبرني تيفاني أنكِ سوف تكونين هنا.

لم يسع سكارليت ألا تلاحظ مدى نحافة مدام بيكيت. لقد ارتدت وشاحًا رُبط بإحكام حول عنقها، وظهرت جيوب عميقة أسفل عينيها وغارت وجنتاها. لقد تمكنت سكارليت من الشعور بكل فقرة في ظهر هذه المرأة عندما عانقتا بعضهما بعضًا. انفطر قلب سكارليت وغمرها الشعور بالذنب. كيف أمكن لسكارليت أن تنشغل باستبعادها من الجهود التي بذلتها تيفاني في الديكور بينما كان ينبغي لها أن تسأل عن صحة والدتها؟

التفتت إلى صديقتها وسألتها في سرها قائلة: «*أوه تيفاني... لماذا لم تخبريني؟*».

أجابتها تيفاني قائلة: «*لا يوجد ما يستحق الذكر. إنها أقوى مما تظنين*».

أومأت سكارليت برأسها مُجاريةً إياها، غير أن كلتيهما عرفتا أن الحقيقة عكس ذلك.

تدخلت مارجوري قائلةً بنبرة مصطنعة ومفرطة البهجة: «لقد كنا أنا وفيرونيكا نستعيد ذكريات الماضي».

- أجل، لقد كنا نناقش أهمية التآخي. عندما تشارف حياتكِ على الانتهاء يتضح لكِ ما ومَن يهم حقًا.

لقد كانت كلمات مدام بيكيت دافئة غير أن نبرتها كانت باردة. نظرت سكارليت إلى المرأتين وتعجبت من التوتر الساري بينهما.

قالت سكارليت وهي تحاول أن تغير من الأجواء: «أنا متأكدة أن تيفاني سعيدة أنكِ تمكنتِ من الحضور لتري هذا. لقد فعلت ذلك على أكمل وجه».

جاء صوتٌ مألوفٌ من خلفها قائلًا: «بلا شك».

استدارت سكارليت ببطء وقد أجبرت نفسها على الابتسام، بينما انحنت شقيقتها أوجيني وقبّلتها على خدها. لقد تأبط ذراعها رجل جديد، غير أن ذلك لم يكن مفاجئًا على الإطلاق. لقد مرت أوجيني بتجارب المواعدة كما تمر الفتيات الأرستقراطيات الشابات بفساتين السهرة.

قالت أوجيني لتيفاني: «لقد خمنت أن هذا من تدبيركِ. إذ إن سكارليت ما كانت لتملك المخيلة الواسعة لفعل ذلك».

تشنّجت سكارليت من فرط الغضب، غير أن صديقتها ربتت على ذراعها مسترضيةً إياها.

- في الواقع، لقد انشغلت سكارليت في هذا الفصل الدراسيّ بضم خمس عضواتٍ جديداتٍ إلى الغربان. هذا يفوق من ضممتِهن إلى الجماعة في كلٍّ من العامين اللذين توليتِ فيهما الرئاسة، أليس كذلك يا أوجيني؟

لقد كانت ابتسامة تيفاني المتسعة قادرة على فلق الحجر.

قاومت سكارليت رغبتها في غمر صديقتها بالقُبلات. حتى وتيفاني في أحلك لحظات حياتها، كانت لا تزال تحميها.

أردفت تيفاني قائلة: «كان عليكِ سماع داليا في الاحتفالية. لم يسعها التوقف عن الحديث عن الجهد العظيم الذي بذلته سكارليت مع المستجدات. حتمًا ستفوز بمنصب الرئاسة».

قالت مارجوري بابتسامة استحسان: «هذه هي ابنتي».

سددت سكارليت إلى تيفاني ابتسامة امتنان.

قالت أوجيني بصوتٍ خافتٍ بعدما استأذنت مارجوري في الانصراف للتحدث مع عميد الجامعة: «حسنٌ. حظٌ سعيدٌ في تأمين المنصب يا أختاه. رهاني لا يزال على تيفاني».

قبل أن يتسنى لسكارليت أن ترد، أشار مايسون إليها. لقد كانت مجرد إيماءة بسيطة برأسه وهزة خفيفة من كتفه. لقد ابتكرا هذه الإشارة البسيطة الخادعة قبل زمنٍ بعيدٍ في حفل مختلط في أخوية إبسيلون أوميجا تاو، أكثر أخوية ذكورية في الحرم الجامعيّ، عندما علقت سكارليت في محادثة مع أحد الفتية المستجدين عن لعبة بونج البيرة لساعة كاملة. لقد عنت الإيماءة: *أخرِجني الآن.*

قالت سكارليت قبل أن تغادر: «لا تقلقي يا أوجيني. في يومٍ من الأيام سوف تتمكنين من الحفاظ على رجلٍ لأكثر من ثلاثة مواعيد».

وبعدها، هرعت سكارليت إلى مايسون وأحاطت عنقه بذراعيها، وضحكة تيفاني الساخرة ترن في أذنيها. قادته ناحية البار، وتنفست الصُّعداء بمجرد أن اختفت شقيقتها عن ناظرها. غير أن جزءًا منها كان لا يزال مشغولًا بتيفاني. لقد كانت دنيئة حقًا لانشغالها بعدم إشراك تيفاني لها في التحضير لديكور الحفل في حين أن تيفاني كانت تواجه مشكلات أكبر من هذه.

تمتمت قائلة: «شكرًا لك على إنقاذي. لقد كنت بحاجة لذلك».

قال مايسون وقد اتسعت ابتسامته: «في الواقع، لقد طلبتُ مجيئكِ لرغبة في نفسي. أكره الطريقة التي تتحدثان بها إليكِ. لا يهم أنهما من عائلتكِ، غير مسموح لأي أحدٍ بالتحدث إليكِ بهذه الطريقة».

- قل هذا لأجيالٍ متعاقبة من آل وينتر. إن السلوك العدواني السلبي يجري في دمائنا.

قالت سكارليت هذا بنبرة ساخرة وقد توقعت أن يضحك مايسون غير أن وجهه بقي جامدًا.

قال بلطف: «يمكنكِ اختيار نسخة وينتر الخاصة بكِ التي سوف تصبحين عليها».

وقبل أن يتسنى لها أن تسأله عن ما يقصده، تفرّق الحشد المنتظر عند البار، بذات الطريقة التي يتفرق بها أي حشد عند وصول الغربان بفضل الاقتراحات الخفية التي يزرعنها داخل عقولهم. على أي حال، لقد أشار مايسون إلى أقرب ثنائي منهما كي يسبقاهما.

سألته سكارليت وقد تنامى شعورها بالانزعاج: «لماذا تفعل ذلك دائمًا؟».

لقد كانت في حاجة ماسة إلى مشروب بعد محادثتها مع أوجيني.

أومأ برأسه ناحية الصف الذي بدأ يتشكل من جديد: «أنا فقط لا أحب أن أتخطى دوري في الصفوف طوال الوقت. ينبغي لنا انتظار دورنا مثل البقية».

ضحكت سكارليت، غير أنه عندما لم يشاركها الضحك، توقفت.

- ما خطبك الليلة؟

- لا شيء.

أجابته قائلة: «أنا لست غبية يا مايسون. لقد عاشرتك طوال عامين، وأعرفك عندما تكون منزعجًا من شيءٍ ما. لقد تصرفت بغرابة طوال الليلة».

تقدمت نحوه غير أنه فعل العكس وتراجع إلى الخلف. قال وهو ينظر إلى البار، ثم إلى ثنائي راقص، وهو ينظر إلى أي شيء عداها: «سكارليت، إننا في حفل. فلنحاول أن نستمتع فحسب وسوف نتحدث عن ذلك لاحقًا. لا أرغب في خوض هذا النقاش الآن».

كاد قلبها يتوقف وسرى الخوف في عروقها. في مكانٍ سحيقٍ في ذهنها، كانت منتبهة إلى بضع فتيات من أخوية ثيتا كُنَّ يحدجنهما بنظراتٍ جانبية ويتابعن هذه التمثيلية. *اذهبن إلى الجحيم*، ترددت الجملة داخل رأسها

بشراسة وبسرعة، لدرجة أن كل شخص على محيط عشرة أقدام منهما تحرك بعيدًا.

قالت وهي تحاول الحفاظ على هدوئها والتحدث معه بتعقل: «اسمع، أعلم أن الأمور لم تكن طبيعية بيننا تمامًا مؤخرًا (يمكنها أن تنقذ هذه العلاقة. إنها سكارليت وينتر على كل حال) لقد غبتُ طوال الصيف وانصرف انتباهي إلى تعليم العضوات الجديدات. ولكن علاقتنا سوف تعود إلى مسارها الصحيح. نحن رائعان معًا وأنت تعرف هذا».

تنهد مايسون ومرر يده خلال شعره. المؤشر الكلاسيكي على توتره. إشارة البوكر خاصته. الإشارة التي لطالما وجدتها فاتنة حتى هذه اللحظة بالتحديد. لأنه عندما فعلها، علمت. علمت أن هذه الإشارة البسيطة سوف تشطر قلبها إلى نصفين.

اقترب أكثر منها، ورغم أن حنجرتها انغلقت تمامًا من فرط الذعر، فإنها واصلت التحديق إليه، كامرأة تغرق أطلّت برأسها من تحت المياه التماسًا لآخر نفس هواء قبل أن تسحبها الأعماق. وضع يديه على كتفيها، وكانت لمساته حذرة للغاية، وكأنما يلمس كائنًا هشًا، قابلًا للكسر. وكأنما يلمس إنسانة غريبة عنه.

- أنا أهتم بشأنكِ يا سكار، وسوف أظل أهتم للأبد. هذا لم يتغير، ولكنني أنا من تغيرت.

لقد كان هذا يحدث فعلًا. لقد كان يستخدم كل الكلمات والجمل التي تتردد في الأفلام الرومانسية الكوميدية الرديئة. لقد كان قاب قوسين أو أدنى من التفوه بجملة *«لست أنتِ السبب، بل أنا...»*.

هز رأسه في استنكار قائلًا: «لا أظن أن مستقبلنا متوافق كما كان ماضينا. وأعلم أنكِ في قرارة نفسك، تدركين هذا أيضًا».

ودّت أن تصيح قائلة: *«لا يا مايسون. لا أدرك هذا. فسّر الأمر لي»*.

ودّت أن تهزه إلى أن يقول شيئًا معقولًا. غير أنها عرفت أنه اتخذ قراره بالفعل. ربما اتخذه منذ وقتٍ طويلٍ، وكانت هي مشغولة أكثر من اللازم، غافلة أكثر من اللازم كي تلاحظ.

- أنت لا تعني هذا يا مايسون، أنت تحبني وأنا أحبك. يُفترض بنا أن نكون معًا.

أطرق برأسه. علمت فيمَ يفكر، لم يعد يؤمن بجملة «يفترض» بعد الآن. غير أن ما استخدمته من كلمات لم يهم. لقد خمنت ذلك من ملامح وجهه الصارمة وكتفيه المستقيمتين. لم يكن هذا أشبه بالتعويذة، التي إن نطقتِ فيها بالكلمات الصحيحة وحملتِ البطاقات المطلوبة، سوف يحبكِ أحدهم بالطريقة التي تتمنينها. صحيح أن هناك تعاويذ حب، وهناك طريقة لإغرائه بالعودة عن طريق السحر، لإجباره على التصرف وكأنه واقع في الحب. غير أن هذا ما سوف يكون عليه الأمر: مجرد تمثيلية. يمكنكِ أن تجبري قلبًا على الانصياع لمشيئتكِ، ولكن في أعماقه سوف يظل يمتثل لإيقاعه الخاص. وهذا ما لا يمكن تغييره.

قال: «لقد فكرتُ في ذلك كثيرًا. وأنا آسف، لم أنوِ فعل ذلك هنا، في هذه الليلة. أنا أحبك يا سكار، ولكنني أعتقد أن من الأفضل لنا أن نكون صديقين».

احتبست الدموع في حلقها. *صديقان؟* سحقًا لهذا. تقهقرت إلى الخلف. ولاحقها قائلًا: «سكارليت، انتظري».

رفعت يدها لتصده وتوقِفه باستخدام سحرها.

- أرجوكِ، أنا...

اللعنة. كانت ستشرع في البكاء، هنا.

تمكنت من التفوه بهذا، مندفعة نحو الحفل: «لاحقًا».

لقد كانت بحاجة إلى الخروج من هذا المكان. *الآن.* قبل أن تنهار بالكامل، قبل أن تهدم هذا الحفل من حولهم.

شقّت طريقها عبر الحشد على ساحة الرقص، وقد أخذت تدفع الناس بعيدًا بمرفقيها وعقلها. ارتجّ الحفل من حولها، لقد كان الجميع يضحكون بهستيرية ويرقصون ويتبادلون القُبل ويحدقون إلى ديكور الحفل باندهاش. بالنسبة إلى الجميع، الجميع ما عدا سكارليت، لقد كانت هذه الليلة مجرد ليلة رائعة أخرى في ويسترلي.

لقد وقعت عيناها أخيرًا على المخرج عندما ظهرت أمها وأوجيني في مجال رؤيتها. *سحقًا*. لا يمكنها التعامل معهما الآن. ليس وهي في أشد حالاتها ضعفًا. لم يكن بإمكانها تحمُّل شعور أمها بخيبة الأمل فيها، ولا شعور شقيقتها المستتر بالشماتة. لم يسعها حتى أن تفكر في طريقة تسوق بها الخبر إلى أمها. أخذت تتقهقر إلى الخلف في الحفل، باحثةً عن مخرجٍ آخر، عندما جذبها أحدهم من ذراعها.

جاكسون. يا إلهي، لا يمكنها التعامل معه الآن.

قالت بغضبٍ عارمٍ وهي تمسح دمعةً سالت على خدها: «جاكسون، هل يمكنك أن تصيح بي في وقتٍ آخر؟».

تغير تعبير وجه جاكسون في الحال، وتلاشت منه النظرات الحادة المعتادة. لقد نظر إليها بصورة أقرب إلى التفهم، وكأنه عرف كيف يكون شعور المرء عندما يفقد السيطرة على نفسه في أسوأ مكان على الإطلاق. بالطبع، بالنظر إلى أن هاربر كانت أخته غير الشقيقة، عرف ماهية الشعور بالتأكيد.

انقبض قلب سكارليت في هذه اللحظة ولكن ليس بسبب مايسون. ما قبل بضعة أيام، لم تكن لديها أدنى فكرة عن أن جاكسون كان الأخ غير الشقيق لهاربر. لطالما استلطفت هاربر، غير أنهما لم تكونا قريبتين من بعضهما بعضًا لهذه الدرجة. بعد وفاتها، لم تسمح سكارليت لنفسها بالتفكير في عائلة هاربر وكل الأشخاص الذين حُرِموا منها. لقد تفاقمت الآثار المترتبة على ما حدث لدرجة أكبر مما تخيلت.

جذبها جاكسون من مرفقها برفق وقادها عبر الحشد تجاه مخرجٍ جانبيٍّ لم تكن قد لاحظته من قبل. لقد أفضى إلى ممرٍ متعرجٍ وسط الغابة المظلمة يمتد موازيًا للممشى الأماميِّ. قال: «ينتهي هذا الممر على بُعد أمتارٍ قليلةٍ من المدخل الرئيسيِّ. على حد علمي، هناك صفٌّ كاملٌ من سيارات الأجرة في الانتظار، أنا متأكد أن إحداها سوف تأخذكِ حيثما تشائين».

لوهلة، لم تفعل سكارليت أي شيء سوى التحديق إليه: «لماذا تساعدني؟».

هز كتفيه علامةً على جهله بالسبب وبدت مشاعر عدم الارتياح التي اعتملت بداخلها على وجهه: «كما قلتِ، يمكنني أن أصيح بكِ في وقتٍ آخر. عودي إلى المنزل الآن ونامي قليلًا».

تحركت سكارليت بضع خطوات داخل الممر ثم استدارت لتشكره، ولكنه كان قد رحل بالفعل.



الفصل الحادي والعشرون

فيفي

بما أن المجموع الكلي للحفلات التي حضرتها فيفي حتى الآن بلغ ثلاث حفلات، أمكنها أن تقول بكل ثقة إن حفل العودة كان أفضل حفل حضرته في حياتها. لم يقتصر الأمر على الموسيقى الرومانسية والحيوية التي عزفتها فرقة الجاز أو على الأجواء الاحتفالية للحشد الساحر أو الطريقة التي داعب بها هواء أواخر سبتمبر الدافئ بشرتها وهي تدور على ساحة الرقص مع أريانا. بل كان أيضًا شعورًا باليقين أنها يمكنها الذهاب إلى أي مكان والعثور على شخصٍ ما سوف يسعده التحدث إليها، بدايةً من شقيقاتها الجديدات وصولًا إلى معجبيهن الذين لا يعدون ولا يحصون.

لقد بدا كما لو أن الجامعة بأكملها حضرت الحفل الليلة. لقد كان بعض الطلاب من صف تاريخ الفنون يثرثرون عند البار. وفتاة جميلة ذات شعر أحمر كانت قد حاورتها قليلًا في أحد المرات في الكافتيريا ترقص وحدها تحت شجرة ليمون. أما إيتا فقد كانت تتمايل مع فتى له عظام وجنتين مصقولتين بعناية وابتسامة تأسر القلوب. وكانت جولييت وجيس تتهامسان تحت الأضواء المتلألئة، وتيفاني ترقص مع فتى وسيم ميَّزته فيفي من حفل بيكا المختلط. حتى بروفيسور بارنوم كان هناك يرشف كأس ويسكي بمفرده في إحدى الزوايا. الوحيدة التي لم ترها هي سكارليت، ولكن من المؤكد أنها في مكانٍ ما وسط هذا الحشد الهائل من الناس، كانت تنتقد الحضور

بنظراتها المتعجرفة التي لم تعد تخيف فيفي كالسابق، بعدما اطلعت على الجانب الأرق من شقيقتها الكبرى.

نادت فيفي على أريانا وسط الحشد المتعرِق الذي يتراقص على أنغام موسيقى الفرقة قائلة: «سوف أعود خلال دقيقة. ما زلت لم أتعلم التعويذة التي تغنيكِ عن التبول كل نصف ساعة عندما تتناولين الشراب».

اندفعت عبر الحشد وتوجهت إلى الحمام. لقد كان الصف طويلًا غير أن فيفي أجرت محادثة مع طالبة متخصصة في علم الأنثروبولوجيا، كانت قد عادت مؤخرًا من بعثة دراسية لمدة عام قضتها في بيرو. منذ أسابيع قليلة فحسب. كانت فيفي لترهب كثيرًا فكرة التحدث مع طلاب في السنة الأخيرة، ناهيك بفتاة متزنة تكبرها سنًا حصلت للتو على منحة من قناة ناشونال جيوغرافيك، غير أن كونها كاملة العضوية في الغربان ألجم خوفها من التعرض للإحراج والرفض. فما أهمية استلطاف أحدهم لها من عدمه؟ لقد حظيت بمنزلٍ كاملٍ يعج بالصديقات في انتظارها.

كانت فيفي قد وصلت أخيرًا إلى مقدمة الصف عندما سارت تيفاني بخطى متئدة تجاهها، حاملةً كأسًا من الشراب في كل يد. لقد بدت غير متزنة قليلًا ولكنها بصورةٍ ما كانت لا تزال في غاية الأناقة بفستانها الليليِّ الذهبيِّ.

سألت فيفي: «هل ترغبين في واحدةٍ منهما؟ لقد أصرَّ النادل على منحي كأسًا إضافية «لجلب الحظ السعيد» أيًا كان معنى هذا».

قالت لها فيفي بابتسامة: «لا، شكرًا. إذا أخذتُ رشفة واحدة أخرى، قد لا أصمد أكثر من هذا».

ضحكت تيفاني قائلة: «هذا ما لا نرغب في حدوثه. لا يمكننا أن نسمح لنجمتنا الجديدة أن تتبول على نفسها».

- نجمة؟ (كررت فيفي الكلمة ثم أردفت قائلة) بالكاد.

تقدمت تيفاني للأمام حتى أصبح وجهها قريبًا من وجه فيفي قائلة: «لا، أصغي إليَّ يا فيفي. لقد شعرتُ بقواكِ في أثناء الحفل، وأعلم ما حدث في المقبرة. أريدكِ أن تعرفي أن لا مشكلة في هذا. لا مشكلة في أن تكوني قوية. هل تفهمينني؟».

قالت فيفي وهي تتراجع إلى الخلف قليلًا: «آآآ... نعم أفهمك».

أصبح تعبير وجه تيفاني أكثر جدية وأردفت قائلة: «لا ينبغي لكِ الاعتذار أبدًا عن كونكِ قوية».

- لن أفعل... أعدكِ.

- حسنٌ، جميل. لأننا نحتاج إلى ساحراتٍ مثلك. سوف يريد منكِ الجميع أن تتعلمي كيفية السيطرة على قواكِ، ولكن إياكِ أن تفقدي ذلك الشعور الذي غمرك في تلك الليلة. هذا هو السحر *الحقيقيُّ*.

بعدما انتهت تيفاني من كلامها، غادرت فجأةً وأخذت تسير بشكلٍ مائلٍ، إذ إن إحدى فردتَي حذائها غاصت في العشب، ثم عدَّلت من نفسها ومشت بتمهل.

نادتها فيفي قائلة: «اشربي بعض المياه».

بحلول الوقت الذي غادرت فيه فيفي الحمام، كانت قدماها قد آلمتاها بشدة جراء الوقوف لساعاتٍ طوال وهي مرتدية حذاءً ذا كعبٍ عالٍ. فتَّشت بعينيها في الحديقة ولمحت بضعة مقاعد خشبية متناثرة في أقصى الحديقة بعيدًا عن الحفل، بالقرب من بحيرة كبيرة.

خلعت فيفي حذاءها واستمتعت بملمس العشب البارد تحت قدميها، ثم اتجهت إلى أحد هذه المقاعد الخشبية. تهادت أنغام الموسيقى من بعيد، وتلألأت الأضواء مثل اليراعات. لم تفهم كيف يمكن لأي إنسان أن ينظر إلى هذا ولا يرى السحر.

لا تزال عاجزة عن تصديق أن تلك كانت حياتها. في صباح هذا اليوم، كانت قد انتقلت إلى غرفة صغيرة ولطيفة في الطابق الرابع من الكابا هاوس. لقد زُينت بورق حائط ورديٍّ مبهج واحتوت على أثاث مُذهَّب، بما في ذلك مكتب بدا وكأنه ينتمي إلى أحد القصور في فرنسا، فضلًا عن سرير صغير قوائمه مطلية بماء الذهب، وتتدلى من كلٍّ منها بلورة كريستالية صغيرة لونها أسود.

لقد أخبرتها داليا أنها يمكنها أن تعيد تصميم الغرفة كيفما شاءت، غير أن فيفي رأت أنها كانت مثالية بالفعل. لأول مرة، كان *كل* شيء في حياتها

مثاليًا. لقد حظيت بأصدقاء. لقد حظيت بشقيقات. لقد حظيت بقوى سحرية. *ليت أمي تراني الآن...*

سعل أحدهم وجثم ظلٌ مظلمٌ على المقعد الذي يبعد بضع خطوات عنها. جفلت فيفي واندهشت عندما أدركت أنها لم تكن وحدها. صاحت قائلة بصوتٍ مرتعشٍ قليلًا: «مرحبًا؟».

ذكَّرت نفسها قائلة: *أنتِ ساحرة. الأشياء المخيفة التي تتجول في أثناء الليل ينبغي أن تخاف منكِ الآن.*

- فيفي؟

نهض الظل وخطا داخل ضوء الفسحة الخافت.

- أوه، إنه أنت يا مايسون.

قالت فيفي ذلك بارتياح بينما ظلت نبضات قلبها متسارعة لسببٍ آخر. لقد كان شعره غير مرتب وربطة عنقه مفكوكة حول رقبته، ورائحة دخان السجائر تفوح منه. ولقد حمل كأسًا من الشراب في يده، لم يبق فيها سوى ثلج ذائب.

قال لها: «ما الذي تفعلينه هنا وحدكِ؟».

كان هذا السؤال ليحرج فيفي القديمة للغاية، لقد كان بمنزلة إقرار بغرابة أطوارها أو بكونها بلا أصدقاء، غير أن السؤال لم يضايق فيفي الجديدة على الإطلاق. لقد أصبحت هذا النوع من الفتيات اللاتي يمكنهن الجلوس وحدهن على مقعد خشبيٍّ بالقرب من إحدى الغابات ويبدون مستغرقات في التفكير وغامضات بدلًا من أن يبدون وحيدات.

- آخذ قسطًا من الراحة فحسب. ماذا عنك؟

في مكانٍ ما بالقرب منهما، نعقت بومة. لقد كان هناك حفيف خافت لحيوان يتحرك تحت خمائل الأشجار، أما أصوات الحفل التي تهادت من بعيد فقد كانت أشبه بهمهمات ضعيفة.

- أين سكارليت؟

سدد إليها مايسون نظرة متألمة قائلًا: «لقد انفصلنا للتو».

- ماذا؟ تقصد *الليلة*؟ (أومأ مايسون برأسه بالإيجاب) سحقًا، أعني، أنا آسفة. هل أنتَ بخير؟
- نعم، أنا بخير (ثم أشار إلى المساحة الشاغرة على المقعد الخشبيّ إلى جوار فيفي) هل يمكنني الجلوس؟

عندما أومأت فيفي بالإيجاب ألقى مايسون بنفسه على المقعد إلى جوارها، ولامس قماش بنطال بدلته السميك ساقها. ارتجفت فيفي رغم حرارة الجو في هذه الليلة.

- أُحِب سكارليت وسوف أظل أهتم لأمرها، ولكن لكي أكون صادقًا، لم يُقدَّر لنا أن نكون معًا.

قالت فيفي: «ظاهريًا، بدوتما ثنائيًا مثاليًا».

بالطبع كان عليها أن تدرك أكثر من أي أحد أن الأشياء ليست كما تبدو في الظاهر.

قال وهو يتحول في جلسته ناظرًا إلى فيفي: «لقد ظننت هذا أيضًا (أضاء نور القمر نصف وجهه، مُبرزًا عظام وجنتيه) ولكن الأشياء... تغيرت بالنسبة إليَّ فحسب هذا العام».

أخذت فيفي نفسًا سريعًا وضئيلًا عندما التقت عيناها بعينيه. التمعت عيناه العسليتان في ضوء القمر وقد أخذتا تفتشان في عينيها. بدت الأجواء بينهما مشحونة وللحظة عابرة ويائسة ودَّت أن تسأله لو كان انفصالهما له أدنى علاقة بها. غير أنها علمت أن هذه سذاجة منها. فهي ومايسون تحادثا بالكاد. أيًا كان التواصل الذي شعرت به تجاهه فهو من جانبها فقط. إنه مجرد إعجاب، هذا ما في الأمر.

وكأنه متشوق لتغيير الموضوع، ابتسم مايسون وقال: «لقد سمعت أنكِ أصبحتِ من الكابا الآن».

أجابته فيفي وهي تحاول أن تبقى نبرتها مرحة ولطيفة رغم نبضات قلبها المتسارعة: «الإشاعات صحيحة».

لقد كان قلبها يدق بصوتٍ عالٍ للغاية لدرجة أنها فكرت في أن تخاطر وتلقي عليه تعويذة لإسكاته، كي لا يلاحظ مايسون ما يفعله وجوده بها.

تحوَّل أكثر في جلسته وأصبحت ركبتاه تلامسان ركبتيها. لم يسبق لها أن جلست بهذا القرب منه، قريبة لدرجة أنها أمكنها أن تمد يدها وتلمسه إذا امتلكت الجرأة.

قال لها: «يا خسارة».

- لماذا؟

التفت مايسون إليها وابتسم بحزن قائلًا: «لأن هذا يعني أنني لا يمكنني أن أعرض عليكِ أن أكون مرشدكِ الخاص في إعداد فطائر الوافل. إن دافعي قوامه الإيثار وحده بالطبع. ولكنني لا أعتقد أن... الجميع سوف يتقبلون الأمر».

تجمدت فيفي في مقعدها إذ إن معنى كلماته تسلل عبر دفاعاتها. *يا إلهي... إنه معجب بي بالفعل.* رغبت في الوقوف والصراخ بأعلى صوت والدوران حول نفسها ومراسلة بايلي. أي شيء لتحرر مشاعر البهجة الجياشة التي أخذت تحتدم بداخلها. أو أن تتصرف كفيفي الجديدة تمامًا وتميل عليه وتُقبّله. لأول مرة في حياتها، يبادلها فتى أعجبت به الإعجاب. ورغم هذا -بدأ هذا الإدراك يتغلغل بداخلها، ثقيلًا ومُنبِّهًا- لم يكن هناك ما يمكنها فعله حيال ذلك.

لقد تغيرت الأمور بالنسبة إليها هذا العام أيضًا. لقد قلب السحر حياتها رأسًا على عقب. لقد منحها قوى تمكنها من تغيير مظهرها وتغيير مسار الرياح واستحضار أقدم وأكثر القوى غموضًا على وجه الأرض. لقد كان السحر قادرًا على الترحيب بها، هي تلك الطفلة الوحيدة، وسط عائلة من النساء الرائعات. غير أن هذا ما كان بإمكانه تغيير حقيقة أن مايسون كان الحبيب السابق لواحدة من شقيقاتها الجديدات. لقد كان مايسون محقًا، إنها من الكابا الآن. وإذا كان عليها الاختيار بينهما، فقد كان الجواب واضحًا.

- أجل، لن تكون فكرة جيدة على الأرجح.

مال مايسون إلى الخلف مسندًا ظهره إلى المقعد وتنهد بقوة، قبل أن يلتفت إليها ووجهه تعلوه ابتسامة حزينة قائلًا: «إن تلك الرابطة بين أفراد الكابا قوية للغاية، صحيح؟».

- صحيح... وأنا محظوظة لكوني جزءًا منها.

أومأ مايسون برأسه ثم التزم الصمت.

قال أخيرًا: «اعتني بها من أجلي، ممكن؟».

- ممكن.

أخذت فيفي نفسًا عميقًا ثم أجبرت نفسها على الوقوف. قالت: «وداعًا يا مايسون».

واستدارت عائدةً إلى الحفل، وتمنت لو أنها عرفت تعويذة بإمكانها أن تشفي قلبًا متألمًا.



الفصل الثاني والعشرون

سكارليت

قالت سكارليت هامسة: «ليس مجددًا».

عقدت ذراعيها فوق صدرها وعانقت نفسها وهي ترتجف في قميص نومها الخفيف. لقد كانت تقف في رواق الطابق الثاني من الكابا هاوس، وكانت كل أبواب غرف نوم شقيقاتها موصدة. غير أنها أمكنها سماع دوي الرعد ومشاهدة فورة العاصفة بالخارج من النافذة الموجودة في نهاية الرواق.

أخذت الشمعدانات المُعلَّقة على الحائط تومض وتنطفئ. سمعت أصوات ضحك عميقة ومكتومة من خلفها. غير أنها عندما استدارت سريعًا للخلف، لم تجد أحدًا غيرها. *إنها الصور*. هذا ما أدركته. لقد كانت كل الصور المُعلَّقة على الحائط تضحك هازئةً بها. صفًا تلو الآخر، شقيقات قدامى من الغربان أطللن من لوحاتٍ زيتية وأشرن بأصابعهن ناحية سكارليت وأخذن يضحكن في شماتة. ورغم أنها كانت مرتعبة، فإن عينيها فتشتا عن وجوه المقربات منها لترى ما إذا كُنَّ يضحكن كذلك. أمها وشقيقتها وداليا ومِي وغوين وأخيرًا هاربر. سارت على غير هدى ثم أخذت تركض. تعالت أصوات الضحكات وأصبحت أعنف.

وصلت إلى نهاية الرواق لتصطدم بحاجز خشبيٍّ صلب. لم يكن بابًا بل طريقًا مسدودة. دارت على عقبيها ثم تجمدت مكانها من فرط الرعب. لقد كان هناك شخص آخر في المنزل. شخصٌ قادمٌ تجاهها. لقد كانت ترتدي

عباءة، عباءة طويلة وفضفاضة بكُمين ممزقين، وقد مدَّت إحدى يديها تجاهها وكانت أظفارها أشبه بالمخالب الملطخة بالدماء. لقد كان لها شعر أسود طويل وعينان متوهجتان. وأسفل قلنسوتها، كشفت عن فم أحمر كالدماء مملوء بالأسنان ومفتوح عن آخره. هاربر، دومًا هاربر.

استيقظت سكارليت وهي في حالة من الفزع على صوت شهيقها. *إنه مجرد كابوس، إنه مجرد كابوس.* سحبت ملاءتها عنها وهي تتصبب عرقًا، رغم أن للمرة الأولى، تنخفض الحرارة تحت 70 درجة مئوية ليلًا. وبالخارج، لمعت صواعق البرق ولاحت نذر العاصفة في الأفق. ظل قلبها يدق بقوة داخل قفصها الصدري، دقات عنيفة لا تنقطع، رافضةً السماح لها بالعودة إلى النوم. تساءلت ما إذا كانت هي المتسببة في العاصفة أم أن هذه كانت مجرد خلفية مثالية لليلة عصيبة. مدَّت يديها المرتعشتين للحصول على زجاجة المياه التي تبقيها دومًا على الطاولة المجاورة لسريرها، غير أن الطاولة كانت فارغة. وأدركت بعد وهلة السبب. استرجعت ومضات من ليلة البارحة، عودتها وحيدة في سيارة الأجرة بعد حفل العودة. تعثرها في مشيتها داخل المنزل الفارغ. قلبها الذي انفطر من فرط البكاء في الحمام، وأخيرًا انهيارها على سريرها ووجهها مواجه إياه وهي لم تكلف نفسها حتى بإزالة المكياج منه.

لا بد أن منظرها كابوسيٌّ الآن. بالنظر إلى اللطخات السوداء على وسادتها، أدركت أن طلاء أهدابها سال على خديها. أخرجت نفسها من السرير وهي ترتجف في هواء المساء البارد. وفي الحمام، تجاهلت النظر في المرآة ورشَّت الماء على وجهها. أخذت تفرك وجهها إلى أن شعرت بحرقة في جلدها، ثم دفنت رأسها في إحدى المناشف. وعندما نظرت أخيرًا إلى انعكاسها في المرآة، كانت عيناها منتفختين ومتورمتين وشرايين وجهها الحمراء تزحف عبر بياضه.

دوَّت صاعقة رعدية أخرى. أعلى هذه المرة. لقد كانت العاصفة تشتد. عادت مرة أخرى إلى غرفة نومها وتفقدت هاتفها. كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة فجرًا فحسب. بآهة متذمرة، انهارت مجددًا على السرير وقد عقدت إحدى ذراعيها على جبهتها.

لا جدوى من ذلك، لن تشعر بالنعاس مرة أخرى، على الأقل ليس لبقية الليلة. تاقت أصابعها إلى تفقُّد المزيد من الأمور على هاتفها: الرسائل الأخيرة، مواقع التواصل الاجتماعي. قد يكون مايسون راسلها أو هاتفها أو نشر أي شيء على أحد حساباته. ولكنه لم يفعل أيًا من هذا.

سحبت سكارليت نفسها خارج الفراش ووضعت رداء نوم عليها، ثم مشت بتثاقل في الرواق الطويل تجاه المطبخ. ربما يمكنها أن تُعِد بعض الشاي، أو القليل من أحد المشروبات المنوِّمة. وبينما هي مارّة بغرفة تيفاني، سمعت صوتًا مكتومًا بالداخل أشبه بوقْع الأقدام. وقفت سكارليت مكانها وهي في حالة من التردد. لقد كان المنزل بأكمله صامتًا ويغط في النوم. ألصقت أذنها بالباب الخشبيِّ وقالت هامسة: «تيفاني؟».

لم ترُد. رغم أنها ظنت أنها سمعت *شيئًا* بالداخل، صوت نقر أعقبه صوت تحريك شيءٍ ما، مثل جر قطعة من الأثاث. طرقت على الباب برفق ثم مدَّت يدها إلى مقبض الباب. أدير المقبض بسهولة في يدها. دفعت الباب فاتحةً إياه عن آخره: «تيف؟».

لقد كان السرير متجعدًا وغير ومرتب... وخاليًا. بوجهٍ متجهمٍ أنارت سكارليت الغرفة، ثم صرخت بأعلى صوت. لقد تناثرت الدماء في كل مكان. على الملاءات المجعدة، وعلى الجدران كالطلاء. لقد تجمعت على السجادة ولطخت زجاج المرآة المهشَّم.

لقد انفتح بابا الشرفة عن آخرهما وأخذت مفصلاتهما تهتز وتُحدِث صريرًا وتنقر على الجدار بإيقاعٍ ثابتٍ ورياح العاصفة تطيح بهما. وإلى جوار عتبة الشرفة تمامًا، على ورق الحائط الكريمي، لمحت سكارليت أثر يد ملطخة بالدماء.

صرخت سكارليت مجددًا.

في هذه المرة، زلزل وقْع الأقدام القادمة من جميع الجهات المكان. انفتحت الأبواب ونادى الجميع على بعضهن بعضًا متسائلاتٍ عن ما حدث. غير أن سكارليت سمعتهن بالكاد وسط صوت دقات قلبها العنيفة. لقد لاحظت بالكاد الوجوه التي ملأت الرواق خلفها، لقد أضفن أصوات صراخ ونحيب عبَّرت عن ما يعتمل بداخلها.

كان ذلك عندما لاحظته. لقد وُضِع بدقة على الوسادة، كدعوة، مظروف أحمر. *إلى الغربان*، لقد كُتِب العنوان بخط يد أنيق. خط لم تميزه. انتزعته من على الوسادة وفتحته بينما صدح صوت داليا من خلفها: «فلتعدن جميعًا إلى غرفكن. سكارليت، تعالي معي (استقرت يد داليا على كتفها، دافئة وقوية) لنُخرِجكِ من هنا».

غير أن سكارليت تجمدت في مكانها وأخذت تقرأ الرسالة: «*إذا رغبتن في رؤية شقيقتكن مجددًا، فلتعثرن على طلسم مينوسيس. لا تلجأن إلى مساعدة خارجية، ولا إلى الشرطة. سوف آتي لأخذه في ليلة ولادة القمر. افشلنَ في مهمتكن وسوف تموت شقيقتكن. افشلنَ في مهمتكن، وسوف أحصد أرواح الواحدة تلو الأخرى منكن، إلى أن أحصل على ما أريده*».

قالت داليا وهي تنتزع الرسالة من يد سكارليت: «ما هذا؟».

ساد الصمت بين الشقيقات في الرواق بينما أخذت داليا تقرأ الرسالة بصوتٍ مرتفع. لقد كانت نبرة صوتها رزينة وكتفاها مستقيمتين غير أن يديها المرتعشتين هما ما كشفتا عن توترها.

لقد ساد الصمت في المنزل بأكمله، غير أن هذا النوع من الصمت كان بعيدًا كل البعد عن الصمت الثقيل للنوم الهانئ. لقد كان الهواء ضعيفًا وكأن صرخاتهن استهلكت كل الأكسجين، ما جعل التنفس عسيرًا.

كانت جيس أول من تحدثت: «لا يمكن إلا لساحرة أن تفعل هذا. ما كان لأي أحد آخر أن يتمكن من اختراق تعاويذ الحماية خاصتنا».

أومأت هازيل برأسها بالموافقة وعيناها متسعتان ومذعورتان، ثم قالت بصوتٍ مبحوحٍ: «سوف يولَد القمر الجديد بعد يومين».

تبادلت جولييت وإيتا نظرات قلقة وطويلة.

قالت مِي الواقفة في الرواق: «علينا أن نتصرف. نتصل بالشرطة أو...».

قاطعتها داليا وهي تتفقد الرسالة بعينين ضيقتين قائلة: «ولا واحدة منا سوف تذهب إلى الشرطة».

أجابتها سكارليت دون تفكير: «ولكننا مضطرات إلى هذا يا داليا».

لقد اختُطِفت تيفاني ومن الواضح أن نضالها كان عنيفًا. لم يعد هناك وقت للقلق بشأن انتهاك قواعد السحر، ليس وأعز صديقاتها قد تكون تنزف حتى الموت.

- وما الذي نخبرهم إياه يا سكارليت؟ أن ساحرة اختطفت شقيقتنا التي هي أيضًا ساحرة باستخدام السحر؟
- يمكننا ألا نذكر الجزئية المتعلقة بالسحر. لا بد أن نعثر عليها.

حاولت سكارليت أن تطرد عن ذهنها صورة وجه تيفاني المبلل بالدموع وهي تصرخ من شدة الألم. أو الأسوأ، وجهها وهو جامد وواجم وقد فارقت جسدها الحياة.

قالت داليا بإصرار: «لن نترك السحر خارج المعادلة. فالسحر هو الدافع والسلاح والضحية. والأمل معقود على أن السحر وحده ما سوف ينقذها. إذا اتصلنا بالشرطة سوف نمضي الـ 24 ساعة القادمة نجيب عن أسئلة لا طائل منها بدلًا من أن نبحث عن تيفاني».

قالت جولييت: «داليا محقة. الأمر يفوق قدرة الشرطة، فضلًا عن أننا لا يمكننا المخاطرة بافتضاح أمرنا بهذه الصورة. ليس الآن على كل حال».

ترددت سكارليت ثم أطلقت تنهيدة طويلة وأفلتت هاتفها الذي كانت تتشبث به داخل جيبها: «إذن، ما الذي سنفعله الآن؟».

ساد الصمت بين الجميع مرة أخرى، ولم يُسمع سوى صوت ارتطام قطرات المطر بالنوافذ.

تلفّتت داليا حولها في غرفة تيفاني وأخذت تستوعب هذا المشهد الفوضويَّ. استقرت عيناها على بِركة الدماء على الأرض، ولوهلة بدا أن عزيمتها الفولاذية تنكسر. تغضّن وجهها وأخذت تنتحب. لم يسبق لسكارليت أن رأت رئيستها تبكي سوى مرة واحدة، عندما توفيت جدتها. وبصورةٍ ما، في هذه الليلة الفظيعة بالفعل، زاد بكاؤها من شعورهن باليأس. غير أن هذه اللحظة مرت بنفس سرعة حدوثها، لقد استعادت داليا توازنها ثانيةً ثم انقبضت عضلات فكها في حزم. أخذت نفسًا عميقًا وأخذت تحدق إلى طائفة الساحرات من حولها، لقد تشبثت جولييت وجيس ببعضهما بعضًا. وكانت

فيفي شاحبة كالشراشف ناصعة البياض، وإلى جانبها وقفت أريانا التي انهمرت الدموع على خديها. لقد علمت سكارليت أن داليا لا بد وأنها تحمل على عاتقها مخاوف كلٍّ من شقيقاتها.

طوت داليا الرسالة بحرص ثم قالت: «سوف نعثر على طلسم هينوسيس كما هو مكتوب. ليس لدينا أي خيار آخر».

قالت مِي وهي تنقل بصرها بين داليا وبين وجوه شقيقاتها المرتعبة: «ولكن هذا الطلسم مجرد أسطورة».

قالت داليا: «وكذلك كانت الساحرات إلى أن ظهرنا نحن».

ضغطت سكارليت بأصابعها على صدغيها ثم قالت: «ولكن لم يتبقَ لنا سوى يومين. وإذا لم نتمكن من العثور عليه...».

لم تستطع أن تجسد أفكارها المروعة في كلمات.

- لقد فعلت عضوات الغربان المستحيل من قبل. لقد تحايلنا على أعدائنا لمئاتٍ من السنين. حتى أسوأ أنواع السحر الأسود لم تقدر على التصدي لقوانا المتضافرة. تيفاني شقيقتنا، وسوف نعثر عليها معًا.

رفعت داليا ذقنها في إباءٍ وحدقت إلى كلٍّ من الشقيقات. زمَّت هازيل شفتيها وأومأت برأسها بالموافقة. أما فيفي فقد كان وجهها شاحبًا ولكن حازمًا. بينما كانت نظرات سونالي حادة.

كررت مِي الكلمة ومدَّت يدها لتمسك يد سكارليت: «معًا».

تردد صدى الكلمة بين جنبات الرواق وكأنها ترنيمة: «معًا».

معًا.

أجبرت سكارليت نفسها على الابتسام من أجل شقيقاتها، ثم التفتت إلى داليا قائلة: «أود أن أنفذ تعويذة استدلال من أجل تيفاني، لأطمئن أنها بخير. لقد حذرتنا الرسالة من الاستعانة بمساعدة خارجية، غير أنها لم تنهَنا عن استخدام سحرنا».

وتدخلت فيفي باقتراح قائلة: «يمكننا أن نعثر على كاتب الرسالة أيضًا. لا بد أن هناك تعويذة لهذا الغرض».

قالت إيتا: «سوف أُجهِز المطبخ».

ثم أومأت برأسها لهازيل وجولييت كي تتبعاها.

قالت مِي وهي تهم بالانطلاق: «أما أنا فسوف أراجع كتاب التعاويذ الخاص بي».

أمسكت داليا يد سكارليت بينما انصرفت بقية الشقيقات للاستعداد ثم قالت: «قابليني في الصوبة الزجاجية خلال خمس عشرة دقيقة. سكار، هل أنتِ معي؟».

قالت سكارليت هامسة: «داليا، لا يمكنني الشعور بها».

أحكمت داليا قبضتها على يد سكارليت قائلة: «إنها تيفاني. لا يقدر أحد على العبث معها. هل تذكرين المرة التي علقت فيها داخل المقبرة خلال أسبوع الجحيم؟ عندما عجزت عن الخروج باستخدام السحر، تمكنت من شق طريقها للخارج باستخدام مخالبها دون أن تستعين بذرة من السحر. إنها مناضلة».

هزت سكارليت رأسها اعتراضًا قائلة: «لقد رأيتِ بنفسكِ كل تلك الدماء. سوف نكون محظوظات إذا كانت واعية على الأقل، ناهيكِ بامتلاكها القوة الكافية للمقاومة. إننا نردد على مسامع كل مستجدة أن «كونكِ مخلوقة من السحر، لا يعني أنه لا يمكن إيذاؤك»».

قاطعتها داليا قائلة: «إن إرادة تيفاني لا تفتر يا سكارليت. وهي بحاجة إلى قواكِ الآن».

- علينا أن ننقذها يا داليا.

- وهذا ما سوف نفعله. ولكن إذا كان هذا الشخص يبحث عن طلسم هينوسيس، إذًا... جميعنا نتذكر ما حدث لإيفيلين ووترز.. ينبغي لنا توخي الحذر يا سكار. إذا لم تسِر الأمور على النحو المطلوب...

أجابتها سكارليت بنبرة واثقة لا تعكس ما بداخلها قائلة: «ساعتها سوف نكون قويات بما فيه الكفاية لهزيمته».

وسوف يتعين عليهن أن يكُنَّ قويات إذا رغبن في العثور على أعز صديقاتها.



الفصل الثالث والعشرون

فيفي

لقد بدت زخات المطر التي تساقطت على سطح الصوبة الزجاجية وكأنها طيور ذات مناقير حادة تحاول أن تهشم الزجاج مخترقةً إياه. كان قد بقي بضع ساعات على بزوغ الفجر وعمَّ ظلام دامس بالخارج وحجبت نذر العاصفة الثقيلة النجوم. ورغم أن معظم الغربان استيقظن مرغماتٍ من النوم، فإن النعاس لم يبدُ على وجوههن وهن واقفات وقد شبكن أياديهن ببعضهن بعضًا في دائرة محاطة بشموعٍ بيضاء طويلة ورفيعة. بعض الفتيات بدَون مرتعبات بينما بدت أخريات غاضبات، غير أن وجوه معظم الفتيات الأكبر سنًا خلت من أي تعبيرٍ وبدَون صامدات، وقد أخذن يستجمعن القوى والتركيز اللازمَين للمهمة التي بين أياديهن: العثور على تيفاني.

وقفت فيفي إلى جوار أريانا، التي أحكمت قبضتها على يد فيفي بقوة لدرجة أن آلمت عظامها.

قالت أريانا وهي تغالب دموعها: «قبل بضع ساعاتٍ فحسب كنا في هذه الغرفة، وكانت تعلمني كيفية إتقان مهارات تعاويذ المينور أركانا. والآن... رحلت».

قالت فيفي بحزم: «لم ترحل... إنها فقط في حاجة إلى أن يُعثر عليها».

لقد كانت تيفاني شقيقة أريانا الكبرى، وتوطدت علاقتهما ببعضهما بعضًا خلال الفترة التدريبية للمستجدات. غير أن شعور أريانا بالأسى لا

يقارن بشعور شقيقة فيفي الكبرى، التي وقفت قبالتها في الدائرة وأخذت ترتعش بصورة ملحوظة وهي تراقب جوليت وهي تضيء الشموع.

تمنت فيفي لو أن إحداهن سحرت الشموع لتوفير المزيد من الإنارة، إذ إن شعلاتها عجزت عن إنارة الظلمة الحالكة خارج جدران الصوبة. ورغم أنها كانت محاطة بمجموعة من الساحرات القويات، فإنها كانت لا تزال تشعر بأنها مهددة وضعيفة وهي تقف إلى جوار الجدار الزجاجيّ. لقد تمكن شخصٌ ما من الدخول إلى الكابا هاوس على الرغم من تعاويذ الحماية خاصته التي لا تعد ولا تحصى. ما يعني أن هذا الشخص أيًا كان يمكنه أن يعيد الكرة. أكان هذا ما تنبأت به أمها قبل أسابيع؟ أم أن ما زال هناك أمور أسوأ لم تحدث بعد؟

لقد أقلقها قرار عدم اللجوء إلى الشرطة. لقد تفهمت مبررات داليا فيما يتعلق باتباع التعليمات الواردة في الرسالة. ولكن من ناحية أخرى، أيًا كان من اختطف تيفاني فقد نجح في فعلته باستخدام السحر الأسود، ما يجعل دور الشرطة غير مُجدٍ. ولكن هناك فتاة مفقودة وخاطفها لا يزال حرًا طليقًا. شخصٌ تعهد بالرجوع واختطاف المزيد من عضوات الغربان.

انتقلت داليا إلى منتصف الدائرة وجثت على ركبتيها لتفقُّد مرجل كانت إيتا قد ملأته بمزيجٍ من النبيذ المصنوع من حبات العنب التي نمت بريًا في إحدى المقابر في منطقة بورغوندي في فرنسا فضلًا عن أعشاب حبق الراعي وأوراق من أشجار الأرز لتعزيز الرؤية.

قالت داليا وهي تنهض مجددًا: «أيتها الشقيقات، فلتنضممن إليَّ».

تحركت الفتيات ناحية داليا إلى أن التصقن بها قدر استطاعتهن. وفوق رؤوسهن ضربت العاصفة النوافذ بصورة محمومة وطائشة. وتابعت: «الليلة ننشد تلك التي سُلِبت مننا».

رفعت داليا يدها كاشفةً عن شيءٍ أحكمت قبضتها عليه، شيء جفلت فيفي عند رؤيته. لقد كانت قصاصة من غطاء سرير تيفاني، لُطِخ نسيجها الأبيض المصنوع من الساتان ببقعة دم جافة يميل لونها إلى الأسود. ثم أضافت: «ننشد أخبارًا عن شقيقتنا، عن من تسبب لها في هذا وعن ما إذا كانت لا تزال في خطرٍ».

فتحت داليا قبضتها وسمحت للقصاصة بأن ترفرف في أثناء سقوطها في المرجل، تحوَّل لون المناطق غير الملطخة من القصاصة إلى اللون الأحمر القاتم إذ إن النبيذ تغلغل في قصاصة الساتان. أخذت الفتيات الأخريات في الهمهمة، وشعرت فيفي بخفقان الطاقة المميز داخل صدرها. للمرة الأولى تخاف أن تسمح له بالانتشار في جسدها. لقد شهِدت على الجانب المظلم من السحر الليلة، ولم تكن متلهفة لتعريض نفسها إلى شيءٍ يمكن أن يكون في غاية الخطورة. ولكن بمجرد أن أمسكت فيفي يد أريانا، ذكَّرت نفسها بأن العثور على تيفاني استحق الإقدام على أي مخاطرة.

«أهيب بكل الملكات، القديمات كمطلع النهار، أن يبدين لنا الشقيقة التي ضاعت وغابت».

ازدادت الأمطار غزارةً وطغى صوت قصف الرياح التي رجَّت الألواح الزجاجية للصوبة. ثم بدأ الضوء يتشعب من بين ثنايا المرجل بينما أخذ السائل يبقبق ويفور، وأصبح خليط النبيذ الأحمر القاتم سميكًا وأسود كالقطران. ظهرت صورة على السطح غير المستوي، ورغم أن السائل المتموج شوَّش الصورة الظاهرة، فإنه لم يكن هناك شك في هويتها.

أطلقت سكارليت صرخة ملتاعة عند رؤية أعز صديقاتها.

ظهرت خدوش حمراء لامعة على جانبَي وجه تيفاني، خطوط دامية امتدت من صدغيها إلى ذقنها. كان فمها مُكممًا وعيناها متسعتين عن آخرهما من فرط الرعب، وهي تحاول التحرر من نوعٍ من القيود الخفية.

قالت أريانا هامسة والدموع تنهمر على وجهها: «يا إلهي! علينا أن نساعدها. *الآن*».

قالت داليا بنبرة آمرة وقد تخلل صوتها العميق الرنان بعض اليأس: «فلترينا من فعل هذا».

ارتفعت سحابة من الدخان خارج المرجل ولطمت فيفي رائحة كريهة ونفاذة بقوة موجة هوجاء. غطَّت وجهها وتعثرت إلى الخلف بينما سعلت بضع فتيات أخريات. ازدادت كثافة السحابة الدخانية إلى أن انفجر المرجل مُحدِثًا صوتًا يصم الآذان، كاسيًا جزءًا من الدائرة بسائلٍ حارقٍ. صرخت داليا

وجفلت وهي تتمتم بتعويذة شفاء، وإلى جوارها حذت مِي حذوها مع جيس التي قبضت يدها على معصمها ووجهها يتلوى من الألم.

استدارت فيفي لتساعد هازيل وريجان في إطفاء الشموع التي انقلبت على الأرض وهددت بإضرام النيران في بعضٍ من النباتات الأكثر جفافًا.

سألت فيفي بمجرد أن أطفأت الشموع: «ماذا كان ذلك؟».

أجابتها داليا وصوتها المبحوح يتردد عبر الظلام قائلة: «ذلك كان سحرًا أسود».



الفصل الرابع والعشرون

سكارليت

تيفاني، أينما كنتِ، سوف نأتي لإنقاذكِ.

حدقت سكارليت إلى ضوء النهار المشرق المتسلل عبر بابَي شرفتها. لقد أغلقت الشرفة بإحكام بعدما عادت إلى غرفتها عقب إلقائهن التعويذة، أو بالأحرى بعد محاولتهن لإلقائها. لقد كانت داليا محقة، لقد تداخل السحر الأسود مع عملية إلقاء التعويذة، مثلما فعل عندما حاولت سكارليت أن تتكهن بنوايا غوين.

حملت في يدها دمية الفيل المحشوة من محل الأنتيكات. لقد كانت إحدى سيقانها مفقودة. كان يمكنها أن تصلحها بتعويذة بسيطة، غير أنها راقت لها ولتيفاني على وضعها هذا، وأحبتا كونها مفككة فعليًّا. تمنت لو كانت هناك تعويذة يمكن أن تلقيها على هذه الدمية لتقودها إلى تيفاني. ولكن نظرًا إلى أن تعويذة الأمس لم تنجح، لم تكن سكارليت واثقة أن أي محاولة أخرى قد تنجح.

أيًّا كان من اختطف تيفاني فقد أقام حاجزًا سحريًّا وقائيًّا قويًّا حول كليهما، حاجزًا لا يمكن للغربان حتى اختراقه.

لقد كانت مِي نائمة في سرير سكارليت إذ إن أيًّا من الفتاتين لم ترغب في النوم وحدها. ليس بعد ما جرى لتيفاني. في كل مرة حاولت فيها سكارليت أن تُغمِض عينيها رأته، ذلك الرذاذ من الدماء الزاهية الذي لطَّخ ورق الحائط.

دماء في كل مكان، لقد كانت هناك كمية هائلة منها لدرجة أنه صعب تصديق أن تيفاني كانت لا تزال على قيد الحياة، حتى بعدما بيّنت التعويذة أنها كذلك.

والآن وجب عليهن العثور على طلسم أسطوريٍّ قد لا يكون موجودًا من الأساس. لم تكن لدى سكارليت أدنى فكرة عن المكان الذي ينبغي أن تبحث فيه أولًا. كل ما عرفته هو أن الساحرات كُنَّ في خطر. ولقد كان ذلك خطأها بالكامل. أيًّا كان ما تفعله في هذا العالم يُرَد لك أضعافًا مضاعفة. وما اقترفته هي وتيفاني في سنتهما الدراسية الأولى -ما أخفتاه لوقتٍ طويلٍ- انقلب أخيرًا عليهما. والآن قد تدفع تيفاني حياتها ثمنًا له.

تسللت سكارليت سريعًا من السرير وتقلّبت مِي، بينما أعادت سكارليت الدمية المحشوة إلى خزانتها. مشت على أطراف أصابعها إلى المطبخ إذ ساد الصمت في المنزل. تساءلت كم عدد الفتيات اللاتي سحرن أنفسهن كي يبقين يقظات للتأكد من أنهن سوف يكُنَّ مستعدات لمن تسلل ليلًا أيًّا يكن. للمرة الأولى لم ترغب سكارليت في استخدام سحرها على الإطلاق، لقد كانت تدخره لما سيأتي لاحقًا. لقد كانت هي وشقيقاتها بحاجة إلى أن يكُنَّ في كامل قواهن لاستعادة تيفاني. وهي في المطبخ انتزعت كوبًا وشغّلت ماكينة صنع الإسبريسو. وبينما هسهست الماكينة وأخذت القهوة بداخلها تبقبق، أخذت سكارليت تحدق من النافذة. كان النشاط قد دبَّ في الحرم الجامعيِّ للتو، قطع الطلاب الحرمَ ركوبًا على عجلاتهم أو مشوا على مهل وهم يضعون سماعات الأذن بينما تدلّت حقائبهم من أكتافهم. لقد كان الأمر شبه سرياليٍّ فيما يتعلق بأن الحياة كانت تسير على وتيرتها الطبيعية في حين أن تيفاني كانت محتجزة في مكانٍ ما وهي تتألم وتنتظر أن تهب سكارليت وشقيقاتها لإنقاذها.

- هاي.

جاء صوتٌ من خلفها قاطعًا حبل أفكارها. لقد وقفت فيفي عند الباب وشعرها مبعثر قليلًا وعيناها منتفختان وحمراوان. قالت: «كيف حالكِ؟».

أجابتها سكارليت وهي تصب القهوة في كوبها قائلة: «كيف سيكون حالي في رأيكِ؟».

تناثرت بعض القهوة على جانبَي الكوب حارقةً إبهامها غير أنها رحبت بالألم. لقد استحقت ذلك وأكثر.

طرفت فيفي بعينيها قائلة: «آسفة، لقد كان سؤالًا غبيًّا. يمكنني أن أتركِكِ إذا رغبتِ في البقاء وحدكِ».

هزت سكارليت رأسها نفيًا: «لا، آسفة، أنا متوترة فحسب».

- بالطبع أنتِ كذلك (ترددت فيفي ثم فاجأت سكارليت بأن عانقتها وأحاطتها بكلتا ذراعيها) يؤسفني أن هذا حدث. أعلم كم كانت تيفاني غالية عليكِ. أقصد كم هي غالية عليكِ (عدَّلت كلامها سريعًا إذ إن قلب سكارليت انقبض في ألم) وأعلم أن هذا لا يضاهي ما تمُرين به بسبب تيفاني، ولكنني حزنت أيضًا لانفصالكِ أنتِ ومايسون.

يا إلهي. مايسون. لم تفكر سكارليت فيه منذ أن رأت غرفة تيفاني الملطخة بالدماء. جلست إلى الطاولة وهي متشبثة بكوبها محدقة إلى أعماقه وكأنها تبحث عن أجوبة فيه. في ليلة واحدة فقدت سكارليت أهم شخصين بالنسبة إليها في هذا العالم.

أقرَّت سكارليت قائلة: «كان محقًا في انفصاله عني (لم تستحق أن تكون سعيدة، لم تستحق أن تمضي بحياتها برفقة شاب رائع. إذ إن هاربر لن تحظى بهذه الفرصة أبدًا، وقد لا تحظى بها تيفاني كذلك) سوف يجد فتاة أفضل مني».

بدت فيفي مدهوشة ثم قالت أخيرًا: «سكار، لن يجد أبدًا من هي أفضل منكِ. أنتِ... مثالية».

- لستِ مضطرة إلى فعل هذا.

- فِعل ماذا؟

قالت سكارليت: «بمجاملتي. لقد أصبحتِ من الغربان الآن».

- صدقيني، هذه ليست مجاملة (أطلقت سكارليت ضحكة باهتة قائلة) في الواقع، يمكن لمايسون أن يجد من هي أفضل مني وسوف يجدها. وعليَّ أن أتقبل هذا (احتضنت سكارليت كوبها بكلتا يديها وأردفت) لستُ إنسانة صالحة يا فيفي. لقد عاملتكِ بقسوة، ربما أكثر مما ينبغي قليلًا.

جلست فيفي إلى الطاولة وهزت رأسها اعتراضًا: «لقد ساعدتِني. لقد دربتِني رغم أنني لم أرُق لكِ. فضلًا عن أنكِ تسعين إلى العثور على صديقتك أيًّا كان الثمن. حتى لو عنى هذا تعريض نفسكِ للخطر».

قالت سكارليت: «بالطبع عليَّ أن أعثر عليها (لم تكن قد فكرت حتى في بديلٍ آخر) إنني السبب في ما حدث لها».

- سكارليت، مستحيل أن تكوني السبب في ذلك.

مالت فيفي نحوها وحاولت أن تعانقها مجددًا غير أن سكارليت تراجعت للخلف.

- بل أنا السبب (قالت فيفي ذلك بإصرار وقد ازدادت غضبًا، غير أن غضبها لم يكن موجهًا إلى فيفي بل إلى نفسها) إنها غلطتي.

جادلتها فيفي قائلة: «كيف بحق السماء يمكن أن تكون هذه غلطتكِ؟ أنتِ لم...».

انفجرت سكارليت قائلة: «لقد قتلنا شخصًا ما يا فيفي».

تراجعت فيفي في كرسيها وشحب وجهها: «ماذا؟».

دفنت سكارليت وجهها بين يديها، ضاغطةً بكفيها على عينيها. سوف تسمح لنفسها أخيرًا بالاعتراف بالحقيقة بعد كل هذا الوقت. سوف تسمح لنفسها بتذكُّر هذه الليلة بكامل تفاصيلها.

لقد كان ذلك في مارس في سنتهما الدراسية الأولى وكان الطقس قد أخذ يزداد دفئًا. لقد كُنَّ جميعًا في حفل أخوية ساي دلتا لامبدا المختلط، وكانت أجواء الحفل جنونية أكثر من المعتاد. وكان الجميع سكارى وقد تكدس الحضور في الفناء الخلفيِّ حيث وضع الإخوة براميل النبيذ. أما داليا، التي كانت رئيسة لجنة العضويات في سنتها الدراسية الثانية آنذاك، فقد كانت ترقص مع سادي لاين رئيسة الجماعة، ومع بضع طالبات أخريات أكبر سنًا، بينما هللت مجموعة من شباب أخوية ساي دلتا لشخصٍ يحتسي الخمر وهو مقلوب ويستند بكفيه على أحد البراميل. وقفت غوين في شرفة الطابق الثاني تراقبهم ووجهها تعلوه نظرة اشمئزاز.

قالت تيفاني لسكارليت: «انظري إليها. هذه الساحرة تظن أنها أفضل منا جميعًا. إنها تراقب هذه المعمعة حرفيًا من الأعلى. أقترح أن ننزلها للأسفل قليلًا».

قالت سكارليت: «لا أدري يا تيف».

كانت غوين وتيفاني قد خاضتا شجارًا جديدًا مؤخرًا -لم تعرف سكارليت حتى سبب الشجار- وكانت تيفاني لا تزال تغلي من فرط الغضب.

قالت تيفاني وعيناها تلتمعان وهي تشد على يد سكارليت: «بحقك، سوف يكون الأمر ماتعًا».

ترددت سكارليت، صحيح أن غوين لم ترُق لها أيضًا، وأدركت السبب الآن بعدما رأت بعينيها إلى أي مدى أمكنها أن تكون قاسية مع تيفاني، إلا أن فعل أمرٍ مماثلٍ في العلن، في وجود كل الشقيقات وشباب ساي دلتا، كان مخاطرة غير محسوبة العواقب.

سألتها تيفاني: «هل أنا بحاجة إلى تذكيركِ أنها في الأسبوع الماضي فحسب أنها قالت عنا إننا عاهرتان طائشتان لا يمكنهما حتى التحكم في سحرهما بما فيه الكفاية لفعل تعويذة استدعاء؟».

شعرت سكارليت بنوبة غضب تجتاحها. لم يسبق *لأي أحد* أن حقَّر من أسلوبها في إلقاء التعاويذ.

قالت سكارليت: «أف. إنها حقًا الأسوأ على الإطلاق. إن تعاويذنا لا عيب فيها».

ربما كان السبب تأثير الكحول، أو الطريقة التي نظرت بها غوين إليهما باستهزاء آنذاك، فقد وافقت سكارليت أخيرًا مخالفة ما ارتأته صحيحًا.

كانت ابتسامة تيفاني مُعدية واضطرت سكارليت إلى الاعتراف بأنها سئمت من تعامل غوين معهما باستعلاء.

- فيمَ تفكرين؟

واصلت تيفاني الابتسام وفعلت حركة زاحفة بأصابعها. أكيد، لقد كانت نقطة ضعف غوين الوحيدة هي خوفها الرهيب من العناكب. لقد اكتشفتا ذلك خلال مهمة المقبرة في أسبوع الجحيم الخاص بهن، عندما اضطررن

إلى جمع شباك العناكب لفعل تعويذة. لقد صرخت وبكت غوين آنذاك وكأنها طفلة في الثالثة من عمرها.

قالت سكارليت: «يا لكِ من ساحرة شريرة».

غير أنها لم تتمالك نفسها من الضحك وهما تشبكان أيديهما وتهمسان بالتعويذة.

لوهلة، لم يحدث شيء. إلى أن أطلقت غوين صرخة تُجمِّد الدماء في العروق وأخذت تتقافز في جميع أنحاء الشرفة وتضرب بيدها في الهواء. لم يتسنَ لأي أحد أن يرى أي شيء سوى غوين. لقد كانت العناكب في كل مكان، تزحف عليها وتتحرك على كل شبر من جسدها. التفت جميع الموجودين في الحفل لمراقبتها. صاحت قائلة: «خلصوني منها».

قالت داليا: «ما هذا بحق الجحيم؟».

بينما انفجر بعضٌ من الشباب في الضحك. أخرج أحدهم هاتفه المحمول وبدأ يصور غوين وهي تتلوى وتدور حول نفسها.

ضحكت تيفاني طويلًا وبصوتٍ عالٍ وهي تمر وسط الحشد. تركزت نظرات غوين عليها وعلى سكارليت، وضيَّقت عينيها وقد أدركت ما جرى، ثم بدأت في تحريك شفتيها سريعًا وقبضتاها مضمومتان، آخذةً في ترديد تعويذتها الخاصة. غير أن سكارليت وتيفاني كانتا مستعدتين لها. إذ إنهما بمجرد أن شعرتا بسحر غوين يرتد ناحيتهما، ردَّت سكارليت بتعويذة أقوى كادت تطيح بغوين أرضًا.

سددت غوين نظرة إلى سكارليت جمدتها في مكانها من هول المفاجأة، نظرة مُحمَّلة بكراهية صافية، ثم ضمت قبضتيها أكثر مستدعيةً قواها مرة ثانية. شبكت تيفاني وسكارليت أيديهما وأرسلتا موجة أخرى من قواهما ناحية غوين للتصدي لتعويذتها التالية. وفي تلك اللحظة خطت هاربر داخل الشرفة ولمست كتف غوين، لتهدئها بالتأكيد. لقد اهتمت هاربر لأمر غوين والأهم من ذلك أنها اهتمت بصورة شقيقتها العامة. لم تدرِ سكارليت حتى كيف يمكنها أن تصف ما حدث تاليًا. لا بد أن غوين فقدت تركيزها في أثناء إلقائها التعويذة، وفاض سحرها منها مُحدِثًا موجة عاتية، والتحم مباشرةً

مع تعويذة تيفاني وسكارليت الجديدة. تصادم السحر من الطرفين بعنف وانفجر، مُطيحًا بكل شخص وكل شيء في المحيط القريب للأحداث بعيدًا.

وقبل أن يتسنى لأي أحدٍ أن يتحرك، وقبل أن يتسنى لسكارليت أن تلتقط أنفاسها حتى، دوى صوت تقوس المعدن، وانفسخت الشرفة عن حافة المنزل وسقطت على الأرض مُحدثةً صوتًا كقصف الرعود. طُرِحت غوين وهاربر أرضًا وكأنهما دميتان من القماش.

ماتت هاربر في الحال متأثرةً بجراحها. لا تزال سكارليت إلى هذا اليوم قادرة على رؤية بِركة الدماء المتجمعة حولها على الباحة الخرسانية. رفعت سكارليت آنذاك يدها المرتعشة لتوقِف تدفق الدماء، غير أن تيفاني دفعت يدها للأسفل.

همست تيفاني وعيناها مضطربتان: «سوف يرانا أحدهم».

قالت سكارليت وهي لا تكترث للمظاهر، وهي لا تكترث لأي شيء سوى شقيقتيها المصابتين: «لا بد أن نساعدهما».

رفعت يدها مرة أخرى وبدأت في الترنم بتعويذة بصوتٍ خافتٍ، غير أن تيفاني دفعت يدها بعيدًا مرة أخرى.

همست تيفاني وهي محتضنة صديقتها قائلة: «لقد رحلتا».

في تلك اللحظة، هتف شابٌ كان يتفقد نبض غوين قائلًا: «إنها لا تزال تتنفس».

نُقِلت غوين إلى المستشفى على الفور وهي في حالة حرجة.

لقد غمر سكارليت شعور محموم بالذنب وتمالكت نفسها فقط من أجل تيفاني، لم يسبق لها أن رأت صديقتها مهزوزة بهذه الصورة. وفي وقتٍ لاحقٍ من تلك الليلة قبل اجتماع قيادات الكابا هاوس، أدلت تيفاني باعترافٍ قائلة: «سكارليت، أتعرفين ما الذي كنا أنا وغوين نتشاجر بشأنه؟ لقد وجدت قلب غزال وكتاب سحر أسود في غرفة نومها. لم تُرِدني أن أخبر سادي بهذا الشأن، وبقدر كراهيتي لها، لم أرغب في الوشاية بشقيقة لي. ولكنها كانت تستخدم السحر الأسود، لو لم تقاطعها هاربر، من يدري ما الذي كانت ستفعله؟».

انفجرت تيفاني في البكاء. شعرت سكارليت بالاشمئزاز وأخذت تبكي أيضًا. لقد كان ذهنها يعج بأفكار مفادها «يا ليت»: يا ليت تيفاني أخبرتها بشأن القلب، ليتهما لم تنفذا هذه المزحة الغبية... ولكن ما حدث قد حدث. لقد كانتا أقوى ساحرتين في البلاد وعجزتا عن استعادة هاربر رغم ذلك.

قالت تيفاني: «لقد أخفقنا يا سكار. لم نبدأ هذه المعركة ولكن علينا أن ننهيها، علينا أن نوقف غوين عند حدها».

قالت سكارليت وهي تفكر في الفتاة فاقدة الوعي التي أخذها المسعفون على نقّالة: «لا يمكن لغوين أن تؤذي أي أحد بعد الآن».

قالت تيفاني: «إنها ساحرة وهي أقوى مني. ما الذي تظنين أنها ستفعله بنا؟».

همّت سكارليت بفتح فمها للاعتراض غير أن تيفاني كانت ترتجف والأجواء حولهما في الغرفة قد أخذت تواكب مشاعرها.

- لا يمكننا أن نخبر أي أحد. ولا يمكننا أن نسمح لها بإيذاء أي شخص آخر.

هبّت الرياح مغلقةً النوافذ بعنف من فرط قوة مشاعرها. لانت سكارليت ورددت جملة تيفاني: «لن نخبر أي أحد ولن نسمح لها بإيذاء أي شخص آخر».

هدأت الرياح وانهارت تيفاني على السرير وقد استنفدت قواها.

وبعد الاجتماع أخبرت كلٌّ منهما سادي وداليا بما رأته تيفاني في غرفة غوين، وكل ما تلا ذلك سار وفقًا للخطة. جردت الشقيقات غوين من قواها في نفس الليلة. وأرجعت إدارة الجامعة سقوط الشرفة إلى وجود خلل في بنيتها وقضت الصيف بأكمله ترمم جميع الشرفات في الحرم الجامعيّ. ولم يتساءل أحد عن السبب الذي أثار ذعر غوين وجعلها تلقي تلك التعويذة في المقام الأول. على مدى عامين، أقنعت سكارليت نفسها أن لا ذنب لها في ما حدث. إن غوين هي من فقدت السيطرة. إن غوين الساحرة الشريرة، إنها هي من سلكت مسارًا خطيرًا. لقد كانت هي وتيفاني محقتين في إيقافها عند حدها. ولكن في قرارة نفسها لطالما عرفت ما اقترفته أياديهما.

والآن وبعدما انتهت من رواية الحادثة لفيفي بكامل تفاصيلها، تطلعت إلى شقيقتها الصغرى قائلة: «ألا تفهمين؟ لقد ألقينا اللوم على غوين في حين أننا المخطئتان. لقد كنا السبب في وفاة هاربر. لو لم ننفذ فيها هذا المقلب السخيف لما...».

بدت فيفي مكروبة وقالت: «أوه يا سكارليت. هذا فظيع، فظيع حقًا. ولكنكما لم تقتلا هاربر. لقد قلتِ بنفسك إن الأمر كان من المفترض أن يكون مجرد مقلب غير مؤذٍ».

جادلتها سكارليت قائلة: «ولكنه *لم يكن كذلك*. لقد أقنعنا أنفسنا آنذاك أننا حمينا الغربان من غوين، ولكننا من تسببنا في هذا. لو لم نفعل هذا المقلب لكانت هاربر لا تزال حية، وغوين...».

أنهت فيفي جملتها وقد لاح في عينيها إدراك ما: «وكانت غوين لتحتفظ بقواها. هل تظنين أنها ترغب في استعادتها؟».

قالت سكارليت: «أما كنتِ لترغبي في استعادتها لو كنتِ مكانها؟».

- والآن عادت إلى الحرم الجامعيّ مجددًا.

تراجعت فيفي في كرسيها لوهلة لتسمح لنفسها باستيعاب تلك الأحداث.

قالت سكارليت: «والآن اختُطفت تيفاني من قِبل شخص يرغب في طلسم سحريٍّ قويٍّ (سددت إلى فيفي نظرة ذات مغزى وأردفت) شيءٌ من شأنه أن يكسر تعويذة تجريد قديمة».

أطلقت فيفي صافرة خافتة ثم قالت: «سكارليت، أعتقد أن عليكِ إخبار داليا بالحقيقة، كل الحقيقة».

هزت سكارليت رأسها في حزم اعتراضًا. لقد فكرت في ذلك، في راحة البال التي ستشعر بها عندما تحرر نفسها أخيرًا من هذا العبء، غير أنها لا يمكنها فعل هذا الآن. لا لتحمي نفسها، بل لتحمي تيفاني.

- سوف تطردني من الجماعة وتجردني من قواي، وأنا في حاجة إليها الآن أكثر من أي وقتٍ مضى (تسارعت أنفاس سكارليت وأردفت) لا بد أن أجد تيفاني، لا بد. إنها أعز صديقاتي. لا يمكنني أن أتخلى عن السحر في الوقت الذي هي في أمس الحاجة إليه. إنها غلطتي،

ألا تفهمين؟ لقد فعلت غوين ذلك انتقامًا، وغلطتي أنني سمحت لذلك بالحدوث. عليكِ أن تعديني أن أحدًا لن يعرف بهذا الأمر.

وضعت فيفي يدها على ساعِد سكارليت قائلة: «مهلًا. خذي أنفاسًا عميقة».

انتظرت إلى أن أخذت سكارليت بضعة أنفاس بطيئة قبل أن تتحدث مجددًا: «لن يسلبكِ أي أحد سحركِ، فهمتِ؟ أعدكِ أنني لن أخبر مخلوقًا (ثم زمَّت شفتيها وأردفت قائلة) ماذا عن طلسم هينوسيس؟ إذا تمكنا من العثور عليه سوف نسترد تيفاني».

أطلقت سكارليت ضحكة خافتة بلا روح وقد أدهشتها مفارقة أن إنسانة لم تلقَ منها سوى المعاملة القاسية، عاملتها بمنتهى اللطف والرحمة الآن. إذا كانت هي الساحرة الشريرة في هذه القصة، فمن المؤكد أن فيفي هي الساحرة الطيبة.

- ما الأمر يا سكارليت؟
- لا أمل في العثور على الطلسم. لم يرَه أحد منذ أن اختفى من هذا المنزل منذ عقودٍ مضت. هذا إن كان له وجود من الأساس.

قالت فيفي مُنبهةً إياها: «هناك شتى الأنواع من التعاويذ للعثور على الأشياء المفقودة».

- تعاويذ جربتها جداتنا لا محالة.

في أوقاتٍ كهذه، يشتد حنينها إلى ميني. لقد كانت ميني على دراية بكل تفصيلة في تاريخ الساحرات: التعاويذ المنسية، والأشياء التي لم تطوِها الذاكرة بل لم تُدوَّن على أمل أن تُترك طي النسيان. لقد رغبت في وجود ميني هنا لسببٍ إضافيٍّ أكثر أنانية. لقد رغبت في التحدث إليها، لقد رغبت في أحضانها وأكواب الشاي الغامض التي تعدها، وفي كلماتها، الكلمات التي لم تكن تعاويذ ولكنها جعلتها تشعر بتحسن رغم ذلك. ولكن ميني لم تكن هنا، بل فيفي، ولقد تمكنتا من حل هذا اللغز بمفردهما.

هزت فيفي كتفيها في حيرة قائلة: «ربما هناك تفصيلة غابت عنهن. يمكننا أن نتفقد الأرشيف، ناهيكِ بالمجلدات الأقدم في قسم الكتب النادرة في المكتبة. ألم تقولي إن الطلسم كان مملوكًا للجامعة في بادئ الأمر؟».

التقت عينا سكارليت وفيفي وثبتت الأخيرة أنظارها عليها: «سوف نجدها يا سكارليت، أيًّا كان الثمن. سوف نجد هذا الطلسم ثم نستخدمه في إعادة تيفاني».

أومأت سكارليت برأسها. لقد قدَّرت حماسة فيفي، غير أن فكرة جديدة كانت تختمر في رأسها.

قد لا يكُنَّ في حاجة إلى العثور على الطلسم، بل العثور على من يرغب فيه.



الفصل الخامس والعشرون

فيفي

- هذه سخافة.

قالت أريانا هذا بينما كانت هي وفيفي وسونالي قد انتهين من جولتهن الثالثة في متحف الغرائب والعجائب في الطابق الأول من مكتبة هيويت.

- من المؤكد أن الطلسم غير موجود هنا. لأي سبب قد يكون هنا؟ ألا تعتقدين أن أحدًا كان ليلاحظ أن إحدى أقوى الأدوات في العالم كان يجري عرضها في الحرم الجامعيِّ؟

قالت سونالي وقد جعدت أنفها اشمئزازًا عند رؤية رأس منكمش وذابل داخل صندوق عرض زجاجيٍّ: «أشك في أن العديد من الغربان تقضي وقتًا طويلًا هنا. إنه مريب بعض الشيء، أليس كذلك؟».

سلَّمت فيفي بهذا. فبينما بدت المقتنيات غامضة وشاعرية عندما رأتها وهي بصحبة مايسون في منتصف ظهيرة يوم مشمس، فإنها بدت بشعة ومختلفة للغاية في ضوء المساء بينما كانت هي وسونالي وأريانا يفتشن باستماتة عن مفتاح لحل اللغز وإنقاذ حياة شقيقتهن في الأخوية.

سألتهن أريانا: «ألم ترين أصابع الضفدع المجففة في خزائن المؤن في الكابا هاوس؟».

- هناك اختلاف. هذه أغراض ذات فائدة عملية وليست مجرد أغراض يسمونها العجائب.

قالت أريانا: «أيًّا كان. نحن نهدر وقتنا بالوجود هنا. لمَ قد يكون الطلسم موجودًا في الحرم الجامعيِّ من الأساس؟».

قالت فيفي: «لقد قالت سكارليت إن هناك إشاعات أنه ذو صلة بجامعة ويسترلي. لنتفقد قسم الأرشيف. فأنتِ محقة، إذا كان الطلسم على مرأى من الجميع لما تكبد خاطف تيفاني كل هذا العناء».

كانت على وشك أن تذكر أن مايسون أخبرها بأن نحو 10% فقط من المقتنيات معروضة للجمهور، ولكنها لم تكن واثقة من أنها ترغب في تفسير كيف انتهى بها الأمر بالتنزه مع حبيب سكارليت.

لقد مرت نحو اثنتي عشرة ساعة منذ أن فعلن طقوس الاستدلال ولم يبدُ أنهن اقتربن بأي درجة من العثور على تيفاني... والآن لم يتبقَ لهن سوى يومين للعثور على الطلسم قبل أن ينفذ خاطفها تهديده المروع. لقد جرَّبن ثلاث تعاويذ جماعية للاستدلال على مكان الطلسم ولم يتوصلن لأي شيء في كل مرة. وبعدها أمضت جيس وجولييت ومِي اليوم بأكمله يتفقدن سجلات الجرد للمكتبات والمتاحف في جميع أنحاء العالم، بينما تواصلت داليا وهازيل وإيتا مع صديقاتٍ موثوق فيهن من السحرة في محاولة للحصول على بعض المعلومات، رغم أنهن اضطررن إلى أن يكُنَّ حذراتٍ للغاية. لو انتشر خبر مفاده أن جماعة الكابا تسعى للعثور على طلسم هينوسيس، قد يفسر هذا من قِبل الأخريات في المجتمع السحريِّ على أنه فعلٌ عدوانيٌّ.

لقد كان واضحًا أن المستجدات كُلِفن بأقل المهام أهمية: البحث عن الطلسم بأنفسهن رغم استحالة وجوده في مكانٍ ما في الحرم الجامعيِّ. ومع ذلك، ورغم أن ذلك كان رهانًا غير مضمون، سوف يكون من الحماقة أن يغادرن دون أن يتفحصن كل شبر من هذا المبنى. استدارت فيفي لتلقي نظرة حذرة على أمينة المكتبة الجالسة خلف مكتب الاستقبال، التي تظاهرت بتجاهلهن في حين أنها كانت تراقبهن باهتمامٍ طوال الوقت. لقد كانت نفس المرأة التي كانت موجودة في أثناء زيارتها ومايسون لهذا المكان، المرأة التي دعاها مايسون بالسيدة إيرما.

اقتربت فيفي من المكتب ووجهها تعلوه ابتسامة دافئة، مستدعيةً شخصية مايسون الداخلية.

قالت: «معذرة يا سيدتي (مجرد قضائها أسابيع قليلة في سافانا أوضح لها تمامًا مدى أهمية اللباقة هنا) آسفة لإزعاجكِ، ولكننا نجري بحثًا لأحد الصفوف وكنا نتساءل ما إذا كان بإمكاننا تفقُّد الأرشيف».

رفعت أمينة المكتبة حاجبها اندهاشًا وسددت نظرة ذات مغزى للساعة النحاسية المُعلَّقة على الحائط قائلة: «سوف تغلق المكتبة أبوابها بعد خمس عشرة دقيقة. آخر فرصة للدخول إلى قسم الأرشيف تكون قبل ساعة من الإغلاق».

فتحت فيفي فمها لتعترض، غير أن سونالي ضغطت بيدها على كتفها. تمتمت بشيءٍ بصوتٍ خافتٍ وبعدها بلحظة لانت ابتسامة أمينة المكتبة الباردة وأصبحت أكثر لطفًا وأضحت نظراتها خاوية.

قالت سونالي برقة: «هل يمكنكِ أن تصحبينا إلى قسم الأرشيف؟».

تمتمت أمينة المكتبة قائلة: «نعم بالتأكيد. اتبعنني من فضلكن».

- اللعنة (همست سونالي بذلك وهي تطالع هاتفها. لقد كانت المرة الأولى التي تسمعها فيها فيفي وهي تلعن) ريجان في حاجة إلى المساعدة لسحر أمين الأرشيف في قسم المخطوطات النادرة. عليَّ الذهاب. سألقاكن مجددًا في الكابا هاوس؟

أومأت فيفي برأسها بينما جذبتها أريانا من يدها لتسحبها خلف أمينة المكتبة التي مشت بخطى سريعة رغم التعبير الذاهل على وجهها.

بقدر ما كان سحر السيوف مفيدًا، عجزت فيفي عن تحديد شعورها تجاهه. لقد أصبحت الآن شقيقة كاملة العضوية، يمكنها أن تستفيد من قوى هذه الفئة، غير أنها لم تُقدِم على هذا بعد. لقد كان هناك خيط رفيع بين التأثير والتحكم بالعقل، ولكن إذا ساعدهم ذلك في العثور على خاطِف تيفاني فقد استحق المجازفة بخوض هذه المنطقة الرمادية أخلاقيًا.

لقد كانت فيفي لا تزال تستوعب ما روته لها سكارليت. ما حدث لغوين وهاربر كان فظيعًا، ولم تدرِ فيفي كيف كان ليمكنها مسامحة نفسها لو تسببت في موت شخصٍ آخر. وفي ذات الوقت، ما كان أحدٌ ليتوقع الكيفية التي سوف تتفاعل بها تلك التعاويذ مع بعضها بعضًا. لم تقصد سكارليت

أن تؤذي أي أحد، فهي لم تكن قاتلة. في حين أن فيفي كانت على يقين أن غوين كانت كذلك. لقد تبعتا السيدة إيرما سيرًا في أحد الأروقة ثم دخولًا إلى المصعد.

سألتها فيفي: «إذًا، كيف يُقسّم الأرشيف؟».

قالت السيدة إيرما: «إنه في فوضى عارمة، على ما أخشى. لأي صفٍ هذا؟».

أعقب ذلك صمتٌ طويلٌ. قالت أريانا أخيرًا: «صف الأديان والتصوف على مر العصور. إنه، آآ، نوع من الدراسات المستقلة».

جفلت فيفي ولكن لحسن الحظ لم يبدُ أن السيدة إيرما تبالي بغموض موضوع البحث.

- يا له من موضوعٍ شائقٍ. إن الصلوات والتعاويذ تعطي لمحة ماتعة عن ما يدور داخل أذهان التائبين. يمكننا استخدامها لاستنتاج ما يرغب فيه الناس ودوافعهم الأساسية في الحياة والمصائب الكبرى والتغيرات المجتمعية التي واجهوها آنذاك.

رنَّ جرس المصعد وانفتح بابه كاشفًا عن ما كان بمنزلة قبوٍ، دون نوافذ ومعزول عن العالم بالأعلى. ألقت الأضواء الخافتة بظلالٍ على الجانب الآخر من الغرفة، وفي المنتصف استقرت سلسلة من وحدات الرفوف المعدنية المستندة على عجلاتٍ في طرفَي كلٍّ منها، كي يتسنى تحريكها من مكانٍ لآخر. وعلى طول الجدران، كانت هناك صناديق عرض زجاجية تمتلئ بمجموعة مختلفة من المقتنيات، ومن ضمنها تماثيل برونزية وألواح خزفية وعدد من الكتب التي يعلوها الغبار. سوف يستغرق الأمر ساعات للبحث فيها كلها.

سألتها فيفي: «هل صادفتِ من قبل شيئًا يُدعى طلسم هينوسيس؟».

قطّبت السيدة إيرما جبينها قائلة: «لا، ولكنكِ لستِ أول من يسأل عنه. لقد مر شخصٌ ما قبل أسابيع باحثًا عن نفس الشيء».

بدا كما لو أن الهواء ينسحب من الغرفة بينما تبادلت أريانا وفيفي النظرات.

قالت فيفي وهي تحاول أن تُبقي نبرة صوتها مرحة: «يا لها من صدفة غريبة. هل تتذكرين اسمه؟».

قاطعتها أريانا سريعًا قائلة: «أو شكله؟».

- لستُ متأكدة... أعتقد...

أخذ رأس السيدة إيرما يرتعش ويميل إلى الجانب.

- هل أنتِ بخير يا سيدة...

شهقت فيفي عندما انعطفت السيدة إيرما ناحيتهما. لقد استحال لون عينيها إلى الأسود الفاحم.

تمتمت قائلة: «لا أحد. لا أرى أحدًا».

همست فيفي وهي تنقل بصرها بين السيدة إيرما وأريانا قائلة: «ما الذي يحدث بالضبط؟».

قالت أريانا وهي تحدق إلى السيدة إيرما بعينين مذعورتين متسعتين عن آخرهما: «أعتقد أن الشخص الذي سأل عن الطلسم حاول أن يمحو ذاكرتها. لا بد أن نخبر أي أحدٍ بهذا. سوف أتصل بداليا».

أومأت فيفي برأسها قائلة: «فلنصطحبها إلى الأعلى كي يتسنى لنا مراقبتها إلى أن تخبرنا داليا بما علينا فعله».

- سوف أفعل أنا هذا. ابقي أنتِ هنا وابحثي عن الطلسم. لا يمكننا أن نهدر مزيدًا من الوقت.

نظرت أريانا للسيدة إيرما بقلقٍ وقد بات واضحًا أنها لم ترغب في البقاء وحدها مع أمينة المكتبة المسحورة ذات العينين المتسعتين المريبتين. لمست بحذرٍ شديدٍ مرفق السيدة إيرما وقادتها مجددًا إلى المصعد. قالت لها: «تعالي معي. سوف نجد من يساعدكِ».

بمجرد أن انغلق بابا المصعد، استدارت فيفي وتوجهت نحو أول صف من الرفوف. لم تكن تدري حتى ما الذي كانت تبحث عنه. إذ لم تكن لدى أيٍّ من عضوات الغربان أي فكرة عن شكل الطلسم. لحسن الحظ كانت معظم الأغراض الموضوعة في صناديق العرض الزجاجية مصنفة بملصقات: جرة *دفن (301 قبل الميلاد)، دمية لإلقاء اللعنة (75 قبل الميلاد).*

لقد جعلت الأخيرة، التي كانت عبارة عن دمية من الطين تخترق رقبتها وقلبها مسامير معدنية، بدنها يقشعر، إذا سرى شعور بارد بالخدر في أطرافها. لقد كان شعورًا مناقضًا لتسخير قواها، شعورًا بالموت عوضًا عن كونه شعورًا بالصحوة. لقد ذكّرها بما شعرت به عندما ألقين تلك التعويذة للبحث عن تيفاني، ذلك الشعور الذي لا لبس فيه بالسحر الأسود. تساءلت فيفي إلى أي درجة قد تتمادى غوين للاستحواذ على الطلسم، وكم من الغربان هي مستعدة لإلحاق الأذى بهن إلى أن تحقق مرادها.

حقيقة أن خاطفة تيفاني أتت إلى هنا بالفعل بحثًا عن طلسم هينوسيس، جعلت فكرة العثور عليه في الحرم الجامعيّ تبدو محتملة أكثر قليلًا، رغم أن فيفي كانت لا تزال غير قادرة على تحديد البقعة التي ستبدأ فيها البحث. لقد علّمتها سكارليت تعويذة للكشف عن آثار السحر، ولكن هذا من شأنه أن يساعد فقط في حالة أن كان الطلسم في مكانٍ ما في هذا المبنى. ورغم ذلك، استحق الأمر المحاولة.

تمتمت قائلة: «*أهيب بملكة الصولجان أن تكشف عن آثار الروابط السحرية*».

في البداية بدا كما لو أن شيئًا لم يتغير. ولكن فجأةً، لمحت فيفي وميضًا خافتًا على مقبض خنجر بالقرب منها. اقتربت من صندوق العرض لتلقي عليه نظرة فاحصة، ورأت ما بدا وكأنه بصمات أصابع مضيئة، وكأن سحرها كشف عن قبضة آخر شخص أشهره.

قرأت فيفي البطاقة الموضوعة أمامه: «خنجر، القرن الخامس عشر. يعتقد أنه سلاح جريمة».

هل يعني هذا أن ساحرة استخدمته لقتل شخصٍ ما؟

واصلت فيفي البحث في المعروضات ولكنها لم تصادف أي شيء، إلى أن اتجهت إلى الصف التالي وظهر أمامها وعاء كان يتوهج بشدة وكأن أحدهم وضع لمبة بداخله. قرأت فيفي المكتوب بصوتٍ عالٍ: «وعاء شعائري، القرن الثالث قبل الميلاد. اكتُشِف في معبد أبولو».

وفي منتصف الصف بالأسفل، كان شيء آخر داخل أحد صناديق العرض يلمع. وبداخله كانت هناك وسادة حمراء كتلك التي استُخدمت في عرض

المجوهرات في المتاحف، ولكن لم يستقر عليها أي شيء، عدا مخططًا باهتًا لقلادة. لقد أخذ المخطط يتوهج.

التفتت فيفي للنظر إلى البطاقة الموضوعة إلى جانب صندوق العرض: «قلادة زخرفية، مجهولة المنشأ. تُعرف كذلك بطلسم هينوسيس. مفقودة منذ عام 1997، يعتقد أنها سُرِقت».

همست فيفي قائلة: «يا إلهي!».

وأخذ قلبها يدق بعنف. اشتملت البطاقة أيضًا على صورة فوتوغرافية لمجسم بيضاويٍّ زجاجيٍّ أزرق اللون مُطعَّم بالمزيد من الأشكال البيضاوية الأصغر. لقد كان أشبه بعين الشر، عدا أن ما استقر في مركزه لم يكن دائرة سوداء، بل نجمة سباعية حمراء.

سحبت فيفي هاتفها كي تلتقط صورة وكانت على وشك أن تراسل أريانا عندما أجبرها صوت ضحكات قادمة من بعيد على التوقف: «أريانا، أهذه أنتِ؟».

لم يكن هناك جواب سوى جلجلة أخرى من الضحك.

وفجأةً أخذت الأضواء فوقها ترتعش.

تومض وتنطفئ.

تومض وتنطفئ.

تومض وتنطفئ.

صاحت فيفي مجددًا: «أريانا؟».

عاد إليها ذلك الشعور البارد بالخدر الذي خالجها عندما نظرت إلى الدمية، ولكن هذه المرة لم يبدُ أنه يصدر عن مجسمٍ ما، لقد بدا وكأنه يصدر عن الهواء نفسه، مضيقًا الخناق عليها ومخترِقًا إياها في كل مرة أخذت نفسًا فيها. مدَّت يدها إلى الجدار للعثور على مفتاح للإضاءة، ولكن بدلًا من أن تلمس طبقة أسمنتية باردة كما توقعت، لامست أصابعها شيئًا صلبًا ووعرًا ونابضًا. لقد كان الجدار *يتحرك*. سحبت فيفي ذراعها سريعًا وهي تشهق قائلة: «ما هذا بحق...».

وجهت كشاف هاتفها المحمول نحو الحائط وأطلقت صرخة مدوية. لقد كان الجدار يعج بصراصير بُنية داكنة وعملاقة، لقد انزلقت فوق بعضها بعضًا، وتسربت من قمم صناديق العرض. لقد كان هناك المئات، لا، بل الآلاف منها، متجمعة في سربٍ هائلٍ متجهٍ نحو فيفي، كتلة مظلمة صبغت الأرضية بالأسود.

شعرت فيفي بالدوار من فرط الرعب، وبينما هي تتراجع إلى الخلف، أخذت الأفكار تتدفق بسرعة داخل ذهنها بحثًا عن تفسير. دوى صوت ضحكة أخرى قادمة من بعيد متقاطعة مع صوت زحف الحشرات المكتوم: «*لقد جعلناها تُهلوِس برؤية عناكب*»، هذا ما قالته سكارليت عن غوين. ربما كان هذا سحرًا أيضًا.

ركضت فيفي مسرعة نحو مصدر صوت الضحكات، وشعرت بالغثيان إذ انزلقت قدماها على الحشرات. *ليس حقيقيًا. ليس حقيقيًا. ليس حقيقيًا*، هذا ما قالته لنفسها آملة أن يكون حقيقيًا. ركزت قواها على الأضواء فوقها، وأخذت تردد تعويذة لإنارتها مرة أخرى، وبعد محاولاتٍ عدة، دبَّت الحياة في الأضواء مرة أخرى. نظرت بعينين نصف مغمضتين اتقاءً لهذا الوهج، وتمكنت بصعوبة من رؤية فتاة ذات شعرٍ أسود تختفي عند إحدى الزوايا.

فتاة شابهت غوين تمامًا.



الفصل السادس والعشرون

سكارليت

استطاعت سكارليت أن تشعر بأن زملاءها يراقبونها وهي تقطع ساحة الجامعة بسرعة، ولكنها لم تكن متأكدة ما إذا كانت مشيتها السريعة التي لا أنوثة فيها هي ما أثارت فضولهم أم زيها غير المعتاد بلا شك. إذ لم يسبق لسكارليت أن ارتدت الجينز في الحرم الجامعيِّ منذ أن التحقت بجامعة ويسترلي، ولم ترتدِ أحذية مسطحة منذ أن أصبحت أحذية الباليه من تصميم توري بورش موضة قديمة، غير أنها للمرة الأولى في حياتها تكون مشغولة ومنهكة لدرجة ألا تبالي بمظهرها.

لقد مرت 36 ساعة منذ أن اختُطِفت تيفاني، ولم تعثر جماعة الغربان على أي شيء. لقن نقبن في قسم الأرشيف، وجربن تعاويذ استدعاء مختلفة، واتصلن بخريجاتٍ عديداتٍ من تلك الفترة الزمنية -ومن ضمنهن والدة سكارليت- ولكنهن خرجن خاليات الوفاض. ومن جانبها، كانت سكارليت تحاول سرًا أن تراقب غوين، غير أن هذه الفتاة لم تعد إلى شقتها منذ أيامٍ عدة. وعندما حاولت أن تستدل على مكانها، لم تظهر غوين في *أي مكان*، ما كان أمرًا مُقلقًا للغاية. لقد كان ذلك معناه إما أنها ميتة... وإما أنها تمكنت بطريقة سحرية من إخفاء آثارها. لقد شعرت سكارليت بكل ثانية تمر بكل دقة من قلبها. كل دقيقة تهدر كانت تيفاني تقضيها وحيدة والرعب والقلق ينهشان فيها.

لم تكن سكارليت معتادة على الشعور بالعجز وقلة الحيلة ولم يرُق لها هذا، ولكنها كانت يائسة بما فيه الكفاية للإقدام على شيء لم يرُق لها أكثر: طلب المساعدة. ولهذا السبب كانت تقطع الحرم الجامعيّ بخطوات واسعة متعمدة. إذ إنه لم يتبقَ سوى دقائق معدودة على خروج صفه ولم ترغب في أن تفوّت رؤيته. وبمجرد أن انفتحت أبواب الصف لاحظته على الفور وهو يحدق إلى الفراغ بنظراته الجادة والحادة، التي جعلته يبدو شاذًا وسط طلاب ويسترلي اللامبالين.

قالت لجاكسون بلهجة آمرة: «تعالَ معي».

ثم سحبته من ذراعه وقادته إلى طريق معزولة تفرع خلف المباني الأكاديمية.

سألها بمزيجٍ من السأم والمرح وكأنها كانت جروًا يرفض أن يفارقه: «هل ستخطفينني؟».

جفلت سكارليت من اختياره للكلمات، وبعدها لانت ملامح جاكسون قليلًا وقال: «ما الأمر؟».

كانت نبرة الاهتمام غير المتوقعة في صوته كافية للإطاحة بثباتها، وما أدهشها هو أنها شعرت بالدموع تندفع إلى عينيها. أمرت نفسها قائلة: «*تمالكي نفسكِ*. لم يكن البكاء أمام العامة خيارًا مطروحًا، ما بالكِ بالبكاء أمام جاكسون».

- اسمع. أعلم أنني لا أروق لك، وأنت أيضًا لا تروق لي بالضرورة. ولكنني أعتقد أننا يمكننا مساعدة بعضنا بعضًا الآن.

توقف جاكسون ورفع يديه قائلًا: «مهلًا، لم يسبق لي أن قلت إنكِ لا تروقين لي. أنا فقط لا أثق في المنتميات إلى جماعة الكابا. جميعهن».

لم تسأله عن السبب، فهي لم تكن في حاجة إلى ذلك. لقد اختلج الشعور بالذنب الذي لازمها لعامين في صدرها مرة ثانية، وانهارت دفاعاتها التي شيدتها في عجالة.

أجبرت نفسها على النظر في عينيه رغم الألم الذي ظهر على وجهها ثم قالت: «أنا آسفة للغاية يا جاكسون، آسفة على ما حدث لهاربر. آسفة أكثر

مما تتخيل. وأنت محق، ما جرى كان حادثًا مروعًا. لو لم تنضم إلى الكابا، لكانت لا تزال هنا».

كان هذا أقصى ما أمكنها قوله. سكت جاكسون لبرهة وفكه مطبق من فرط الغضب. وعندما تحدث أخيرًا، بدا صوته قاسيًا وكأنه استهلك كل طاقته لضبط النفس في منع نفسه من الصراخ.

- ليس الأمر متعلقًا بالطريقة التي ماتت بها يا سكارليت، بل بكل شيءٍ سبق هذه الحادثة. لقد كنا أنا وهاربر مقربين من بعضنا بعضًا للغاية. لقد كانت كل عائلتي، ولم نكن نخفي أي أسرار عن بعضنا بعضًا. وبعدها التحقت بأخويتكن وفجأةً... (أضحت نظرته غامضة ومشتتة وأردف قائلًا) أضحت وكأنها شخصٌ آخر. أصبح لديها كل تلك الأمور التي لم تستطع إخباري بها: تقاليد سرية، اجتماعات في وقتٍ متأخرٍ من الليل لم يكن مسموحًا لأي أحدٍ عداهن بحضورها. إن الطريقة التي تحدثت بها عن الكابا، بكل صراحة، جعلت الأمر يبدو وكأنها انضمت إلى جماعة طائفية أو ما شابه ذلك.

تفاقمت عقدة الذنب بداخلها ضاغطةً عليها إلى أن شعرت بصعوبة في التنفس. إن انضمامها إلى الغربان جعل عالمها أزهى وأكثر رحابة، لدرجة أنها لم تتوقف قط وتفكر في الأشخاص الذين نحوا جانبًا.

- أحيانًا نكون منغلقاتٍ على أنفسنا بعض الشيء.
- الأمر أكبر من ذلك وأنتِ تعلمين هذا، الطريقة التي وحدتن بها صفوفكن بعد وفاتها... حتى غوين، التي من المفترض أنها كانت أعز صديقاتها، تحدثت بالكاد إليَّ.

هز جاكسون رأسه وقال بشيءٍ من السخرية وهو يشير إلى بنطاله الجينز مهترئ الحواف والتيشيرت المطبوع عليه صورة جيمي هندريكس: «لهذا السبب جئت إلى هنا. قد يكون هذا مفاجئًا لكِ، ولكن هذه الجامعة الجنوبية التي تعج بالمراهقين لم تكن خياري الأول بالضبط. لقد كنتُ عازمًا على الالتحاق بجامعة كولومبيا عندما ماتت هاربر. ولكنني عرفت أنني كنتُ في حاجة إلى القدوم هنا إذا رغبت في التصالح مع ما حدث».

تلاشى تعبير وجهه التهكمي المعتاد، ولوهلة تبدّى لسكارليت ذلك الفتى الخائف الحائر الذي تخلى عن أحلامه ليتشبث بذكرى شقيقته. ليطارد شبحًا. وفجأةً اجتاحتها موجة جديدة من الخوف وسألته: «هل أخبرتك غوين بأي شيء؟».

هز جاكسون رأسه نافيًا وقال: «لقد تحدثنا لمرة واحدة فحسب ولكنها ظلت... لا أعلم، تختنق أو ما شابه ذلك. لم يسبق لي أن رأيتها على هذه الحالة. أعلم أن الأمر مؤلمٌ بالنسبة إليها أيضًا. أعني، لقد كانت *هناك*. لقد كادت تفقد حياتها كذلك. ولكنني أعرفها، وأعرف أنها كانت تحاول إخباري بشيءٍ ما. ولكنها كانت مذعورة وخائفة للغاية. ما الذي قد يجعلها خائفة لهذه الدرجة؟».

أخذت سكارليت تفتش داخل عقلها عن عذرٍ قبل أن تدرك أنه لم يكن ينتظر منها إجابة، لقد كان تائهًا في متاهة ذكرياته فحسب.

- وبعد ذلك بدأت تتجنبني...

قالت سكارليت: «ولهذا بدأتَ في تتبعها».

شبَّك جاكسون ذراعيه على نحوٍ دفاعيٍّ قائلًا: «أنتِ من اقتحمتِ شقتها ولست أنا».

رفعت سكارليت كفيها قائلة: «أعترف بهذا. كل ما في الأمر أن... في الواقع...».

ترددت سكارليت غير واثقة ما إذا كان ما ستقدم عليه صحيحًا، لقد تنافى البوح إلى غريبٍ مع كل مبادئ الكابا. ولكنه كان الشخص الوحيد في العالم كله الذي من المحتمل أن يعرف إلى أي مكان قد تذهب غوين، وكان للعثور على تيفاني الأولوية على كل التقاليد والبروتوكولات.

- اسمع، هناك سر...

قاطعها جاكسون قائلًا باستهزاء: «يا للصدمة».

- أعرف، ولكن هذا الأمر جاد للغاية (أخذت سكارليت نفسًا عميقًا ثم قالت في دفعة واحدة) إحدى صديقاتي في خطر. لقد اختفت بعد حفل العودة. لا يمكننا أن نلجأ للشرطة، لقد كانت هناك رسالة. لقد كانت محددة للغاية، وأعتقد أن غوين قد يكون لها علاقة بالأمر. أعلم

أنك أيضًا كنت تراقبها، وإذا كان هناك أي شيء اكتشفتَه أو أي شيء غريب رأيته، أريدك أن تخبرني به.

سألها جاكسون وقد تخلل نبرته المتشككة شعور بالاستهانة: «أتظنين أن غوين اختطفت صديقتكِ؟ ما الذي قد يدفعها لفعل شيءٍ كهذا؟ ما الذي فعلتُنّه بها؟».

أجبرت سكارليت نفسها على الحفاظ على ثباتها الانفعاليّ، إذ إن كل ما عرفه جاكسون عن غوين هو أنها فتاة خائفة وضعيفة تعرضت لصدمة بالغة. لم تكن لديه أي فكرة عن ما هي قادرة على فعله حقًا.

- الأمر... معقد. ولكنني أقسم لك إنني لا أرغب في أذية غوين. أنا أود مساعدة صديقتي فحسب.

- سوف يكون عليكِ إمدادي بمعلوماتٍ *أكثر* بكثير من هذه. إذا كانت تختبئ منكن، فلا بد أن لديها سببًا وجيهًا للغاية.

شعرت بحكة ووخزٍ في أصابعها استباقًا لسريان السحر فيها. احترامًا لهاربر، كانت ستمنح جاكسون فرصة أخيرة للتعاون معها، غير أنها كانت مستعدة لاستخدام السحر إذا لزم الأمر. لقد كان التحكم في الإرادة الحرة لشخصٍ ما مخالفًا للقواعد، غير أن ذلك لم يكن الوقت المناسب لاتباع أي قواعد.

- إنها ليست بأمان وحدها. أظن أن هناك احتمالًا أنها قد تؤذي نفسها أو أي أحد برفقتها.

- لمَ قد تفعل هذا؟

كانت نبرة صوت جاكسون لا تزال قاسية غير أن النظرة العدائية على وجهه أخذت في التلاشي.

- لستُ متأكدة كليًّا، ولكنني لا يمكنني المجازفة بخسارة شقيقة أخرى.

أغمض جاكسون عينيه ولوهلة شعرت سكارليت بالذعر، ظنًا منها أنها تجاوزت حدودها.

بقدر ما عضوات الغربان قريبات من بعضهن بعضًا، إلا أن خساراتها كانت لا شيء بالمقارنة مع خسارته. تنهد جاكسون وقال أخيرًا بضجر:

«هناك مقصورة تطل على جزيرة سكيدواي. لقد تبعتها إلى هناك من قبل. إنها تذهب إلى هناك مرة على الأقل كل بضعة أسابيع».

وضعت سكارليت يدها داخل حقيبتها بحثًا عن مفاتيح سيارتها قائلة: «أتظن أنك بإمكانك العثور على هذا المكان مرة أخرى؟».



قال جاكسون بعد دقائق من المرور سريعًا على محطات الراديو خاصتها التي ضبطتها سابقًا ومن منحها إرشادات جازمة للوصول: «لقد خطر لي للتو أننا نفعل عكس كل شيء تعلمناه من أفلام الرعب».

اعترضت سكارليت قائلة: «هذا ليس فيلم رعب، ونحن اثنان وهي واحدة».

- من السهل عليكِ قول هذا، فأنتِ الفتاة التي تكون آخر من يواجه الوحش، وأنا المسكين الساذج الذي يواجهه في البداية. وإذا كان ما أتذكره صحيحًا، لا ينتهي الأمر بصورة جيدة بالنسبة إلى لشخصيتي.
- على حسب الفيلم. هناك بضعة أفلام ينجو فيها الفتى أيضًا.
- اذكري واحدًا منها.
- كاري إلويس في فيلم Saw/المنشار، بروس كامبل في فيلم The Evil Dead/الشر المميت، كوري فيلدمان في...
- فيلم يوم الجمعة الثالث عشر: الفصل الأخير/Friday the Thirteenth: The Final Chapter (أطلق صافرة خافتة) إن سكارليت وينتر لديها ثقافة موسوعية في أفلام الرعب. هل نحن في العالم المقلوب من مسلسل Stranger Things الآن؟
- أنت لا تعرفني يا جاكسون، أنت تظن أنك تعرفني فحسب.
- إذن عرِّفيني بنفسكِ.

تنهدت سكارليت وهي غير راغبة في خوض هذه المناقشة. ولكنه وافق على مساعدتها ولقد كانت مدينة له، ربما أكثر مما يتخيل.

- لقد أحبت المرأة التي ساعدت في تربيتي أفلام الرعب، لقد راق لها أن تصيح في الشاشة وتنصح الشخصيات بأن يتصرفوا بذكاء، عندما

يكونون قد تصرفوا بالضرورة تصرفًا ليس ذكيًا جدًا للحفاظ على استمرارية الحبكة، كأن يفترقوا عن بعضهم بعضًا أو يمارسوا الحب رغم معرفتهم بأن هناك قاتلًا طليقًا.

ضحك جاكسون قائلًا: «لطالما رغبت في كتابة فيلم رعب، لقد ظننت أنني سوف أكون ستيفن كينج الجديد أو ما شابه ذلك، إلى أن حدث تطور غير متوقع في حبكة حياتي».

سألته سكارليت: «هل أنت كاتب؟».

لقد اندهشت في البداية، ولكن بعد تفكير وجدت الأمر منطقيًا. لقد كان ذكيًا، لقد كان الوحيد في صفها الذي كانت إجاباته مصاغة ببلاغة كإجاباتها، ولقد كان سريع البديهة بلا شك.

هز كتفيه بلا مبالاة قائلًا: «ليس بعد الآن».

- أنا متأكدة أن هاربر ما كانت لتريد منك أن تتوقف عن فعل ما تحب.

ازداد تعبير وجهه صرامة قائلًا: «ما كانت هاربر لتريده هو أن تظل على قيد الحياة. ولكن بما أنها ليست كذلك، كانت لترغب في أن ألاحق من تسبب لها في هذا وأحرص على أن يُسجن لبقية حياته. هذا ما كانت لتريده».

- أنت محق. ليس لدي أي حق في افتراض ما كانت هاربر لترغب فيه.

سلَّمت سكارليت بصحة كلامه. لقد كان غضبها يثور في كل مرة كان أحد يُملي عليها الطريقة التي ينبغي أن تحزن بها بعد وفاة ميني.

- لطالما ظننتُ أنني بمجرد أن أحل هذا اللغز، بمجرد أن أعرف ما حدث حقًا سوف أعود إلى العمل عليه. ولكن ما كان مهمًا لي في السابق، أصبح يهمني بصورة أقل كثيرًا الآن.

تفهمت سكارليت ذلك تمامًا. خططها ومايسون وحلمها بأن تكون رئيسة للكابا. لقد بهت كل هذا في ظل ما حدث لتيفاني. وفي ظل ما فعلناه بهاربر.

- أنا آسفة للغاية يا جاكسون.

هز كتفيه بلا مبالاة ثانيةً: «إنها ليست غلطتكِ. كل ما تفعلينه هو أن تناضلي لإنقاذ شقيقتكِ. ما كان عليَّ أن ألومكِ على فقدان شقيقتي».

ابتلعت سكارليت شعورها بالذنب. جزء منها -الجزء الصالح منها الذي اكتسبته من ميني- تمنى لو كان بإمكانها إخباره بالحقيقة. وفي الوقت نفسه، الجزء الأسوأ منها -الجزء الذي سمح لها بإخفاء هذا السر الرهيب طيلة عامين طوال- كان ممتنًا أنها لم يكن بوسعها فعل ذلك، ممتنًا أنها كانت ملزمة بالحفاظ على سرية عالم السحر، بالوعد الذي قطعته لشقيقاتها. لقد علمت في قرارة نفسها أنها كانت تلجأ للخيار الأسهل، ولكن كيف يمكن لها أن تخبره دون أن تفسر من -وماذا- كانت حقًا؟

عندما تطلعت مجددًا إلى جاكسون، كان يحدق من النافذة وهو مستغرق في أفكاره. لم يتحدثا مجددًا حتى نهاية الطريق.



بدا صوت جاكسون رقيقًا ومهزوزًا: «ربما علينا أن نطرق أولًا».

لقد وقفا في أعماق غابة الجزيرة بالقرب من سافانا، على بُعد خطوات قليلة من باب أكثر مقصورة متهدمة وشبيهة بتلك الموجودة في أفلام الرعب رأتها في حياتها. وقطعهما كل هذه المسافة داخل الغابة، جعل الأمر يبدو وكأن الغروب قد حلَّ بالفعل. لقد ألقت الأشجار بظلالها على الممر المرصوف بالحصى وعلى السقيفة الخشبية البالية فوقهما. لقد جعل مغيب الشمس الوشيك المقصورة تبدو مخيفة وعدائية أكثر.

لقد ثبتت مجموعة من الأشواك على الباب بالمسامير، وكانت النوافذ ملطخة بشرائط طولية سوداء وتقشَّر الطلاء من ألواح الخشب ملتويًا في تموجات طويلة. لقد كانت هناك لطخة عند عتبة الباب بدت وكأنها دماء.

- *هل أنتِ بالداخل يا تيفاني؟*

لقد كانت كلماتها أقرب إلى الابتهال منها إلى السؤال. أغمضت سكارليت عينيها، محاولةً أن تلتقط أي أثر للسحر، غير أن الهواء بدا جافًا وضعيفًا، عكس ما يبدو عندما تكون تيفاني في محيطٍ قريبٍ.

أدركت سكارليت إلى أي مدى كانا بعيدَين عن أي مصدر للمساعدة، أو عن أي طريق للهروب. لقد ركنا السيارة عند طريق جانبية صغيرة تبعد

مسافة نحو عشر دقائق سيرًا على الأقدام من الكابينة. لم يمُرّا بمنزلٍ واحدٍ في طريقهما إلى هنا. لقد كانت الأشجار قصيرة والعشب طويلًا وغير مشذّب. وكانت العلامات الوحيدة على وجود حياة هنا هي شظايا زجاجات البيرة المكسورة وأعقاب السجائر تحت أقدامهما.

لقد كانت هناك منطقة واحدة احترقت فيها دائرة مرسومة بعناية على العشب. لقد كانت مسودة ومتفحمة وخالية من أي غطاء نباتيٍّ، وكأن الأرض نفسها قد لُعِنت. لقد بدت المقصورة خالية من الحياة بنفس القدر، إذ لم تكن هناك أي سيارات عند الممر المرصوف بالحصى، ولا أي أضواء بالداخل.

قالت سكارليت: «وما الذي نقوله؟ مرحبًا. هل رأيتم فتاة غريبة بالجوار؟ ومن المحتمل أنها تسحب وراءها ضحية مختطفة؟».

ما كان أي شيء ليمنعها من العثور على تيفاني. لا بد أن تدخل هذا المكان. الآن.

سألها جاكسون: «هل لديكِ خطة أفضل؟ (ألقى نظرة أخرى على البيئة المحيطة بهما وأردف) ربما علينا الذهاب. يساورني شعور سيئ بشأن هذا يا سكارليت».

وكذلك هي، علاوةً على أنها امتلكت قدرة سحرية على استنباط الأمور تحت تصرفها.

قالت سكارليت له: «إذا كنت لا ترغب في القدوم معي، انتظر هنا فحسب».

ثم هرعت إلى الباب الأماميّ قبل أن تعيد النظر في الأمر. شعرت بحكة في فروة رأسها ووخز في قدميها وكأن آلاف الدبابيس والإبر اخترقتها. لقد شعرت بهذا من قبل، لقد كانت تعويذة حماية تحاول إجبارها على أن تعود أدراجها، أن تهرب. تراقصت الظلال عند طرفَي عينيها، وكأن عناكب تتدحرج بطول أعمدة المقصورة، بينما كانت تقف عند عتبة الباب.

قالت لنفسها: *هذا ليس حقيقيًا*. إنها مجرد تعويذة لطرد الزوار غير المرغوب فيهم لا أكثر. ليست شيئًا من شأنه أن يؤذيها فعلًا.

أحدثت ألواح عتبة الباب الخشبية من خلفها صريرًا، وشهقت سكارليت واستدارت سريعًا. ولكنه كان جاكسون فحسب يصعد الدرج.

قال لها: «لا يمكنني أن أجعلكِ تواجهين منزلًا مسكونًا وحدكِ».

- صدقني، يمكنني الاعتناء بنفسي.

أجابته سكارليت بهذا وهي تتفحص الباب الأماميَّ سريعًا. قفل بسيط. جيد.

قال جاكسون: «لا شك في ذلك».

بينما كان يستند على جدار المقصورة وذراعاه معقودتان.

سحبت دبوسًا من شعرها وجثت على ركبتيها أمام الباب وقد حرصت على حجب رؤيته عن ما كانت تفعله. ركزت بقوة بينما تظاهرت بفتح القفل. أحدث القفل صوت طقطقة خافتًا، نظرت إليه سريعًا لتلمح نظرة الاستحسان على وجهه ثم تفحصت مقبض الباب. انفتح في قبضتها. لقد أملت أنه افترض أن هذا يُعزى إلى مهاراتها في فك الأقفال، مهارات افتقرت إليها. لقد كان هذا سحرًا خالصًا. والقليل من التمثيل.

أخذت نفسًا عميقًا ودفعت الباب للداخل. استغرقت لحظة كي تعتاد عيناها الظلام. لقد أُسدِلت على جميع النوافذ ستائر معتمة. وكشف النور الخافت الذي انسلَّ عبر الباب عن طاولة خشبية متهالكة بمقعدين، قطعة الأثاث الوحيدة التي كانت في الغرفة. وأطلَّ من أحد الجوانب مطبخ غير مستخدم يغطيه نسيج العنكبوت، به بقعة يفترض أن الموقد وُضِع فيها. اختلست النظر إلى غرفة نوم صغيرة تفرعت من الغرفة الرئيسية، ولم تحتوِ إلا على صندوق خشبيٍّ مقلوب. وكانت هناك غرفة معيشة بها أريكة ذات لون برتقاليٍّ محترق بدا كما لو أنها الفئران قرضت بعضًا من حشوها. وبين الأريكة والجدار، حُشِر صندوق من الكرتون، بدا أحدث من بقية الأغراض ومغبرًا وتالفًا بصورة أقل. قطعت سكارليت الغرفة سريعًا وألقت نظرة بالداخل. تسارعت نبضات قلبها عندما رأت محتويات الصندوق: عباءة سوداء رخيصة الثمن من البوليستر وقبعة ساحرة، كتلك التي كانت الفزاعات المشتعلة ترتديها. واختبأت تحتها مجموعة من بطاقات التارو. قلَّبت سكارليت فيها سريعًا، وكانت بطاقات السيوف والصولجان والنجمة الخماسية والكؤوس مفقودة منها، وما أنذر بالشؤم، أن بطاقة الموت كانت مفقودة كذلك.

اختلج بداخلها شعور طفيف بالانتصار. لقد كانت محقة. لقد كانت غوين وراء كل ما حدث من البداية. غير أن شعورها بالانتصار تلاشى بعدها بلحظة، وحلَّ محله إدراك كئيب بأنها كانت لا تزال لا تعرف مكان غوين وأن تيفاني كانت لا تزال في خطر.

لقد ساد الصمت في المنزل. لم يكن هناك أحد. رفعت إحدى الستائر المعتِمة ونظرت إلى الخارج. لقد كان هناك مبنى صغير آخر يبعد نحو 100 متر، وقد كان مرئيًّا بالكاد عبر الأشجار وأكبر قليلًا من المنازل الريفية المعتادة.

همست قائلة: «جاكسون».

ليومئ برأسه بتجهم. ومعًا خرجا بهدوءٍ من المنزل ونفذا من خلال العشب الطويل متخفيَين بينه، وشقّا طريقهما إلى الكوخ. لقد نمت الأشجار بصورة عشوائية هناك، وكانت الأرض مغطاة بمزيجٍ من أوراق الأشجار الميتة والأوساخ الرملية. لقد تقافز سنجاب على أحد الأغصان، بينما أطلق طائر صرخة عالية النبرة. دقَّ قلب سكارليت داخل صدرها بعنفٍ وهما يقتربان من الكوخ. لقد كان متهالكًا جراء الطقس، ومبنيًّا من ألواح خشبية طويلة ومتشققة مربوطة ببعضها بعضًا بمسامير صدئة. لقد استقر الباب بصورة مائلة على مفصلاته، وكانت هناك نافذة نصف محطمة ومتسخة مستقرة في الجانب الأيسر من الكوخ.

وكان ذلك عندما سمعت صوت خطوات مكتومة. استدارت سريعًا وجذبت جاكسون من ذراعه وضغطت بأصابعها على شفتيه، ثم مشت على أطراف أصابعها حتى النافذة. لفحت أنفاس جاكسون الحارة مؤخرة عنقها عندما تبعها واقفًا خلفها.

من هذه الزاوية تمكنت من رؤية جزء صغير من الغرفة، غير أن ذلك أدى الغرض. لقد كان الكوخ مُضاءً بنور شمعة متذبذب. لقد كانت هناك نجمة خماسية مرسومة على ألواح الأرضية بمادة حمراء -بُنية جافة- مادة شابهت الدماء كثيرًا. أحاطت الشموع الطويلة المدببة بالنجمة الخماسية، وجثت على ركبتيها في منتصفها وهي تحمل شيئًا صغيرًا ومتلويًا فوق رأسها...

غوين. كانت سكارليت لتميز هذا الشعر الأسود الانسيابيَّ في أي مكان.

تلوّى هذا الشيء في يد غوين مرة ثانية، لتشعر سكارليت بالغثيان. لقد لاحظت الذيل العاري الطويل المتحرك، ولمحت العينين الحمراوين المذعورتين. لقد كان *فأرًا*. ثم بصوتٍ أشبه بسحق أغصان الشجر، كسرت غوين عنق الحيوان. وفي تلك اللحظة، انفجر طوفان من الطاقة داخل الكوخ. لقد تذبذب كمكبر صوت رفع صوته لأقصى درجة، جالبًا معه رنينًا مدويًا وغاضبًا، وكأن جزيئات الهواء كانت تصرخ فيها.

السحر. ولكنه كان سحرًا لم يسبق لها أن شعرت به، مستعرًا وعنيفًا وفجًا ومتعطِشًا. لقد جعل قلبها يسقط بين قدميها واعتصر رئتيها. لقد كان قويًّا لدرجة أنه فجَّر ما تبقى من زجاج النافذة المكسور، ودفع سكارليت إلى الوراء. لقد سقطت في حضن جاكسون وارتطما هما الاثنان بقوة بجانب الكوخ.

صاحت غوين قائلة: «من هنا؟».

قد يكون السبب هو أن سكارليت لم تسمع الفتاة تتحدث منذ عودتها، غير أن شيئًا بخصوص صوتها بدا أعمق وأكثر شؤمًا من ذي قبل، وكأنها كانت تتحدث بنبرتَي صوت في آنٍ واحدٍ: نبرتها ونبرة أخرى أدنى وأخشن.

لم تتردد سكارليت لحظة، وجذبت جاكسون من ذراعه وسحبته خلفها وركضت بأقصى سرعة ممكنة نحو الطريق.

ويحسب لجاكسون أنه لم يهدر أي وقت في طرح الأسئلة، لقد ركض خلفها مباشرةً وعيناه مذعورتان وهما يهبطان الممر المرصوف بالحصى ثم يقطعان الغابة مسرعَين وغصون الأشجار تمزق وجهيهما وملابسهما.

فقط عندما وصلا إلى الطريق الرئيسية، سألها بأنفاسٍ متقطِعة: «ما.. كان هذا.. بحق الجحيم؟».

لم يسع سكارليت أن تجيبه. لقد أمكنها بالكاد أن تعترف بالحقيقة لنفسها.

لقد تحقق أسوأ كوابيسها. لقد استعادت غوين سحرها.

سحرٌ أسود.



الفصل السابع والعشرون

فيفي

أطلَّت فيفي من نافذة البرج الغربيّ، لقد كان متجرًا للوجبات الخفيفة في الحرم الجامعيِّ بدا وكأنه ذلك النوع من النوادي الريفية الحصرية التي اعتادت أمها أن تسخر منها في أثناء إقامتهما في إقليم نيو إنجلاند. لقد استقر عند أعلى نقطة في الحرم الجامعيِّ بأسره، الطابق العلوي لبرج الساعة، وأتاح إطلالة على ساحة الجامعة مترامية الأطراف عبر نوافذه البارزة الكبيرة. لقد جلست في أحد المقاعد الجلدية ذات الذراعين طوال فترة الظهيرة، تتفحص الصفحة تلو الأخرى من الأرشيف الرقميِّ لمجلة جازيت على حاسوبها المحمول، آملة في العثور على أي ذِكر للطلسم.

لقد مرت نحو 24 ساعة على ما اكتشفته في قسم الأرشيف، وكانت جيس، الصحفية الاستقصائية اللامعة، قد أخذت على عاتقها تكليف العضوات الأصغر من الغربان بمراجعة أعدادٍ من المجلة، بينما واصلت الشقيقات الأكبر سنًا السعي وراء القرائن السحرية. لقد تبقى لديهن الآن أقل من 24 ساعة للعثور على الطلسم، وبخلاف اكتشافهن لحقيقة أنه سُرِق من ويسترلي، لم يتوصلن إلى أي شيءٍ آخر.

بعدما قرأت فيفي عن جميع سرقات المجوهرات التي جرت في سافانا في القرن الحاليِّ، أخذت تحدق من النافذة وهي تحمل كوبًا من القهوة في يدها. لقد بدأت تشعر بأنها وصلت إلى طريقٍ مسدودة، وعلمت أنها لم تكن الوحيدة التي انتابتها تلك المشاعر.

لقد أصبحت داليا تتمتم في سرها وهي تسير في أروقة الكابا هاوس، وتتوقف طويلًا أمام غرفة تيفاني. أما مِي، التي لم تجمل نفسها بالسحر منذ أيام، فقد أخذت تقضم أظفارها بسرعة، في حين أن سكارليت كانت على شفا الانهيار العصبيّ. لم يسبق لفيفي أن رأتها بمثل هذا التوتر من قبل، لقد غادرت المنزل هذه الظهيرة وهي لا ترتدي سوى قميص بلا أكمام وسروال جينز. لم تدرِ فيفي أصلًا أن سكارليت امتلكت ملابس من الجينز.

لقد ارتعبت سكارليت عندما أخبرتها فيفي عن ما حدث في المكتبة، ووافقتها أن هذا يبدو من صنيع غوين. ولكنها أثارت نقطة وجيهة: إذا كانت غوين تريدهن أن يعثرن على الطلسم، لماذا كانت تحاول إخافة الأشخاص الذين يبحثون عنه؟ هل هذا لأنها علمت أن البحث في الأرشيف لن يفضي إلى أي شيء؟

- هل هناك صحن طائر بالخارج أو ما شابه؟

تفوَّه صوتٌ عميقٌ بهذا، مثيرًا فزع فيفي لدرجة أنها سكبت كوب القهوة المقرف والبارد الذي كانت ترشف منه دون تركيز طيلة ساعات. اصفر وجه مايسون عندما رفعت رأسها ونظرت إليه وقال: «آسف، لم أقصد أن أروعكِ».

رغم شعور فيفي بالإرهاق والقهوة التي كانت تتسرب إلى كُمها، ابتسمت. لقد كان هناك شيء جذاب وطريف فيما يتعلق باستخدامه كلمة *«يروِّع»*، في حين أن معظم الناس كانوا ليقولوا *«أخيفكِ* أو *أفاجئكِ»*. في كل مرة تبادلت هي ومايسون الحديث، كان يكشف عن عادة ساحرة وغريبة لديه تتعارض مع مظهره كفتى أخوية.

قالت له: «أنت لست مروعًا بالضرورة».

وبخاصة مقارنة بالأمور المرعبة التي شهدتها مؤخرًا.

مرر يده في شعره وبدا مرتبكًا على غير العادة: «حسنٌ، أود أن أحترم ما قلتِه -أو على الأقل ما ظننت أنكِ قلتِه- في تلك الليلة عن عدم رغبتكِ في جعل الأمور غريبة بينكِ وبين سكارليت. لا أريدكِ أن تظني أنني لا أتقبل رفضكِ لطلبي».

حاولت فيفي أن تتجاهل الألم الذي حلَّ في قلبها وقالت: «لا بأس، ما زلت أرغب في أن نكون صديقين. أعني ذلك».

ابتسم قائلًا: «رائع. أريني ذلك الصحن الطائر الذي كنتِ تنظرين إليه، لأنني إذا رفعت صورة له على موقع ريديت، سوف ينصبونني ملكًا عليهم».

- ليس هناك صحن طائر للأسف. لقد كنت أحدق إلى الفراغ فحسب (سددت إليه نظرة متسائلة وأردفت) هل أنت من أعضاء موقع ريديت؟

- أحب متابعة المنشورات المتعلقة بالتاريخ. لقد كنت في مشاحنة دامت ثلاث سنوات مع أستاذ مساعد في جامعة ألاسكا يعتقد أن الكونفدرالية انتصرت في الحرب الأهلية.

- يبدو هذا استغلالًا مثاليًا لوقتك.

اتسعت ابتسامته وأشار إلى المقعد الفارغ بجوارها قائلًا: «أتمانعين انضمامي إليكِ؟».

- سوف يكون لي الشرف. ولكن لماذا أنت هنا بدلًا من أن تكون تحتفل بالخارج؟

ضحك مايسون وهو يجلس قائلًا: «أنتِ متشككة للغاية. أتظنين أنني جئت إلى هنا لأخيف الطلاب الأبرياء؟».

- لا، لا أظن أنك مخيف (عضَّت على شفتيها وأردفت) آسفة، أسأت التعبير.

نكَّس مايسون رأسه وقال: «لا، لا بأس. إن جملة *«لا أعتقد أنك مخيف»* هي ألطف شيء قاله لي أحد على الإطلاق».

أخذ رشفة من قهوته وأخرج حاسوبه المحمول من حقيبته الأشبه بحقيبة ساعي البريد وقال: «ردًا على سؤالكِ، إن مرشدتي الأكاديمي تؤلِف كتابًا عن النساء في سافانا خلال الحقبة الاستعمارية. لقد كنتُ أقرأ رسائل ومذكرات في مختلف المكتبات في جميع أنحاء المدينة، وأنا بحاجة إلى التوليف بين ما توصلت إليه من أجلها. ميعاد التسليم يوم الاثنين القادم».

- هل أنت طالب في قسم التاريخ؟

- بالتأكيد. لماذا تبدين متفاجِئة؟

فكرت فيفي في إجابة عن سؤاله. لقد علمت أنه أحب التاريخ ولكنها لم تتخيل قط أنه قد يتخصص فيه. ومن المثير للحرج، أن السبب الحقيقيَّ كان أن صورة المؤرخين في ذهنها، هي أنهم أناسٌ يرتدون سترات من الصوف ويتحدثون لأنفسهم في أثناء سيرهم، أما مايسون فقد بدا وكأنه عارض أزياء في شركة رالف لورين خارج ساعات العمل، بقميصه الأبيض الأنيق وسرواله القصير الأخضر الباهت.

- لأنكَ تبدو اجتماعيًّا للغاية بالنسبة إلى طالب في قسم التاريخ (قالت له هذا رغم أنها لم تبدُ مقنِعة تمامًا) ألم يكن من الأفضل أن تدرس شيئًا كالعلاقات العامة، أو، لا أعرف، التسويق الرياضي؟
- *التسويق الرياضي؟* إن هذا التخصص غير موجود في هذه الجامعة حتى.

قالت فيفي وقد رفعت يديها إقرارًا بجهلها: «اعذرني لعدم تذكري دليل المقررات».

- *التسويق الرياضي؟ (*كرر مايسون الجملة وهو يهز رأسه في سخرية واستياء) هل تعرفين أن جامعة ويسترلي لديها واحد من أفضل أقسام التاريخ في البلاد؟ أسدي لنفسكِ معروفًا وسجلي في صف تاريخ المقابر. في كل أسبوع تخصص رحلة ميدانية لزيارة مقبرة مختلفة. أعلم أن هذا يبدو مريضًا ولكنه مذهل للغاية.

توقف لبرهة عن الحديث ثم أردف قائلًا: «لقد أخفتكِ مرة ثانية، أليس كذلك؟».

قالت فيفي بإصرار: «لا، إطلاقًا».

رغم أنها كانت قد قضت بالفعل وقتًا أكثر مما ينبغي في إحدى المقابر المحلية. لقد نظرت فيفي إلى مايسون بعينٍ جديدة، إذ إنه لم يسبق لها أن سمعت شابًا جذابًا يتحدث بهذا الشغف عن التاريخ. بل لم يسبق لها أن سمعت *أي أحد* يتحدث بهذا الشغف عن التاريخ. ولوهلة، تخيلت نفسها في فستانٍ أبيض صيفيٍّ، وقد تأبطت ذراع مايسون، وأخذا يتجولان عبر إحدى المقابر التي تدلَّت منها نباتات الطحلب الإسباني، ثم احمرت خجلًا وهزت رأسها بصورة طفيفة لتطرد عن ذهنها تلك الفكرة السخيفة. لقد حاولت

بالفعل أن تسلك هذه الطريق، وعلمت أن به لافتة مكتوبًا عليها بخطٍ عريضٍ «*ممنوع الدخول*».

سألها: «لنتحدث بجدية، لماذا تتوارين هنا بدلًا من أن تكوني بالخارج مع شقيقاتك؟ قد نكون الشخصين الوحيدين في الجامعة اللذين يعملان في الوقت الحاليّ».

أجابت مايسون وهو توجه شاشة حاسوبها تجاهه: «إنني أجري بحثًا تاريخيًّا خاصًا بي. إنني أتتبع عضوات الكابا السابقات على مر العصور».

لقد فكرت في أن لا ضرر في البوح بنصف الحقيقة.

- آه، إنه نشاطي المفضل.
- الآن تبدو مخيفًا.

ضحك وتراجع في مقعده.

- آسف، أنتِ محقة. سوف أفتح حاسوبي هنا ويمكننا أن نقضي بقية الليلة نعمل معًا في صمتٍ. إلا إذا كنتِ تفضلين قضاء بعض الوقت وحدكِ. لا، تسعِدني رفقتكِ؟

بعد كل هذه الفوضى والمعاناة، فكرت في أنه سوف يكون من اللطيف أن تبقى بجوار شخص لم يكن متورطًا في جريمة اختطاف سحرية. لقد انتظرته كي يواصل دعاباته المرحة، غير أن تعبير وجهه بات أكثر جدية وهو يتأملها.

- هل أنتِ بخير؟ تبدين... (تردد وقد بات واضحًا أنه كان يبحث عن أكثر تعبير دبلوماسيٍّ) منهكة.

قالت: «أنا بخير. لقد تأخرت دراسيًّا فحسب في أثناء فترة التحضيرات في الأخوية، والآن أحاول أن أعوض ما فاتني».

حاولت أن تتخيل كيف سيكون شعور الوثوق فيه، شعور أن يستمع إليها بهدوء وبتعاطف وهي تحكي له كل تفاصيل كابوس اختفاء تيفاني المستمر والبحث عن الطلسم. بصفته مؤرخًا وباحثًا، قد يكون ذا فائدة كبيرة. غير أن التحدث لمايسون عن ذلك لم يكن خيارًا مطروحًا. إذ إن لا شيء من شأنه أن يعرض الغربان لخطرٍ أكبر أكثر من إفشاء أسرارهن للعالم الخارجيِّ.

قالت فيفي وهي تجبر نفسها على الابتسام: «لا شيء خطير، صدقني. أعتقد أن الدراسة بجِد لا تتوافق مع طبيعتي الحساسة».

قاطعها مايسون سريعًا قائلًا: «لم أعنِ ذلك بطريقة سيئة. آسف، لقد ظننت فقط أنكِ بدوتِ مرهقة قليلًا ولكن ما زلتِ جميلة».

بمجرد أن هربت الكلمة من فمه، أيقنت فيفي أنه ندم عليها. لقد احمرت وجنتاه قليلًا وهز رأسه قائلًا: «حسنٌ، من الواضح أنني لا أُحسِن أداء دور «الصديق». سوف أدعكِ وشأنكِ الآن».

وقف وهمَّ بوضع حاسوبه في حقيبته.

قالت فيفي وقد مدَّت يدها لتمسك ذراعه: «مايسون، انتظِر (لقد هبطت الكلمة على بشرتها كفراشة خافت أن تلمسها كي لا تطير بعيدًا. لم يسبق أن اعتبرها أحد جميلة سوى أمها) لا بأس، لستَ مضطرًا للذهاب».

تردد ثم جلس مجددًا في مقعده متنهدًا.

- هل أنتِ متأكدة أنني لم أزعجكِ؟
- بل العكس تمامًا (دون تفكير وضعت يدها على ذراعه) إنه للطفٍ منكَ أن تقول هذا.

قال بنبرة تتراوح بين السخرية والجدية: «أنا لا أستطيع الكذب».

ثم صمت فجأةً والتقت عيناه بعينيها، ثم مال قليلًا لدرجة أنها تمكنت من رؤية النقاط الذهبية في عينيه ورموشه السوداء الداكنة والندبة الصغيرة في حاجبه الأيسر.

كان عليها أن تتحرك، أن تتراجع إلى الخلف، ولكنها بقيت في مكانها، غير قادرة على التنفس، غير قادرة على تحريك عضلاتها ولو لبوصة واحدة. لقد ارتجفت عندما مرر يده برِقة على خدها ثم انحنى إلى الأمام إلى أن لامست شفتاه شفتيها. سرى بداخلها تيار كهربائيٌ، شوَّش على كل الأفكار باستثناء كم بدا طعم شفتيه حلوًا وكم رغبت في أن تميل بدورها لاستقبال قُبلته.

ولكن عوضًا عن ذلك تراجعت للخلف وقالت: «مايسون، لا يمكننا فعل هذا، أنا آسفة».

لم يمكنها أن تُقبِّل حبيب شقيقتها الكبرى السابق، لا سيما وهي في هذه الحالة السيئة. تراجع في مقعده ودفن وجهه بين يديه قائلًا: «أعلم. أنتِ محقة يا فيفي. أنا فقط أتمنى...».

سكت ثم اعتدل في جلسته ونظر إليها ووجهه تعلوه ابتسامة حزينة. أخذ نفسًا عميقًا ثم قال بنبرة مبتهجة مصطنعة: «حسنٌ إذًا، فلنعد إلى العمل».

ألقى نظرة خاطفة على حاسوبها المحمول وتجهم قائلًا: «مهلًا، هل هذا تفكيري وحدي أم أن هذه الفتاة تبدو مألوفة؟».

- أي فتاة؟

لقد استغرقت فيفي ثانيةً قبل أن تدرك ما الذي كان ينظر إليه وسط علامات التبويب البحثية المفتوحة. في طرف شاشتها كانت هناك صورة ملونة، مُشوَّشة بعض الشيء. لقد كُتِب أسفلها: عضوات *الكابا في حفل العودة*. لقد بدا أنها التُقِطت في قاعة الرقص في مبنى الإدارة الرئيسيِّ. لقد كانت هناك سبع فتيات جميلات في الصورة، ارتدين جميعًا فساتين سهرة سوداء قصيرة وكلاسيكية.

كانت إحداهن إيفيلين ووترز، لقد رأت فيفي صورة لها في المنزل وميَّزت شعرها الأشقر المائل للورديِّ وعظام وجنتيها العاليتين. غير أن الفتاة في منتصف الصورة هي من لفتت انتباه فيفي. لقد كانت الوحيدة التي تنظر إلى الكاميرا. لقد أحاطت خصر إيفيلين بذراعها، وارتدت حول عنقها قلادة بيضاوية كبيرة بدت أشبه بحجر الجيود. لقد كانت مصنوعة من الزجاج الأزرق ومكونة من مجموعة من الدوائر وفي منتصفها ما لا يمكن وصفه إلا بأنه عين الشر. وارتسم على وجه الفتاة نصف ابتسامة، وكأنها عرفت شيئًا لم يعرفه البقية.

ميَّزت فيفي هذه الابتسامة، لقد رأتها في كل يوم من حياتها تقريبًا.

سألها مايسون: «هل التحقت أمكِ بجامعة ويسترلي أيضًا؟».

لم تُجِبه فيفي. لم يسعها سوى التحديق إلى دافني ديفيرو الشابة التي ابتسمت لها من الماضي.

لم تكن أمها ساحرة فحسب، بل كانت من الغربان كذلك.

ولقد كانت ترتدي طلسم هينوسيس.

الفصل الثامن والعشرون

سكارليت

كان الظلام قد حلَّ عندما أوقفت سكارليت السيارة أمام الكابا هاوس. أطفأت المحرك وسرحت ناظرةً للأمام، وأخذت تراقب مصابيح الشارع وهي تومض وتنطفئ الواحد تلو الآخر.

قال جاكسون: «سكارليت، علينا أن نتحدث عن ما جرى».

واصلت سكارليت التحديق أمامها. لم تقدر على التفوه بكلمة واحدة طيلة الطريق إلى المنزل. لم تكن لديها أي طاقة لاختلاق قصة وهمية لتفسير ما كانت غوين تفعله. لقد استنفدت ما تبقى لها من طاقة لقيادة السيارة ومنع الخواء الهائل بداخلها من أن يمتلئ بالدموع. لقد فشلت سكارليت، ما يعني أن تيفاني سوف تقضي ليلة مرعبة أخرى وهي تتساءل ما إذا كان كل نفسٍ تأخذه هو الأخير.

هذا إذا كانت لا تزال على قيد الحياة من الأساس. لقد تاقت يدا سكارلي إلى بطاقاتها وإلى مكتبتهن. لقد كانت بحاجة إلى تعويذة، تعويذة برهان على الحياة، أي شيء من شأنه أن يخبرها أن قلب تيفاني ما زال ينبض. لقد كانت بحاجة إلى دليلٍ على أن الأوان لم يفُت بعد، ليس فقط لأن غوين استعادت قواها، ولكن لأن سحرها بدا أقوى وأكثر ظلامًا. لقد كانت عازمة على إيذاء تيفاني قبل حادثتها، من يدري ما هي قادرة على فعله الآن؟ جزءٌ منها رغب في اقتحام الكوخ ومواجهة غوين في الحين والتو، وإجبارها على أخذها إلى مكان تيفاني. ولكن كيف كانت سكارليت لتفعل هذا؟ أن تجعل

المطر ينهمر عليها؟ ما كانت قطرات قليلة من المياه لتتصدى للشر الذي شعرت به يفيض من غوين. لقد كانت بحاجة إلى قوى شقيقاتها لهزيمتها.

سألها جاكسون: «هل سبق ورأيتِ شيئًا كهذا؟ هل تعرفين ما الذي كانت غوين تفعله؟».

كذبت سكارليت قائلة: «لا، بالطبع لا. لقد كان نوعًا من الأمور الغريبة والمريضة التي يفعلها القتلة المتسلسلون».

قال جاكسون: «لا أعتقد أن القتلة المتسلسلين عادةً ما يستخدمون النجوم الخماسية والشموع. لقد بدا الأمر أشبه بالطقوس. لقد بدا وكأنه... (توقف للحظة وكأنه يبحث عن الكلمة المناسبة) لقد بدا وكأنه سحر».

التفتت سكارليت إليه، لقد كانت عيناه محتقنتين بالدماء ونظراته خاوية، لقد رأته وهو غاضب ومُراءٍ. لقد رأته وهو لطيف. ولكنها لم تَرَه قط وهو خائف. وضعت يدها على يده، لقد كانت تشع دفئًا تحت كفها.

- لا يوجد شيء اسمه السحر.

لقد بدا صوتها ضعيفًا حتى بالنسبة إليها. لم تضطر من قبل أن تقول هذه الكلمات بصوتٍ عالٍ. لقد عاش معظم الناس حيواتهم البسيطة في سبات الجهل، في حالة من البلادة وضيق الأفق حالت بينهم وبين الشعور بالسحر الموجود بعيدًا عن متناولهم. لطالما أشفقت عليهم، إذ يحيون في عالمٍ من الأبيض والأسود في حين أن هناك طائفة مذهلة من الألوان وراء الحجاب فحسب. غير أنها في تلك اللحظة، كانت لتتبادل الأماكن مع أيٍّ منهم دون تفكير لو كان ذلك من شأنه أن يعيد تيفاني. فما فائدة السحر إذا كنت عاجزًا عن حماية من تحبهم؟

هز جاكسون رأسه قائلًا: «بحقكِ يا سكارليت. إنكِ تعلمين ما رأيناه. تعلمين ما *شعرنا* به. هذا الانفجار الذي طرحكِ أرضًا، كيف تفسرين ذلك؟».

هزت سكارليت كتفيها بلا مبالاة وتراجعت في مقعدها قائلة: «لم يكن هذا انفجارًا. لقد اختلَّ توازني فحسب عندما رأيتها».

- لا تكذبي عليَّ يا سكارليت.

تحرك في مقعده وأمسكها من كتفيها مديرًا جسدها ناحيته. كزّت سكارليت على أسنانها من فرط الغضب، غير أن مجرد إلقائها نظرة خاطفة على التعبير المرتسم على وجهه جعل دفاعاتها تنهار. لقد عكس شعورًا ألفته جيدًا: اليأس. ذلك الشعور الذي لم تتفهمه إلا مؤخرًا، بفقدان تيفاني.

قال جاكسون: «لقد راقبتُ منزلكن لعامٍ كاملٍ. هناك شيء مختلف بخصوصكن يا عضوات الكابا. شيء غريب. ولقد رأيت التعبير المرتسم على وجهكِ الليلة. لم يكن *متفاجئًا*، بل قلقًا (سكت مقطبًا جبينه ثم أردف) لقد كانت غوين واحدة منكن. وكانت *شقيقتي* أعز صديقاتها. ولقد وجدت أشياء بعد وفاتها، تلك النجمة الخماسية على الأرض؟ لقد رسمت هذا الرمز في كثيرٍ من مفكراتها. لذا... أخبريني فحسب بما كانت متورطة فيه».

لقد كانت نبرة اليأس في صوته كافية لجعلها تلين. لقد عانى جاكسون بقدر أيٍّ منهن. بل أكثر منهن، لأنه بصورةٍ ما، لم يكن لديه أي أحدٍ يمكنه الوثوق به، لا أحد ليشاركه الأفكار المربِكة التي صيغت من حطام حزنه. ولكنها لم يسعها إخباره بالحقيقة دون أن تُعرِّض الغربان للخطر.

قالت بقسوة: «إننا مجرد أخوية».

- أرجوكِ. هل كانت... ساحرة؟ أهكذا كان الأمر؟ (لقد بدا مرعوبًا) أعني، هل قتلَت الأشياء وأكلَت الأطفال؟ ما الذي...؟
- لا! بالطبع لا! لقد كانت هاربر أبعد ما يكون عن هذا. هذا سحرٌ أسود. لسنا كذلك.

لقد خرجت الكلمات من فم سكارليت قبل أن يتسنى لها منعها. أفلتها جاكسون وتراجع في كرسيه تأثرًا: «اللعنة! إذًا لقد كانت ساحرة. إنكن جميعًا ساحرات».

حدقت سكارليت إليه وتجمدت مكانها من فرط صدمتها إزاء ما فعلته للتو.

لقد كان هذا مخالِفًا لكل قواعدهن، كل شيء علّمتها أمها وميني إياه وكل شيء تعهدت به عندما انضمت إلى صفوف الكابا. لقد مُنِعن من إخبار أي أحد لا يملك قوى سحرية بحقيقة الكابا. بما كُنَّ عليه حقًا. لقد حمت هذا السر

بكل ما أوتيت من قوة لسنوات، وأخفته حتى عن مايسون. الذي كان الشخص الوحيد خارج الكابا الذي ودَّت أن تخبره بهذا. ولكن ها هي ذي الآن تخبر جاكسون، ذلك الفتى الذي لم تكن تطيقه قبل أسابيع، اللعنة، بل قبل ساعاتٍ. ربما كانا في *العالم المقلوب* بالفعل، حيث لا تسير الأمور كما يفترض بها. أحكمت قبضتيها على عجلة القيادة وأسندت جبهتها عليها قائلة: «لا يمكنك أن تخبر أي مخلوقٍ بهذا يا جاكسون. لن ينتهي الأمر على خيرٍ لكلٍّ منا إذا ذاع الخبر».

لقد بقي صامتًا وساكنًا ولكنها علمت أن عقله كان يسابق الزمن لاستيعاب المعلومات التي كشفتها له للتو دون قصد. وأخيرًا استعاد رباطة جأشه وسألها: «هل قتلت غوين... هاربر؟».

مرت سلسلة من الذكريات أمام ناظرها: تعبير الاحتقار الذي ارتسم على وجه غوين عندما التفتت ناظرةً إلى تيفاني وسكارليت من الشرفة. رائحة السحر الأسود النفاذة التي لوَّثت الهواء. ولمحة الذعر على وجه هاربر عندما أخذ المبنى ينهار من تحتها. الدماء التي سالت على بشرتها الشاحبة. هزت سكارليت رأسها ببطء نافيةً: «ليس عن قصد. ولكنني متأكدة أنها اختطفت تيفاني. كل ما أعرفه هو أنها قد تكون قتلتها في تلك الأثناء. لقد كرهت تيفاني. فنحن من تسببنا في طردها من الكابا... (توقفت عن الكلام إذ إن صوت نهنهة متقطعًا شقَّ طريقه خارج صدرها) لا أعرف ما الذي سأفعله إذا أذتها يا جاكسون. لا أعرف حقًا. ليتها اختطفتني بدلًا منها».

عندما تراجعت في مقعدها ثانيةً، شعرت بلمسات أصابع جاكسون الرقيقة على خدها: «لن أسمح لها بإيذائكِ».

مرر أصابعه في أصابعها وضغط عليها بقوة، ولوهلة كان ذلك الضغط الدافئ كافيًا لدرء شعورها بالفزع بعيدًا. ولكن كيف ستكون ردة فعل جاكسون عندما يكتشف أن تيفاني وسكارليت كانتا تهزآن بغوين، أنهما من تسببتا في فقدانها للسيطرة في الشرفة؟ ابتسمت عبر دموعها قائلة: «لا أقصد الإساءة، ولكنك آخر شخص بإمكانه أن يردعها».

ابتسم بسخرية قائلًا: «ماذا؟ أتشككين في قدراتي كرجلٍ عاديٍّ؟».

- أنا متأكدة أن قدراتك سوف تكون ذات فائدة كبيرة عندما تستخدم غوين تعويذة للتحكم بعقلك.

اتسعت عينا جاكسون في ذهول: «مهلًا، ألديكن تعاويذ *للتحكم بالعقل*؟».

كان هناك طرْق حاد على نافذة السيارة، قريبٌ ومدوٍّ لدرجة أن سكارليت شهقت وجفلت. لم يتلاشَ شعورها بالخوف عندما استدارت سريعًا في مقعدها لتجد داليا واقفة بالخارج وقد شبَّكت ذراعيها.

تمتمت سكارليت قائلة: *اللعنة! ترى هل تعرف أنني أفشيت السر؟*

مسحت دموعها سريعًا وأنزلت زجاج النافذة، ثم قالت بنبرة حاولت أن تكون طبيعية: «أهلًا».

حدقت داليا إلى يد سكارليت اليمنى بصورة ذات مغزى، التي أدركت سكارليت متأخرًا أنها كانت لا تزال محتضنة يد جاكسون. أفلتت سكارليت يده في فزعٍ وسددت لها ابتسامة بريئة.

سألتها الفتاة الأكبر بارتياب: «أين كنتِ؟ أنا في حاجة إلى مساعدتكِ الآن يا سكارليت، في أمور تخص الكابا هاوس. ألم تجدِ وقتًا أنسب من هذا للتسكع مع... شخصٍ».

شخص مثله، لقد فهمت سكارليت ما تعنيه داليا، لقد أمكنها سماع نبرة الازدراء التي كانت تقطر من صوتها.

التفتت سكارليت إلى جاكسون قائلة: «آسفة، لقد طرأ أمرٌ ما. أمرٌ مهمٌّ»، وأجبرت نفسها على التحدث بنبرة متعالية معتادة وأردفت قائلة: «شكرًا مرة أخرى على مساعدتك. لقد كانت معلوماتك مفيدة للغاية».

أومأ جاكسون برأسه دون تفكير ثم قال: «لا بأس. حسنٌ، إذا احتجتِ أي شيء آخر، إليكِ هذا».

أخرج قطعة من الورق ودوَّن عليها رقم هاتفه، ثم حشرها في يدها وخرج من السيارة. التفت ليلوح لهما بالوداع مرة أخيرة ثم انطلق سريعًا على الطريق ثم إلى الغابة واختفى في جوف الليل.

سألتها داليا وهي تضع خصلة من شعرها الأشقر خلف أذنها: «ماذا كان ذلك بحق السماء؟ هل تتسكعين بالفعل مع أحدهم في جنازتنا يا سكار؟».

- لا، بالطبع لا. سوف أخبركِ بكل شيء بالداخل.

قالت سكارليت هذا وهي تخرج من السيارة وتغلق الباب خلفها. ثم أخذت تتلفت حولها في الشارع، وهي تصارع قشعريرة سرت في جسدها على الرغم من هواء المساء الدافئ.

- آه وملحوظة أخرى: نحن لم نمُت بعد.

ليس إذا تمكنت سكارليت من منع ذلك من الحدوث. كل ما أمكنها التفكير فيه هو غوين التي استعادت قواها. غوين التي قد تكون في أي مكان، تفعل أي شيء. غوين التي قد تكون قادمة الآن للنيل منهن جميعًا.

قالت سكارليت: «ولكننا في حاجة للتحدث داخل المنزل».

لقد رغبت في أن تحول تعاويذ حماية الغربان بكامل قوتها بين شقيقاتها والفتاة التي ترغب في تدميرهن.



الفصل التاسع والعشرون

فيفي

ركضت فيفي في ساحة الجامعة، متجاهلةً نظرات المحتفلين الذين خلَّفتهم وراءها. لقد مرت بمجموعات من الفتيات الضاحكات اللاتي أخذن يترنحن في أحذيتهن ذات الكعب العالي، والفتية الصاخبين الذين وضعوا كمية أكثر من اللازم من عطر ما بعد الحلاقة، فضلًا عن مجموعة من المرتبطين السعداء الذين ساروا يدًا بيد أو جلسوا تحت الوهج الشاعري لأحد مصابيح الغاز.

لقد انمحى الشعور بالخزي الذي خالجها قبل لحظات بسبب تقبيلها لمايسون، بواسطة مزيجٍ هائلٍ من الأدرينالين والسخط. لقد أحرزت أخيرًا تقدمًا هائلًا في بحثها عن الطلسم ووجدت دليلًا حقيقيًا. غير أن هذا الدليل قادها مباشرةً إلى أمها، ما عنى أنها على ما يبدو، كانت تكذب على فيفي طوال حياتها.

وبينما أخذت فيفي تركض، أخرجت هاتفها واتصلت بأمها للمرة الثالثة منذ أن غادرت متجر الوجبات الخفيفة. وفي هذه المرة، ردت دافني على المكالمة قائلة: «أكل شيء بخير يا حلوتي؟ إنني في وسط أحد طقوس التنبؤ ولكنني رأيت مكالماتكِ الفائتة وفكرت في أن أطمئن عليكِ».

خفَّضت فيفي سرعتها وقالت بأنفاسٍ متقطعة: «هل طلسم هينوسيس في حوزتكِ؟».

سكتت دافني لبرهة ثم قالت: «ما الذي تتحدثين عنه بحق السماء يا عزيزتي؟ أي طلسم؟».

- لقد رأيت صورة لكِ وأنتِ ترتدينه. لماذا تستمرين في الكذب عليَّ؟ أعلم أنكِ كنتِ من الغربان وأعلم أنكِ تملكين الطلسم.
- لم أكذب عليكِ قط. كل ما فعلته كان بغرض حمايتكِ.
- إذن، لقد أخفقتِ في ذلك كثيرًا، لأن هناك فتاة مخبولة تهدد بقتل الغربان الواحدة تلو الأخرى إلى أن نسلمها الطلسم.

قالت دافني بإلحاح: «عليكِ الخروج من هناك. الآن. سوف أعثر لكِ على مكانٍ في سافانا يمكنكِ البقاء فيه، ثم سآتي وآخذكِ».

- فعلًا؟ هل أنتِ جادة؟ لن أتخلى عن شقيقاتي. أنا في حاجة إلى الطلسم فحسب. هل هو بحوزتكِ؟ لن أخبر أي أحد أنكِ من سرقتِه. أعدكِ.
- لم *أسرق* أي شيء (ارتجف صوتها وأردفت) إن الوضع أكثر تعقيدًا مما تتخيلين...
- هذا ليس عذرًا! إن إخفاءك المعلومات عني لا يجعلني أكثر أمانًا. لماذا تعجزين عن تفهُّم هذا؟ أين أنتِ الآن؟ دعيني آتي لأخذ الطلسم ويمكنكِ تفسير كل شيء لي بعد ذلك.

أعقب ذلك صمتٌ مطولٌ قطعته دافني قائلة: «آسفة يا فيفي، لا يمكنني فعل هذا».

- لا بأس... أحضريه أنتِ إليَّ. إنها مسألة حياة أو موت. سوف تموت صديقتي تيفاني إذا لم نعثر على الطلسم.

قالت دافني بهدوء ثانيةً: «آسفة. ليس بإمكاني فعل هذا. رجاءً خذي بالك من نفسكِ، اتفقنا؟ أحبكِ».

انقطع الخط. أخذت فيفي تسب وتلعن ثم ألقت بهاتفها على العشب ثم جثت على ركبتيها لتلتقطه مجددًا بتذمر. حسنٌ، إذا رغبت دافني أن تكون كتومة ومخادعة لهذه الدرجة، لا خيار لفيفي إلا أن تجدها.

حتى قبل أن تصل فيفي إلى الممشى الأماميِّ، أيقنت أن المنزل كان يعج بالنشاط. توقفت عند الممشى لتلتقط أنفاسها إلى جوار مِي، التي أخذت تلوِّح

بحزمة من الأعشاب أمام وجهها. وعبر الفناء كانت إيتا تزرع شجيرات ذات ورود بيضاء، وقد ارتدت قفازات بستنة سميكة، وبدا أنها حرصت على ألا تلمس الورود بشرتها.

سألتها فيفي وهي لا تزال تتنفس بصعوبة بسبب ركضها في ساحة الجامعة: «ما الذي يحدث؟».

قالت مِي دون أن تشيح بنظرها عن أعشابها: «إنها غوين. لقد رأتها سكارليت تمارس سحرًا أسود لفك تعويذة التجريد».

قالت فيفي: «إذًا الأمر صحيح؟».

وأخذت ترتجف رغم الدفء الذي سرى في جسدها جراء الركض.

- نعم. من الواضح أنها تمكنت بطريقةٍ ما من استعادة قواها، وبعد ما جرى لتيفاني لن نخاطر بخسارة أي أحد آخر. لقد قالت داليا إننا لا يمكننا السماح لغوين بالاقتراب من أيٍّ منا، ولهذا أضيف المزيد من تعاويذ الحماية بينما تزرع إيتا زهور هرقل السامة في الفناء، إنها تُخفي آثار السحر، ما من شأنه أن يُصعِب على غوين أو على أي دخيل التعرف على التعاويذ التي استخدمناها.

سألتها فيفي وهي تمسح جبهتها المتعرِقة بظهر يدها: «فهمت. أين سكارليت إذًا؟ أنا بحاجة للتحدث إليها».

- أظن أنها برفقة داليا في مكتب داليا.

بعدما شكرتها فيفي في عجالة، انطلقت صوب المنزل وكل الأشياء التي كانت بحاجة إلى فعلها تتدافع داخل رأسها: إخبار سكارليت وداليا بشأن أمها والطلسم، ثم العثور على دافني. ثم همس صوت بداخلها مُذكِّرًا إياها: *وإخبار سكارليت بأنكِ قبّلتِ حبيبها السابق للتو*. وفي تلك اللحظة، بدا ذلك المشهد أشد هولًا من مواجهة السحر الأسود. ركضت إلى أعلى الدرج وصولًا إلى الطابق الرابع وهرولت في الرواق الطويل، ثم توقفت فجأةً عندما سمعت أصواتًا عالية تخرج من مكتب داليا.

لقد بدت داليا *مستاءة*: «هذا استهتار. كيف لكِ أن تتعاوني مع شخص دخيل بدلًا من التعاون مع شقيقاتكِ؟».

بدا صوت سكارليت أكثر هدوءًا وبه مسحة من الندم: «لقد سبق وقلتُ لكِ: لقد كان يراقب غوين. لقد امتلك معلومات مفيدة».

- ولكنه لم يرَ أي شيء، أليس كذلك؟ لم تخبريه بأي شيءٍ بشأننا، صحيح؟

ترددت سكارليت لجزءٍ من الثانية ثم قالت بنبرة متعالية لم تُخفِ القلق الذي تخلل صوتها: «لا بالطبع».

بالنظر إلى الصمت الطويل الذي أعقب ذلك، لا بد أن داليا لاحظته أيضًا. وما أدهش فيفي بخلاف ذلك، أن بعدها بلحظة، تنهدت داليا فحسب.

- سكارليت، إنكِ لا تتصرفين كما يليق برئيسة الآن. أتوقع من قائدتنا المستقبلية أن تضع احتياجات الكابا قبل أي شيء. وبخاصة قبل هرموناتها (صاحت داليا بصوتٍ أعلى قائلة) وهل يمكنكِ التوقف عن التنصت يا فيفيان، ادخلي.

احمرّ وجه فيفي من فرط الإحراج الذي تزايد عندما فتحت سكارليت الباب. سألتها سكارليت باهتمامٍ حقيقيٍّ: «ما الأمر؟ هل أنتِ بخير؟».

ما جعل شعورها بالخجل يتحول إلى شعورٍ بالخزي. *لا، أنا لست بخير، لأن أمي كانت تكذب عليَّ طوال حياتي، ولكن حتى هذا لا يقارن بفظاعة ما فعلته بكِ.*

- من المحتمل أنني توصلتُ إلى دليل.

قالت فيفي وهي تخطو داخل المكتب، الذي كان عبارة عن غرفة صغيرة ولكن مُزينة بأناقة، وبها مكتب خشبيٌّ مزخرف وورق حائط بلون النبيذ وأرفف تعج بالكتب والشموع وجماجم الحيوانات.

سألتها سكارليت بلهفة: «حقًا؟ رائع. ما الذي اكتشفتِه؟».

لقد كان هناك تناقض صارخ بين حماسها وتعبير داليا التي أخذت تحدق إلى فيفي ووجهها يعلوه تعبير غامض.

قالت سكارليت وهي تنقّل بصرها من داليا إلى فيفي: «ما الذي يحدث؟».

قالت داليا ببرود: «اسألي شقيقتكِ الصغرى. رغم أنني متفاجئة أنكِ لم تعرفي بعد. إن صوت أفكارها عالٍ للغاية، إنها تصرخ فعليًّا».

شبّكت سكارليت ذراعيها وحدقت إليها باستياءٍ قائلة: «تعلمين أنني لا أجيد قراءة الأفكار. رجاءً، هل يمكنكِ أن تخبريني فحسب كي يتسنى لنا استكمال العمل؟».

رفعت داليا حاجبها مشيرةً إلى فيفي: «من الأفضل أن تشرح لكِ فيفي بنفسها».

مستحيل أنها تعرف. فكرت فيفي بيأس في هذا. لقد كانت هناك تعاويذ لقراءة الأفكار، ولكنها لم تتخيل أن داليا كانت قوية بما فيه الكفاية لقراءة أفكارها في نفس اللحظة، دون أن تلمسها حتى.

انفجرت داليا قائلة: «حسنٌ، فيفي تخشى أن تكتشفي ما حدث بينها وبين مايسون».

ترنحت سكارليت للخلف وكأن كلمات داليا كانت ضربة سُددت إليها. سألتها سكارليت بصوتٍ واهنٍ أكثر من اللازم، صوتٍ موشكٍ على الانهيار: «ما الذي تتحدثين عنه؟ (ثم قالت وهي تتفرس في شقيقتها الصغرى) فيفي؟».

- أنا... (حاولت التوصل سريعًا إلى عذر أو تفسير أو كذبة، ولكنها عجزت عن ذلك. لم تكن متأكدة ما إذا كان ذلك بفعل الشعور بالذنب أم السحر، غير أن الكلمات خرجت من فمها دون تفكير) أقسم إنني لم أقصد فعل ذلك. لن يحدث هذا ثانيةً. آسفة للغاية.

سألتها سكارليت وصوتها لم يعد واهنًا كالسابق: «ما الذي لن يحدث ثانيةً؟».

- أنا... لم نكن نفكر... لقد كانت حادثة. مجرد قُبلة غبية...
- لقد قبّلتِ حبيبي بمحض *الصدفة*؟

لقد كان صوتها باردًا، غير أن الحرارة كانت تشع منها، جاعلةً الهواء مشحونًا بالغضب والسحر.

- كان تصرفًا أحمق ولقد أوقفتُ القُبلة في الحال. أنا آسفة جدًا جدًا.
- أوه لقد أوقفتِها (بصقت سكارليت ثم أردفت) أتقصدين أن مايسون لم يتمالك نفسه في وجودكِ؟
- لا بالطبع. أنا آسفة للغاية يا سكارليت. أنا...

- كفاكِ مراوغة. لقد وضعتِ عينيكِ عليه منذ أن وصلتِ إلى هنا. ولقد استغللتِه في لحظة ضعف، لأن بصراحة، من المستحيل أنه كان ليلجأ إليكِ لولا ذلك (نظرت إليها بازدراء وأطلقت ضحكة قسرية ساخرة) إذ إن الفتيات المستجدات الانطوائيات لسن النوع الذي يفضله مايسون.

رغم أن فيفي علمت أن سكارليت كانت تفرغ غضبها فحسب -غضبٌ كان مبررًا تمامًا- فإن هذه الحقيقة لم تخفف من وطأة كلماتها. لقد علمت فيفي أنها لم تكن من النوع الذي يفضله مايسون. فلم يكن مفهومًا أن ينتقل من مواعدة فتاة فاتنة وراقية وموهوبة مثل سكارليت إلى مواعدة فتاة مثلها. لا بد أنه كان لا يزال يعاني بسبب الانفصال ويبحث عن مصدر إلهاء سهل. ومن أكثر سهولة من طالبة مستجدة ساذجة في حاجة ماسة للحصول على الاهتمام، فتاة جعلها وصْفها بالجميلة تفقد عقلها وسيطرتها على نفسها؟

قالت داليا بابتسامة ساخرة وكأنها كانت تستمتع بما يدور: «حسنٌ يا سكارليت. هذا يكفي (لقد بدا هذا غريبًا وغير معتادٍ من الرئيسة التي عادةً ما تكون صارمة ولكن متعاطفة، ولكن ربما كان الضغط الواقع على الجميع السبب في تصرفهن بغرابة) لدينا أشياء أهم لنناقشها».

- لن أناقش أي شيء *أمامها*. مثلما أقول دائمًا: القليل من السحر بإمكانه التعويض عن النقائص الكثيرة (سددت سكارليت إلى فيفي ابتسامة ضيقة وقاسية وأردفت) كلانا يعلم أنكِ لا تنتمين إلى هنا. فلماذا لا تعودين إلى قراءة الطالع في أحد المجمعات التجارية في رينو؟

قبل أن يتسنى لفيفي الرد، مرت سكارليت بجانبها سريعًا ثم هرعت نحو الباب. كادت فيفي تدعها تذهب، إذ إنها لم تتحمل أن تبقى في نفس الغرفة مع سكارليت لثانية أخرى. كل ما رغبت فيه هو أن تتكور على سريرها وتحاول أن تتخلص من الكلمات التي علمت أنها سوف تظل تتردد داخل رأسها: أنها لا تنتمي إلى هنا. أن ضمها إلى جماعة الغربان كان غلطة كبيرة. غير أنها لم تتمكن من ترك سكارليت تغادر دون أن تخبرها بما اكتشفته.

- انتظري، لا بد أن أخبركِ بشيء. لقد كانت أمي من الغربان. لقد وجدت صورة لها مع إيفيلين ووترز وأعتقد...

صاحت سكارليت دون أن تلتفت إليها: «لمَ لا تخبرين مايسون بكل التفاصيل بدلًا مني؟ فربما يتمكن من مساعدتكِ. أو ربما تتبادلان المزيد من القُبل بينما أعز صديقاتي أسيرة لدى فتاة مخبولة».

جفلت فيفي عندما أغلقت سكارليت الباب وراءها بقوة. كيف يمكنها أن تُحسِن من ذلك الوضع؟ حتى لو وجدن الطلسم وأنقذن تيفاني، لن تعود الأمور إلى سابق عهدها أبدًا. لقد أمضت فيفي حياتها بأكملها وهي راغبة في الشعور بالانتماء، وبعدما وجدت أخيرًا مجموعة من الفتيات المذهلات اللاتي لم يمنحنها صداقتهن فحسب بل السحر أيضًا، دمرت كل شيء بتصرفٍ في غاية الأنانية والغباء.

ربتت داليا على كتفها قائلة: «سوف تهدأ بعد قليل. والآن أخبريني بما عرفتِه عن أمكِ».

أخذت فيفي نفسًا عميقًا وحاولت أن تستعيد اتزانها. لقد كانت أقل قلقًا إزاء تداعيات هذه المعلومة من قلقها إزاء تقبيلها لمايسون. ما الذي قد تقوله الغربان عندما يكتشفن أن والدة فيفي سرقت طلسم هينوسيس؟ أنها كانت من الغربان ولم تأتِ على ذِكر ذلك قط لفيفي؟ لقد كان الأمر بأكمله مريبًا ومثيرًا للشبهات ومن المؤكد أنه سوف ينعكس بالسلب على فيفي مثلما سينعكس أمر تقبيلها لحبيب سكارليت السابق.

قالت داليا: «يا للهول (وازدادت عيناها اتساعًا عندما أنهت فيفي قصتها) هل تحدثتِ إليها بخصوص هذا؟ هل لديها أي فكرة عن مكانه الآن؟».

هزت فيفي رأسها نفيًا: «لقد تحدثت إليها ولكنها رفضت إخباري بأي شيءٍ عنه. كل ما قالته هو أنني في خطرٍ وأنني ينبغي لي توخي الحذر».

- أجل. في الواقع كلنا في خطر. أين تسكن؟ أعلينا زيارتها والبحث عن الطلسم؟

- لا أعرف حتى اسم الولاية التي تعيش فيها الآن. لقد رفضت إخباري.

لقد غمرها الشعور بالخزي. إذ إن أمها لم تكتفِ فقط بسرقة غرض سحريٍّ لا يُقدَّر بثمن، بل فرَّت هاربة أيضًا. على كل حال، لم تبدُ داليا منزعجة.

- حاولي مرة أخرى وأخبريها أنكِ في موقفٍ عصيبٍ وأنكِ بحاجة إلى المساعدة.

- لقد أخبرتها بذلك بالفعل ولم يفلح الأمر.

قالت داليا: «إذن، أعتقد أن الوقت قد حان لتصعيد الموقف. استدعي جنيفر لورانس بداخلكِ وقدّمي أداءً جديرًا بالأوسكار».

قالت لها فيفي بقلقٍ: «حسنٌ...».

إذ إنها لم تكن ممثلة جيدة قط بخلاف أمها، ولطالما تمكنت دافني من فضح كذباتها.

- وما الذي سيحدث إذا تمكنت من العثور على الطلسم؟ هل سنسلمه فعلًا لخاطفة تيفاني؟

- بمجرد أن نعثر على الطلسم الحقيقيِّ ينبغي أن أكون قادرة على استخدام تعويذة استنساخ لصنع نسخة مزيفة منه. وبهذه الطريقة لن يقع السحر في الأيدي الخطأ (سكتت داليا لبرهة ثم أردفت قائلة) الأيدي الأسوأ على الإطلاق.

أومأت فيفي برأسها وأخرجت هاتفها ثم اتصلت بأمها. رنَّ الجرس بضع مرات، ولوهلة خشيت فيفي ألا ترد دافني على الإطلاق كي لا تجبر على مناقشة أمر الطلسم مرة ثانية. ولكن في اللحظة التي توقعت فيها فيفي أن تحوِّل المكالمة إلى البريد الصوتي، سمعت صوتًا كئيبًا يقول: «مرحبًا؟».

- إنها أنا يا أمي. اسمعيني، أعلم أنكِ لا ترغبين في التحدث عن هذا ثانيةً، ولكن الأمر في غاية الأهمية. يجب أن آتي لرؤيتكِ.

حاولت أن تُحمِّل صوتها بأكبر قدر من الإلحاح، ولكنها لم تظن أنه كان من الممكن أن تبدو أكثر يأسًا مما كانت بالفعل، لقد كان العثور على الطلسم مسألة حياة أو موت بالنسبة إلى تيفاني.

سكتت دافني لبرهة ثم قالت أخيرًا: «هناك حانة قديمة على بُعد أميال من الحرم الجامعيِّ تُدعى *الوردة والشوكة*، سوف أقابلكِ هناك خلال ساعة».

وإلى جوارها، أخذت داليا تتمتم بتعويذة: «*أهيب بالقمر والبرج، موطنَ الظلال التي تسعى للالتهام*».

قالت فيفي وهي تبتعد عن الفتاة الأكبر: «لا يمكنني البقاء في سافانا يا أمي. أنتِ لا تفهمين، إنها ليست آمنة بالنسبةِ إليَّ».

وفجأةً توقفت عن الكلام لاهثة. لقد لمحت انعكاسها في المرآة ذات الإطار الذهبيِّ خلف مكتب داليا. غير أنها لم تكن هي، ليس تمامًا. لقد صارت بشرتها أكثر شحوبًا ومالت للاخضرار قليلًا، بينَما كان وجهها منتفخًا وممسوخًا، كجسدٍ متحللٍ تحت المياه. لقد أصدرت صوتًا نصفه نحيب والنصف الآخر صراخ إذ شقَّت دودة طريقها خارج أذن انعكاسها.

قالت دافني بحدة: «فيفي؟ هل أنتِ بخير؟».

أشاحت فيفي بنظرها عن المرآة وأخذت نفسًا عميقًا.

قالت دافني ثانيةً، بإلحاحٍ أكبر هذه المرة: «فيفي؟ أخبريني ما المشكلة؟».

عندما استردت فيفي صوتها ثانيةً، كان مرتجفًا: «لقد كنتِ محقة، أنا لست بأمانٍ هنا. أرجوكِ، أرجوكِ يا أمي أنا بحاجة للخروج من هنا. أخبريني أين أنتِ».

هذه المرة، قالت أمها بلا تردد: «أنا في جزيرة جيكيل في جنوب سافانا، في المبنى رقم 38 ضاحية ويستريا لين. سوف تكونين بأمانٍ هنا، أعدكِ بهذا».

قالت فيفي بصوتٍ واهنٍ: «أراكِ قريبًا».

عندما أنهت المكالمة استدارت لترى داليا تبتسم لها. قالت: «أحسنتِ».

أشارت فيفي إلى المرآة قائلة: «هل كان هذا ضروريًّا حقًّا؟».

حيث عاد انعكاسها لحسن الحظ إلى وضعه الطبيعيِّ. رغم أخذها القليل من الأنفاس العميقة، كانت لا تزال ترتجف وقلبها ما زال يدق بعنف بسبب صورة جثتها.

هزت داليا كتفيها بلا مبالاة قائلة: «لقد نجحت الخدعة، أليس كذلك؟ والآن، هل أنتِ مستعدة لإجراء رحلة صغيرة؟».



الفصل الثلاثون

سكارليت

- إننا نحاول أن نردع غوين، لا أن نُعِد الشاي.

تمتمت سكارليت بهذا وهي تندفع خارجة من الباب الأماميِّ، مروَّعةً مِي، التي كانت تنثر أعشاب العرعر والبتشول والبابونج على عتبة الباب، وهو ما كان إجراءً وقائيًّا ضد السحر الأسود. وعندما تهادت إليها الروائح، كل ما أمكن سكارليت التفكير فيه هو منظر غوين وهي تكسر عنق الفأر في الكوخ. القليل من الأعشاب لم تكن كافية لحمايتهن.

نادتها مِي قائلة: «إلى أين أنتِ ذاهبة؟ من المفترض أن نظل معًا».

لم تقل سكارليت شيئًا وأخذت تسير بخطى متسارعة على الممشى الحجريِّ. للمرة الأولى منذ وصولها إلى ويسترلي، تشعر أن العالم الخارجيَّ أكثر أمانًا وترحيبًا من الكابا هاوس. وبينما هي تسير في الشارع الذي يضم مقار الأخويات، مرت على البيكا هاوس بأعمدته الفخمة. انقبض قلبها وعرض عقلها العديد من الصور الذهنية لما قد يكون حبيبها السابق -الفتى الذي منذ يومين فقط ظنت سكارليت أنه حب حياتها- قد فعله مع شقيقتها الصغرى.

على مدى العامين الماضيَين، كانت سكارليت قد امتلكت رؤية واضحة لمستقبلها. لقد رُسِمت في ذهنها بدرجة من الدقة والوضوح، جعلت الأمر يبدو وكأنه حقيقيٌّ، وكأن هذا الجانب من حياتها كان قد أسس بالفعل ولا ينتظر سوى دخولها هي ومايسون فيه.

باختفاء تيفاني، لم يتسنَ لسكارليت التحسر على مستقبلها الذي خسرته مع مايسون -إذ إن في تلك اللحظة بدا مستقبلها وكأنه علامة استفهام عملاقة- ولكن الآن وهي تهرع على الرصيف وتخطو بقدمها فوق جذوع الأشجار الملتوية الناتئة من الرصيف المتصدع، غمرها الحزن والغضب بنفس القدر.

كيف يمكن أن تصبح قصة لقائهما في حفل البيكيكي مجرد تذكار من علاقة فاشلة؟ كيف يمكن أن يتلاشى كل شيء بنياه معًا على مدى العامين الماضيَين، كل طرفة، كل محادثة، كل مرة قالا فيها كلمة «أحبك»، ويتداعى وكأنه لم يكن أكثر من مجرد غبار؟ وإذا حدث ورأته في ساحة الجامعة، كيف يفترض بها أن تمر بجانبه وكأنهما مجرد غريبَين؟ كيف تبادلا قُبلتهما الأخيرة دون أن تعرف أنها الأخيرة؟

وبينما أخذت تمسح دمعة سالت على خدها، تساءلت: كيف أمكنه أن يقع في حب فتاة أخرى بهذه السرعة؟ كيف أمكنه أن يفعل ذلك بها، ومع شقيقتها الصغرى؟ وكيف أمكن لفيفي أن تفعل ذلك بها؟

غير أن فيفي لم تكن الوحيدة من الغربان التي خانتها. فبدلًا من أن تُعنِف داليا فيفي، أخذت تضحك على الموقف وكأنه لا شيء. لم يكن ذلك من شيمها. لقد علمت داليا بمقدار حب سكارليت لمايسون، علمت كم من الوقت ارتبطا معًا، علمت مدى بشاعة أن تخون إحدى الشقيقات شقيقة أخرى لها.

لم تعد سكارليت متأكدة من أي شيءٍ بعد الآن، غير أنها علمت أن هناك شيئين حقيقيَين فقط: أنها ستنقذ تيفاني دون الاستعانة بمن يفترض أنها شقيقتها.

سحبت سكارليت قصاصة الورق التي طوتها في جيبها. تلك القصاصة التي منحها جاكسون إياها، ثم اتصلت برقمه وحبست أنفاسها.

رنَّ الخط مرة واحدة قبل أن يرد قائلًا: «سكارليت؟».

رفعت حاجبيها اندهاشًا وسألته: «كيف عرفت أنني المتصلة؟».

إذ إنها لم تمنح جاكسون رقم هاتفها.

- مجرد تخمين موفق (ثم توقف وتنهد قائلًا) هذا إلى جانب أنني تمنيتُ أن تتصلي بي. لم أكن متأكدًا مما ينبغي لي فعله. من الصعب كثيرًا التوجه بهدوء إلى إحدى الحفلات أو ما شابه، بعد اكتشافك أن الساحرات حقيقيات، وأن هناك فئة شريرة منهن حرة طليقة.

منذ ساعاتٍ قليلة فحسب، كانت كلماته كفيلة ببث موجات من الشعور بالذنب والخوف داخل سكارليت. طيلة قرون، لم يشكل أي شيء خطرًا أكبر على الساحرات من خطر افتضاح أمرهن. إذ إن بحجة الخوف الدائم من الساحرات، جرى إحراقهن وإغراقهن وإيداعهن في مؤسساتٍ خاصة وسجنهن. كانت هذه القصص حقيقية، ولقد حرصت أمها وميني على أن تعرف سكارليت تاريخ الساحرات تمام المعرفة.

ولكنها الآن وجدت عزاءً في معرفة أن هناك شخصًا آخر يمكنها أن تتقاسم أعباءها معه، شخصٌ يمكنها الوثوق فيه بالفعل، حتى لو كان بشرًا عاديًا.

- في هذه الحالة، كيف سيكون شعورك حيال مساعدتي في تعقُّب إحدى هؤلاء الساحرات؟

- يبدو هذا خطيرًا.

- للغاية.

- ما رأي شقيقاتكِ في هذا؟

قالت سكارليت وهي تتلفت حولها رغم أن الكابا هاوس كان قد أصبح بالفعل خارج إطار رؤيتها، وقد حجبه ستار من الطحلب الإسبانيِّ الذي تدلى من أشجار البلوط الحية التي اصطفت على جانبَي الشارع. في قرارة نفسها، علمت سكارليت أن داليا كانت محقة. إذ إن القائدات لا يتخذن القرارات دون الرجوع للأخريات. ولكن من ناحية أخرى، كان يفترض بالغربان أن يضعن مصالح الكابا في المقام الأول. لقد كانت تيفاني، التي هي أعز صديقاتها وشقيقتها في الجماعة في خطرٍ بالغ. سحقًا للتصرف كمرشحة رئاسية رزينة. فهي في المقام الأول صديقة. ولقد كانت بحاجة إلى التصرف على هذا الأساس الآن.

- هناك شقيقة لي لا تحتمل الانتظار.

ساد الصمت على الطرف الآخر للحظات. لم تلُم سكارليت جاكسون على تردده. بل في الواقع، احترمته لسرعته في تفهُّم مدى خطورة الوضع.

قال لها أخيرًا: «هل يمكنكِ المجيء لاصطحابي؟ يمكننا التأكد ما إذا كانت قد عادت مجددًا إلى شقتها أم لا تزال في تلك المقصورة المريبة».

سألته سكارليت بينما كانت تحاول إخراج مفاتيح سيارتها من داخل حقيبتها: «هل أنت متأكد أنك لست ساحرًا؟ لأنك قرأت أفكاري للتو».



عندما وصلت إلى منزل جاكسون أذهلها قلة الأثاث ووجود لوحة التحقيق في جرائم القتل، وحقيقة أنه لم يرتدِ قميصًا. قال لها بارتباك: «ثانية واحدة».

وهو يمد يده لالتقاط قميصٍ، ثم يسحبه للأسفل على صدرٍ مذهلٍ نافر العروق ومفتول العضلات. لقد اختفى في غرفة نوم صغيرة في الخلف.

قالت سكارليت وهي تنظر إلى صورتها: «المشتبه فيها رقم 1. حقًا؟».

لقد كانت مثبتة على خريطة لسافانا إلى جانب صور لشقيقاتها في جماعة الغربان، ولقد كُنَّ جميعًا متصلاتٍ بسلسلة متشابكة من الخيوط. وفوق بقعة أخوية ساي دلتا على الخريطة، ثبتت صورة هاربر. انحبست أنفاس سكارليت داخل صدرها عند رؤية ابتسامتها الواسعة. لقد بدت... حية للغاية. واستقر إلى جانبها وجه سكارليت، وقد أحيط بدائرة حمراء.

قال جاكسون وهو قادم من الغرفة ومرتدٍ كنزة رياضية: «آسفٌ. يبدو أنني بحاجة إلى تحديث هذه اللوحة».

قالت: «لا بأس».

غير أن الشعور بالذنب غمرها مرة أخرى. الخريطة والشقة شبه الخاوية. لقد كان ذلك كله تجسيدًا للفوضى التي خلّفتها هي وتيفاني في أعقابهما.

قال لها: «هل يمكنني أن أسألِك عن شيءٍ ما؟».

أجابته قائلة: «أعتقد أنك اكتسبت هذا الحق وأكثر».

وتوقعت المزيد من الأسئلة حول كونها ساحرة، غير أن سؤال جاكسون فاجأها: «عندما قابلتكِ بالصدفة في حفل العودة.. هل كان بكاؤكِ بسبب غوين؟ هل فعلت شيئًا آخر آنذاك؟».

هزت سكارليت رأسها نافية: «لقد كان ذلك بسبب انفصال حبيبي عني».

أصدر صفيرًا خافتًا قائلًا: «في حفل العودة؟».

قالت بنبرة دفاعية وقد شعرت بالألم والإحراج في آنٍ واحدٍ: «من الواضح أن هذا الأمر ليس له أهمية وسط ما يحدث الآن».

- أعتقد أننا حقًا في العالم المقلوب إذا تسنى لأحدهم الانفصال عنكِ.

عارضته قائلة: «منذ أيامٍ قليلة كنت لتظن أنني أستحق هذا».

- لا فتاة تستحق أن تُهجَر بتلك الطريقة في حفلٍ راقصٍ أمام عائلتها وأصدقائها.

قالت بسخرية: «حتى لو كانت ساحرة في إحدى الأخويات؟».

- في الواقع، ربما تستحق بعض ساحرات الأخويات هذا. ولكنكِ مختلفة عما ظننت.

- لا تقل هذا، إنه مهين. أنا لستُ كالفتيات الأخريات، صحيح؟ لست كبقية الفتيات في أخويتي؟

قالت له هذا وقد ثار غضبها مجددًا بمجرد التفكير في أنه يحط من شأن الفتيات الأخريات كي يرفع من معنوياتها.

رفع حاجبه تعجبًا قائلًا: «بالنظر إلى أننا رأينا غوين مؤخرًا تضحي بفأرٍ يشبه ريمي في فيلم Ratatouille، قد أعتبر أن هذا إطراء. ولكن ليس هذا ما عنيته. عندما قابلتكِ لأول مرة في صف الفلسفة، لم أدرك آنذاك أنكِ كنتِ من الكابا. كل ما عرفته هو أنكِ كنتِ ذكية وصعبة المنال. لقد أبعدتِ الناس عنكِ. من الرائع أن تنضمي إلى جماعة سرية».

- حتى لو كانت هذه الجماعة تعج بالساحرات، الأخيار منهن والقاتلات؟

قال مبتسمًا: «لا أحد كامل».

أقرت هي أيضًا قائلة: «أنت أيضًا مختلفٌ عما ظننتك».

قاطعها قائلًا: «أوسم، أظرف، أذكى...».

قالت: «ليس وغدًا بالكامل».

غير أنها في ذهنها أضافت: *أطرف، أطيب، أكثر تسامحًا.* ثم أردفت قائلة بصوتٍ عالٍ: «وشجاع إلى حدٍ ما».

إذ إنها لم تعرف الكثير من الفتية غيره -أو بالأحرى أي فتية غيره- قد يتقبلون حقيقة وجود الساحرات بصدرٍ رحبٍ، ناهيك بالمشاركة في الإطاحة بإحداهن.

- كيف لك ألا ترتعب تمامًا بسبب هذا الأمر؟

فكر جاكسون لوهلة ثم قال: «لعلمكِ، أنا مرتعب إلى حدٍ ما. ولكنني أظن أن جانبًا مني لطالما عرف هذه الحقيقة. غير أنني لم أسمح لنفسي بالاعتراف بها».

سألته سكارليت: «ماذا تقصد؟».

- صدقي أو لا تصدقي، عندما كنا أنا وهاربر طفلين وفي بداية انتقالها للعيش معنا، لم أكن بالضبط نموذج الرجل المعتد الذي ترينه أمامكِ، لقد كنت فتى انطوائيًّا بعض الشيء.

شهقت سكارليت بسخرية ثم وجدت نفسها تبتسم لأول مرة منذ أيام.

- وكان هناك مجموعة من الأولاد الذين كان شغلهم الشاغل هو تحويل حياتي إلى جحيمٍ لا يطاق. وفي أحد الأيام، حاصرتهم هاربر عند إحدى الزوايا، وبعدها بدقائق، ظهروا بكدماتٍ حول أعينهم. أقسمت هاربر إنها لم تلمسهم، ولكنني أتذكر كم كانوا مذعورين. وعندما سألتها كيف تسنى لها أن تؤذيهم بتلك الصورة، أخبرتني أن هذا كان سحرًا.

أطلق ضحكة واهنة وأردف قائلًا: «والآن فقط أدركتُ أنه كان كذلك. ولم يقتصر الأمر على هذا فقط، لقد كان هناك العديد من التفاصيل البسيطة. لقد انفتحت الأبواب وانغلقت من تلقاء نفسها. وهبَّت عواصف مطيرة مفاجئة. إلى جانب تفاصيل أبسط، كان بعضها شعوريًّا أكثر من كونه ماديًّا. عندما كنت أصغر سنًا، لم أصدقها تمامًا. والآن صرت أعرف أنني كان ينبغي لي تصديقها منذ البداية».

أخذت سكارليت نفسًا عميقًا، لقد خانت بالفعل جماعتها وأخويتها عندما أفشت سرهن. ولقد كان من الخطأ الاستمرار في تلك الطريق. غير أن النظر

إليه ورؤية مقدار محبته لهاربر، ومدى رغبته في الفهم، وعلمها أنها الوحيدة القادرة على مساعدته في هذا...

- لقد انتمت إلى فئة الكؤوس مثلي، أي أن قواها كانت تستمد من المياه. غير أنها كانت قادرة على فعل أمورٍ أخرى أيضًا. جميعنا نقدر على ذلك. إننا نكون أقوى عندما نتحد. أو هذا ما ظننته على الأقل...

سكتت وفكرت في ما قالته داليا وما فعلته فيفي.

عارضها قائلًا: «إن غوين وحدها وتبدو لي قوية للغاية».

- أجل لأنها انغمست في السحر الأسود. أما نحن، الغربان، فمستحيل أن نفعل ذلك. لقد كان هذا السبب في طردنا لها من الجماعة وتجريدنا إياها من قواها في المقام الأول.

- والآن لقد استعادت قواها، بل أكثر منها.

قالت سكارليت بإحباط: «بالتأكيد».

سكت جاكسون ليستوعب كل هذا ثم قال: «شكرًا لكِ. شكرًا لكِ على إخباري».

قالت سكارليت: «لست واثقة أنك ستشكرني بعدما ينتهي هذا».

قال لها وهو يلتقط مفاتيحه ويمسك الباب لتخرج منه: «بهذه المناسبة، الساحرات أولًا. قد أكون شجاعًا ولكنني لست غبيًّا».

بدت واجهة مبنى غوين مظلمة عند وصولهما. لقد أُسدِلت الستائر وأُطفئت الأنوار. غير أن المقصورة بدت مهجورة منذ البداية على أي حال. أوقفت سكارليت المحرك وسألته وهي غير واثقة أي نوع من الإجابات ترغب في سماعه: «هل رأيتَ أي مؤشرات على وجود حياة هنا؟».

هز رأسه نافيًا: «ولا حتى جار واحد في الطابق العلوي أو كلب حاد النباح يعيش في المتجر المجاور. إنها منطقة مقطوعة تمامًا».

قالت سكارليت بتشكك: «ربما لا تزال في المقصورة».

لقد كان آخر شيء رغبت فيه هو أن تعود إلى بيت الرعب هذا، غير أنها ما كانت لتتردد قط للذهاب إليه إذا كان ذلك سيقودها إلى تيفاني.

أشار إلى سيارة سيدان متهالكة مركونة بمحاذاة الرصيف قائلًا: «إن سيارتها هنا».

قطَّبت سكارليت جبينها قائلة: «لم أرَها مركونة بالقرب من المقصورة».

- يحتمل أنها ركنتها في مكانٍ ما على الطريق مثلما فعلنا.

غاصت سكارليت أكثر في مقعدها وركزت أنظارها على المبنى.

- هناك حلقة مفقودة، أليس كذلك؟ أعني، لقد استعادت قواها، وهذا حدثٌ جللٌ. ثم تكتفي... بالعودة إلى المنزل للنوم؟

- ربما أرهقها فعل كل ذلك السحر الأسود (رفع جاكسون يديه ردًا على نظراتها الساخطة الذابلة) مهلًا، إنني لا أعرف كيف تجري أيٌّ من تلك الأمور. إنه اختصاصكِ. كل ما أقوله هو أن ثلاث أو أربع ساعات قد مرت منذ أن رأيناها في ذلك المكان القاحل. ما منحها متسعًا من الوقت للعودة إلى هنا على الأقل.

أو متسعًا من الوقت للذهاب إلى المكان الذي تحتجز فيه تيفاني كي تعذبها، فكرت سكارليت في هذا بينما سرى في عروقها مزيج تقشعر له الأبدان من الرعب والاشمئزاز. لقد مر أكثر من يومين بالفعل. كم من الوقت سوف تقدر تيفاني على الصمود؟ جفلت سكارليت وهي تتخيل وجه أعز صديقاتها وهو يتلوى من الألم، واتسعت عيناها من فرط الرعب وهي ترى غوين تقترب ممسكةً بخنجرٍ في يدها وقد أخذت شفتاها تتمتمان بتعويذة شريرة. لقد كانت هناك تعاويذ بإمكانها أن تُشعركِ بأن عمودكِ الفقري ينكسر. تعاويذ تجعل كل نفس تأخذه يبدو وكأنك تستنشق نارًا مستعرة. تعاويذ تخلع المفاصل وتتسبب في آلامٍ مبرحة في الأطراف. هل كانت غوين مختلة بما فيه الكفاية لاستخدام إحدى تلك التعاويذ لتصل إلى مبتغاها من تيف؟

سألها جاكسون وهو يراقبها في قلق: «هل أنتِ بخير؟».

تحولت في مقعدها قائلة: «نعم بخير. ربما ينبغي لي الدخول وتفقُّد المنزل، للتأكد فحسب».

- لأن هذا انتهى على خير في المرة الماضية.
- مهلًا، في المرة الماضية لم أتوقع أن يُشَن هجوم مفاجئ، ولكنني الآن مستعدة.

رفع يديه في استسلامٍ قائلًا: «أنا لا أشكك في قدراتكِ السحرية، لا سمح الله، ولكنني أطرح عليكِ بعض الأفكار السخيفة فحسب. إذ إننا لا نريد أن تكتشف الساحرة الشريرة أننا موجودان هنا كي لا تشوينا في مكاننا».

تمتمت سكارليت قائلة: «لن تشويك. سوف أدخل وحدي».

أجابها جاكسون قائلًا: «أخشى أنني لا يمكنني السماح بهذا، إذ إنه لن يكون تصرفًا شهمًا مني».

- ألم يخبرك أحد من قبل أن الشهامة وازدراء المرأة وجهان لعملة واحدة؟ وعلاوةً على ذلك، واحدٌ منا فقط قادرٌ على سحر الطرف المهاجِم؟
- هذا سببٌ أدعى للسماح لي بمرافقتكِ لأنظف آثار جريمتك.

قلَّبت عينيها وقالت: «أهذه طريقتك في إخباري بأنك ترغب في المشاهدة؟».

توجهت نظراته إلى الأسفل وقد أخذ يتفرس فيها. لم تكن قد تأنقت في ذلك اليوم، وهو ما لم يكن من شيمها. كل ما ارتدته كان بنطالًا من الجينز وقميصًا خفيفًا بلا كُمين. لقد كانت تلك أكثر ملابس كاجوال ارتدتها في العلن على الإطلاق. غير أن تحديقه إليها بهذه الطريقة جعلها تشعر وكأنها ارتدت فستان سهرة ضيقًا يبرز تفاصيل جسدها.

- فقط عندما يوجد من يستحق المشاهدة.

حاولت طرد العديد من الأفكار غير الملائمة خارج ذهنها. إنه هرمون الأدرينالين السخيف، يخلط عليك الدلالات ويُغشي بصيرتك.

- اسمع... كن حذرًا فحسب. إذا رأيت أي شيء غريب يحدث، أفضل ما يمكنك فعله هو أن تهرب. إن حمايتك سوف تزيد مهمتي صعوبة.

عبَّر لها عن امتنانه وأجبر نفسه على الابتسام بثقة واعتداد لأجل خاطرها. نظرت إليه مطولًا. لقد أساءت الحكم عليه. لقد استقبل كل شيء بصدرٍ رحبٍ

-علم أن السحر موجود واقتحم وكر ساحرة شريرة- وكان لا يزال مبتسمًا، حتى ولو كانت هذه الابتسامة مجرد محاولة للتظاهر بالشجاعة لأجل خاطرها.

اعتدل في جلسته وفتح باب السيارة مُنهيًا النقاش بصورة عملية. شعرت سكارليت برغبة في لمسه غير أنها منعت نفسها من ذلك. خرجا من باب السيارة وقطعا الشارع الخالي واتجها نحو الباب الأماميّ لشقة غوين.

تجاوزتها نظراته وانعقد لسانه، وأرسلت بصرها إلى حيث ينظر. شاهدت سكارليت حلقات من الدخان تتسلل عبر باب غوين الأماميّ. لقد كان دخانًا أحمر كثيفًا أشبه بالنيران المستعرة، وكان لونه زاهيًا بصورة غير مسبوقة.

اتسعت عيناها في ذهول وهي تشاهد الدخان يتشكل في هيئة حرف X كبير أمام الباب، وكأنه لافتة سحرية عملاقة مكتوب عليها ممنوع *الدخول*. تبادلا نظراتٍ جانبية، وتمتمت سكارليت قائلة: «هذه آخر فرصة لك كي تعود أدراجك».

ولكن ما أدهشها هو أن جاكسون أمسك بيدها وشبَّك أصابعه في أصابعها قائلًا: «لن أدعكِ تواجهين هذا وحدكِ يا سكارليت».

ولوهلة التقت عيناهما، لقد كانت يده تشع دفئًا وأخذ قلبها ينبض بقوة داخل صدرها والأدرينالين يتدفق في عروقها. شعرت بدوارٍ خفيفٍ جراء تلك الحساسية والتناغم الواضح بينهما. ولكن لم يكن هناك متسع من الوقت للتفكير في ذلك.

أفلتت يده وعبرت من خلال ألسنة الدخان القرمزية. لقد كان ذلك نوعًا من السحر الأسود، خمنت ذلك من الحكة التي شعرت بها في أصابعها وفي مؤخرة حلقها. ضغطت بكفيها على الباب، وأغمضت عينيها ونهلت من نبع القوى بداخل صدرها، القوى التي تشاركتها هي وشقيقاتها في أثناء طقوسهن الشهرية. تخيلت تلك القوى وهي تنساب منها كضوءٍ ذهبيٍّ يدرأ الشر. همهم جاكسون بنبرة متسائلة خلفها، وعندما فتحت عينيها كان الباب قد انفتح للداخل.

خطت سكارليت فوق عتبة الباب بحذر وصعدت الدرج. لقد كانت الصالة مظلمة ولم ترَ أي ضوء يتسلل من تحت باب شقة غوين. ورغم هذا توقفت سكارليت وأسندت أذنها على الباب كي تستمتع إلى أي علامات على وجود

حركة بالداخل. حاولت فتح الباب غير أنه كان مفتوحًا بالفعل. سددت نظرة جانبية إلى جاكسون، الذي عكست نظراته القلقة الشعور الكامن بداخلها. حبست أنفاسها ودفعت الباب قليلًا برفق.

تصاعد المزيد من الدخان، وتشابكت حلقاته الرمادية والحمراء. لم تكن رائحته كالحطب المحروق، بل كانت كريهة كرائحة العفن، كرائحة الموت والتحلل والكوابيس، كالاستيقاظ في منتصف الليل وأنت غير قادرٍ على التنفس. بمجرد أن وصلت إليها الرائحة شعرت بأنها تختنق. أما جاكسون فقد أخذ يسعل لا إراديًّا.

سألها بصوتٍ خشنٍ بات مبحوحًا بسبب الدخان: «ما هذا؟».

لم تشعر سكارليت بأي حرارة. إذا كان هذا الدخان مصدره النار، فمن المؤكد أنها لم تكن نارًا عادية.

أجابته وهي تسعل: «ليست لدي أدنى فكرة».

هل كان هذا نوعًا من آليات الدفاع؟ أم كان سمًا؟ خطت سكارليت للأمام وانزلقت. تداركت نفسها قبل أن تصطدم بالأرض مباشرةً واستقرت كفها على بِركة من مادة لزجة. شعرت بغصة في حلقها عندما حدقت إلى هذه البِركة. دماء. بركة منبسطة منها. أشبه بتلك التي كانت في غرفة نوم تيفاني، ولكنها أكبر وأكثر بشاعة.

ابتلعت سكارليت صراخها ورفعت نظرها لتتبع مصدر الدماء. انبطح جسد على وجهه على الأرض على بُعد مسافة قريبة للغاية منها. لقد كان هامدًا. خرجت أنفاس سكارليت في عويلٍ ضعيفٍ. *يا الله، ليست تيفاني، ليست تيفاني.*

وإلى جانبها أخذ جاكسون يلعن، وتحرك بسرعة أكبر منها. مر من جانبها ليجذب الفتاة من كتفها، لقد كانت فتاة، أدركت سكارليت هذا من بنطال اليوجا والقميص الخفيف بلا كُمين اللذين ارتدتهما. غير أنه كان من الصعب رؤية وجهها عبر الدخان الكثيف المتصاعد. دخانٌ أدركت الآن أنه ينبعث من الفتاة، أو على الأقل من المنطقة التي استقر عليها وجهها على ألواح الأرضية.

قلَّب جاكسون الفتاة على ظهرها. حضَّرت سكارليت نفسها، والخوف يغمر جسدها بأكمله، لرؤية وجه أعز صديقاتها. غير أن عينَي غوين الميتتين هما ما حدقتا إليهما. تصاعدت ألسنة الدخان الرماديً من أنفها وفمها المفتوح بل ومن أذنيها أيضًا.

همس جاكسون قائلًا وصوته يفيض بالعاطفة: «غوين؟».

لم تتمكن سكارليت من الحركة ولا من التحدث. لقد شاهدت جاكسون وهو يجس نبضها، ثم سمعته يسب ويلعن مرة ثانية، لفترة أطول وبصوتٍ أعلى هذه المرة.

مدَّ يده ليُخرج هاتفه، وفي تلك اللحظة فقط أمسكت سكارليت بمعصمه.

همست قائلة: «لا يمكننا البقاء هنا. عندما تكتشف الشرطة جثتها، سوف...».

أومأ جاكسون برأسه بقوة وساعدها في النهوض قائلًا: «هيا».

وقادها خارج الشقة. لم تستطع أن تتوقف عن الارتجاف عندما حدقت إلى كفيها الملطختين بدماء غوين.

وفي تلك الأثناء، دارت فكرة وحيدة داخل رأسها، مرة بعد مرة.

إذا كانت غوين ميتة... فمن يحتجز تيفاني إذًا؟



الفصل الحادي والثلاثون

فيفي

بمجرد أن قبضت فيفي على مقود السيارة التي استعارتها من داليا، تساءلت ما إذا كانت هناك تعويذة مهدئة قوية بما يكفي كي تخفف من وطأة مشاعر القلق التي تعتمل داخل صدرها الآن. غير أنها في تلك اللحظة لم تدرِ ما إذا كان هناك أي شخص يمكنها سؤاله عن هذا. بحلول ذلك الوقت، من المؤكد أن الأخبار عن تصرفها الغادر مع مايسون قد جرى تناقلها من شقيقة لأخرى، عبر المحادثات والرسائل النصية والتواصل الصامت الذي تمكن عدد من عضوات الغربان من إجرائه بكل سهولة.

تذمرت فيفي وضربت رأسها في عجلة القيادة. لقد قضت حياتها بأكملها تتمنى الحصول على أصدقاء، في حاجة ماسّة للشعور بالانتماء. والآن ضيَّعت كل هذا في لمح البصر. لمجرد أن فتى ظريفًا متخصصًا في التاريخ يتحدث بلكنة لطيفة أشعرها بأنها مميزة. لقد كانت أعقل من هذا، صحيح؟

لو كانت فيفي جالسة في مقعد الركاب، لتسنى لها التقاط بعض الأنفاس المهدئة من هواء البحر العطِر، وهي تعدو بالسيارة بمحاذاة الساحل. غير أنها كانت من تقود وحدها في سيارة للمرة الثالثة في حياتها. نظرًا إلى أنها تنقلت كثيرًا، كان من المستحيل أن تبقى في مكانٍ واحدٍ لفترة كافية كي تكون مستحقة للحصول على تخفيض رسوم الحصول على رخصة القيادة للطلاب، ولم تحصل عليها إلا منذ شهورٍ قليلة.

تمتمت فيفي قائلة: «أنتِ بخير... أنتِ بخير».

عندما مرت شاحنة من جانبها الأيسر بسرعة جنونية، لقد كان الأمر وكأنها تهدئ حيوانًا مذعورًا عوضًا عن تهدئة نفسها. غير أن نجاتها من القيادة على الطريق لا تشكل إلا انتصارًا جزئيًا في المعركة. إذ إنه بمجرد وصولها سوف يجب عليها التوصل إلى طريقة لتفتيش منزل أمها بحثًا عن الطلسم. هذا إذا كان مخبَّأً هناك من الأساس. فلا بد أن دافني امتلكت متسعًا من الوقت لإخفائه في مكانٍ آخر.

لقد ظنت فيفي أن داليا سترافقها، غير أنها تخلفت عن الحضور لتحضير تعويذة الاستنساخ المعقدة التي يحتجنها لصنع الطلسم المزيف. لم تكن فيفي متأكدة مما بدا أكثر خطورة: تسليم ذلك الغرض السحريِّ القويِّ لخاطفة تيفاني أم المخاطرة بإثارة غضب الخاطفة.

زفرت فيفي ارتياحًا عندما أخبرها صوت نظام الجي بي إس بأن تسلك المخرج المقبل كي تصل إلى جزيرة جيكل، وهي جزيرة مهجورة تبعد نحو ساعة عن جنوب سافانا. رغم ثرثرة دافني حول مقدار الكراهية التي سوف تكنها فيفي للحياة في سافانا ومدى غضبها لالتحاقها بجامعة ويسترلي، انتهى بها الأمر وقد استقرت بالقرب منها. كان من شيمة أمها أن تمنعها من فعل شيءٍ وتحله لنفسها. كالانضمام إلى الكابا.

وبعدها بدقائق قليلة، أوقفت سكارليت السيارة أمام منزلٍ من طابقٍ واحدٍ ذي بابٍ أزرق ونوافذ صفراء، على بُعد بضعة شوارع من الشاطئ. كان الضباب الكثيف قد أخذ يلف الأجواء، أما أجراس الرياح التي تدلت من سقيفة المنزل فقد حمَّلت الهواء بنغمٍ غريبٍ وعشوائيٍّ. أطفأت المحرك وخرجت من السيارة وتلفّتت حولها في جميع الاتجاهات، ثم سارت في الممشى القصير الذي اصطفت على جانبيه زهور شاطئية طويلة.

وقبل أن تصل إلى المنزل انفتح الباب وظهرت دافني عند المدخل. لقد تزايدت الخصلات البيضاء في شعرها والهالات السوداء تحت عينيها عن آخر مرة رأتها فيفي فيها، ولكن بخلاف ذلك، بدت دافني ديفيرو بنفس الهيئة التي كانت عليها عندما ودعتها فيفي في رينو.

سحبتها دافني معانقةً إياها بقوة قائلة: «أوه فيفي، حمدًا لله (ثم تراجعت للخلف كي تتمعن في ابنتها وأردفت قائلة) لقد قالت البطاقات إنكِ بخير، ولكنني لا يمكنني وصف مدى سعادتي برؤيتكِ هنا بعينيَّ».

الآن وبعدما أدركت فيفي مدى قوة التارو، بدا حدس دافني أقل حماقة قليلًا.

- هل يمكنني الدخول؟

ترددت دافني قليلًا ثم تلفتت حولها قائلة: «الوقت غير ملائم يا عزيزتي. ما زال المكان فوضويًا والصناديق في كل مكان. لمَ لا نتجول عبر البلدة؟ هناك مقهى صغير ولطيف أعتقد أنكِ ستحبينه».

- الصناديق في كل مكان، صحيح؟ هل هناك أي احتمالية أن أحدها يحتوي على طلسم هينوسيس؟
- فيفي، أرجوكِ. أنا...
- لقد اختُطِفت إحدى شقيقاتي، ولقد قالت خاطفتها إننا إذا لم نسلم الطلسم سوف تقتلها.

شحب وجه دافني ووضعت يدها على قلبها.

- لهذا السبب بالضبط لا ينبغي لكِ العودة إلى ذلك المكان. إن الكابا مغناطيس للمصائب.

تنحَّت جانبًا بضع خطوات وكأنها كانت لا تزال غير متأكدة مما ينبغي فعله، ثم تنهدت وفتحت الباب على مصراعيه قائلة: «يستحسن أن تدخلي».

دخلت فيفي ووقفت في انتظار دافني كي تنتهي من إغلاق الباب خلفها، باستخدام الأقفال العادية والأقفال الإضافية التي أيقنت فيفي أنها ركبتها عند انتقالها كعادتها. لم تكلف أمها نفسها عناء تغيير إطار سيارة أو تركيب وحدة تكييف، غير أن جنون الشك والارتياب لديها جعلها صانعة أقفال خبيرة. رغم أن ارتيابها الآن لم يبدُ ضربًا من الوهم كالسابق.

- إذًا، أعتقد أن الإقامة في لويزفيل لم تطب لكِ.

لم تطابق ابتسامة فيفي اللطيفة المرارة التي تخللت صوتها.

وفي المطبخ أصدرت غلاية الشاي صوت صفير.

قالت دافني وهي تمر إلى جوار فيفي دون أن تنظر إليها: «إن ولاية كنتاكي تشع طاقة سلبية. هل ترغبين في الشاي؟ إنني أعمل على مشروب مقوٍّ، مكون من البابونج والريحان الحلو...».

قاطعتها فيفي قائلة وهي تلاحقها في المطبخ: «أكنتِ تنوين إخباري بأنكِ انتقلتِ للعيش على بُعد ساعة بالسيارة مني؟».

لقد كان المطبخ مطليًا بلونٍ أصفر فاقعٍ ومبلطٍ بأنماط مبهجة من اللونين الأبيض والأسود، غير أنه كانَ ضيقًا للغاية لدرجة أن مرفقيهما اصطدما ببعضهما بعضًا بينما كانت دافني تصب الشاي.

- لم أشأ أن أقاطِع دراستكِ.

ألحَّت على فيفي لأخذ كوب الشاي وقبلته رغم شعورها بالانزعاج.

- إذًا، تتجاهلين رسائلي ومكالماتي، وتقاطعينني لذهابي إلى جامعة ويسترلي، ثم تنتقلين إلى نفس المدينة؟

- لقد فكرتُ في أن أكون بالقرب منكِ من باب الاحتياط.

هزت دافني كتفيها متظاهرة بعدم الاكتراث وهي تصب لنفسها كوبًا ثانيًا من الشاي: «من باب الاحتياط لأي شيء؟ من باب الاحتياط لوقوعي في مشكلة؟ (أطلقت فيفي ضحكة مُرة وقصيرة وأردفت) إن السبب في كون الغربان في خطرٍ هو أنكِ سرقتِ غرضًا قيمًا منذ سنواتٍ وترفضين أن تعيديه. أعلم أنكِ لم تكترثي يومًا لأي أحد سوى نفسكِ، ولكن هناك فتاة قد تموت غدًا ما لم نسلمها الطلسم».

أغمضت دافني عينيها لوهلة وبدت متألمة ثم قالت بهدوء: «أعتقد أن علينا الجلوس والتحدث في هذا الشأن».

ثم قادتها إلى غرفة معيشة صغيرة، كانت عبارة عن حيزٍ غير مألوفٍ يعج بأشياء غير مألوفة. لقد كانت بطانية أمها المحاكة المفضلة تكسو صندوقًا أزرق مخمليًا لم ترَه فيفي من قبل. أما الرف الوحيد الذي علِق على الحائط فقد احتوى على مجموعة الكتب المختارة بعناية التي تصطحبها أمها معها في كل مرة تنتقل فيها. وفي وعاءٍ زجاجيٍّ وُضِع مزيج من أوراق اللافندر وأعشاب الأرز، لطالما وضعته أمها على طاولة القهوة. ولوهلة، كان كل ما

رغبت فيه فيفي هو أن تنهل من الروائح المؤاسية للأغراض التي حاوطتها طوال حياتها، النوع الوحيد من الاستقرار الذي حظيت به في أثناء نشأتها.

جلست دافني على الأريكة وأشارت إلى فيفي للجلوس إلى جانبها، غير أنها تجاهلتها وجلست في مقعد وثير أصفر اللون بدلًا من ذلك. سألتها فيفي: «لماذا لم تخبريني بأيٍّ من هذا؟ هذا غير مفهوم».

أجابتها أمها وقد بدا عليها الإنهاك فجأةً: «لم أُخفِ هويتي قط، ولكنني لم أستطع أن أجعلكِ تؤمنين بالسحر. لقد كنتِ بحاجة إلى اختباره بنفسكِ».

- إذًا لماذا حاولتِ منعي من الالتحاق بجامعة ويسترلي؟
- لأنكِ لستِ بحاجة إلى الانضمام إلى جماعة الكابا كي تكوني ساحرة. أولئك الفتيات لسن كما يبدون في الظاهر. أنتِ لا تعرفين ما هن مستعدات لفعله للحصول على مزيدٍ من القوى.
- كسرقة طلسم هينوسيس.
- من أخبركِ بهذا؟

أحكمت دافني قبضتها على الكوب، لدرجة أن لونها استحال إلى الأبيض: «لم يكن أحد بحاجة إلى إخباري. لقد رأيتُ صورة لكِ وأنتِ ترتدينه في عددٍ مؤرشفٍ من مجلة جازيت. صورة لكِ برفقة إيفيلين ووترز، الفتاة التي اختفت».

- ما الذي حدث لها؟
- لقد ماتت يا فيفي. لأنها تورطت في شيءٍ لم تدرك أبعاده. نفس الشيء الذي تفتشين عنه.

سألتها فيفي بذهول: «أهذا تهديد؟».

- لا تكوني سخيفة (وضعت كوبها على طاولة القهوة مُحدثًا صوت طقطقة) كل ما فعلته كان بغرض حمايتكِ.
- حمايتي بإخفاء كل شيء عني؟ يا لها من خطة ممتازة! (نهضت فيفي من كرسيها وهي ترتجف من فرط الغضب والإحباط) لقد قضينا حياتنا بأكملها ونحن في حالة من الهروب المستمر. ومن أي شيء؟ لم يحدث لنا أي مكروه.

انفجرت أمها غضبًا قائلة: «لأن أحدًا لم يعثر علينا».

استعادت فيفي طفولتها الصاخبة في ومضاتٍ زاهيةٍ. الرحيل المفاجئ، جلسات توضيب الحقائب، القيادة لمسافاتٍ طويلةٍ في أثناء الليل، انعطاف أمها في طرقٍ متعرجة للذهاب إلى وجهاتٍ مجهولة. عندما كانت صغيرة، بدا الأمر وكأنهما داخل لعبة فيديو، أنهما كانتا جاسوستين مطاردتين من قبل عدوٍ شريرٍ ضخمٍ، تتسللان في أنحاء البلاد في عالمهما الخاص الصغير. وعندما كانت أكبر سنًا، بات الأمر مؤلمًا. إذ إنها دائمًا ما خلَّفت وراءها الأصدقاء ومن تُكِن لهم الإعجاب والجميع. وسُحِبت بعيدًا في كل مرة بدأت تشعر فيها بالاستقرار. أدركت الآن السبب وراء ذلك. بسبب ويسترلي وبسبب ما حدث في الكابا.

قالت فيفي بتمهل: «إذًا الأمر صحيح. إن الطلسم في حوزتكِ حقًا».

أومأت دافني برأسها قائلة: «من واجبي أن أحول دون وقوعه في الأيدي الخطأ. إنها مهمة أخذتها بجدية بالغة على مر السنين».

- إذًا طوال ذلك الوقت، كان كل ذلك الهروب وكل تلك التنقلات، بسبب ما حدث لإيفيلين؟

- أنتِ لا تفهمين...

اندفعت الكلمات خارج شفتَي فيفي دون أن يتسنى لعقلها استيعابها: «هل قتلتِها؟».

تجلى على وجه دافني العديد من المشاعر: الصدمة والألم والاستياء. ثم استقر على وجهها الشعور بالأسى، ذلك النوع من الأسى العميق الذي جعل أمها تتقدم في العمر عشر سنوات في لمح البصر.

سألتها: «كيف لكِ أن تفكري في شيءٍ كهذا؟».

قالت فيفي: «لا أعرف. لم أعد أعرف ما ينبغي لي تصديقه بعد الآن. كل ما أعرفه هو أنني بحاجة إلى الطلسم لإنقاذ حياة صديقتي. ولكن لسببٍ ما، يبدو أنكِ لا تبالين بذلك».

- بالطبع أبالي به. ولكنكِ لا تنظرين إلى الصورة الكبيرة. هل ترغبين حقًا في أن تمتلك الخاطفة واحدًا من أقوى الأغراض السحرية في

العالم؟ ليست لديكِ أدنى فكرة عن كم الحيوات التي سوف تخاطرين بها.

- إذًا يفترض بي أن أدع صديقتي تموت؟
- هذه هي حقيقة السحر يا فيفي. إنه لا يقتصر فقط على التعاويذ والحفلات والتلاعب بمظهركِ أنتِ وشقيقاتك في الأخوية. هذا ما أحاول حمايتكِ منه.

أخذ الغضب الذي كان يحتدم داخل صدر فيفي يستفحل وانفجرت قائلة: «حسنٌ، صحيح أنكِ تمكنتِ من التلاعب بحياتي، ولكنني لن أسمح لكِ بفعل المثل مع تيفاني».

اندفع السحر بداخلها. لقد كانت ساحرة نجمة خماسية، أي أنها انتمت إلى الفئة التي ارتبطت بسحر الأرض والصحة والقيمة المادية، لذا لم يكن الاستدلال على مكان غرضًا مرغوبًا فيه للغاية ليتطلب أي جهدٍ يذكر.

فكرت: *«اعثر على الطلسم»*.

استجاب السحر لها بلهفة، وكأنه كان بانتظار هذا. شعرت بحرقة في أطراف أصابعها، وسرى الخدر من كفيها صعودًا إلى ذراعيها. بقدر ما كانت منفعلة، بدا السحر وكأنه نسمة من الهواء العليل بالنسبة إلى رئتيها اللتين تتضوران جوعًا. يا للراحة. أخيرًا أصبحت تملك شيئًا يمكنها التحكم به.

أمرت السحر قائلة: *«اعثر عليه»*.

ليسري السحر بكل سهولة في أطراف أصابعها.

أمرتها أمها قائلة: «توقفي يا فيفيان».

وشعرت فيفي بفرقعة تقاطع السحر في الهواء. لقد كانت أمها تلقي تعويذتها الخاصة.

أمرت فيفي السحر قائلة: *«أرِني طلسم هينوسيس»*.

هبّت الرياح، تطايرت الأوراق على الطاولة المجاورة، واهتزت الصور على الجدران، وبدا أن المنزل بأكمله يرتج.

قالت دافني مرة ثانية: «توقفي (سكنت الأوراق وارتدت الصور إلى مكانها بعنفٍ لدرجة أن ألواحها الزجاجية تصدعت) لن تتمكني من العثور عليه بهذه الطريقة، لقد حرصت على ذلك».

اعتصرت فيفي ذهنها في محاولة لاكتشاف أي تدابير احترازية كانت أمها لتستخدمها. تلفتت حولها في الغرفة، ثم وقع بصرها على زوج من قفازات البستنة إلى جانب الباب، كالتي استخدمتها إيتا لزراعة زهور هرقل. ودون أن تنبت ببنت شفة لدافني، استدارت فيفي وفتحت أقفال الباب وخرجت مسرعة. وكما توقعت، كانت هناك في إحدى زوايا الحديقة، شجيرة ذات ورودٍ بيضاء. لقد بدت التربة أسفلها جديدة، وكأن هذه الشجيرة زُرِعت مؤخرًا. لهذا السبب لم تنجح تعويذة فيفي، لقد حالت زهور هرقل دون عثور سحرها على الطلسم. غير أنها علمت الآن أين تركز قواها، لن تقف هذه الزرعة في طريقها بعد الآن، ليس وقد امتلكت سحر الأرض لفئة النجمة الخماسية تحت تصرفها. عندما رفعت فيفي ذراعيها، أخذ الطين يتحرك قليلًا.

انفجرت دافني غضبًا وهي تهرع نحوها قائلة: «كفاكِ يا فيفي».

استمر الطين في التراجع للخلف، كاشفًا عن جذورٍ وصخورٍ وبضع ديدان أرض متلوية. وضعت دافني يدها على كتف فيفي ثم سحبتها وهي تصرخ من الألم. لقد بات لون كفها أحمر، ورأته فيفي، لقد بدا وكأن الطاقة السارية في ابنتها أحرقتها.

شعرت فيفي بقليلٍ من الذنب وأخذت تخفض ذراعيها، ولكنها فكرت في كل من يعتمدن عليها: داليا وسكارليت، وتيفاني قبلهن جميعًا. أطبقت فكها ورفعت ذراعيها أعلى وهي تناضل أمام ضغطٍ غير مرئيٍّ. أخذت الأرض تدمدم، ثم ارتفعت قلادة بيضاوية زجاجية خارجة من الوحل. لقد كان الزجاج أكثر زرقة مما بدا عليه في الصورة، وعين الشر أكثر بروزًا.

همست دافني قائلة وهي تتشبث بيدها: «أنتِ في خطر في ويسترلي. لقد رأيت ذلك في بطاقاتِك. إنني أحاول حمايتِك».

انتزعت فيفي الطلسم من الهواء وحشرته في جيبها قائلة: «إليكِ اقتراحًا إذًا. إذا كنتِ ترغبين في حمايتي، ابقي بعيدة عن طريقي».

الفصل الثاني والثلاثون

سكارليت

رنَّ هاتف سكارليت في جيبها؛ لقد كانت فيفي. ضغطت على زر تجاهل المكالمة. *افهمي التلميح يا شقيقتي الصغرى.* لقد كانت مشغولة. مشغولة لدرجة أنها لا تملك الوقت للتعامل مع شعور فيفي بالذنب بسبب مايسون. ناهيك بأن مجرد رؤيتها لاسمها على شاشة هاتفها أعاد فتح جراحها من جديد، هجر مايسون لها، مايسون وفيفي معًا، مايسون وفيفي وهما يتبادلان القُبل.

أغمضت سكارليت عينيها، دافعةً ألم خيانتهما لها بعيدًا عن ذهنها. لقد كانت من آل وينتر. لقد كانت ساحرة. لقد كانت أقوى من شعورها بالانكسار. ولقد كان لديها أمور أهم للتعامل معها.

ألقت نظرة خاطفة على جاكسون الذي كان في الجهة المقابلة من الشارع، منكبًا على وجهه بداخل كشك هاتف عموميٍّ عثرا عليه أخيرًا بعد نصف ساعة من البحث. خيَّم شعور بالاغتراب عن الواقع على الليلة بأكملها، وكأن ذلك كان أحد كوابيس سكارليت، وكانت في انتظار أن تستيقظ منه... ولكنه لم يكن كابوسًا بل حقيقة. لقد كانت السيارات المارة بالجوار وعجلاتها التي كانت تتعثر في الشارع المملوء بالحفر حقيقية. لقد كانت الحانة في نهاية الطريق بلافتتها المضيئة الوامضة حقيقية. والقشعريرة التي سرت في ذراعيها حقيقية. ومشاعر الفزع التي تعتمل بداخلها حقيقية. وكان حقيقيًّا أن غوين ماتت وأن تيفاني...

توقفي، أمرت سكارليت نفسها بهذا، مانعةً نفسها من التفكير في الأمر. كانت السماء من فوقها حالكة السواد كالموت. لقد كانت ليلة ميلاد القمر الجديد، التي تصطف الأرض والشمس والقمر فيها بطريقة تحجب القمر تمامًا عن العين البشرية. لقد أخبرتها ميني أنه أُطلِق عليه في السابق القمر القديم. أيًا كانت تسميته، فرمزيته واحدة. لقد كان أوان السحر الهدّام، أوان إلقاء لعناتٍ قويةٍ، أوان اتباع الشر بداخلك.

لم يكن مفاجئًا أن خاطفة تيفاني اختارت هذه الليلة لأداء طقوس خطيرة. والآن لم يتبقَ لسكارليت سوى ساعاتٍ قليلة لإيقافها، ساعاتٍ قليلة لإنقاذ شقيقتها. أثار انتباهها حركة بالجوار، وتشنجت لا إراديًا. غير أنه كان جاكسون فحسب يضع سماعة الهاتف مكانها. لقد عبر الشارع الخاوي مسرعًا متجهًا تجاهها ويداه موضوعتان في جيبه.

استندت سكارليت على سقف السيارة وأخذت تشاهده بقلق ثم قالت: «هل فعلتها؟».

- لقد قلدت صوت باتمان من باب الاحتياط.

ارتسمت على وجهها ابتسامة باهتة. لقد علمت ما كان يحاول فعله، أن يضفي أجواءً من المرح كي يمنعها من السقوط في هوة اليأس بسبب حزنها على تيفاني. لقد خلصا إلى أنه ليس من الأمان أن يتصلا بالشرطة من هاتفيهما المحمولَين. إذ إنهما لو فعلا ذلك، كانا ليضطرا إلى تفسير سبب وجودهما في مسرح الجريمة، وما الذي كانا ليقولاه في تلك الحالة؟ *لقد اقتحمنا شقة هذه الفتاة لنكتشف ما إذا كانت ساحرة شريرة اختطفت شقيقتي في الأخوية، معذرةً أيها الضباط.*

من الأفضل أن يكون بلاغًا من مجهول. لقد أخبرهم جاكسون أنه شمَّ رائحة غاز منبعثة من شقة غوين. لقد كان ذلك كافيًا لجعل أي شخص يقتحم المكان. لجعله يعثر على... ما كان يبحث عنه. محت سكارليت كل آثار السحر وكل آثارها هي وجاكسون، وأي شيء قد يثير ارتياب الشرطة ويجعلها تطرح العديد من الأسئلة. ثم أشعلا الفرن وغادرا. حاولت سكارليت أن تطرد عن ذهنها ذكرى رؤيتها لعينَي غوين الزجاجيتين وفمها المتدلي. كل ما أمكنها

التفكير فيه هو تيفاني. مستحيل *أن تكون ميتة، مستحيل*. لم يسع سكارليت أن تتصور أعز صديقاتها وهي في نفس الحالة، جثة هامدة بلا روح.

لمس جاكسون ذراعها برفق. جفلت. لم تلاحظه وهو قادم تجاه الجانب الذي تجلس فيه في السيارة. سألها: «لمَ لا أقود أنا؟»، وسلّمته مفاتيح السيارة وهي متعبة لدرجة أنها لا تقوى على الجدال.

- يمكنكِ المكوث في منزلي إن أردتِ.

سددت سكارليت إليه نظرة وهي تدور حول السيارة للجلوس في مقعد الركاب ثم تدخل فيها. لقد أساء فهمها.

قال وهو يبدو محرجًا بعض الشيء: «لا أقصد ما ظننته. بل قصدت أنكِ يمكنكِ النوم في السرير، وسوف أنام أنا على الأريكة».

نظرت إليه في ذهول. لم تتخيل ذلك، لقد شعر بما شعرت به أيضًا. وسط كل تلك الفظاعات، تغير شيء بينهما. لقد كانت رؤيتها لجاكسون كارتر إلى جوارها وهو في حالة من الارتباك، أمرًا ما كان ليخطر على بالها قبل تلك الليلة. ورغم أنها شعرت بأنها مذبوحة من الداخل، خففت ابتسامته الخجولة من وطأة يأسها لوهلة قبل أن يغمرها مرة أخرى.

- جاكسون، أقدر عرضك، ولكنني بحاجة إلى البقاء مع شقيقاتي الليلة.

لقد كانت بحاجة إلى إخبارهن بما حدث. لقد كُنَّ بحاجة إلى التوصل إلى خطة جديدة.

إذا كانت غوين ميتة، فهذا يعني إما أنها كانت الخاطفة وأنها قتلت تيفاني قبل أن... *قبل أن تفعل ماذا يا سكارليت؟ أن تصيب نفسها بلعنة تُميتها؟*

لا جدال في أن سحب الدخان المتصاعدة أو عدم وجود أي علامات على جسد غوين رغم بِركة الدماء التي أحاطتها، دلَّت على أن شخصًا ما فعل هذا بها، لعنها. ما عنى أن غوين لم تكن الخاطفة على الأرجح. ما أعاد الغربان إلى خانة الصفر.

من قد يفعل هذا؟

اعتصرت سكارليت ذهنها بحثًا عن إجابة. لقد كان شخصًا يمتلك قوى سحرية. ساحرة أخرى. ربما تمكنت إحدى الفتيات اللاتي رفضن قبولهن

في الكابا بطريقةٍ ما من استعادة ذاكرتها. ربما كانت ساحرة لم تتقدم للانضمام إلى الكابا من الأساس. ولكن لماذا قد يستهدف أي أحد الغربان؟ لقد كانت غوين الإنسانة الوحيدة التي امتلكت دافعًا لإيذائهن، ولقد ماتت الآن. لقد اعتادت سكارليت وتيفاني أن تسخرا من الفتيات اللاتي قد يفعلن أي شيء للانضمام إلى الكابا، ولكنها لم تتخيل قط أن يقتل أحدهم لتحقيق هذا الغرض. لم يبدُ ذلك منطقيًا على الإطلاق.

لقد كانت سكارليت بحاجة إلى كامل قوى الغربان لمساعدتها. معًا، قد يتمكن من فعل تعويذة استدلال أخرى، كتلك التي فعلنها في الصباح الذي تلا اختفاء تيفاني. أن يفعلن شيئًا ما، أي شيء.

نظرت إلى السماء، وبحثت عن القمر، الذي كان مثل تيفاني، علمت أنه موجود ولكن محجوب عن ناظرها. لقد افتقدت تيفاني بشدة لدرجة أن آلمها ذلك جسديًا. لطالما شعرت بارتباطٍ وثيقٍ بينها وبين صديقتها، في بعض الأحيان احتاجتا بالكاد إلى الكلمات كي تتواصلا. غير أن ذلك التواصل بينهما سكن تمامًا، وكأن جدارًا سحريًا قطعه. آه لو كانت قادرة على التحدث إليها. لو كانت تيفاني قادرة على إخبارها بمكانها.

اعتدلت في جلستها وقد تشكلت فكرة في ذهنها. ربما *يمكنها* سؤال تيفاني بالفعل...

سألها جاكسون مقاطعًا حبل أفكارها: «هل أنتِ متأكدة أنكِ ستكونين بأمانٍ هناك؟ أعني... إذا كان القاتل يستهدف الساحرات فـ...».

قاطعته سكارليت بنظرة حادة وغاضبة. إذ إنها شعرت بقدرٍ من نفاد الصبر رغم أنها عرفت أنه لم يقصد الإساءة. لقد كانت طريقة جاكسون في الإشارة إلى البديهيات مزعجة.

- إذًا، يفترض بي أن أنسلَّ خلسة إلى بر الأمان وأجعلهم يؤذون شقيقة أخرى لي بدلًا مني، أهذا ما تقترحه؟
- لم أقل ذلك. ربما ينبغي لكُنَّ جميعًا مغادرة الكابا هاوس. اذهبن إلى مكانٍ آمنٍ، كمنزل الأهل أو...
- ليس قبل أن أجد تيفاني.

ضمَّت سكارليت قبضتيها بقوة لدرجة أن أظفارها انغرست في كفيها، رغم أنها لم تنتبه إلى ذلك إلا عندما مدَّ جاكسون يده ولمس ظهر يدها. واضطرت إلى الاسترخاء. بنظرة واحدة إلى وجهه أدركت أنه رغب في مجادلتها. غير أنه بعد دقائق من الصمت، أومأ برأسه وأدار محرك السيارة.

- ثق بي يا جاكسون، يمكنني تدبُّر أمري. أيًّا كان من فعل ذلك فقد عبث مع الساحرة الخطأ.

عندما وصلا إلى الكابا هاوس، كان المنزل قد خيَّم عليه ظلام الليل. شعرت بقليلٍ من الذنب لترك جاكسون وحيدًا مع ما عرفه مؤخرًا عن مدى كبر العالم وغرابته، ناهيك بنوع الوحوش التي ضمَّها. ولكنها كانت بحاجة إلى الوجود مع شقيقاتها الآن.

وبصراحة؟ سوف يكون جاكسون أكثر أمانًا وهو بعيد عنها.

فتحت سكارليت الباب الأماميَّ وحبست أنفاسها وهي تتجاوز عتبة الباب. لقد بدا المنزل صامتًا، صامتًا أكثر من اللازم بالنسبة إلى منزلٍ يعج بفتيات في مأزقٍ عظيمٍ. أخذ قلبها يدق بعنف داخل صدرها، وفي عقلها الباطن ظلت صورة غوين ماثلة أمامها.

ماذا لو أن القاتلة أتت إلى هنا تاليًا؟

بهدوءٍ، أغلقت سكارليت الباب خلفها، وأخذت تسير في الرواق وهي في حالة من القلق والترقب. لقد بدا صوت صرير ألواح الأرضية القديمة أعلى من أي وقتٍ مضى. لقد كانت كل خطوة أخذتها بمنزلة إعلانٍ عن وجودها، بمنزلة صراخ مفاده: *تعال ونل مني*.

وصلت إلى غرفة المعيشة الأساسية، التي كانت مظلمة وصامتة، وانحرفت لتصعد الدرج. الذي أضاءه مصباح وحيد أعلاه.

- *سكارليت؟*

كادت روحها تنشق عن جسدها. استدارت سريعًا لترى مِي واقفة خلفها، وقد قطَّبت جبينها وعقدت ذراعيها.

سألتها سكارليت وقد قطع صوتها الصمت: «أين الجميع؟».

ازداد وجه مِي تجهمًا، وكأن سكارليت هي من تتصرف بغرابة.

- إنهن نائمات، أو يحاولن النوم. رغم أنني أظن أن سونالي والعديد من الشقيقات ما زلن مستيقظات في الطابق العلوي يفتشن في بعض الملفات القديمة.

- وداليا؟ إنني بحاجة إلى التحدث إليها.

- إنها تجرب تعويذة جديدة واضطرت للخروج لجلب مكونٍ أخير.

قاومت سكارليت رغبتها في السب واللعن. لقد ظنت داليا حقًا أنها إذا جمعت ما يكفي من الأغراض السحرية وشبَّكت يديها في أيدي شقيقاتها وترنمت، سوف ينجون من هذا. ثم فكرت في هاتفها وفي المكالمة التي تلقتها من فيفي وقالت: «وماذا عن فيفي؟».

- لقد انطلقت باكرًا، بسبب أمر يخص أمها

ترددت مِي قليلًا ثم مدَّت يدها لتربت على ساعد سكارليت برفق: «اسمعي، إذا كان في كلامي عزاء، فأظن أن فيفي تجاوزت حدودها كثيرًا مع مايسون».

أومأت سكارليت برأسها قائلة: «شكرًا».

في حين أنها شعرت بالألم يجتاحها عند ذِكر مايسون وفيفي في جملة واحدة، غير أن الألم في هذه المرة، كان مصحوبًا بمشاعر امتنان غامرة تجاه مِي لكونها في صفها، وبخاصة أنها تعلم مدى محبة مِي لفيفي، حتى لو كان ذلك لسببٍ وحيدٍ وهو أنها ذكرتها بنفسها قبل تحولها الحتميّ. غير أنه كان من المفترض أن تكون تيفاني هي من تحاول إلهاءها عن أمر فيفي لا مِي.

سألتها مِي: «هل أنتِ بخير؟ ربما من الأفضل أن تحصلي على قسطٍ من الراحة. تبدين منهكة».

- لا أستطيع (أخذت سكارليت نفسًا عميقًا وحبسته لثوانٍ، آملة أن يهدئ من نبضها المتسارع) مِي... لقد ماتت غوين. لقد وجدت جثتها قبل قليل. ويبدو أنها لُعِنت.

ارتفع حاجبا مِي لدرجة أنهما اختفيا تحت غرتها الناعمة حادة الحواف. شاهدتها سكارليت وقد ظهرت على وجهها سلسلة من المشاعر تباعًا: الإنكار. التقبل. الذهول.

- يا الله.. لقد كانت شريرة ولكن هذا.. ما زال رهيبًا. ولكن هذا يعني أنها مستحيل أن تكون...
- اختطفت تيفاني؟ لا. لا يبدو أنها فعلت ذلك (عقدت سكارليت ذراعيها وأردفت) لدي فكرة للعثور عليها. ولكنني أحتاج مساعدتكن جميعًا.

ترددت مِي وأخذت تنقل بصرها بين سكارليت والباب الأماميّ، ولكن لوهلة فقط.

- داليا ليست هنا.
- حتى لو كانت هنا، أنا متأكدة أنها كانت ستوافقني الرأي. أيقظي فتيات الكابا. ودعي كل ساحرة تقابلني في الصوبة الزجاجية. الآن.
- ما الذي يحدث؟

مشت جولييت بعينين نصف مغمضتين في الصوبة وهي ترى كل شيء بصورة ضبابية وتتشبث بيد جيس. وفي عتمة الليل، وقد أضيئت نصف الشموع فقط، ألقت الأشجار بظلالٍ كئيبة على وجوه الفتيات المحرومة من النوم.

لم يسبق لسكارليت أن قادت الأخوية لفعل تعويذة مماثلة من قبل. شعرت بثقل هذه المسؤولية وكأن له وجودًا ماديًّا. *ساعديني يا ميني*، فكرت في هذا وهي تنظر إلى شقيقاتها. لقد أملت أن يكُنَّ أهلًا لهذه المهمة: «أيتها الشقيقات، أنا بحاجة لمساعدتكن. تيفاني بحاجة لمساعدتكن. ولكنني لا أملك أن آمركن بذلك. بل أطلبه منكن. من لا ترغب في المشاركة يمكنها الانصراف (تطلعت سكارليت إلى شقيقاتها، اللاتي ارتدين جميعًا ملابس النوم الخفيفة، غير أن ولا واحدة منهن تزحزحت عن مكانها) حسنٌ إذًا. هذا نوعٌ أكثر صعوبة من السحر وأعلى في المستوى. أنا بحاجة إلى كامل تركيزكن. سوف نلقي تعويذة جديدة للعثور على تيفاني. ريجان أيمكنكِ أن تمدينا ببعض الضوء؟».

أشارت سكارليت إلى الشمعة في منتصف الأرضية. خطت ريجان إلى الأمام لتلمس قاعدة الشمعة. وبعدها بثوانٍ، اندلعت شعلة فوق طرف الفتيل. سددت سكارليت نظرة امتنان إلى الفتاة وتركتها تضيء بقية الشموع.

سألتها جيس وهي تمد يدها لإخراج هاتفها المحمول بينما كانت سكارليت تخطو مجددًا داخل دائرة الغربان: «أليس من الأفضل أن ننتظر داليا وفيفي؟ ألن نكون في حاجة إلى قواهما أيضًا؟».

- ليس لدينا وقت كافٍ. إن داليا ترغب في العثور على تيفاني بقدرنا.

عقدت سكارليت ذراعيها وأخذت تتفرس في الفتيات اللاتي يحطنها، الواحدة تلو الأخرى.

قالت سكارليت: «في الكابا، نضع شقيقاتنا في المقام الأول. والآن، هناك شقيقة منا بالخارج في خطرٍ داهم. إذا كان في مقدورنا المساعدة، إذن فمن الواجب علينا المحاولة. أما زلتن معي؟».

لوهلة، تردد صدى صوتها في فضاء الصوبة. ثم خطت مِي إلى الأمام وعيناها معلقتان بسكارليت وقالت: «أثق بكِ».

وبعدها أحنت إيتا رأسها قائلة: «وأنا أيضًا».

وسرى ذلك في الدائرة بأكملها، اكتفى البعض بالإيماء برؤوسهن، بينما أكدت لها الأخريات أنهن معها عبر الكلمات. وفي النهاية، حتى جولييت التي تبادلت نظرات سريعة مع جيس، أومأت برأسها على مضضٍ. شبَّكت جيس أصابعها في أصابع جولييت واعتصرتها مرة وحيدة.

قالت سكارليت: «قبل قليل كنتُ أتطلع إلى السماء، وكنت أفكر في أننا رغم عدم مقدرتنا على رؤية القمر الليلة، فإن هذا لا يعني أنه ليس موجودًا. إنه ما زال موجودًا، ولكنه أصبح مجرد طيفًا (أومأت بضع فتيات برؤوسهن، بينما لاحت ببطء ابتسامة على وجه إيتا، إذ أضحى جليًّا أنها فهمت ما ترمي إليه سكارليت) عندما يختفي أي شيء، لا يتلاشى من على وجه الأرض فحسب. فلهذا الشيء ماضٍ. إنه يخلف آثارًا خلفه. خيالًا».

عندما كانت سكارليت أصغر سنًا، اعتادت ميني التحدث كثيرًا عن السحر القديم، عن الحال الذي كانت عليه الأمور قبل أن يُضفَى على السحر

طابع رسمي، بتدوين التعاويذ وحفظها في كتب السحر وتكوين الجماعات السحرية. لقد ساعدت التعاويذ في تركيز قوة السحر، غير أن هذا التركيز ضيق النطاق، عنى أنك تفقد شيئًا في المقابل: *الشعور* الكامن وراء السحر، الرغبات التي لا يمكن صياغتها في كلمات.

كل شيءٍ في هذا العالم لديه طاقة، جوهر أساسيٌّ، ولقد خلَّف الناس بعضًا من آثارهم في كل شيءٍ لمسوه.

أيًّا كان من اختطف تيفاني فقد حجب كل التعاويذ التي تستخدمها عضوات الغربان عادةً لتقفي أثر جسدها، ولكن ربما لم يفكر الخاطف في حجب التعاويذ التي تتقفى أثر طاقتها، ذلك الشيء الغيبي الذي ليست له تسمية الذي جعل تيفاني ما هي عليه. في الواقع، كانت سكارليت تراهن على ذلك.

فتحت الحقيبة التي بين يديها ونثرت الأغراض بداخلها على الأرض. زوجٌ من الأحذية الجلدية الطويلة، تنورة صوفية قصيرة، قميص حريري كريمي اللون. وقلادة من الياقوت والزمرد أخذتها من الطاولة المجاورة لسرير تيفاني. لقد كانت واحدة من قلاداتها المفضلة. صححت سكارليت لنفسها: *بل هي واحدة من قلاداتها المفضلة.*

لقد رتبت كل شيء على هيئة فتاة على الأرضية، مثلما اعتادت ميني أن ترتيب ملابسها من أجلها عندما كانت طفلة، ثم سكبت ملحًا أسود يتصاعد منه الدخان حول محيط الملابس بغرض الحصول على القوة والحماية.

قالت: «الليلة، ننشد شقيقتنا المفقودة».

وقد أخذ صوتها يعلو. لقد شعرت بالقشعريرة تسري في ذراعيها، وبهمس الرياح رغم أنهن أغلقن الصوبة بإحكام.

رددت ساحرات الكؤوس هتاف سكارليت: «بقوة الكؤوس ندعوها».

تبعتها ساحرات الصولجانات، وأخذت المستجدات ينظرن إلى الفتيات الأكبر سنًا للاسترشاد بهن: «بقوة الصولجانات ندعوها».

وأخيرًا جاء الدور على فئة تيفاني: «بقوة النجمة الخماسية ندعوها».

شعرت سكارليت باندفاع السحر من حولها بينما أخذت شقيقاتها يستدعين قواهن: «بقوة السيوف ندعوها».

أمرتهن سكارليت قائلة: «أيتها الشقيقات أعِرنني قواكن».

صدمتها بقوة صاعقة برق، القوى من جميع الاتجاهات، من كل فئة، وأخذت تسري فيها. اضطرت للكز على أسنانها للمحافظة على توازنها والتحدث مجددًا.

ترنمت قائلة: «اكشف عن الظل، أظهِر الطريق. أرِنا ما فقدناه أخيرًا».

انضمت إليها الأخريات، أو على الأقل، هذا ما ظنته. إذ إن بسريان كل هذا السحر في عروقها، كانت سكارليت عاجزة عن التركيز على أي شيءٍ سوى شعورها بيدَي جولييت وإيتا اللتين اشتبكتا بيديها.

لقد طوَّعت السحر لإظهارها. طوَّعته كي يقودها إلى تيفاني.

«اكشف عن الظل. أظهِر الطريق. أرِنا ما فقدناه أخيرًا».

أخذت الملابس الملقاة على الأرض تهتز، وتتحرك وكأن تلك الرياح العجيبة تدفعها. أخذت تتأرجح للأمام والخلف، ثم تمددت وكأنها تفسح مجالًا لجسدٍ ما. أخذ شيءٌ شابه الدخان الأسود يتصاعد في الغرفة، متسربًا عبر شقوق الأرضية، ومتسللًا عبر النوافذ، وهامسًا عبر النباتات. أحاط الشقيقات، وأخذ يلعق كواحلهن ويلتف حول سيقانهن.

همست سكارليت قائلة: *«اكشف عن الظل. أظهِر الطريق. أرِنا ما فقدناه أخيرًا»*.

انتفضت القلادة على الأرض، وأخذ الدخان يتحرك في حركاتٍ دائرية، وفجأةً أصبح كثيفًا لدرجة أن سكارليت عجزت عن رؤية الملابس على الأرض، عجزت عن رؤية وجوه شقيقاتها حولها في الدائرة. أصبحت رائحته نفاذة وأخذ يخنقها مثلما حدث في شقة غوين. حينها فقط شعرت سكارليت بحرقة السحر في عروقها. لقد شعرت سكارليت أن هناك إرادة أخرى تحت سيطرتها، شيء يصدها. شيءٌ ما -أو شخصٌ ما- لم يرغب في إكمالهن هذه التعويذة.

ولكن يا خسارة. لقد كانت إرادة شخص واحد أمام مجموع قوى جميع عضوات الكابا. ضيَّقت سكارليت عينيها ووجهت سحرها ثانيًا. أمرت سكارليت السحر مجددًا قائلة: «أرِني شقيقتي».

ليتعكر الدخان ويلف حول نفسه ويدور كحلوى غزل البنات مكونًا قمعًا وسط الغرفة. وفجأةً اندفع نحو السقف كينابيع المياه الساخنة ثم انحرف تجاه الأرض.

صرخت هازيل، بينما تحصنت سكارليت من دوي ارتطامه بالأرض. بيد أنه قبل أن يلمس الأرض، توقفت ألسنة الدخان، وحلَّقت على مسافة سنتيمترات قليلة من البلاط، كالضباب الذي يتلاشى في وهج شمس النهار. ثم تساقط برفقٍ على الأرض وتغلغل في الملابس، مالئًا إياها، ليتكون جسد شفاف في هيئة شخصٍ. وحينها فقط أدركت سكارليت أنه لم يكن دخانًا على الإطلاق، بل كان ظلًّا.

جلس ظل الفتاة، ذلك الشيء الهزيل، ذلك الظل الشبحي المهزوز للشقيقة التي تركتهن منذ ليلتين. شهقت سكارليت واعتصرت جولييت يدها بقوة لدرجة أنها شعرت بشيءٍ يطقطق. أما ريجان فقد لمعت عيناها في رهبة.

همست سكارليت قائلة: «تيفاني؟».

رفع شبح الفتاة يده. ثم أشار مباشرةً عبر أبواب الصوبة إلى الفناء الخلفيِّ للكابا هاوس، تجاه الغابة التي تقع خلفه. رفعت سكارليت رأسها والتقت عيناها بنظرات مِي وإيتا المرتبكة. وبينما هي ترتجف، أدركت ما عناه هذا.

لقد كانت تيفاني *هنا*. في مكانٍ ما خارج تلك الأبواب.



الفصل الثالث والثلاثون

فيفي

لأول مرة في حياة فيفي، تخالف قاعدة عدم استخدام الهاتف في أثناء القيادة. لأنها لأول مرة في حياتها، لم تملك رفاهية إهدار لحظة واحدة. اتصلت بسكارليت بينما حرصت على إبقاء عينيها على الطريق. قد لا تكون هي وسكارليت على وفاقٍ، غير أنها كانت شقيقتها الكبرى وأعز صديقات تيفاني. رنَّ الهاتف بضع مرات ثم تحولت المكالمة للبريد الصوتي.

«اللعنة»، أنهت فيفي المكالمة ثم ضربت رأسها في مسند المقعد خلفها. انتبهت على صوت الجي بي إس مشيرًا إليها بالانعطاف، وسلكت المخرج متوجهة إلى سافانا.

بالطبع لم ترُد عليها سكارليت. إذ إن فيفي لم تجرحها فحسب، بل خانتها. بعد كل هذا الحديث حول تقديرها البالغ للغربان وللأخوية، طعنت فيفي على الفور شقيقتها الكبرى في ظهرها. سوف يجب عليها التوصل إلى أفضل طريقة للاعتذار والتكفير عن ذنبها لاحقًا. ولكن في هذه اللحظة، كل ما كان يهم هو أن تعيد الطلسم وتنقذ تيفاني.

نقرت فيفي على هاتفها مجددًا، وأخذت تنقل بصرها بينه وبين الطريق، ثم اتصلت برقمٍ مختلفٍ.

وبخلاف سكارليت، ردت داليا من أول مرة قائلة: «كيف سار الأمر؟».

قالت وهي تدخل في صلب الموضوع مباشرة: «لقد حصلت على الطلسم».

على الطرف الآخر من الخط، شهقت داليا بقوة، رغم أنها عادةً ما تكون باردة الأعصاب وقالت: «إذًا لقد كان في حوزة أمكِ؟».

أجابتها فيفي وهي ترتجف من فرط الشعور بالخزي: «يبدو أنها من سرقته من الكابا هاوس من الأساس. يمكنني أن أشرح لكِ الموضوع بمزيدٍ من التفصيل عندما أصل إلى المنزل».

- ليس هناك وقت لذلك.

خاطرت فيفي بالنظر بارتباكٍ إلى شاشة الهاتف: «ليس هناك وقت للشرح؟».

- لا. أقصد أن ليس لدي وقت للعودة إلى المنزل. إنني أجمع المكونات التي نحتاجها لإتمام تعويذة الاستنساخ. لقد كنت على وشك الاتصال ببقية الشقيقات الآن.

هناك شيءٌ يتعلق بالطريقة التي تحدثت بها جعلت ضربات قلب فيفي تتسارع قليلًا، وأخذت كلمات أمها ترن في أذنيها: *«ليست لديكِ أدنى فكرة عن كم الحيوات التي سوف تخاطرين بها».*

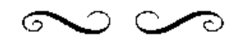
- لن نمنحه بالفعل لخاطفة تيفاني، أليس كذلك؟

- لا بالطبع (بدا أن داليا شعرت بالإهانة من مجرد التلميح للأمر) بواسطة الطلسم، سوف نملك قوى كافية وأكثر للعثور على تيفاني وحدنا. ثقي بي.

لقد وثقت بها فيفي بالفعل، لقد وثقت في جميع الغربان. لقد منحنها الشيء الذي تاقت إليه طوال حياتها، الشيء الذي لطالما افتقدته: مأوىً، مكانًا تشعر فيه بالانتماء، وعائلة حقيقية، عائلة لم تكذب عليها لسنواتٍ طوال.

- إلى أي مكان تريدينني أن أذهب؟

- سوف أراسلك بالموقع الآن. ولكن رجاءً أسرعي. إن الوقت يداهمنا.



هذه المرة، لم تواجه فيفي أي مشكلة في اجتياز الطريق، إذ إن السحر الذي استحضرته للعثور على الطلسم كان لا يزال يسري في عروقها، جاعلًا

إياها أكثر قوة وثقة وهي تكبّر صورة الموقع الذي أرسلته داليا إليها. تفقدت فيفي مرة واثنتين موقع الدبوس الذي تركته داليا لها على الخريطة، ولكن مهما كان عدد المرات التي أعادت فيها تحميل الصفحة، ظل مكانه. لقد كان في منتصف إحدى الغابات، ما بدا غريبًا. ولكن ربما لزم إجراء التعويذة في مكانٍ كهذا؟

سلكت المخرج المحدد وانعطفت نحو طريقٍ ضيقة ثنائية الاتجاه، تصطف على جانبيها أشجار طويلة. لقد بدا كما لو كانت داليا قد أرسلتها إلى الكابا هاوس ولكن من طريق خلفية، عدا أن الدبوس استقر في منتصف الغابة خلف المنزل. واصلت السير لبضعة أميالٍ أخرى، حتى استحالت الطريق الأسفلتية إلى طريقٍ مغطاة بالحصى، ازدادت فيها الأشجار كثافة، لدرجة أنها حجبت وهج النجوم الخافت.

انتهت الطريق عند موقف سيارات قذر وصغير. لم تكن هناك أي سياراتٍ أخرى، ولوهلة، فكرت فيفي في انتظار داليا هنا. غير أن الدبوس الذي ثبتته على الخريطة من أجلها كان يبعد عن هذا المكان نحو نصف ميل.

فكرت فيفي في أن داليا قد تكون ركنت سيارتها في مكانٍ آخر وأنها كانت في انتظار فيفي بالفعل في الغابة. تفقدت هاتفها لترى ما إذا كانت داليا بعثت إليها بأي رسالة، غير أنه لم تكن هناك إشارة ولا وقت لتضيعه. صعدت فيفي منحدرًا شاهقًا، وأخذت تخطو بحذرٍ على الصخور وجذور النباتات وهي تشق طريقها نحو المكان المُعلَّم بالنقطة الصغيرة على شاشة هاتفها. خيَّم الظلام على كل شيءٍ حولها، في البداية أمكنها أن تلمح رقعًا صغيرة من السماء المزينة بالنجوم عبر أغصان الأشجار السميكة، غير أنها كلما توغلت أكثر في الغابة، بدا أن السماء تُحجَب عنها شيئًا فشيئًا.

ثقل وزن طلسم هينوسيس كثيرًا داخل جيب فيفي. كل خطوة أخذتها شعرت به يصطدم بفخذها. كتذكيرٍ مستمرٍ على سبب مجيئها إلى هنا.

«ويسترلي ليست مكانًا آمنًا. ليس للأشخاص أمثالكِ».

«لا تعلمين ما الذي تفعله السلطة بالناس. لا يمكنكِ الوثوق في من يعرفن بساحرات الأخوية».

لقد بدا كما لو أن عقلها شغَّل أعظم أغاني دافني ديفيرو على وضع التكرار، كل الأشياء التي قالتها لتثبط من عزيمة فيفي، لتجعلها تشك في نفسها وفي شقيقاتها وفي صديقاتها. ورغم ذلك، كانت دافني ديفيرو طوال كل ذلك الوقت هي من خذلت الجميع، كانت من خانت شقيقاتها وسرقت أغراض من الكابا منذ تلك السنوات الطوال. ولكن ليس بعد الآن. سوف تصحح فيفي أخطاء أمها.

كانت النقطة الزرقاء على وشك أن تستقر فوق الدبوس الأحمر الذي تركته داليا من أجلها.

صاحت فيفي قائلة وهي تشعر بشيءٍ من السخافة إذ أخذ صوتها يتردد في أرجاء الغابة: «مرحبًا، هل أنتِ هنا يا داليا؟».

والآن وبعدما توقفت عن الحركة، أدركت كم كان المكان هادئًا بصورة غريبة. لم تكن هناك طيور تغرد، ولا صوت حفيف أوراق الشجر. استدارت فيفي ببطءٍ وأخذت تتلصص عبر الأشجار. لقد كانت إضاءة كشاف هاتفها الضعيفة غير كافية لمساعدتها على الرؤية. صاحت مجددًا: «داليا؟».

وحاولت ألا تُظهر خوفها المتزايد في نبرة صوتها. لقد كانت بطارية هاتفها موشكة على النفاد قريبًا. وعندما استدارت مرة ثانية لمحت أرضًا واسعة مقطوعة الشجر. لقد تناثرت على الأرض أوراق شجر حمراء وبُنية. كان الخريف قد بدأ للتو، غير أن الأوراق بدت ميتة بالفعل وكأنهن كُنَّ في أواخر فصل الشتاء. وضعت فيفي هاتفها منتهي البطارية جانبًا وهمست: *«أهيب بملكة الصولجان أن تُريني عجائب قدرتها وتنعم عليَّ بضياء النهار».*

وبعدها بلحظة، ظهرت شعلة صغيرة مرتعشة فوق كفها. بذراعٍ ممدودة، شقَّت طريقها نحو الأرض القاحلة وارتجفت إذ إن درجة الحرارة أخذت في الانخفاض. لقد كانت تتصبب عرقًا طوال رحلتها في الغابة، والتصقت الرطوبة على نحوٍ غير مريحٍ ببشرتها الندية.

وعندما اقتربت أكثر، رأت أن الأرض القاحلة قد جهزت لإجراء طقسٍ ما كما قالت داليا. غير أن فيفي عجزت عن تمييز معظم الأغراض هنا. لقد كانت هناك شموع، ولكن بدلًا من الشموع المدببة الأقصر التي استخدمتها الغربان

في إجراء التعاويذ، طوَّقت شموعٌ طويلة وأسطوانية كومة أوراق الشجر الجافة.

كان هناك مرجل كالذي أبقته إيتا في المطبخ، غير أن النقوش المحيطة به لم تشبه النجمات الخماسية، أو أي رمز عرفته. لقد كانت تلك الرموز حادة ومتعرجة وكأنها حروف من لغة أجنبية.

ارتجفت مرة أخرى، وفجأةً غمرها نفس الشعور البارد الغريب الذي أحسَّت به عندما نظرت إلى الدمية في قسم الأرشيف.

- داليا؟ (لقد كان صوتها أقرب إلى الهمس الآن) أين أنتِ؟

أخذت خطوة أخرى للأمام وطُحنت أوراق الشجر تحت قدميها. أوراق الشجر وشيء أكثر صلابة تحطم تحتها وكأنه غصن شجرة. اختلست فيفي النظر للأسفل وشعرت بأنفاسها تتجمد داخل صدرها. عظام. لقد كانت تسير عبر أكوامٍ وأكوامٍ من العظام البيضاء. عظام صغيرة كعظام الفئران أو الأرانب، وعظام أكبر أيضًا. عظام فخذ أكبر من أن تنتمي إلى حيوانٍ صغيرٍ. أكبر كثيرًا...

صوت *طقطقة آخر*. تحطمت عظمة أخرى خلفها، وتصلَّب جسد فيفي بأكمله عدا قلبها، الذي أخذ يدق كما لو أن حيوانًا بريًّا كان يحاول أن يشق طريقه خارج صدرها.

قالت داليا من خلفها: «فيفيان. كم أنا سعيدة أنكِ تمكنتِ من المجيء».

استدارت فيفي سريعًا في الوقت المناسب لتلمح ابتسامة الفتاة الأكبر الخبيثة.

ثم أصابتها تعويذة في منتصف صدرها وأظلمت الدنيا من حولها.



الفصل الرابع والثلاثون

سكارليت

لم تقدر سكارليت على الإشاحة بنظرها عن شبح الفتاة الماثل أمامها. لقد أخذ يتمايل، وأخذت ألسنة الدخان السوداء تتكون مرة بعد مرة، ولمعت القلادة الياقوتية حول عنقها. في الماضي، شعرت سكارليت أن سحرها مطاوع كالماء، باستثناء تلك اللحظة التي كادت تفقد السيطرة فيها بينما كانت تستدل على نوايا غوين، فهي لم تشعر بشيءٍ بمثل تلك القوة من قبل. وبتأمل ما فعلته هي وشقيقاتها، بتأمل هذا الكائن المخلوق من السحر والإرادة، شعرت بشيءٍ من الرهبة. أخذت نفسًا عميقًا وأملت أن تكون الخطوة التالية موفقة كالأولى.

وقبل أن يتسنى لسكارليت أن تقول أي شيء قالت لها مِي: «سوف آتي معكِ». عندما فتحت سكارليت فمها لتعترض، وقفت مِي إلى جانبها وأردفت: «تيفاني شقيقتي أيضًا».

كانت سكارليت ومِي أكبر طالبتين متبقيتين في الكابا هاوس الآن. لقد تفهمت سكارليت سبب رغبتها في المجيء. حتى ولو لم تحبذ فكرة مخاطرة أي أحد آخر بحياته.

ظلت الفتيات الأخريات واقفاتٍ في أماكنهن في الدائرة، وعيونهن متسعة من فرط الذهول بينما أخذن يحدقن إلى شبح الفتاة، الذي كان لا يزال يشير إلى الأبواب. يشير إلى تيفاني.

عرضت إيتا مرافقتهما قائلة: «سوف آتي أيضًا».

غير أن سكارليت هزت رأسها اعتراضًا.

عقدت ريجان ذراعيها وقالت بتذمر: «ينبغي لنا جميعًا الذهاب. إن الغربان لا ينفصلن عن بعضهن بعضًا. أليس هذا ما قلتِه لنا؟».

قالت سكارليت: «ينبغي لكُنَّ البقاء هنا لمواصلة فعل التعويذة. لا أعلم كم من الوقت سوف تدوم التعويذة ويجب أن أكون قادرة على تتبعها إلى أن أعثر على تيفاني».

قالت سونالي: «من ناحيتي، أقترح ألا تذهب أيٌّ منكن إلى هناك.. دعونا ننتظر إلى أن تعود داليا على الأقل».

التفتت سكارليت إلى ريجان قائلة: «سوف أذهب للعثور على تيفاني. الآن. هذا شيءٌ أنا بحاجة لفعله لأجلي، وليس لأجل الكابا فقط».

في مكانٍ ما في أعماق ذهنها أمكنها سماع صوت داليا يقول: *«إنكِ لا تتصرفين كما يليق برئيسة الآن».*

ولقد كانت محقة. إذ إنها سوف تهرب في ظلمة الليل الحالكة وتترك شقيقاتها دون إرشادٍ. غير أنها لم تهتم بمنصب الرئاسة ولا فعل التصرف السليم. لقد اهتمت بفعل الصواب.

تبادلت هي ومِي النظرات، وأومأت الفتاة الأخرى برأسها بشيءٍ من الرهبة.

قالت سكارليت: «أيها الظل ثق بي وخذني إلى تيفاني».

كررت مِي الكلمات وتبعتها الفتيات الأخريات إلى أن ملأت أصواتهن الهواء.

انفتحت الأبواب من تلقاء نفسها على ما يبدو وأخذ الظل يتحرك تجاهها. لقد نجحت التعويذة.

قالت سكارليت لِمي وهي في شدة الاستعجال: «ابقي هنا وأغلقي الأبواب، ولا تسمحي لأي أحدٍ بالدخول الليلة ما لم يكن من الغربان».

لا بد أن ينجح هذا. لا بد أن يعثر شبح الفتاة على تيفاني.

خرجت سكارليت في ظلام الليل وأخذت تتعقب الشبح عبر الباحة الخلفية، وسمعت صوت قرع الأبواب خلفها بقوة. أخذت نذر العاصفة تتجمع فوقها، منخفضة وكثيفة. وبدا الهواء الرطب وكأنه حساء. لقد سبحت فيه

فعليًا وهي تتبع الشبح عبر الباحة الخلفية، متجاوزةً متاهة الأشجار المشذبة بعناية وصولًا إلى مدخل الغابة التي طوَّقت حرم ويسترلي الجامعي.

أصدر الطحلب الإسباني لأشجار البلوط حفيفًا في مهب الريح، واحتكَّت الأغصان ببعضها بعضًا مُصدِرةً صوتًا أشبه بصوت القيثارات المعطلة. ومن بعيد دوى صوت الرعد. لم يكن المطر موشكًا على الهطول بعد، رغم أن الهواء الرطب استجدى حدوث ذلك.

دعا شبح الفتاة سكارليت للتقدم للأمام، مشيرًا إلى منطقة معتمة تقع خلف الأشجار. تصاعدت حلقات من الضباب الكثيف من الغابة بالأسفل. تمكنت سكارليت بالكاد من رؤية الطريق بوضوح كي تمنع قدميها من أن تعلق في خمائل الأشجار وجذورها مترامية الأطراف.

تبعث بحذر شبح الفتاة الذي طفا أمامها وتوهجت قلادته الياقوتية وكأنها منارة. بعدما مشت بضع خطوات أخذت تتلفت حولها بقلق. كانت أضواء الكابا هاوس قد تلاشت بالفعل، إذ إن الأشجار ابتلعتها. لقد عجزت عن رؤية أي شيء. أخرجت هاتفها ونقرت على زر الكشاف، وأجرت مسحًا شاملًا لأرضية الغابة... بحثًا عن ماذا؟ جثة تيفاني؟

لم يسع سكارليت السماح لنفسها بمجرد التفكير في ذلك. لقد كان الأمر أشبه بالخيانة. *كانت تعويذة الاستدلال لتخبرنا بذلك. كانت لتمنحنا أي علامة على أنها كانت ميتة بالفعل.* إلا إذا كان ظل الفتاة يقودها نحو جثة صاحبته. *إنها بخير، لا بد أنها بخير.* غير أن الصورة الوحيدة التي لاحت في ذهن سكارليت هي صورة غوين. الخواء الرهيب في عينيها والدخان الذي تصاعد من شفتيها.

تكاثف الضباب واستحال إلى سحب لونها أبيض رمادي. وكان قميصها يرشح عرقًا والتصق بصدرها وظهرها. ورغم هذا، ظلت القلادة تتوهج، والشبح يواصل التحرك ويحثها على التوغل أكثر في الغابة.

لقد تبينت قوام الشبح بصعوبة وسط دوامات الهواء، وأخذ الشبح يذوب وسط حلقات الضباب. غير أن ضوء كشاف هاتفها ارتدّ بطريقة غريبة على سحب الضباب، ما جعل رؤية ما وراءها مستحيلًا، وكأن أضواء سيارة

ساطعة سُلِطت على عينيها وسط عاصفة. اللعنة، إنها تعجز حتى عن رؤية يديها بوضوح.

كان الشيء الوحيد الذي يجذبها إلى الأمام هو القلادة المتوهجة، التي أخذت تتحرك بثباتٍ في اتجاهٍ واحدٍ، متوغلة أكثر في الغابة. تسارعت نبضات قلبها وأخذ صداها يتردد بقوة في أذنيها. وفجأةً ودون أي إنذار، تلاشت القلادة أيضًا. أخذت سكارليت تسب وتلعن بصوتٍ غير مسموعٍ. لماذا توقفت التعويذة عن العمل؟

«تيفاني!»، رفعت صوتها عاليًا بقدر ما جرؤت، غير أن الغابة لم تستجب لندائها.

حاولت أن تتواصل ذهنيًا مع تيفاني قائلة: *«أرجوكِ يا تيفاني...»*.

عندما لم يعاود الشبح الظهور، حاولت أن تتواصل ذهنيًّا مع ميني، وهي لا تتوقع ردًا ولكن ترغب فيه، إذ إنها كانت في حاجة ماسة لمرشدتها. *أرجوكِ ساعديني في العثور عليها*. أخذت تدور حول نفسها سريعًا مرة بعد مرة. لم تعرف حتى من أي جهة دخلت إلى الغابة. والآن لم يعد هناك سبيل للمضي قدمًا.

أين كان الظل؟ أين كانت صديقتها؟ بقيت ثابتة في مكانها وقد أرهفت سمعها. غير أن سكارليت عجزت عن سماع أي شيء. لا صوت وقْع أقدام ولا أصوات هامسة. كلما طالت وقفتها، علت أصوات الغابة من حولها، حفيف الأشجار ودوي آخر للرعد، توّاق وطويل.

وفجأةً ولجزءٍ من الثانية، أضاء بريقٌ ساطعٌ الغابة. إنه البرق. منذ اللحظة التي خرجت فيها سكارليت وسط الضباب، وهي تتساءل ما إذا كانت هي المتسببة في ذلك؟ هل كان البرق استجابة لاستغاثتها؟ أم أنه كان علامة على فقدانها لسيطرتها؟ وفجأةً لمحت سكارليت أضواءً بعيدة تلوح في الأفق.

أضاء وميض آخر من النور طريقها وسط الغابة تجاه الأضواء البعيدة. إنها نيران، لقد خمنت ذلك استنادًا إلى الطريقة التي أخذت تختلج بها وتتراقص، وألسنتها الذهبية المائلة للحمرة تقطع ظلام الغابة.

لقد كان هناك شخصٌ غيرها هنا. شخصٌ معافى بدنيًّا بما فيه الكفاية لإشعال النيران. *تيفاني*. كاد قلبها ينفجر من فرط الأمل الذي اعتمل بداخله.

إنني قادمة يا تيفاني. تعهدت بهذا، وقد أملت أن تتمكن صديقتها من استشعار وجودها. ركزت على هذه الفكرة عوضًا عن التركيز على الشعور بالخوف الذي أخذ يتسلل إليها. ذلك الشعور المُلِح بأن *هناك شيئًا خاطئًا جدًا جدًا يحدث هنا*.

واصلت الاندفاع إلى الأمام عبر الأشجار تجاه ألسنة اللهب المتراقصة. متوغلة بصورة أكبر في المجهول ولكن مقتربة أكثر من صديقتها. أو من ما تبقى منها.



الفصل الخامس والثلاثون

فيفي

كان أول شيء وعت عليه فيفي هو انغراس شيءٍ حادٍ في جنبها، وكأنها غفت أعلى هاتفها المحمول. ثم شعرت بالبرودة. أخذت ترتجف، غير أن حركتها المفاجئة تسببت في ارتجاج رأسها بصورة مؤلمة. سرى تيار كهربائيٌ في جسد فيفي عندما أدارت رأسها بسرعة، وقد أصبحت فجأةً في حالة من اليقظة والاهتياج، غير أن شيئًا ما منعها من النهوض. لقد بدا الأمر وكأن أثقالًا خفية كانت مربوطة في ذراعيها وساقيها.

أدارت فيفي رأسها إلى الجانب وشعرت باحتكاك الحشائش القاسية بجلدها. لقد كانت لا تزال في الأرض القاحلة باستثناء أن السماء كانت حالكة الظلام. كان مصدر الإضاءة الوحيد هو الشموع المختلجة التي رُتِّبت على هيئة دائرة حولها. كان من المفترض أن يبعث هذا المشهد على الطمأنينة، غير أنه عوضًا عن الشموع القصيرة المدببة التي اعتادتها، كانت هذه الشموع غليظة وطويلة وقد تناثرت بصورةٍ عشوائية وكأنها أسنان دامية. أما العظام البيضاء التي رأتها سابقًا فقد رُتِّبت بعناية حول الدائرة خالقةً تأثيرًا أشبه بتاج الهلاك.

كانت داليا جاثية على ركبتيها على بُعد أمتارٍ قليلة، تدهن شيئًا ما وسط الحشائش. في ذلك الضوء الخافت، تمكنت فيفي من أن تلمح يدين ملطختين باللون الأحمر. انحبست أنفاسها الضعيفة في صدرها عندما أدركت ما

كانت داليا تفعله. لقد كانت ترسم نجمة خماسية. بالدماء. بوجود فيفي في منتصفها بالضبط.

بقلبٍ خافقٍ بقوة، جاهدت للوقوف غير أن معصميها وكاحليها كانت مربوطة معًا بواسطة قوى خفية. تمتمت بتعويذة للهروب كانت سكارليت قد علّمتها إياها، غير أنها عندما حاولت أن تستحضر سحرها، لم يسرِ ذلك التيار المألوف في أصابعها. حاولت مرة أخرى غير أن تلك البادرة بدت جوفاء وعديمة الجدوى، كتمرير الأصابع على شاشة هاتف نفد شحن بطاريته.

قالت داليا بسرور: «أوه، لقد استيقظتِ».

وكأن فيفي هبطت الدرج للتو لتناول الإفطار في الكابا هاوس، عوضًا عن كونها استعادت وعيها في منتصف إحدى الغابات.

- داليا؟ ما الذي يحدث؟

لقد كان من الغباء طرح سؤال مماثل غير أن جزءًا ضئيلًا بداخلها كان لا يزال يعتقد أن هناك تفسيرًا منطقيًّا للأمر. ربما كان مجرد طقس سحريٍّ غامض خرج عن السيطرة قليلًا. ولكن فجأةً استقرت عيناها على عنق داليا واجتاحها شعور بالخوف.

لقد تدلى طلسم هينوسيس من عنق داليا.

قالت فيفي بوهنٍ: «لقد أردتِه لنفسكِ».

عندما استرجعت وصف سكارليت للطلسم. *للاستحواذ على قوى ساحرة أخرى، ينبغي لكِ قتلها.*

هزت داليا كتفيها بلا مبالاة قائلة: «أتمنى أن تكوني مدركة أن هذه ليست مسألة شخصية، بعكس ما كان الأمر مع غوين. الفزاعات... بطاقات التارو... لقد بدا أن لا نهاية لأفعالها. لقد ظلت تتوصل إلى طرقٍ جديدة لإثارة الجلبة حتى وهي خرساء. لقد اضطررتُ إلى التخلص منها قبل أن تدمر الكابا هاوس بكل من فيه».

- *لقد قتلتِ غوين؟*

بحلول تلك اللحظة كانت فيفي قد علمت سابقًا أن هذا تم بالفعل، ولكنها عجزت عن إخفاء نبرة الدهشة في صوتها. إن داليا، رئيسة الكابا، *قتلت* ساحرة أخرى.

مدَّت داليا يدها للحصول على شيء ما مُلقى على الأرض، ثم أمسكت بخنجر صدئ علقت في حافته أوراق أشجار ميتة.

- نعم. ولقد استمتعت بقتلها أيضًا. ولكن صدقيني الأمر مختلف معكِ. أنا لا *أرغب* في قتلكِ فعلًا.

- إذن، لا تقتليني. لستِ مضطرة إلى فعل هذا.

بذلت فيفي قصارى جهدها كي تبدو عقلانية، رغم أنها شعرت أن استجداءً يائسًا من جانبها لن يكون له تأثير كبير في فتاة قتلت من قبل بالفعل.

قالت داليا بأسى: «آسفة يا فيفي، ولكنكِ أقوى ساحرة نجمة خماسية قابلتُها على الإطلاق»، مررت أصابعها على السكين، مزيلةً أوراق الأشجار الميتة، ثم أخذت خطوة للأمام ووضعت نصل السكين على عنق فيفي قائلة: «أنا بحاجة إلى سحرك. ولكن أعدك أنني سوف أجعل الأمر سريعًا وغير مؤلمٍ قدر استطاعتي».

سكتت داليا وقطَّبت جبينها ثم أردفت: «حسنٌ، سوف أجعل الأمر سريعًا في جميع الأحوال. رغم أنني لا أظن أنه من الممكن أن يُنتَزع قلب أحدهم النابض دون الشعور *بقليلٍ* من الألم».

غمر فيفي الشعور بالفزع الذي حاولت جاهدة أن تحتويه بداخلها، وصرخت وأخذ صوتها يتردد صداه في أرجاء الغابة الخاوية إلى أن طغت عليه أصوات دوي الرعد.

تنهدت داليا وأبعدت السكين قائلة: «اصرخي كما شئتِ، لن يسمعكِ أي أحد هنا».

استمري في الكلام فحسب، فكرت فيفي في هذا وقد غلبها اليأس. كلما تماطل أكثر، سوف تزيد فرص الغربان في العثور عليها.

- لأي شيء تحتاجين قواي؟

- أحتاج سحر الفئات الأربع لأجري تعاويذ بعينها. لا مزيد من الانتظار لاكتمال القمر لإجراء تعاويذ سخيفة. ولن تكون هناك حاجة لاستعارة قواي أو استجدائها من الآخرين.
- إذًا كل شيء قلتِه عن التآخي مجرد كلام فارغ، أليس كذلك؟ أنتِ لا تؤمنين بأننا نكون أقوى معًا، صحيح؟
- التآخي؟ (ارتسمت على وجه داليا ابتسامة سخرية وأردفت قائلة) عندما كنتُ في حاجة ماسة لمن يطلق عليهن شقيقاتي، لم تساندني ولا واحدة منهن. عندما توسلت لاستعارة سحرهن، أدرن ظهورهن لي. لم يتركن لي خيارًا آخر.
- إن عضوات الكابا يعشقنكِ. وحتى لو لم يكن ذلك صحيحًا... لا يمنحكِ هذا الحق في فعل ذلك بأي أحد. وماذا عن تيفاني؟ (سألتها فيفي ذلك وهي تحضر نفسها لسماع الحقيقة المؤلمة) هل قتلتِها؟ هل سلبتِها قواها؟

لقد أصابت فكرة سريان قوى الساحرات المتوفيات في عروق داليا فيفي بالغثيان، لقد كان ذلك أشبه بتخيُّل اقتلاع مقلتَي عينَي شخصٍ ما ووضعهما في محجرَي عينيها.

- أتعلمين؟ أظن أنني أخذت أكثر من كفايتي من الدردشة.

فرقعت أصابعها لتلتصق شفتا فيفي ببعضهما بعضًا. حاولت فيفي أن تصرخ غير أن تلك المحاولة أسفرت عن ألمٍ مبرحٍ. رفعت ذراعيها قدر استطاعتها ومررت بصعوبة ظهر يديها المقيدتين على فمها. لقد كان مخيطًا بخيطٍ سميك.

قالت داليا بصوتٍ رخيمٍ وهي تمرر الخنجر فوق إحدى الشموع: «والآن استرخي. سوف ينتهي كل شيء خلال دقيقة. أحتاج فحسب أن أبقي قلبكِ نابضًا لفترة كافية حتى أنتهي من نقل القوى. ثم سأقتلكِ بأقصى سرعة ممكنة. ليست لدي أي رغبة في إطالة معاناتكِ، أعدكِ بهذا».

اجتاحت فيفي موجة من الرعب والغثيان وهي تتخيل نفسها ممددة في منتصف النجمة الخماسية تراقب داليا بلا حول ولا قوة وهي تغرس السكين

في صدرها وتنتزع قلبها الذي لا يزال نابضًا. هل ستفقد وعيها من فرط الألم؟ أم أنها سوف تظل في كامل وعيها وهي تنزف حتى الموت، وحدها في الغابة، مهجورة من قِبل الشقيقات اللاتي خذلتهن؟

لقد تخيلت أمامها صورة أمها وهي تتلقى مكالمة من جامعة ويسترلي، يخبرها فيها أحد المسؤولين أن هناك حادثة وقعت. شقَّت نهنهة طريقها خارج حلق فيفي وهي ترى وجه دافني أمامها يتلوى وقد أخذت تهمس قائلة: «لا، لا، لا»، وهي مستندة على الجدار إلى أن تخونها قدماها وتنهار على الأرض. وتقضي لياليها على الأريكة وهي تبكي، وتتشبث بأحد حيوانات فيفي المحشوة التي تركتها خلفها، الجزء الوحيد من ابنتها الذي تبقى لها.

فكرت في شقيقاتها اللاتي لن تواتيها الفرصة أبدًا لتصحيح الأوضاع معهن. ورغمًا عنها، تخيلت وجه مايسون وهو يستمع إلى نسخة الخبر الذي سوف تقرر الكابا أن تتناقلها، أيًا كانت. ذلك المزيج من الأسى والألم الذي سوف يغمره لخسارته الفتاة التي لم تسمح له بأن يحبها.

مدَّت داليا يديها وأمالت رأسها نحو السماء، وأخذت تترنم بلغة عجزت فيفي عن تمييزها. وكلما علا صوتها، ارتفعت ألسنة اللهب أكثر إلى أن بدت الشموع وكأنها مشاعل عملاقة تطلق الدخان في الهواء. شاهدت فيفي بهلعٍ ممتزجٍ بالانبهار ألسنة الدخان وقد أخذت تلتحم وتتكاثف مكونةً أشكالًا لثلاثة طيور هائلة الحجم بعيونٍ سوداء ومناقير حادة.

الغربان.

ارتفعت الطيور في الهواء وأخذت تحوم وتستعد للانقضاض على فيفي، وأطراف أجنحتها يتسرب منها الدخان في أثناء هبوطها. حاولت أن تصرخ، ولكن مرة أخرى لم يصدر أي صوت. عجزت عن الصراخ. عجزت عن استخدام سحرها. لقد كانت بلا حيلة... وموشكة على الموت.

حط الغراب الأول على بطنها بثقلٍ مفاجئٍ اقشعر له بدنها. *إنها مجرد تهيؤات*، حاولت فيفي إقناع نفسها بذلك. *لا يمكنه إيذاؤكِ فعليًا*. ولكن فجأةً أمال الطائر رأسه إلى الأمام، غارسًا منقاره في صدرها ومخترقًا جلدها. ثم حط طائرٌ آخر على كتفها وأخذ ينقر صدرها من جهة ثانية.

أخذت فيفي تتلوى من جانبٍ لآخر محاوِلةً إخافتهما والتخلص منهما، غير أن نقرهما أصبح أشد قوة وألمًا. ومع كل ضربة انغرس منقاراهما بصورة أعمق في جلدها. لقد كانا موشكَين على تمزيق صدرها والكشف عن قلبها.

فكرت فيفي في تعويذة وأخذت تصرخ بالكلمات داخل رأسها: *«أهيب بالإمبراطور والإمبراطورة أن يساعداني في محنتي»*.

لقد كانت تعويذة شاملة علّمتها سكارليت إياها، تضرعًا قويًا يمكن أن يستخدم في أي حالة طارئة. ولكن دون بطاقات فيفي وقدرتها على الحديث، لم يكن هناك ما في وسعها فعله. لقد كانت خبرتها في السحر لا تُعينها على ممارسة السحر باستخدام عقلها فقط. لم يكن هناك من سبيلٍ للتحرر من الأغلال السحرية التي وضعتها داليا حولها.

رفعت داليا ذراعيها أكثر لتزداد سرعة نقر الطيور. شعرت فيفي بالدماء تسيل على مقدمة قميصها إذ إن النقر تعمق أكثر في جلدها. لقد كان الألم بالفعل أكثر من قدرتها على الاحتمال. استحال ترنيم داليا إلى صراخ. أمالت رأسها أكثر نحو الفضاء وأخذت تصيح في السماء المظلمة مباشرةً. اخترقت الغيوم صاعقة قوية من البرق برتقالية اللون، وبعدها بلحظة زلزل دوي الرعد الأرض. باتت رائحة الهواء نفاذة ولاذعة، ومثقلة بدخان السحر الأسود الخانق.

اخترقت صاعقة برق أخرى السماء، وأخذت أطراف أصابع داليا تتوهج. ضحكت واستدارت وتطاير شعرها حول وجهها، وصاحت وهي تتشبث بالطلسم قائلة: *«أهيب بالموت والبرج أن يحصدا روح هذه الساحرة ويمنحاني قواها»*.

أخذ شيءٌ ما ينساب عبر فيفي. في البداية ظنت أنه مزيد من الدماء، غير أنه كان ينساب من أماكن لم تمسها الطيور. حاولت أن تلتفت برأسها يمينًا وشمالًا كي تلقي نظرة فاحصة، غير أنها كانت لا تقوى على الحركة.

لقد كانت تحتضر ولقد كانت داليا تستحوذ على سحرها.

«أهيب بالموت والبرج أن يحصدا روح هذه الساحرة ويمنحاني...».

سكتت داليا إذ إن الوهج البرتقاليّ أخذ يتلاشى من أطراف أصابعها. أنزلت ذراعيها واستدارت وأخذت تبحث في أرجاء الغابة المظلمة عن مكمن الخطأ.

انطلقت صاعقة برق أخرى فوقها، وخطت سكارليت داخل الدائرة. كانت عيناها السوداوان متقدتين بالغضب والسحر المحتدم، وبدا كما لو أن بشرتها تتوهج من الداخل. هرعت إلى الأمام لتواجه داليا، غير مبالية بعدة السحر الأسود المروعة.

- لا أصدق أنكِ كنتِ وراء كل شيءٍ منذ البداية.

ولأول مرة في تلك الأمسية، يلوح على وجه داليا شيء أشبه بالخوف.

- سكارليت، انتظري...

قاطعتها سكارليت برفعها لذراعيها. استجابت الرياح لها على الفور. وانكسرت أغصان الأشجار وقد أخذت تحتك ببعضها بعضًا، وشرع المطر في الهطول، خفيفًا في البداية، ثم فجأةً أقوى كثيرًا، آخذًا في الانهمار بغزارة مُطفئًا كل الشموع.

وبعدها بلحظة تلاشت الطيور وزفرت فيفي بارتياحٍ.

سألتها سكارليت: «ما الذي فعلتِه بتيفاني؟».

رفعت داليا يديها وأضيئت الشموع مرة أخرى، وتضاعف لهيبها وأصبحت أطول ثلاث مرات مما كانت. وفي وهج النار، اتخذ وجهها هيئةً غريبة، وكأنه كان يتلوى ويتخلص من هيئته الحالية.

أخذت داليا تصيح بصوتٍ عالٍ كي تُسمَع وسط أصوات المطر والرياح، غير أن صوتها كان محملًا بنبرة استعطافٍ يائسة: «أنتِ لا تفهمين. دعيني أشرح لكِ الأمر».

- تشرحين لي؟ (بصقت سكارليت على الأرض، ثم التوى فمها اشمئزازًا وأردفت) مستحيل أن تشرحي لي سبب قتلكِ لأعز صديقاتي.

لوت سكارليت يديها الممدودتين لتطير داليا إلى الخلف. بعدها بلحظة ارتخت أطراف فيفي المتصلبة وتلاشت الأغلال الخفية التي ربطت معصميها

وكاحليها معًا. وبمجرد أن وقفت على قدميها بغير اتزان، شعرت بالقوى تتدفق في جسدها، كمياهٍ امتصتها موجات تسونامية متزايدة.

شعرت بالأرض تستجيب لعودة سحرها إليها. أخذت الأرض تهتز تحت قدميها وأوراق الأشجار تنتفض، وكأنها ترتعش تحسبًا لمناشدتها. غير أن فيفي عجزت عن التركيز على أي شيء عدا وجه داليا الذي بدا أنه يتحول. تقلص أنفها وتحوَّل لون عينيها وشعرها، وبدا أن تعويذة التخفي خاصتها كانت تفقد مفعولها، وكان تركيزها مشتتًا بين جهاتٍ كثيرة لدرجة أنها عجزت عن الحفاظ على قناعها.

شهقت فيفي وترنحت سكارليت إلى الخلف. وفوقهما حلَّقت زوبعة بعينها مُنذرةً بالشؤم على بُعد سنتيمترات قليلة منهما، غير أن أيًّ من الفتاتين لم تنتبه لها، لقد كانتا مذعورتين بسبب المنظر الماثل أمامهما.

إذ إن الشقيقة التي كانت تحدق إليهما لم تكن داليا.

لقد كانت تيفاني.



الفصل السادس والثلاثون

سكارليت

لو لم تشهد سكارليت على ذلك بأم عينيها، لَما صدَّقت ذلك قط. ولكن لم يكن هناك أدنى شك في هوية الفتاة الشقراء رقيقة القسمات التي كانت تقف قبالتها. لقد كانت أعز صديقاتها.

- ما الذي يحدث بحق الجحيم؟ لقد ظننت أنكِ ميتة.

ترقرقت الدموع في عينَي سكارليت غير أنها لم تكن واثقة ما إذا كانت تلك دموعها أم قطرات المطر، أم كليهما.

- أعلم وأنا آسفة على ذلك.

بدا صوت تيفاني واهنًا وبه مسحة من الندم عندما تهادى وسط عواء الرياح وصوت احتكاك أغصان الأشجار. انهمرت أوراق الشجر الرطبة على رؤوسهن وتلتها الأعواد الخشبية والأغصان. حام فوقهن شيء أشبه بالإعصار، نافضًا الحطام ومجمعًا إياها في دوامة. ثم تابعت: «كان عليَّ أن أجعل الأمر وكأنني أنا من اختفيت كي لا يعثر أي أحد عليها».

عليها؟ استحال شعور سكارليت بالارتباك إلى شعورٍ بالقرف عند تذكُّرها كل تلك الدماء في غرفة تيفاني. إذا كانت تيفاني نفسها بخير وقد أخذت تتنقل في كل مكانٍ متخفية في هيئة داليا لأيامٍ، فهذا يعني...

قالت فيفي، وقد أضحى جليًّا أنها توصلت لنفس الاستنتاج في نفس اللحظة: «لقد قتلتِ داليا».

قالت تيفاني وهي لا تزال مواجهة سكارليت: «لقد كنتُ بحاجة إلى قواها. لو تركتِني أشرح لكِ، ستفهمين كل شيء».

- أفهم؟

ارتفع صوت سكارليت وكاد يصل لدرجة من الهستيرية عندما أدركت أن أعز صديقاتها كانت تحاول تبرير *قتلها* لصديقتهما. داليا الجميلة الذكية القوية، التي وضعت مصلحة شقيقاتها فوق كل شيء. التي كانت تسهر طوال الليل لتساعدكِ على تحضير شراب للحد من قلق امتحانات منتصف الفصل الدراسيّ، أو تقود لأربع ساعات لتُقلكِ لو حوصرتِ وسط عاصفة ثلجية استثنائية، حتى لو كانت تلك العاصفة من صُنع يديكِ الغبيتين. لقد ماتت داليا، التي كانت واحدة من أكثر الساحرات موهبةً وإخلاصًا في جيلها. أُخمِدت بتهاون كشمعة في نهاية أحد الطقوس وبنفس القدر الضئيل من تأنيب الضمير.

- لا شيء يمكنكِ أن تقوليه من شأنه أن يجعل ذلك مقبولًا.
- حقًا؟ إذًا إليكِ هذا: لقد قضيتُ سنواتٍ أستمع إلى تلك الخطابات الوعظية عن تغليب الغربان لمصلحة شقيقاتهن على مصلحة أنفسهن، ولكن عندما احتجتكن جميعًا، لم يكن هناك أي أحدٍ من أجلي.
- ما الذي تتحدثين عنه؟
- كل ما رغبت فيه هو مساعدتها (تهدّج صوت تيفاني قليلًا ثم أردفت) لم يسع الأطباء فعل أكثر مما فعلوه بالفعل، لذا وجدت تعويذة في كتاب التعاويذ. لقد كانت إحدى تعاويذ الماجور أركانا، شيءٌ لم يسعني فعله وحدي، لذا ذهبت إلى داليا لأسألها ما إذا كان في الإمكان أن تشارك كل الموجودات في المنزل في إجراء تلك التعويذة.

إنها أمها، بالطبع. فزعت سكارليت عندما تذكّرت كم كانت فيرونيكا بيكيت نحيفة في حفل العودة. حاولت تيفاني آنذاك أن تتظاهر بالشجاعة، غير أن سكارليت علمت أن فيرونيكا كانت قد شُخِصت بالفعل بمرضٍ عضالٍ ولم يتبقَ لها سوى أشهرٍ قليلة لتعيشها.

استطردت تيفاني قائلة: «ولكن داليا لم تمنح نفسها حتى فرصة للتفكير في الأمر. لقد قالت إنها تعويذة عفَّى عليها الزمن، وأنها ابتُكِرت قبل أن يُعرَف حتى كيفية مداواة الأمراض، وأنها سوف «تعبث بالمجرى الطبيعيِّ للأمور». وكأن هذا سبب وجيه *لترك أمي تموت*».

لقد جعل الأسى الذي تخلل صوت تيفاني قلب سكارليت يعتصر ألمًا. لقد أدركت للتو كم المعاناة التي تكبدتها صديقتها وعائلتها. ولكن كانت هناك قوى بعينها لا يقدر أي أحد، حتى الساحرات على تغييرها، ولقد كان الموت من ضمنها.

سألتها سكارليت بهدوء: «هل كانت لترغب في أن تفعلي هذا من أجلها؟ هل كانت لترغب في أن تصبحي على ما أنتِ عليه الآن؟».

كانت تيفاني مبتلة بالكامل وشعرها المموج ملتصقًا بوجهها. غير أنها كانت تشع قوة. لقد شعرت سكارليت أنها كانت تنبع منها، مالئة الهواء برائحة عفن لاذعة. لقد كان ذلك ما يحدث عندما تدنسين سحركِ. صحيحٌ أن تيفاني قد تكون اكتسبت قدرًا غير طبيعيٍّ من القوى، غير أن كلفة ذلك كانت باهظة للغاية.

اخترقت صاعقة برق أخرى السماء، ولوهلة كل ما تمكنت سكارليت من رؤيته هو ضوءٌ أبيض يعمي الأبصار. وعندما تكيفت على الظلام مجددًا، وجدت تيفاني تطالعها بابتسامة حزينة جمَّدت الدماء في عروقها.

قالت تيفاني وهي تعبث بالطلسم المدلى حول عنقها: «لقد فات الأوان الآن. لقد جمعتُ قوى ثلاث فئات، فئتي وفئة داليا وفئة ساحرة كؤوس قابلتها هذا الصيف. كل ما أنا في حاجة إليه هو سحر فئة النجمة الخماسية، وبعدها سوف يتسنى لي فعل أي شيءٍ أريده». ثم التفتت إلى فيفي ونظرت إليها بتوقٍ.

وقفت سكارليت بين تيفاني وشقيقتها الصغرى قائلة: «لن تؤذي أي أحدٍ آخر، وبخاصة هي».

رفعت تيفاني حاجبها باستهزاء ثم رفعت ذراعيها اللتين كانتا قد أبقتهما إلى جانبها، وصاحت عبر الأمطار المنهمرة قائلة: «*أهيب بالموت والبرج أن يحصدا روح هذه الساحرة ويمنحاني قواها*».

جفلت سكارليت عند سماعها كلمات تلك التعويذة، لقد كانت تعويذة عرفتها جيدًا ولكن لم يسبق أن سمعتها تنطق بصوتٍ عالٍ. لقد كانت أخطر تعاويذ الماجور أركانا، تعويذة تتطلب مشاركة طائفة كاملة من السحرة لأدائها. ومن المؤكد أن تيفاني، حتى بعد سرقتها لقوى اثنتين من الساحرات، ما كانت لتقدر على فعلها وحدها. ولكن فجأةً أخذ الطلسم حول رقبة تيفاني يتوهج وملأت رائحة غريبة الهواء. استحال المطر المنساب على جلد سكارليت إلى شيءٍ سميكٍ ولزج. نظرت إلى ذراعها ثم شهقت وغطَّت وجهها واختلست النظر إلى السماء.

لقد كانت تمطر دماءً.

«تيفاني، لا»، حجب صوت الرعد صرخات سكارليت، بينما أطاحت بها الرياح العاتية، جاعلة توازنها يختل. كان هناك صوت تحطم شيءٍ ما، وتدحرجت إلى الجانب في الوقت المناسب متفادية سقوط غصن شجرة عملاق عليها. لقد كان الإعصار الذي استحضرته تيفاني يطيح بقمم الأشجار. إذا لم تعثر على ملاذٍ قبل أن تهبط تلك الجذوع على الأرض، سوف تقذف في الهواء مثلها.

صرخت تيفاني قائلة: *«أهيب بالموت والبرج أن يحصدا روح هذه الساحرة ويمنحاني قواها»*.

استدارت سكارليت سريعًا ووجدت فيفي طافية عن الأرض وأطرافها مرتخية وواهنة وكأنها دمية من القماش. لقد بدا أنها مُعلَّقة بخيطٍ خفيٍّ مربوط حول صدرها. لا يمكن، مستحيل. لاحظت سكارليت باشمئزازٍ ورعبٍ متزايدَين أن كتلة داكنة ظهرت فوق قميص فيفي الأبيض.

لقد كان قلبها.

صرخت سكارليت قائلة: «لا يا تيفاني، إياكِ».

غير أن دويًّا آخر للرعد حجب صرخاتها.

قالت بأنفاسٍ متقطعة: *«أهيب بالعدالة والقضاء، سليمَي البصيرة، أن يصححا مسار ما اعوجَّ من الأمور»*.

لم تكن هذه مجرد تعويذة استعطاف، بل استحضار قديم لاثنتين من أعظم القوى في التارو. غير أنها كانت إحدى تعاويذ الماجور أركانا أيضًا ولقد تطلبت سحر طائفة سحرية كاملة.

استحالت واجهة قميص فيفي إلى اللون الأحمر وقد لطختها الدماء، رغم أن سكارليت لم تكن واثقة ما إذا كان ذلك بفعل المطر... أم بسبب الضغط الواقع على قلبها وهو يجاهد داخل عظام صدرها أمام محاولات تيفاني المستميتة لانتزاعه من جسد فيفي.

أخذت سكارليت نفسًا عميقًا وهتفت بكل ما أوتيت من قوة: «*أهيب بالعدالة والقضاء، سليمَي البصيرة، أن يصححا مسار ما اعوجَّ من الأمور*».

غير أن السحر رفض تلبية ندائها. لقد كان ذلك مستحيلًا. لقد تمكنت تيفاني من فعل تعاويذ الماجور أركانا وحدها لسببٍ وحيدٍ، وهو السحر المنهوب الذي جرى في عروقها، والذي عززه وضاعف قوته الطلسم. لم تكن سكارليت ندًا لها. في خلال دقائق معدودة سوف تشهد على موت فيفي.

ذبل شيءٌ ما داخل سكارليت. لم يسبق لها في حياتها كلها أن شعرت أنها أكثر خواءً وعجزًا مما هي الآن. لقد كانت تلك النهاية. لقد خذلت فيفي، لقد خذلت داليا، لقد خذلت الجميع.

ولكن فجأةً شعرت بضغطٍ واقعٍ على كتفها كثقل يدٍ حانيةٍ لأحدهم. استدارت سكارليت سريعًا ولكنها لم ترَ أي أحدٍ، غير أن الضغط أخذ يتزايد، باعثًا بتيارٍ من الدفء في أوصالها. شعرت بقشعريرة تسري في جسدها لتدفق قوى جديدة بداخلها، مثلما كان يحدث عندما كانت تلقي التعاويذ برفقة شقيقاتها.

وبعدها بلحظة، وجدتها. لقد كانت مِي أول من هرول ناحية الأرض القاحلة، وتبعتها جولييت. وواحدة تلو الأخرى، توافدت عضوات الغربان على المكان، وباتت نظراتهن المرتبكة أو القلقة عنيفة بمجرد أن وقعت أعينهن على سكارليت وفيفي.

زمجرت تيفاني بغضبٍ، غير أن مِي وهازيل أمسكتا بيدَي سكارليت، وأخذ خوفها يتلاشى. لم تعد تشعر بعد الآن ببرودة هواء الليل الممتزج بالمطر. لم تعد واعية لأي شيءٍ بعد الآن سوى سريان تيار الطاقة المتزايد بداخلها، قادمًا

إليها من جميع الاتجاهات. لقد كانت شقيقات سكارليت معها. لقد أمكنها أن تشعر بقوى سحر جولييت الصافي النقي والتدفق المستمر لقوى جيس المُهوَّن من شأنها رغم قدرتها على إصابة أهدافها بدقة جراحٍ. شعرت بدغدغة سحر مِي، الذي بدا باردًا ومنعشًا كلما ألقت أي تعويذة. لقد ظنت سكارليت أيضًا أنها شعرت بوجود داليا وحِدة سحرها، الذي لطالما خلَّف وراءه رائحة دخانية ضعيفة، وبخاصة عندما يستمد طاقته من مشاعر غامرة.

صاحت مجددًا قائلة: *«أهيب بالعدالة والقضاء، سليمَي البصيرة، أن يصححا مسار ما اعوجَّ من الأمور».*

ولكن في هذه المرة، لم يضِع صوتها وسط عواء الرياح. لقد انضمت إليها جوقة من الأصوات الأخرى التي جعلت الكلمات تبدو عميقة وصارخة، أصوات شقيقاتها.

«أهيب بالعدالة والقضاء، سليمَي البصيرة، أن يصححا مسار ما اعوجَّ من الأمور».

أخذت سحب العاصفة تتلاشى، ولم تخترق السماء سوى صاعقة برق واحدة. أنير وجه تيفاني بضوء البرق، ورأت سكارليت وجهها يتلوى في ألمٍ بينما انفتح فمها مُصدِرًا صراخًا صامتًا.

أخذت تيفاني تتحسس جسدها بحثًا عن الطلسم، الذي كان لا يزال حول رقبتها غير أنه أخذ يطفو أمامها، مشيرًا إلى فيفي. ثم ارتدت سلسلته فجأةً، دافعةً تيفاني إلى الخلف وجاعلةً فيفي تتهاوى على الأرض.

وجَّهت سكارليت بعضًا من سحر شقيقاتها ناحية فيفي لتمنع سقوطها، غير أنها كانت تطفو على مسافة سنتيمترات قليلة من الأرض بالفعل، وبدا أن الدماء تلاشت من قميصها وأن تلك الكتلة البشعة ارتدت إلى صدرها مرة أخرى.

انفتحت عينا فيفي بمجرد أن لامست قدماها العشب. لم يحمل جسدها أي علامات تدل على أنها كانت موشكة على الموت. في الواقع، لقد بدت أكثر حيوية من أي مرة رأتها فيها سكارليت. توهجت بشرتها وبدا أن عينيها السوداوين أخذتا تلمعان بينما أخذت تتمتم بشيءٍ عجزت سكارليت عن سماعه، ثم رفعت ذراعيها.

أخذت شجرة عملاقة خلف تيفاني تتمايل بينما اقتُلِعت جذورها من الأرض وسعت نحوها كأفاعٍ غاضبة. لقد التفّت حول كاحليها وجذبتها للأسفل. غير أنها بالكاد لاحظت ذلك، إذ إنها أخذت تتحسس رقبتها بحثًا عن الطلسم الذي أخذ ينتفض ويتلوى. ازدادت السلسلة حول عنق تيفاني سخونة، ومع كل التواءٍ لها تركت آثار حروقٍ على جلدها. أخذ الطلسم يتوهج أكثر فأكثر، ثم بصوت فرقعة قوية، تهشّم، وتناثرت شظايا الزجاج في كل اتجاه.

أطلقت تيفاني صرخة مدوية، لقد كانت صرخة حيوان أكثر من كونها صرخة إنسان، ثم تمددت بلا حراك وساد الصمت في المكان بأكمله. توقفت الرياح عن الهبوب واختفى الإعصار في جنح الظلام. لقد نجحت التعويذة التي ألقتها الغربان. لقد حررن السحر المحتجز داخل الطلسم، وصححن مسار ما اعوجَّ من الأمور. غير أن قواهن كانت أكثر من قدرة تيفاني على التحمل.

جثت هازيل على ركبتيها وأخذت ترتجف من فرط الإرهاق، وانهارت جيس على الأرض وأخذت تسب وتلعن بصوتٍ عالٍ، بينما هرعت سونالي وأريانا ناحية فيفي. وإلى جانب سكارليت أخذت جولييت تتنفس بصعوبة وهي تتفحص أصابعها الممدودة التي استحالت أطرافها إلى اللون الأسود، وقد احترقت بفعل السحر الذي سرى فيها. غير أن سكارليت تجمدت في مكانها، وأخذت تحدق إلى تيفاني وقلبها يدق بعنف وهي تجاهِد لالتقاط أنفاسها. حتى من على بُعد، حتى وقد حجبت ظلال الأشجار وجهها، علمت سكارليت دون أدنى شكٍ أن أعز صديقاتها ماتت.



الفصل السابع والثلاثون

فيفي

كانت سكارليت الوحيدة في الكابا هاوس التي حظيت بقسطٍ كافٍ من النوم في تلك الليلة. إذ إنهن بينما كُنَّ يسرن بتثاقلٍ في الغابة، وهن مبتلات تمامًا والطين يغطيهن، انهارت سكارليت على مِي، التي ألقت عليها تعويذة جعلتها بخفة الريشة كي يتسنى لها حملها حتى وصولهن إلى المنزل. أما فيفي فقد تمكنت من السير وقد استندت على جيس التي كان وجهها متجهمًا وأريانا التي بدا الذعر على وجهها. وبينما كانت الشقيقات يشققن طريقهن وسط جذور النباتات وفروع الأشجار المستقرة على الأرض، فسَّرت ريجان لهن أن التعويذة التي ألقينها لاستدعاء شبح تيفاني توقفت فجأةً عن العمل، ولخشيتهن من حدوث الأسوأ، تتبعن سكارليت عبر الغابة إلى أن وصلن للأرض القاحلة.

وبمجرد دخولهن الكابا هاوس، تكوَّرت سكارليت في الحال على الأريكة، وبعد أن أخذت رشفة كبيرة من عقار إيتا المنوِّم، غطت في النوم، رغم أنه استنادًا إلى الأصوات التي أصدرتها من وقتٍ لآخر وملامح الألم التي لاحت على وجهها، بدا أنها لم تكن مرتاحة.

أما فيفي فقد جلست في مقعدٍ وثيرٍ وقبِلت بامتنانٍ أكواب الشاي التي ظلت إيتا تجلبها إليها. لقد شكَّت في أن إيتا أضافت شيئًا ما للشاي، لأن مع كل رشفة أخذتها منه، شعرت بأن شعورها بالصدمة بات أقل وطأة، وأن التقاطها لأنفاسها أصبح أكثر سهولة قليلًا.

وبمجرد أن تمكنت فيفي من التحدث مجددًا، روت للغربان نسخًا مختصرة مما جرى من أحداثٍ، وحملت إليهن الأنباء المروعة التي لم يكن في الإمكان إرجاؤها لوقتٍ لاحقٍ، أن داليا ماتت.

تكدَّست الأخوية بأكملها في غرفة المعيشة، جلست الفتيات على أرضية الغرفة وطفن فوق كل مساحة فارغة كنوعٍ من الطقوس العفوية للشقيقات اللاتي خسرنهن. أخذت جيس التي عادةً ما تكون صبورة تبكي على كتف جولييت بينما أخذت الأخيرة تمسح على شعرها. أما هازيل فقد حدقت إلى الفراغ وبدت عيناها مهمومتين، بينما جلست إيتا ومِي على الأريكة وهما ترتجفان بينما أخذتا تتهامسان حول كيفية نقل تلك الأخبار الرهيبة لعائلتَي تيفاني وداليا. وقبالة فيفي، جلست سونالي وأريانا على الأرض وأخذتا تطالعانها بقلقٍ وكأنهما قلقتان أن فيفي سوف تعرض نفسها للاختطاف مجددًا تحت أعينهما.

حاولت فيفي أن تسدد إليهما ابتسامة مطمئنة، لكنها علمت أنهما لن تواجهما أي مشكلة في رؤية ما يعتمل خلف تلك الابتسامة. لقد اختفت تيفاني وكذلك الطلسم. لقد انتهى الخطر الداهم. غير أن الخسائر التي تكبدتها الكابا هزتهن حتى النخاع.

كان من الصعب تصديق أن رئيستهن العزيزة الجسورة ماتت. ورغم أن ألم خسارة تيفاني سوف يكون أكثر تعقيدًا بكثير، فإنه لن يخفف من الأسى العميق على الشقيقة التي خسرنها على أكثر من صعيد.

في تمام الساعة الثالثة صباحًا، وصلت مارجوري وينتر، والدة سكارليت، إلى الكابا هاوس. لم تكن فيفي متأكدة ما إذا كانت إحدى الغربان اتصلت بها أم أنها امتلكت طرقًا سحرية لاستشعار حاجة ابنتها إليها. ربما كان التخمين الأخير هو الأرجح، لأن قبل بزوغ الفجر بقليل، دوى صوت طرق آخر على الباب، ولكن هذه المرة، كانت دافني.

بطريقةٍ ما، لم تتفاجأ فيفي برؤية أمها عند عتبة الباب. لم تكلف نفسها حتى عناء سؤال دافني عن كيفية معرفتها بما جرى. لقد كانت هذه طريقة أمها على الدوام. لطالما عرفت كل شيء. ولكن للمرة الأولى تجد فيفي هذه الحقيقة مطمئنة إلى أبعد حد.

زفرت دافني ارتياحًا بعدما تفحصت فيفي من جميع الزوايا وسألتها: «هل أنتِ بخير؟».

- نوعًا ما. هل ترغبين في الدخول؟

ترددت دافني لوهلة ثم أومأت برأسها بالإيجاب: «أعتقد أن هذا أكثر منطقية من وقوفي عند عتبة الباب حتى شروق الشمس».

خطت بحذرٍ داخل البهو وكأن جزءًا منها يتوقع أن تعوقها إحدى التعاويذ عن الدخول. تبعت ابنتها إلى غرفة المعيشة، ولكن قبل أن يتسنى لفيفي تعريفها بالجميع، هبَّت مارجوري واقفة عن كرسيها الذي أبقته إلى جانب سكارليت لمراقبتها.

قالت مارجوري وهي تفرك عينيها: «دافني ديفيرو؟».

قالت دافني: «مرحبًا مارجوري»، كانت هناك نبرة من البرود في صوتها، ولكن عندما وقعت عيناها على سكارليت النائمة إلى جوارها، سألتها بلطفٍ: «كيف حال ابنتكِ؟».

مدَّت مارجوري يدها ومسحت برِقة على شعر سكارليت قائلة: «سوف تكون بخير بمرور الوقت».

تقلَّبت سكارليت وفتحت عينيها ببطء وقالت وهي لا تزال نعسانة: «أمي؟ ما الذي تفعلينه هنا؟».

تبادلت مِي وجيس النظرات وأشارتا إلى فتيات الغربان الأخريات بالخروج من غرفة المعيشة. أخذت فيفي وسكارليت ترويان لوالدتيهما ما حدث، وقد تبادلتا الأدوار في الحكي وأخذتا تملآن الثغرات في حكاية كلٍّ منهما.

قالت دافني: «أنا آسفة للغاية أنكما أيتها الفتاتان اضطررتما إلى خوض تجربةٍ مماثلة (ثم شدَّت على يد فيفي وأردفت) هذا بالضبط ما كنتُ أحاول أن أجنبكِ إياه، ولكنني لا أظن أنني عالجت الأمر بأذكى الطرق».

قالت مارجوري بحزمٍ وبنبرة واثقة ما كانت فيفي حتى لتقدر على الاختلاف مع مضمونها: «لقد فعلتِ ما بوسعكِ. بعد ما حدث مع إيفيلين، ماذا كان لديكِ من خيارات أخرى؟».

نقَّلت فيفي بصرها بين مارجوري ودافني، وقد أضحى جليًّا أنها مدهوشة.

- إيفيلين ووترز؟ ماذا عنها؟

فسَّرت دافني الأمر قائلة: «لقد كانت إيفيلين أعز صديقاتي. كنا لا نفترق عن بعضنا بعضًا منذ سنتنا الدراسية الأولى، عندما انضممنا معًا إلى الكابا. كلتانا انحدرت من أصولٍ متواضعة، بخلاف بعض الأخريات في صف المستجدات، اللاتي كُنَّ ساحرات انحدرن من عائلاتٍ سحرية عريقة».

سددت دافني نظرة ذات مغزى إلى مارجوري. تنهدت مارجوري بعمقٍ قائلة: «بعد كل تلك السنوات، ما زال ذلك الأمر يجرحكِ؟ لقد *أصبحتِ* أنتِ العائلة السحرية العريقة يا دافني. انظري إلى مدى قوة ابنتكِ. عليكِ أن تكوني فخورة بها».

قالت دافني وقد تورَّد وجهها قليلًا: «أنتِ محقة، أنا كذلك بالفعل. ولكن في ذلك الوقت لم أدرِ كيف يمكنني مضاهاة الساحرات أمثالكن بكل معارفكن، ولا إيفيلين بموهبتها الفطرية. نُصِّبت إيفيلين رئيسة، وهو ما كان إنجازًا عظيمًا. غير أنها سرعان ما بدأت في التصرف بغرابة. أعتقد أن الضغط الواقع عليها كان أكثر من قدرتها على التحمل، لقد شعرت بأنها بحاجة لإثبات جدارتها، للبرهنة على أنها امتلكت المقومات اللازمة لكي تكون ذات تأثيرٍ كبيرٍ في عالم السحر. غير أن تعاويذها عجزت عن مجاراة طموحها. لقد حاولت أن توسع نطاق سحرها قدر استطاعتها، لدرجة أن شعورها بالإحباط تنامى. وعندها أصبحت مهتمة بالطلسم. لقد تحقق كل شيءٍ لها بسهولة عندما كانت ترتديه، وفي النهاية أصبحت معتمدة عليه... بل مدمنة على قواه».

أضافت مارجوري قائلة: «لم ندرِ ما الذي كان يحدث بالضبط، ولكن كان من الواضح أن هناك شيئًا خاطئًا للغاية، وفي كل مرة حاولت فيها إحدانا التحدث إلى إيفيلين بهذا الشأن، كانت تشتعل غضبًا».

- عندما علمت أنها سوف تقال من منصبها كرئيسة، فقدت... صوابها (جفلت دافني عند استرجاعها لتلك الذكرى) بدأت أشك حينها في أنها كانت تخطط لشيءٍ رهيب. لقد أصبحت لا تبالي بإخفاء تحركاتها، وشعرت أنها تخطط لإيذاء الفتاة التي رُشِحت مكانها.

قالت مارجوري بهدوء: «وفي أحد الأيام طلبت مني إيفيلين أن أقابلها عند الشاطئ، ما كان ينبغي لي قط الذهاب وحدي، ولكنها أصرَّت، ولقد كانت لا تزال رئيستنا، وليست أي رئيسة، بل رئيسة قوية».

استطردت دافني قائلة: «لقد تبعتهما، وحمدًا لله أنني وصلت في الوقت المناسب، لقد اضطررنا إلى التعاون معًا لمحاربتها».

التزمت المرأتان الأكبر سنًا الصمت.

سألتها فيفي بعد لحظة صمت طويلة: «ولكن ماذا عن اختفائها؟».

قالت مارجوري بحزن: «لقد كانت تلك القصة التي رويناها فحسب. لقد ماتت إيفيلين في أثناء محاولتها لقتلنا. لقد استحضرت موجة عارمة نحو الشاطئ، لقد تمكنا بالكاد من الفرار منها قبل أن تجرفها الموجة بذاتها. قررنا أنا ودافني أن إبقاء الطلسم في الكابا هاوس شكَّل خطورة كبيرة، فقد يُغرى أحد آخر بتقليد ما فعلته إيفيلين».

- لذا تطوَّعتُ لأخذه، لإبقائه معي أينما تنقَّلت. بعيدًا عن أي شخصٍ شرير (وضعت دافني يدها على كتف فيفي وأردفت قائلة) سوف أقر لكِ بهذا... لقد كنتُ خائفة منه. لقد ألقيت باللوم على الطلسم لجعله إيفيلين بتلك الخطورة. لقد ظننت أنه قد يفعل بي أو بأي أحد يقترب منه المثل.

قالت فيفي وقد احمرت وجنتاها من فرط الخزي والندم: «آسفة يا أمي. ما كان عليَّ أن آخذ الطلسم. لو لم أمنحه لداليا -أقصد تيفاني- ما كان ليحدث أيٌّ من هذا».

هزت دافني رأسها باعتراضٍ قاطعٍ قائلة: «لا، إنها غلطتي. كان ينبغي لي أن أحكي لكِ عن كل ذلك منذ وقتٍ طويل. لقد ظننت أنني أحميكِ بإبقائكِ جاهلة بالأمر وبعيدة عن ويسترلي».

قالت مارجوري وهي تواجه سكارليت: «في حين أنني رغبت في أن أربيكِ أنتِ وأوجيني على أن تصبحا أقوى وأذكى مما كنت. لقد ظننت أنني إذا جعلتكما أقوى ساحرتين في دفعتيكما، لن تقعا في فخ الانبهار بالشخص الخطأ مثلما فعلت».

تجهمت سكارليت قائلة: «لا، لقد كنت أنا الفتاة التي لم تلاحظ أن أعز صديقاتها أصبحت قاتلة».

- ولكن عندما عرفتِ حقيقتها، فعلتِ الصواب، أليس كذلك؟

أجابت فيفي نيابةً عنها: «نعم، لقد فعلت».

لقد خاطرت سكارليت بحياتها لتنقذ فيفي. مهما كانت اختلافاتهما، لقد كانتا شقيقتين.

لقد كانت أمها محقة إلى حدٍ ما، لقد كان السحر أكثر خطورة مما تصورت فيفي. ولكن حتى أشر أنواع السحر عجز عن القضاء على ما شهدته فيفي في الأرض القاحلة، القوى التي كانت أكثر عنفوانًا من اللعنات والأعاصير، أكثر عنفوانًا من الخوف نفسه: التآخي.



الفصل الثامن والثلاثون

سكارليت

بعد يومين -يومين كالدهر- من تغيُّر عالمها بأكمله، جلست سكارليت في غرفة نومها وأخذت تحدق خارج شرفتها وهي تفكر في نفس الأمور التي أخذت تدور بلا توقف في ذهنها في الـ 48 ساعة الماضية. كيف غاب عنها ما أصبحت عليه تيفاني؟ كيف أمكن للفتاة التي رقصت على الطاولات معها، الفتاة التي احتضنت يدها كلما جعلتها أوجيني تبكي، أن تكون قادرة على القتل؟

وكيف أمكن لسكارليت بعد كل ما فعلته تيفاني أن تظل تفتقدها؟ أن تظل تحبها؟

«طق طق»، وقفت فيفي عند الباب وهي تبدو مترددة ثم قالت: «أتفقدكِ فقط لأتأكد أنكِ بخير».

أشارت لها سكارليت بالدخول قائلة: «هل يبحث الجميع عني؟ لا يمكنني أن أغادر هذا السرير ولا هذه الغرفة».

أومأت فيفي برأسها قائلة: «سكارليت، لا يمكنني أن أتصور حتى... أهذا يخصها؟».

أطرقت سكارليت رأسها. لقد كانت ممسكة بالفيل الذي اشترته هي وتيفاني من محل الأنتيكات في اليوم التالي للقائهما.

- نعم. لا أعلم لماذا ما زلتِ متمسكة بهذا الشيء.

رمت الفيل في سلة المهملات ثم وجّهت انتباهها إلى فيفي، التي أخذت تحملق في سلة المهملات مطولًا، وكأنها كانت تفكر في إنقاذ الفيل. وكأنها كانت قادرة على إصلاح بعض ما حدث من دمار.

قالت سكارليت: «لقد رغبتُ في التحدث معكِ».

رغم أنها كانت مهمومة بأمر تيفاني، فإن قلبها كان مثقلًا بشيءٍ آخر. لم يسعها أن تترك الأمور بينها وبين فيفي على حالها السابق لاختطاف تيفاني لها.

حضّرت فيفي نفسها وكأنها علمت عن أي شيء سوف يدور النقاش. قدَّرت سكارليت أنها لم تعترض أو تتصرف بدفاعية. لقد أومأت برأسها فحسب وجرَّت كرسيًا وجلست عليه إلى جوار سكارليت. ومعًا شاهدتا شمس النهار وهي تُلوِّن حرم ويسترلي الجامعي ببطءٍ باللون الأصفر.

بدأت سكارليت النقاش قائلة: «الأمر يخص مايسون».

تدخلت فيفي على الفور قائلة: «سكارليت، لم أملك الفرصة لإخباركِ بهذا، ولكنني آسفة. ما كان عليَّ السماح بحدوث أي شيءٍ معه. لن يتكرر هذا أبدًا. أعلم أنه حبيبكِ السابق، وما كنت لأفعل هذا قط بشقيقةٍ لي. لا عذر لي».

وافقتها سكارليت قائلة: «نعم، لا عذر لكِ. ولكنني لا يمكنني أن ألومكِ على تصرفكِ السيئ في حين أن تصرفي كان أسوأ بكثير».

مرت بخاطرها صورة تيفاني، طريقتها المتبلدة وهي تعترف بقتلها لداليا. «*لقد كنت بحاجة إلى قواها*». كأن ذلك كان بتلك السهولة، وكأنها كانت مجرد مسألة استرداد لما يخصها. شعرت بحرقة في عينيها ورمشت بعينيها كبحًا لدموعها.

- إن أمكِ محقة يا سكارليت. أنتِ لستِ مسؤولة عن تيفاني.
- قد يكون هذا صحيحًا، ولكنني *أحببتُها*. كيف عجزت عن ملاحظة تلاشي شخصها الذي عرفته؟

هزت فيفي كتفيها قائلة: «الناس ليسوا شيئًا واحدًا أو نقيضه. ليسوا أشرارًا أو ملائكة فحسب. صحيح أنها فعلت أمورًا رهيبة، ولكنها فعلتها بدافع الحب. هذا لا يبرر أفعالها، ما زال بإمكاننا لومها. ولكن لومنا لها لا

يعني أننا لا نتفهمها. اكتشافكِ لما فعلته لا يعني أن حبكِ لها يجب أن يتلاشى. الحب أكثر تعقيدًا من هذا».

ضحكت سكارليت قائلة: «حقيقي».

أخذت سكارليت تقضم أظفارها بما أن أمها لم تعد هنا لتدفع يدها بضربة منها بعد الآن.

- المشاعر لا تمتثل للقواعد، صحيح؟

تمكنت فيفي من رسم ابتسامة صغيرة على وجهها: «لا بالطبع».

لم يسع سكارليت ألا تفكر في جاكسون، في الطريقة التي أمسك فيها بيدها قبل اقتحامهما لشقة غوين. قبل أن يخرج كل شيء عن السيطرة، كانت هناك لحظة عابرة ظنت فيها أنه ربما...

غير أن عقلها كان في حالة من الفوضى. أيًا كان ما شعرت به تجاهه، فقد كان مشتبكًا بالأدرينالين والخوف وكسرة القلب. لقد كانت بحاجة إلى وقتٍ لاستيعاب كل هذا. ولكن في الوقت الراهن، يمكنها أن تحرص على ألا يعاني الآخرون من نفس الارتباك والتشوش.

- اسمعيني يا فيفي، ما أحاول أن أقوله... إذا كنت صادقة مع نفسي، هو أن كل شيء بيني وبين مايسون انتهى في اللحظة التي ماتت فيها هاربر وعجزت عن إخباره بحقيقة موتها. لقد خلق السر فجوة بيننا. وعندما كنا بعيدَين عن بعضنا بعضًا في الصيف الماضي، تغير. لقد استغرقت كل هذا الوقت لأدرِك أنني تغيرت أيضًا. إن الأشياء التي نريدها ليست واحدة.

اندهشت سكارليت قليلًا من قدر صراحتها، ومن حقيقة أن الاعتراف بالأمر لم يؤلمها كما تخيلت. تجلَّت على وجه فيفي نظرة ارتياحٍ عذبة وقالت: «وما الذي تريدينه؟».

- أريد أن أكون سعيدة. عليَّ فقط أن أكتشف ما الذي تعنيه السعادة بالنسبة إليَّ. لقد قضيت حياتي بأكملها وأنا أحاول أن أتَّبِع القواعد، أن أصبح الشخص الذي رغبت أمي أن أكونه، الشخص الذي رغبت داليا أن أكونه، الشخص الذي ظننت أنني رغبت في أن أكونه. ولكن ليس لي

الحق في فرض قواعدي على أي أحدٍ آخر. ليس عليكِ، وبالأخص ليس على مايسون. لذا، إذا كنتما تكنان لبعضكما بعضًا المشاعر، إذًا... إليكما مباركتي لمنح الأمر فرصة. هذا إذا كنتِ لا تزالين راغبة في ذلك.

قالت فيفي وقدا بدا عليها عدم الارتياح: «لستِ مضطرة إلى قول هذا».

غمزت لها سكارليت بعينها قائلة: «أعلم. أنا بهذا النضج والكرم».

عندما ابتسمت فيفي بارتياحٍ، فكرت سكارليت في مدى نفورها منها في البداية. لقد كان ذلك بسبب كونها غير متوقعة. أما الآن فقد شعرت بأنها تعرف الفتاة أكثر مما عرفت شقيقاتها الأخريات اللاتي عرفتهن قبلها. والأكثر إدهاشًا، هو أنها بدأت تحبها. لقد أدركت ما الذي رآه مايسون والفتيات الأخريات فيها: الذكاء وخفة الدم وطيبة القلب. حماسها المميز رغم إبقائها جاهلة لوقتٍ طويلٍ بإرثها، ورغم كل شيء حدث لها في الأيام القليلة الماضية.

لقد كان هناك قدر من التحرر في شخصية فيفي، افتقارًا إلى التعقل علمت أنه سيروق إلى مايسون، الذي رغب باستماتة في التحرر من كل شيء رُبِّيَ عليه.

حتى الآن، بعد كل ما حدث، كانت الكابا لا تزال الكيان الذي رغبت سكارليت في الانتماء إليه. الكيان الذي رغبت في الدفاع عنه. الكيان الذي رغبت في إصلاحه. ورغم هذا، كانت مجرد فكرة وجود مايسون مع شخصٍ آخر تُشعرها بالانزعاج. ولكن بتطلعها إلى فيفي، تمكنت على الأقل من تفهُّم هذا. لقد أمكنها أن تراهما معًا. لقد أمكنها أن تدع فيفي تفلت دون عقاب.

مدَّت سكارليت يدها ووكزتها في كتفها قائلة: «ولكن لا تظني أنني سوف أتساهل معكِ. قد تكونين تجاوزتِ أسبوع الجحيم، ولكنكِ ما زلتِ شقيقتي الصغرى».

رفعت فيفي ذقنها باعتزازٍ قائلة: «لن يفكر فيكِ أي أحد كشخصية متساهلة أبدًا. وصدقيني، لن أخذلكِ».

اتسعت ابتسامة سكارليت قائلة: «أثق بكِ بالفعل».

ولقد عنت ذلك قطعًا.

عندما غادرت فيفي، أخرجت سكارليت الفيل من سلة القمامة ووضعته في خزانة ملابسها. لقد رحلت تيفاني، ولكن فيفي كانت محقة، لم تكن سكارليت مضطرة إلى التخلي عن الجانب الجيد فيها.

عادت الحياة الجامعية إلى رتمها الطبيعيِّ بصورة لا تصدق. ولكن رغم أن سكارليت صححت الأوضاع مع عائلتها وشقيقاتها، علمت أن شيئًا واحدًا تبقى لها لتفعله. شيء صعب.

كانت سكارليت قد طلبت من جاكسون أن يقابلها في مكانها المفضل خارج الجامعة، وهو دكة صغيرة تطل على نهر سافانا.

قالت وهي تناوله كوبًا من الشاي كانت قد جلبته معها كبادرة وِد: «مرحبًا أيها الغريب».

قال وهو يجلس إلى جانبها على الدكة ويتناول منها كوب الشاي: «إنها لا تزال حية».

احتجَّت سكارليت قائلة: «لقد راسلتك».

قال وهو يسحب هاتفه: «أعتقد أنني استحققت أكثر من مجرد رسالة نصية يا سكار».

- أعتقد أنك كنت محقًا. أنا الفتاة التي تنجو في النهاية رغم كل شيء. كنت سأتصل بك بمجرد أن أخرج مما أنا فيه.

حدق إليها باستياءٍ وقد رفع نظره عن شاشة هاتفه وقال: «هذا بالكاد يعد تفسيرًا وافيًا يا آنسة وينتر».

احتشدت في نفسها مشاعر الذنب وقالت: «لقد سمعت أنك مررت على المنزل. أنا آسفة... أنا... لقد كان الأمر فوق طاقتي».

- لقد خشيت أن شيئًا ما حدث لكِ (اقترب منها قليلًا وأردف) آسف بشأن تيفاني.

كانت القصة التي اختلقنها وأعلنَّ عنها للعامة هي أن تيفاني ماتت في إعصارٍ هبط على الأرض خارج الجامعة. أما بالنسبة إلى داليا، فقد اعتُبِرت

في عداد المفقودين وافتُرِض أنها قُتلت في نفس العاصفة. وفي نهاية المطاف، عجزت فتيات الغربان عن إخبار الآخرين بأن داليا كانت قد اختفت قبل ذلك بأيامٍ، في حين أنها ظهرت بعدها وهي تتجول في ساحة الجامعة في خير حال.

أقرَّ بصوتٍ أجش: «عندما صدر التقرير الأول عن ضحية الإعصار، ظننتُ أنها أنتِ. ظننتُ أن شيئًا رهيبًا حدث لكِ».

- الشيء الوحيد الذي حدث لي هو ذهابي إلى قسم الشرطة (تحاشت عينيه وأردفت) وكما يمكن لك أن تتخيل، رغبت الشرطة في التحدث إليَّ، عن الكثير من الأشياء.

تلفَّت جاكسون حوله ليتأكد أن لا أحد يسمعهما ثم سألها: «إذًا ما الذي حدث فعلًا؟ لقد وجدنا جثة غوين منذ يومين، والآن...».

قطَّب جبينه وقد بدا عليه الارتباك.

- لقد قالت الشرطة إنها ماتت بسبب تسرُّب الغاز.

- هذا بفضلي.

ضبطت سكارليت نفسها وهي تقضم أحد أظفارها ثم تفرد كفيها على فخذيها. في الواقع لقد كان ذلك بفضلها وبفضل جيس، التي أصبحت أفضل ساحرة سيوف في الكابا بعد رحيل تيفاني. لقد كان من السهل عليها زرع بعض الاستنتاجات في أذهان الشرطة لمساعدتهم في غلق القضية. لم يرُق لها أن تتستر على ما فعلته تيفاني، ولكنها كانت اضطرت إلى ذلك. كان لا بد من حماية سر الغربان.

- ربما أكون قد ساعدتُهم قليلًا في التوصل إلى بعض الاستنتاجات حول الأشياء.

مال جاكسون إلى الأمام واستند بكوعيه على ركبتيه قائلًا: «و...؟ سكارليت، هل لديكِ أي فكرة إلى أي مدى كاد كل هذا يقودني إلى الجنون؟ وبعدها أسمع تلك الأخبار عن الإعصار، أعني... هذه الأشياء لا تحدث مصادفةً».

أقرَّت قائلة: «لا، إنها لا تحدث».

قال هامسًا: «هل كان هذا... سحرًا؟».

عندما أومأت برأسها بالإيجاب، نظر إليها بانتباهٍ شديدٍ وسألها: «هل يمكنكِ أن تخبريني بما حدث؟ بما حدث فعلًا؟».

لقد أدركت سكارليت أنه سوف يسألها هذا وعرفت أنها كانت مدينة له بالحقيقة. استمع إليها وتفاعل مع كل تفصيلة في قصتها بهدوءٍ غريبٍ: كيف غيَّرت تيفاني شكلها وقتلت داليا وغوين واختطفت فيفي أيضًا. كيف حاربتها فتيات الغربان بسحرهن. كيف ماتت تيفاني وكيف غطين آثارهن.

وعندما انتهت، أمسك جاكسون بيدها وشبَّك أصابعه في أصابعها قائلًا: «سكار، أنا في غاية الأسف. وأتفهم سبب احتياجكن للتستر على كل ما جرى، ولكن دعيني أسألكِ شيئًا: كيف سيكون مستقبل الكابا بعد هذا؟ أعني أن الخطر قدم من الداخل لا من الخارج. ماذا لو قررت واحدة أخرى من شقيقاتكن أن هناك طلسمًا مختلفًا يستحق القتل لأجله؟ أو فقدت صوابها وهي تتشاجر مع شريكة لها في الغرفة في أحد الأيام؟ ماذا لو...».

قالت بحزمٍ: «لن أستمع إلى المزيد من التكهنات. يمكنني تولي أمر شقيقاتي. لن يحدث هذا ثانيةً».

سألها: «كيف يمكنكِ أن تكوني على هذه الدرجة من اليقين؟».

قالت بابتسامة: «لأنني ساحرة. إننا نعرف كل شيء».

ضحك رغم أنه لم يبدُ عليه الاقتناع التام، غير أنه لم يرغب في الضغط عليها أكثر من هذا.

- حسنٌ، أنا سعيد أنكِ بخير. لقد كنت قلقًا للغاية. لم يسعني التوقف عن التفكير فيكِ.

التقت عيناه البُنيتان بعينيها وتعلقتا بهما. ثم انحنى للأمام، ولامست شفتاه شفتيها بخفة لمرة واحدة فحسب.

سألها: «نسيتُ أن أسألكِ: هل مسموحٌ للساحرات بتقبيل البشر الفانين؟ أم أن أحدنا سوف يذوب؟».

وردًا على سؤاله، طوَّقت سكارليت عنقه بيدها الأخرى وجذبته ناحيتها وهمست قائلة: «إذا كنا سنكتشف ذلك، إذًا فينبغي لنا فعله بالطريقة الصحيحة».

وبعدها قبّلها فعليًا. لقد كانت قُبلته رقيقة وبطيئة، نوع القبلات التي قد تغرقين فيها إذا سمحتِ لنفسك بهذا. ولكنها لم تستطع أن تسمح لنفسها بذلك. ليس الآن. وليس بعد ذلك على الأرجح.

لقد خالفت القاعدة الأولى كإحدى عضوات الغربان. كساحرة. *لا تخبري أحدًا بحقيقتنا أبدًا.* لقد كان إخبار جاكسون بأمور السحر خطيئة لا تغتفر. لقد ارتكبتها لأنه استحق أن يعرف حقيقة هاربر. ولأنها وسط كل هذه الفوضى، طورت مشاعرها تجاهه. لأنه ساعدها في الوقت الذي تخلى عنها الجميع فيه. ولكنها ما كان في إمكانها أن تزيد الأمور سوءًا.

لقد كان من المفترض أن تكون الأزمة انتهت. لقد كان من المفترض أن يصبحن آمناتٍ. ولكن وفقًا لتعبير جاكسون، لقد قَدِم الخطر مِن مَن داخل المنزل: غوين وتيفاني وحتى إيفيلين، بعد كل تلك السنوات. لقد كُنَّ جميعًا من الغربان. من يدري كيف ستكون ردة فعله عندما يعلم إلى أي مدى كانت الساحرات قويات؟ أو أن الكابا دَرَّبت قاتلاتٍ وسط صفوفها؟ لقد كان جاكسون يطرح الكثير من الأسئلة بالفعل، وعندما يحين الوقت، ويعرف بطبيعة الأمور، الحقيقة الكاملة لتاريخهن، من يدري أنه لن يرغب في الإطاحة بالمنزل بأكمله؟ لقد اهتم لأمرها، لقد شعرت بذلك. غير أن بوصلته الأخلاقية تحسست طريق الصواب أكثر من بوصلتها. وعلاوةً على ذلك، لمَ قد ينقذ المنزل الذي قتل شقيقته؟

لم يكن في وسعها أن تعرض شقيقاتها للخطر مجددًا، ليس بهذه الطريقة. لقد كانت مصلحة شقيقاتها أهم شيء في العالم بالنسبة إليها. أو على الأقل هذا ما كانت تؤمن به دومًا، ولا يمكنها التوقف عن الإيمان به الآن.

بتنهيدة عميقة، تراجعت سكارليت إلى الخلف. أخذت كوب الشاي من على الدكة ورفعته ناحية جاكسون في بادرة مفادها: *في صحتك*. ثم قالت: «اشربه. لدينا الكثير لنتحدث عنه».

ابتسم لها من خلف الكوب الورقيّ. لقد كانت أكثر ابتسامة عريضة وجّهها إليها. وببساطة وثقة متناهية، ابتلع جرعة كبيرة من الشاي، ثم جرعة ثانية. أجبرت نفسها على الابتسام وأخذت ترتشف مشروبها ببطءٍ. لقد كان مشروبها عبارة عن شايٍ بالأعشاب على كل حال. البابونج لتهدئة أعصابها.

غير أن مشروبه كان عبارة عن خليطٍ قضت إيتا سنوات تحاول إتقانه. من رشفة واحدة، أيقنت سكارليت أنها استحوذت عليه من الطريقة التي ارتخى بها جفناه وتباطأت أنفاسه. لم يكن نائمًا، ليس تمامًا. بل كان مسترخيًا فحسب، وذهنه متفتحًا لدرجة أن أي أحدٍ كان ليمكنه التأثير فيه بكل سهولة الآن.

حتى لو كانت ساحرة غير متمرسة في سحر السيوف كسكارليت. ركزت وأخذت تسحب من بئر القوى التي شاركتها إياها شقيقاتها. تسللت سكارليت إلى عقله بهمسة منها وبلمسة خفيفة. وفي النهاية، كان الأمر أكثر سهولة مما كان مع الشرطة.

بمحاولاتٍ قليلةٍ منها، جعلته ينسى كل شيء. تعويذة غوين الشريرة والعثور على جثتها ووجود الساحرات... حتى قُبلتهما. كان الأمر ليبدو غريبًا إلى حدٍ ما، لو تركته يتذكر القُبلة دون تذكُّر ملابسات حدوثها. أيًّا ما كان بينهما، فقد كان قائمًا على معرفته بحقيقتها. إن منحه أي ذكرى جمعتهما مع إغفال جانب السحر سيكون كذبًا. لقد خسرت مايسون لأنها لم تكن صادقة معه قط. ما كان في إمكانها أن تمر بهذا ثانيةً مع جاكسون. خفق قلبها بعنفٍ. بطريقةٍ ما، كانت هذه المهمة أشق على نفسها من كل المهام التي أدتها من قبل. غير أن سكارليت علمت أنها اتخذت القرار السليم. لم يكن جاكسون ملائمًا لهذا العالم. ولحمايته كان لا بد أن يظل غافلًا عن الحقيقة. ورغم ذلك، بمجرد النظر في عينيه، لم يسع سكارليت إلا أن تتمنى أن يدوم ما بينهما لدقائق إضافية. الدعابات التي تبادلاها، الثقة التي كوَّناها بينهما باندفاعهما بكامل طاقتيهما نحو الخطر معًا. لقد رغبت حتى في أن يظل يناديها «الفتاة الناجية»، حتى لو كان ذلك اللقب يعيد إلى الأذهان كل الأمور المرعبة الحقيقية التي خاضاها معًا.

في أثناء نشأة سكارليت، اعتادت ميني أن تفسر لها تاريخ الساحرات، ومدى نبل الغربان وبأسهن لمشاركتهن سحرهن مع الأخريات.

«إنها لتضحيةٍ أن تكوني ساحرة. أن تهبي نفسكِ بالكامل لجماعتكِ». لطالما فسَّرت سكارليت هذه المقولة على أن الساحرات يضحين بالقليل من استقلاليتهن في مقابل أن يكُنَّ محمياتٍ وأكثر قوة وأن يفعلن أمورًا أعظم

في العموم. هذا ما عناه أن تكوني جزءًا من جماعة سحرية، أن تكوني من الغربان. ولم يبدُ الأمر قط على أنه تضحية، إن كونها ساحرة كان أعظم هبة تلقّتها في حياتها.

غير أن سكارليت أدركت أنها لم تفهم ما عنته ميني. إذ إنها لم تعرف قبل الآن ماهية شعور التضحية بشيءٍ قد تكون راغبة فيه بشدة لتظل وفية لجماعتها. *السحر لا يمنح فقط، بل يأخذ أيضًا*، كما اعتادت ميني أن تقول. والآن حان دورها كي تقضي دينها له.

تطلعت للأعلى إذ إن المطر أخذ في الهطول، غير أنه لم يكن أي مطر، لقد كان مطرها، ولقد كانت كل قطرة لامست جاكسون منه مُشبَّعة بسحرها. خفق قلبها وسط ضلوعها بمرارة عندما التقطت كوبه الذي بات فارغًا الآن. كل ما سوف يتذكره جاكسون عندما يستفيق من شروده الجزئيّ، هو أنه أجرى محادثة مطولة مع سكارليت عرف فيها حقيقة أخته غير الشقيقة: أن موتها كان حادثًا بالفعل. أما بالنسبة إلى غوين، فقد ماتت بسبب تسرُّب الغاز في شقتها، كما أفادت جميع التقارير الإخبارية.

لم يكن هذا عادلًا. لقد قضى العامين الماضيَين من حياته يبحث عن إجابات، إجابات قدَّمتها سكارليت له، لتمحوها كلها بعد ذلك. غير أن هذا كان أقرب شيء إلى الخاتمة أمكن سكارليت أن تمنحه لجاكسون في النهاية. رغم أن الذكريات تلاشت، أملت سكارليت أن يبقى السلام في نفسه.

مدَّت سكارليت يدها لتربت على كتف جاكسون وهمست قائلة: «لا تقلق، لن يحدث هذا ثانيةً».

في غضون ساعة، سوف يكون على ما يرام، حتى ولو أصبح دائخًا قليلًا. وحتى ذلك الحين، سوف يظل ذاهلًا، محدقًا إلى المياه، مستغرقًا في أحلام اليقظة. غير أن يدها عندما لامست كتفه، مدَّ يده إليها وهو شبه فاقد للوعي وشبَّك أصابعه في أصابعها. نظر جاكسون إليها بتعبيرٍ متسائل قائلًا: «أهلًا... وينتر، صحيح؟ فتاة الأخوية».

قالت سكارليت بابتسامةٍ تُسلل ألمها إلى قلبها: «هذه أنا».

اكتوى حلقها بالدموع التي لم تذرفها واعتصرت أصابعه برفقٍ. ثم استنفدت كل ما أوتيت من قوة لتفلت يدها من يده وترحل عنه.

الفصل التاسع والثلاثون

فيفي

- هل أنتِ مستعدة؟

سألت أريانا فيفي ذلك وهي تشد على ذراعها برفقٍ وهما تعبران البوابات الحديدية، ثم تسيران على الطريق الممهدة بالطوب التي تصطف الأشجار على جانبيها، وتؤدي إلى ساحة الجامعة الرئيسية. لقد تصرفت إدارة ويسترلي بسخاءٍ وأعفت عضوات الكابا من فروضهن الدراسية لمدة أسبوع ليأخذن وقتهن في الحزن على زميلاتهن، ولقد كان ذلك أول يوم رجوع لفيفي في الحرم الجامعيِّ.

قالت فيفي وهي ترفع حقيبة الكتب الثقيلة الخاصة بالكابا أكثر على ظهرها: «أظن ذلك. بصراحة، أظن أنه من اللطيف أن أحظى بشيءٍ آخر لأصب عليه تركيزي».

لم يكن لدى أريانا أي فصول اليوم، غير أنها عرضت على فيفي أن ترافقها إلى ساحة الجامعة لدعمها معنويًّا.

- إذا غيرتِ رأيكِ، فإن مِي سوف تنظِّم جلسة تطهر جماعية اليوم في الصوبة. لن يلومكِ أحدٌ إذا قررتِ الانصراف من الصف باكرًا.

تقدمتا في ساحة الجامعة التي كانت تعج بالطلبة النشيطين المبتهجين، الذين لم يختبر معظمهم شيئًا أكثر مأسوية من حصولهم على تقدير جيد في أحد الاختبارات.

قالت أريانا وهي تفكر في نفس الشيء الذي شغل فيفي: «يبدو هذا غير منصفٍ قليلًا، ألا توافقينني؟ بينما كنا ندفن صديقتنا، كانوا جميعًا يسكرون ويطلبون البيتزا في الثانية صباحًا ويتناقلون الأمراض الجنسية».

قالت فيفي بابتسامةٍ واهنة: «تعنين أنهم كانوا يتمتعون بحياتهم».

- أنا على استعداد للإصابة بمرض الكلاميديا ملايين المرات لو كان ذلك يعيد داليا إلينا ثانيةً.

مدَّت فيفي يدها وشدَّت على يد صديقتها قائلة: «أجل، هذا هو معنى التآخي الحقيقي».

ضحكت أريانا وواصلتا السير في صمتٍ لبضع دقائق. لقد كانت طاقة الحشد مربِكة وفي نفس الوقت كانت بمنزلة تغيرٍ مستحسنٍ عن الصمت المطبق الذي لفَّ الكابا هاوس في الأسبوع الماضي. لقد أثَّرت وفاة داليا بشدة في الجميع، وبخاصة الطالبات الأكبر سنًا اللاتي عرفنها جيدًا.

كانت فيفي لا تزال عاجزة عن تحديد شعورها تجاه ما قررن أن يفعلنه. لم يبدُ الكذب على الشرطة تصرفًا صائبًا، غير أن الغربان لم يستطعن المجازفة بالكشف عن هويتهن باعترافهن بالحقيقة، وما كان كثيرٌ من الناس ليصدقوهن على كل حال. ربما كانت فيفي بحاجة إلى الاعتياد على هذا الأمر بأكمله، على إخفاء جانب كامل من حياتها عن العالم.

رافقت أريانا فيفي إلى واجهة مبنى العلوم واحتضنتها ثم رحلت للحصول على بعض المُعجّنات والقهوة لتعود بها إلى المنزل. ما كان صفها ليبدأ قبل 15 دقيقة إضافية، لذا قررت فيفي أن تنتظر على الدكة الخشبية بالخارج عوضًا عن الانتظار في قاعة المحاضرات، حيث لن تتمكن من تفادي نظرات وهمسات زملائها المتطفلين ولكن طيبو القلب. في تلك المرحلة، كان الجميع في ويسترلي قد عرف أن رئيسة الكابا وشقيقة أخرى توفيتا فجأةً، وكانت الشائعات تنتشر بسرعة جنونية.

كانت على وشك الجلوس عندما لفت انتباهها قوام شخصٍ ما أخذ يسير بخطواتٍ واسعةٍ على الطريق المفروشة بأوراق الشجر. لقد كان فتى طويلًا وبُني الشعر يرتدي معطفًا طويلًا لونه بُني فاتح، وقد ارتفعت ياقة قميصه المنقوش مواجهةً برد الخريف الذي حلَّ أخيرًا على سافانا. رفرف قلب فيفي

عندما تقدمت بضع خطوات للأمام، محاوِلةً الاقتراب منه بدرجة كافية بحيث لا تضطر إلى مناداته بصوتٍ عالٍ.

قالت: «مايسون»، ولكنه لم يستدِر، لذا هرولت نحوه كالخرقاء وقالت: «مرحبًا مرحبًا يا مايسون».

استدار سريعًا، فزعًا، ولكن عندما وقعت عيناه عليها، ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه وقال: «فيفي!».

كان صوته المألوف بمثل دفء وغِنى قهوة الهيكوري التي أحبَّت مذاقها منذ انتقالها إلى سافانا، غير أنه كانت هناك هالات سوداء جديدة تحت عينيه. من الواضح أنه مرَّ بأسبوعٍ صعبٍ أيضًا. سألها: «كيف حالكِ؟».

- ما زلتُ صامدة. شكرًا على رسالتك لي في ذلك اليوم.

كان مايسون قد بعث إليها برسالة قصيرة ومراعية أخبرها فيها بمدى أسفه لخسارتها وأعلمها فيها بأنه موجود في حال احتاجته في أي وقتٍ. لقد كانت رسالة رقيقة وراقية، وبخاصة أن آخر مرة رآها فيها، أصابتها حالة من الفزع بسبب قُبلتهما وهرعت خارج المبنى.

قال مايسون: «هذا واجبٌ عليَّ. أنا سعيدٌ برؤيتكِ. إلى أين أنتِ ذاهبة؟ أيمكنني أن أرافقكِ؟».

- لديَ محاضرة في مركز العلوم في تمام الساعة العاشرة، ولكن مرحبٌ بك أن تتمشَّى معي لـــ... كم تظن من المسافة؟ تسعة أمتار إذا أحببت.

- ما رأيكِ أن نخاطر ونتمشَّى حول الحرم الجامعيِّ بدلًا من ذلك؟

- وأخاطر بحضور الصف باكرًا عن ميعاده بخمس دقائق بدلًا من عشر دقائق؟ لا أعلم...

ذيَّلت جملتها بابتسامة وأخذت تسير إلى جانبه.

- كيف تتكيفين مع ما حدث؟ ما زلت عاجزًا عن تصديق كل تلك الأخبار. داليا وتيفاني...

- الأمر فظيع ولكنني أتدبر حالي.

- لقد كنت أفكر بكِ كثيرًا (سكت لبرهة ثم أردف) لقد راسلت سكارليت أيضًا. لقد جمعنا ماضٍ طويل، وأعلم كم أحبَّت تيفاني.

قالت فيفي بصدقٍ: «لقد كان قرارًا سليمًا».

- حسنٌ، جيد. أنا سعيد أنكن أيتها الفتيات قريبات من بعضكن بعضًا الآن. أنا متأكدٌ أنا هذا يخفف من وطأة الأمر بطريقةٍ ما.

- أجل، بطريقةٍ ما. ولكنه أيضًا يجعل غيابهما أكثر وضوحًا، أتفهمني؟

لقد كان من الغريب أن يتجمعن في غرفة المعيشة دون حضور داليا الطيب والقيادي. لم تعرف إحداهن من كان عليها التحدث أولًا أو ما الذي كان عليها قوله. لقد بدت الأخوية كمركبٍ بلا دفة دون قائدتها.

- ولكن في نفس الوقت، لقد قرَّبت هذه الأزمة من تبقى منا من بعضنا بعضًا. لقد جعلتنا نرى الكثير من الأمور من منظورٍ آخر. بالنسبة إليَّ وإلى سكارليت أيضًا.

- هذا أمرٌ جيدٌ.. أليس كذلك؟

- جيدٌ للغاية.

سارا على كومةٍ من أوراق الأشجار الحمراء والصفراء المبللة، ولوهلة تجمدت فيفي في مكانها عندما تذكَّرت أوراق الشجر الجافة التي فرشت الأرض القاحلة في الغابة. والشموع والعظام والدماء.

سألها مايسون: «هل تشعرين بالبرد؟ (ودون أن ينتظر إجابتها، خلع معطفه وأسدله على كتفيها قائلًا) أهذا جيد؟».

قالت فيفي وقد شعرت أنها أكثر أمانًا ودفئًا من أي وقتٍ مضى: «بل أكثر من جيد».

- رائع. لأنني... لا أرغب في أن... (ابتسم وهز رأسه قائلًا) تعرفين، عادةً لا أتصرف بهذه الطريقة.

- بأي طريقة؟ تقصد أنك عادةً لا تعجز عن التحدث بالإنجليزية؟

- صحيح، ليس عادةً.

- حسنٌ، إذا كان من شأن هذا أن يشعرك بالتحسن، فينبغي لك أن تعرف أنني وسكارليت تحدثنا ولقد منحتني مباركتها. لقد *منحتنا* مباركتها.

توقف مايسون في منتصف الطريق وأخذ يحدق إليها قائلًا: «تقصدين أنها... موافقة على أن...».

أومأت فيفي برأسها وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة لدرجة أنها أظهرت غمازتيه اللتين لطالما جعلتا دفاعاتها تنهار. ولكنه فجأةً تمالك نفسه وبات تعبير وجهه جديًّا وقال: «وماذا عنكِ يا فيفي؟ ما الذي ترغبين فيه؟».

لقد فكرت في ذلك مليًّا. لقد رغبت في العديد من الأشياء. لقد رغبت في تعلُّم كل شيء عن السحر. لقد رغبت في أن تكتشف ما الذي يثير شغفها من الناحية الأكاديمية وأن تتكيف على الحياة في ويسترلي. لقد رغبت في نوع الرومانسية الذي لطالما حلمت به: مواعيد غرامية في مقاهٍ دافئة، استعراض الكتب في المكتبات، السير يدًا بيدٍ في الحرم الجامعيِّ عند الغروب عندما تتوهج لمبات الغاز أمام المباني الأسمنتية باللون الذهبيِّ كالقمر. لكنها لم ترغب في فعل هذا مع أي أحد. بل رغبت في أن تفعله مع مايسون. لقد أرادت أن تمازحه حول فطائر الوافل التي يعدّها بطريقة سيئة، وأن تعرف أكثر عن صفوف التاريخ التي يحضرها، وأن تسمع كل تفاصيل مغامراته الأوروبية الجامحة التي خاضها في الصيف الماضي. لقد رغبت في أن تكون معه.

ولكنها رغبت في أمورٍ لشقيقاتها أيضًا. لقد رغبت في أن يكُنَّ سعيدات ومتعافيات وآمنات. لقد رغبت في أن يكُنَّ متحداتٍ تحت أي ظرف. لذا وضعت يدها على كتفه وقالت: «القاعدة الأولى: شقيقاتي في المقام الأول. إذا غيَّرت سكارليت رأيها وقررت أنها غير مرتاحة لهذا، سوف تنتهي علاقتنا. موافق؟».

أومأ مايسون برأسه سريعًا قائلًا: «بالطبع».

ابتسمت وقد باتت غير قادرة على تمالك نفسها أكثر من هذا وقالت: «إذًا في هذه الحالة، لقد سألتني عن ما أرغب فيه يا مايسون جريجوري، صحيح؟».

مدَّت ذراعيها وأحاطت مؤخرة عنقه بإحدى يديها وجذبت وجهه ناحيتها قائلة: «إنني أرغب بك».

هذه المرة عندما تلامست شفتاهما لم يمنعهما أي شيءٍ عن بعضهما بعضًا. انحدرت يده حتى خصرها وضمها بقوة وسحبها للأعلى، لدرجة أن قدميها ارتفعتا عن الأرض. لقد عرفت فيفي تعويذة بإمكانها أن تجعلها تحلق في الهواء، ولكن في تلك اللحظة، بدا أن هذا أفضل سحر على الإطلاق.

الفصل الأربعون

سكارليت

وقفت سكارليت على سطح الكابا هاوس وتناثرت النجوم فوقها كالجواهر. وكان نسيم الليل منعشًا ولطيفًا. أما القمر فقد تألق مضيئًا بذلك اللون البرتقاليّ الناعم كعادة البدر في تمامه. وإلى جانبها وقفت تيفاني وهي ترتدي فستانًا فضفاضًا أبيض اللون لم ترَه سكارليت من قبل. علمت سكارليت أن ذلك كان حلمًا، غير أنها شعرت بالسرور لرؤية تيفاني رغم ذلك.

استدارت تيفاني ونظرت إلى بيت الطيور حيث هدلت الطيور وأصدرت حفيفًا خافتًا.

قالت بهدوء: «أعتقد أنني لطالما كنتُ كتلك الغربان في ذلك القفص، مقيدة وأسيرة».

قالت سكارليت: «ليتكِ جئتِ إليَّ، ليتكِ تحدثتِ معي. ربما كان ليختلف كل شيء».

هزت تيفاني رأسها اعتراضًا وقالت: «لطالما كنت سأختارها هي. فلتكوني صريحة مع نفسكِ، أما كنتِ لتفعلي نفس الشيء من أجل أمكِ؟ من أجل ميني؟».

سكتت سكارليت وأخذت تفكر مليًّا ثم قالت: «ربما كان جزءٌ مني ليرغب في ذلك، غير أن ميني كانت لتقتلني قبل أن تدعني أقتل ساحرة أخرى من

أجلها. وكذلك أمي (تخلل كلماتها بصيص من الغضب عندما اجتاحتها ذكرى ما فعلته تيفاني مرة أخرى) لقد خنتِ الأساس الذي بُنيت عليه جماعتنا. لم تكن أمكِ لترغب في ذلك، لقد كان الثمن باهظًا أكثر من اللازم. لم يستحق الأمر التضحية بحياة تلك الساحرات الأخريات. لم يستحق التضحية *بحياتكِ*».

حدقت تيفاني إليها وكأنها تفكر بتأنٍ في الكلمات التي سوف تتفوه بها تاليًا. ولوهلة بدت حزينة إلى حدٍ لا يُحتمل ثم ابتسمت قائلة: «لقد كنتِ أعز صديقاتي يا سكار. ولكننا لم نكن ساحرتين متماثلتين». سارت تيفاني إلى بيت الطيور ونقرت عليه. طارت الغربان خارجه وتفرقت في سماء الليل.

التفتت تيفاني إليها فجأةً قائلة: «عِديني بشيءٍ واحدٍ».

قالت سكارليت: «أي شيء؟».

غير أن جزءًا منها تردد وأمل أنها لا تطلب شيئًا ليس في مقدورها فعله.

- عِديني أنكِ سوف تطمئنين عليها.

اعتُصِر قلب سكارليت ألمًا وتعهدت قائلة: «ما كان عليكِ أن تطلبي هذا. سوف نحرص على توفير الرعاية اللازمة لأمكِ».

تألقت عينا تيفاني وقالت: «وشيء آخر».

- ما هو؟

- عِديني أنكِ لن تدعي ما فعلتُه يمنعكِ عن أن تكوني الإنسانة التي يفترض أن تكونيها.

قبل أن يتسنى لسكارليت الرد، دوى صوت نعيق فوق رأسها. تطلعت سكارليت للأعلى لترى غرابًا ذا عينين صفراوين يحوم فوقها. لقد كان غرابها المفضل هارلو. وعندما التفتت ناحية تيفاني مجددًا لتجيبها، كانت صديقتها قد اختفت. وفي مكانها، حط غرابٌ أسود ذو عينين زرقاوين على حافة السطح. رمشَ بعينيه مرة وحيدة لسكارليت، ثم برفرفة قوية من جناحيه، حلَّق في سماء الليل، تابعًا هارلو نحو الظلام.

استيقظت سكارليت واسم تيفاني يتردد على شفتيها، وأشعة الشمس تنساب عبر نوافذها. لقد كانت في سريرها في الكابا هاوس، ورغم أنها أدركت

أنها كانت نائمة، فإنها لم تكن واثقة كليًّا أن محادثتها مع تيفاني كانت مجرد حلمٍ. أملت سكارليت أن تكون صديقتها قد وجدت السكينة والسلام. أن تكون كما الغربان، تحلق في سماء الليل.

همست قائلة: «وداعًا يا صديقتي».

آملةً أن تكون روح تيفاني أينما كانت قادرة على سماعها. وعبر نافذتها المفتوحة، كادت تقسم إنها سمعت صوت نعيق حزينًا.



بعد تناولهن العشاء في ذلك اليوم، كان هناك طرْق على باب غرفة سكارليت.

أطلَّت فيفي برأسها من خلف الباب قائلة: «لقد حان الوقت. لقد فكرت في أنه سيكون من الماتع أن أساعدكِ في الاستعداد على سبيل التغيير».

قالت سكارليت: «سأحب هذا».

اقتربت الفتاة الأصغر منها ووضعت بطاقات التارو خاصتها على الطاولة أمامهما.

قالت سكارليت: «أظن أنكِ أثبتِ أنكِ لم تعودي بحاجة بعد الآن إلى استخدام البطاقات في كل مرة تفعلين فيها تعويذة».

ابتسمت فيفي. رغمًا عنها، ورغم كل شيءٍ مررن به، لاحظت سكارليت أن فيفي بدت أكثر خفة وسعادة مما كانت في الأيام الماضية. تساءلت ما إذا كانت قد رأت مايسون. ما إذا كانا قد تبادلا القُبلات بالفعل. ما إذا كانا قد ارتبطا بصورة رسمية... ثم دفعت سلسلة الأفكار هذه عن ذهنها. إذ إنها كانت قد بدأت تضع موضوع مايسون وراء ظهرها، غير أن المضي قدمًا عمره ما كان خطيًّا، وما كان الخوض في التفاصيل ليفيد أي أحد.

أمرتها فيفي قائلة: «أغمضي عينيكِ».

وتمكنت سكارليت من الشعور بدغدغة السحر بينما كانت فيفي تُجمِّل جفنيها. فتحت سكارليت إحدى عينيها قليلًا لتنظر من النافذة. كان القمر

المكتمل قد أطلَّ من خلف الأشجار من بعيد، ملقيًا بضوءٍ ذهبيٍّ دافئٍ على حرم ويسترلي الجامعيِّ.

أمرتها فيفي قائلة: «كُفي عن الرمش بعينيكِ كثيرًا».

أغمضت عينيها مجددًا وأخفت ابتسامتها قائلة: «آسفة».

- كيف لي أن أجملكِ بصورة سليمة احتفالًا بليلتكِ الأولى كرئيسة للجماعة إذا واصلتِ التململ في مكانكِ؟

لاحظت سكارليت نبرة الضيق في صوتها. تجهمت سكارليت قائلة: «أشك في هذا».

سددت إليها شقيقتها الصغرى نظرة ممتعضة. إذ إنهما خاضتا هذا النقاش عشرات المرات بالفعل.

- بحقكِ، وكأننا سنصوِّت لأحدٍ غيركِ بعد كل هذا.

برحيل داليا، لم يتسنَّ للكابا الانتظار حتى العام القادم لاختيار خليفة لها. لقد كُنَّ بحاجة الآن إلى من تحل محلها وتؤدي مهامها. ويفضل حدوث ذلك قبل طقوس القمر المكتمل الليلة، التي يحتجن فيها إلى ساحرة متمرِسة لإرشادهن وقيادة الطقوس وتوجيه سحر الشقيقات كما ينبغي.

في السابق، كانت سكارليت لتقتنص الفرصة. أما الآن...

- لم أكُن رئيسة حتى ورغم ذلك أفسدتِ الأمور لدرجة رهيبة. لقد فشلت في أن ألاحِظ أن أعز صديقاتي اتجهت نحو الشر، لقد تجاهلتكِ بسبب أمرٍ تافهٍ يخص حبيبي السابق، في الوقت الذي وجب عليَّ أن أركز فيه على مشكلات الكابا.

كانت سكارليت قد تساءلت لمئات المرات بالفعل: «ماذا لو كنت قد رددت على مكالمة فيفي في تلك الليلة؟».

أضافت قائلة: «ناهيكِ بأنني أفشيت سرنا لأحد الغرباء».

- ولكنكِ قلتِ إنكِ أصلحتِ الأمر.

لم تعترف سكارليت لأيِ أحدٍ غيرها بهذا، ولا حتى مِي. ولكن بعد بضع ليالٍ من تلاعبها بذكريات جاكسون (وتجرعها العديد من أكواب النبيذ الحار التي تشتهر بها إيتا)، اعترفت بذلك لفيفي. في الواقع، لقد اعترفت بأشياء كثيرة لفيفي. أكثر مما تخيلت أنها ستعترف بها في يومٍ من الأيام.

أجابتها سكارليت قائلة: «أجل. ولكن ما كان يجب أن يحدث هذا في المقام الأول».

وتقلَّصت معدتها عندما فكرت في اللحظة التي رأت فيها جاكسون في صف الفلسفة الذي يحضرانه معًا في هذا العام. لقد تركزت عيناه عليها مُطوَّلًا لدرجة أنها خشيت أن تكون التعويذة أُبطِلت. غير أن نظراته تحوَّلت عنها وقال شيئًا متحذلِقًا حول نظرية العقد الاجتماعيِّ. بقدر ارتياح سكارليت لكون تأثير التعويذة لا يزال ساريًا، كانت تلك اللحظة حلوة ومُرة في آنٍ واحدٍ. رغم كل شيء، أرادته أن يتذكر علاقاتهما على مستوى روحانيٍّ فيما وراء الذاكرة. غير أن تفكيرها كان ساذجًا ومناقضًا لأفعالها.

ذكَّرت نفسها: «*لقد فعلتِ الصواب*. لم يكن هناك خيار آخر».

قالت فيفي: «ولكنكِ فعلتِ الصواب في النهاية».

ما جعل سكارليت تتساءل ما إذا كانت شقيقتها الصغرى تمتلك نفحة من موهبة ساحرات السيوف في قراءة العقول.

أردفت فيفي قائلة: «هذا ما يهم حقًا. ولكن فعلكِ التصرف السليم لا يعني أن تتصرفي كراهبة يا سكارليت. لمَ لا تبدئين من جديد مع جاكسون؟ ليس ضروريًّا على الإطلاق أن يعرف عما فات».

بينما كانت سكارليت تفكر في كلام فيفي، أدركت شيئًا. رغم أن مايسون هو من حطم قلبها، إلا أن القُبلة التي عجزت عن نسيانها كانت قُبلة جاكسون وليس هو. ولكنها اضطرت إلى التخلي عن جاكسون، وبعكس ذاكرته، كانت ذاكرتها على حالها. لقد عجزت عن نسيان ما أشعرها به. ولكنها كانت لا تزال ساحرة، وكان هو لا يزال بشرًا عاديًّا. ولم تتخيل إمكانية ارتباطها به دون أن تخبره بالحقيقة من أول وجديد.

هزت سكارليت رأسها اعتراضًا قائلة بحزمٍ: «لن يكون الأمر كالمرة الأولى».

ابتسمت فيفي بحزنٍ ولكنها أومأت برأسها وكأنها تفهمت ذلك. ساد الصمت بين الفتاتين مجددًا عندما عادت فيفي إلى العمل. وأخيرًا، ربتت فيفي على كتفيها قائلة: «حسنٌ، ألقِي نظرة».

فتحت سكارليت عينيها ببطءٍ ثم اتسعتا عن آخرهما. لقد بدت الفتاة التي أطلَّت من المرآة مألوفة وغير مألوفة في آنٍ واحدٍ. لقد امتلكت نفس عينَي سكارليت البُنيتين وبشرتها السمراء الداكنة. غير أن عظام وجنتيها بدت أكثر بروزًا وحِدة قليلًا، وعيناها أوسع وشفتاها أكثر امتلاءً، أو ربما كان هذا مجرد خداعٍ بصريٍّ بفضل ملوِّن الشفاه الأحمر الزاهي الذي استخدمته فيفي عليهما. وكانت خصلاتها المتموجة مرفوعة لأعلى بعشرات الدبابيس المتلألئة المرتصة على شكل أوراق أشجار خريفية صغيرة، ألوانها برتقالية داكنة وحمراء قانية وخضراء مائلة للصفرة. أما بقية شعرها فقد انسدل في خصلاتٍ متموجة مثالية على ظهرها وصولًا إلى حافة فستانها الأسود الليليّ.

عادةً ما كانت طقوس القمر المكتمل مناسبة للاحتفال بثمار جهدهن قبل أن يشمرنَ سواعدهن استعدادًا لفصل الشتاء. غير أنها الليلة سوف تكون مناسبة حزينة، لتبجيل دورة الحياة والموت والبعث. بدا هذا ملائمًا وبخاصة أن جنازتَي داليا وتيفاني عُقِدتا في مطلع هذا الأسبوع. كما أنها كانت مناسبة لتذكير سكارليت بمدى عدم صلاحيتها لقيادة أي كيان، ناهيك بالكابا هاوس. حتى لو بدا أنها ملائمة لهذا الدور، في قرارة نفسها لم يكن هذا ما شعرت به.

إلى جوارها عضَّت فيفي شفتها بقلقٍ وقالت: «ألا تعجبكِ الإطلالة؟».

هزت سكارليت رأسها نفيًا قائلة: «بالعكس. الإطلالة مثالية يا فيفي. شكرًا لكِ».

نهضت وقطعت غرفتها متجهة نحو بابَي شرفتها. وبالخارج، رأت أن شقيقاتها تجمّعن بالفعل في الباحة الخلفية. أخذت جولييت تشعل النيران، وإلى جوارها أضافت جيس حزماتٍ من الأعشاب إلى الحطب على مسافاتٍ من

بعضها بعضًا. لم تتفرق هاتان الفتاتان عن بعضهما بعضًا أكثر من دقيقة منذ أن انهار كل شيء.

كانت سكارليت سعيدة أنهما حظيتا ببعضهما بعضًا. بعد ما حدث في الأسابيع القليلة الماضية، رغبت هي أيضًا في التشبث بمن تحبهن. وبخاصة شقيقاتها. شقيقاتها اللاتي لم تتحمل فكرة تخييب آمالهن مرة ثانية.

تكاثفت أنفاس سكارليت على الزجاج. لقد تحدثت بصوتٍ واهنٍ لدرجة أنها لم تكن متأكدة أن فيفي ستتمكن من سماعها: «ماذا لو صوتن جميعًا لي وأنا... أفسدت الأمور فحسب؟».

ولكن بعدها بثوانٍ، ظهرت شقيقتها الصغرى إلى جوارها قائلة: «أعتقد أن حقيقة أنكِ قلقة لهذه الدرجة تعني أنكِ أكثر استعدادًا من أي وقتٍ مضى لقيادتنا».

ضحكت سكارليت.

نظرت فيفي في عينيها قائلة: «أعني ذلك. القادة العظماء يولَدون من رحِم الحاجة وليس اليقين. ونحن بحاجة إليكِ يا سكارليت. أكثر من أي وقتٍ مضى. ولكن إذا وقفتِ هنا وأخبرتِني أنكِ لا تحملين بداخلكِ ذرة من الخوف، أنكِ واثقة كليًّا أنكِ سوف تصبحين أفضل رئيسة حظيت بها جماعة الغربان على الإطلاق، حينها سوف يساورني القلق. ففي النهاية، جميعنا يعرف نتيجة السعي للسلطة بغرض الحصول على النفوذ فحسب».

تيفاني.

كانت سكارليت قد قضت وقتًا طويلًا خلال الأسابيع القليلة المنصرمة تتأمل مشاعرها تجاه أعز صديقاتها. من المحتمل أن مشاعرها المتناقضة تجاهها سوف تتصارع بداخلها للأبد، لأن في قرارة نفسها، ما زال جزء كبير منها يحب تيفاني. ورؤية الطريقة التي تكومت بها والدة تيفاني على قبرها في جنازتها وهي تنتحب، حطمت قلب سكارليت. لقد علمت سبب فعل تيفاني ما فعلته.

ولقد أرعبها هذا الإدراك. ماذا لو قادها الحب هي أيضًا إلى المسار الخطأ في أحد الأيام؟ ولكن لا. فيكفي أنها شهدت على ما أصبحت عليه تيفاني، ورأت بأم عينيها نهايتها المروعة، وأظهر لها ذلك ما يكمن على الجانب الآخر من الشر، أظهر لها تبعات الاستسلام لإغواء قوى الشر المطلقة. لقد علّمتها تيفاني الكثير. لقد كانت سكارليت بحاجة فقط للتأكد من أنها لن تنسى الدرس ولن تكرر أخطاء صديقتها أبدًا.

وفي الوقت الراهن... كانت فيفي على حق. لقد كانت شقيقاتها بحاجة إليها. لم تكن سكارليت واثقة من أنها استحقت قيادتهن، غير أنهن لو طلبن منها أن تفعل هذا لأجل مصلحتهن، لن تتردد في الموافقة.

الكابا أولًا وأخيرًا ودائمًا.

قالت سكارليت لانعكاس فيفي: «أنا مستعدة».

ابتسمت شقيقتها وفتحت الباب قائلة: «عظيم. إذًا، اخرجي وقودي هؤلاء الساحرات».



أعدَّت مِي وإيتا معظم تجهيزات الطقوس، بمساعدة جولييت وجيس. وشاركت المستجدات أيضًا، فقد خبزن أرغفة الحليب المُخَيَّض وأعددن عصير التفاح الساخن. أما مِي وإيتا فقد جهزتا المذبح الذي فاض بثمار التفاح والكمثرى وبذور الورد والتوت البري والبطيخ الأصفر الشتوي والكاكا. لقد كانت مناسبة للاستمتاع بالطعام، مناسبة للاحتفال.

غير أنهن أيضًا جلبن كرسيًا وطاولة من الحديد المشغول من الصوبة الزجاجية، وعلى الطاولة وضعن طبقًا زاخرًا بالطعام وكأسًا تفيض بالنبيذ. وأسدلن على الكرسي عباءة داليا الاحتفالية الحمراء وزينَّ الطاولة بالشموع الحمراء وبعض زهور الأوركيد الأرجوانية الداكنة التي لا بد أن إيتا اقتطفتها من الصوبة. لقد كان ذلك مقامًا رمزيًّا أُعِد لداليا وسطهن.

لقد اعتُصِر قلب سكارليت ألمًا عند رؤيتها إياه. غير أنها علمت أن داليا كانت لتقدر تلك البادرة. لقد أحبت الكابا بكل كيانها. وفي النهاية، ضحَّت بكل شيءٍ من أجلهن. ما كانت سكارليت لتخذلها.

التقطت سكارليت بطاقات التارو الخاصة بميني ووضعتها على الطاولة إلى جانب مجموعات بطاقات الساحرات الأخريات وبدأت في التحدث.

- أيتها الشقيقات، شكرًا لكُنَّ جميعًا لحضوركن الليلة.

سددت سكارليت أنظارها لهن الواحدة تلو الأخرى. لقد تأنقن جميعًا لهذه المناسبة، لقد ارتدين جميعًا فساتين سهرة سوداء، ما عدا جولييت، التي ارتدت بدلة سوداء أنيقة من ثلاث قطع. لقد أدى اللون الأسود غرضًا مزدوجًا: أسود كشعارٍ للغربان. أسود للحداد. وارتدت كل فتاةٍ منهن تميمة الأخوية التي عُلِّقت في سلسلة رقيقة تدَّلت حول أعناقهن.

- لقد مررنا جميعًا بفترةٍ عصيبةٍ خلال الأسابيع الماضية. لقد عانينا من الفقد والخيانة. لقد سُلِبت واحدة منا قبل أوانها (نظرت جميع الشقيقات إلى مقعد داليا) وشاهدنا شقيقة أخرى وهي تنتهك أعمق نذورنا وأكثرها قداسة.

لوهلة، ساد صمتٌ مطبقٌ. قطعت أريانا هذا الصمت وهي تشهق بالبكاء، مدَّت فيفي يدها وأحاطتها بذراعها.

- لن ننسى شقيقاتنا. لا تضحياتهن ولا أخطاءهن (أخذت سكارليت نفسًا عميقًا وأردفت) غير أن وقت اكتمال القمر هو أيضًا وقت للرخاء ووفرة الخيرات. وقتٌ للاحتفاء بما نزال نملكه بينما نستعد للشتاء الطويل المظلم أمامنا.

مدَّت كلتا يديها. وقفت مِي إلى يمينها وشبَّكت يدها في تلك اليد. بينما شبَّكت فيفي يدها في يدها اليسرى، وذراعها الأخرى لا تزال محاوِطةً أريانا. وواحدة تلو الأخرى، شبَّكت الغربان أياديهن.

- الليلة، سوف تجدد طقوسنا رابطة تآخينا. سوف ننذِر أنفسنا لبعضنا بعضًا، ونتشارك كلًا من سحرنا وولائنا. ولكن أولًا... (استقامت سكارليت في وقفتها وأردفت) لا بد أن نختار قائدة جديدة.

لقد جرت العادة على أن الرئيسة الحالية ترشِح اختيارها الأول، ودائمًا ما كانت عضوات الكابا يصوتن له. ولكن هذه المرة...

- مِي؟

بضغطة مطمئنة منها، أفلتت مِي يدها وانحنت لتلتقط حزمة استقرت عند قدميها. لقد كانت حزمة من الريشات. غير أنها لم تكن تلك الريشات ناصعة البياض اللاتي استخدمنها للتصويت بانضمام الفتيات إلى الأخوية. إذ إن لونها كان رماديًا ومشوبًا باللونين الأخضر المائل للزرقة والأرجواني.

مررت مِي تلك الريشات على كل عضوة من الغربان في الدائرة. وبينما أخذت تفعل هذا، فسَّرت سكارليت ما تفعله.

- يمكن لأيٍّ من الغربان أن ترشِح نفسها لمنصب الرئاسة. وبمجرد أن نجمع كل الترشيحات، سوف نصوِّت لشقيقتنا المختارة.

عندما وصلت مِي إلى سكارليت، غمزت بعينها وهي تُسلِم سكارليت ريشتها.

قالت مِي قبل أن يتسنى لأي أحدٍ الحديث: «أرشِح سكارليت وينتر».

وإلى يسارها تحدثت فيفي قائلة: «وأنا أيضًا».

أحنت سكارليت رأسها. لقد علمت ما الذي سيحدث تاليًا.

- حسنٌ، وماذا عن بقية الترشيحات؟

ساد الصمت في الفناء. نظرت حولها في الدائرة، وسددت أنظارها إلى كلٍّ منهن، متوقِعةً أن تختار إحداهن على الأقل اختيارًا آخر. قد تتحدث جيس وتختار جولييت، أو تختار إيثا مِي. غير أن الصوت الوحيد الذي صدح في الأجواء هو صوت الرياح التي داعبت الأشجار وتهادت من بعيد، ورفعت تنورات الفتيات وعبثت بشعورهن.

شعرت سكارليت بغصة في حلقها. لقد حدقت كل عضوة من الغربان إليها فحسب وهن في حالة من التأهب. وكأن الاختيار قد وقع عليها بالفعل.

قطعت سكارليت الصمت قائلة: «ولكن...».

قاطعتها مِي قائلة: «برجاء الإدلاء بأصواتكن الآن».

وبينما كانت تتحدث، استقامت الريشة في قبضتها والتمعت وتبعثر نسيجها شعرة وراء شعرة واستحال لونها إلى الذهبيِّ المعدنيِّ البراق. وفي أنحاء الدائرة، أخذت بقية الريشات تحذو حذوها ببطءٍ. تحولت ريشة فيفي في النهاية، وابتسمت الشقيقة الصغرى والتمعت عيناها بفخرٍ بينما رفعت ريشتها الذهبية في تحية لسكارليت. قلَّدتها الأخريات، حتى لم يتبقَ سوى ريشة سكارليت. راقبتها الفتيات الأخريات وقد بدا أنهن مرتبكات بسبب هذا الخرق للطقوس.

تفهمت سكارليت شقيقاتها، وفكرت في مدى تعقيد كونها ساحرة ومن الغربان. لقد نالت ما أرادته بالضبط، ولكن بطريقةٍ مختلفةٍ تمامًا عما تخيلت. لم يكن ذلك ارتقاءً مولودًا من رحِم الانتصار بل تنصيبًا من رحِم الحاجة وكسرة القلب. ولكن بتطلعها في أنحاء الدائرة، حيث استقرت فجوتان اعتادت شقيقتان لها الوقوف فيهما، أدركت أنها كانت أقوى مما تتخيل وكذلك كانت شقيقاتها.

عندما كانت سكارليت تتجهز لحفل التعارف، قالت لها ميني: «*بإمكانكِ أن تكوني أقوى ساحرة في العالم إذا آمنتِ بنفسكِ وآمنتِ بشقيقاتكِ. غير أن كونكِ أفضل ساحرة وكونكِ أفضل عضوات الغربان ليسا شيئًا واحدًا*».

في ذلك الوقت فكرت في أن ميني تتصرف كميني فحسب. لقد كانت ميني إنسانة صالحة للغاية. ولكن الآن فهمت سكارليت حقيقة ما عنته ميني. لطالما عنى كونكِ من الغربان أنكِ الأفضل. ولكن كونكِ أقوى ساحرة وكونكِ أفضل شقيقة ليسا نفس الشيء. لطالما دفعت الغربان بعضهن بعضًا إلى الأمام. لقد كان ضغط المنافسة ما جعلهن جميعًا في أفضل حالاتهن، أو هكذا ظنت. ولكن ماذا لو أنها كانت قد توقفت عن المثابرة وخصصت وقتًا لملاحظة ما

كان يجري مع تيفاني؟ ماذا لو أنها كانت قد انتبهت لآلام صديقتها ومنعتها عن إيذاء أي شخصٍ آخر؟

لقد كان هناك جزء من ماضيهما، جزء من نفسيهما عجزتا عن التعامل معه من أول وجديد. كم من الساحرات لاقين حتفهن قبل أن يتسنى لهن أن يتعلمن من أخطائهن؟

نظرت سكارليت حولها إلى كلٍّ من الشقيقات قائلة: «أعلم إلى أي مدى أخفقت. كيف عرضتنا جميعًا للخطر. ولكن إذا وضعتن ثقتكن فيَّ، فما أرغب فيه هو أن نصبح نوعًا مختلفًا من الأخويات. نوعًا يقدر التآخي مثلما يقدر النفوذ. أعتقد أن بإمكاننا فعل الأفضل. أعتقد أننا يمكننا أن نكون أفضل. أعتقد أننا يمكننا أن نحرص على ألا يتكرر ما حدث لغوين وداليا وتيفاني وإيفيلين منذ تلك السنوات البعيدة مرة ثانية. ولكن لن يتحقق هذا ما لم نأخذ حذرنا. ما لم نقر بأن هناك نزوعًا بداخلنا جميعًا ناحية الشر. سوف أقبل هذا المنصب في حالة واحدة وهي أن ترغبن جميعًا في بناء كابا جديدة. كابا لا تتجاهل الشر بل تواجهه. كابا يمكننا جميعًا أن نفخر بها. والآن، سوف أمنحكن دقيقة في حال رغبت أيٌّ منكن في إعادة ريشتها لحالتها السابقة».

أعقب ذلك صمت مطول. أحكمت جيس قبضتها حول يد جوليت. وتبادلت بايلي النظرات مع أريانا. وحدقت مِي إلى سكارليت فحسب، وكان تعبير وجهها غامضًا.

وأخيرًا، قطعت فيفي الصمت. ابتسمت قائلة: «الريشة الوحيدة التي ننتظر أن يتغير لونها، هي ريشتكِ يا شقيقتي الكبرى».

أومأت الفتيات الأخريات برؤوسهن واتسعت ابتساماتهن.

وتفاجؤًا بذلك القدر من المشاعر، رمشت سكارليت بعينيها كبحًا لدموعها. سددت نظرة أخيرة إلى مركز الدائرة حيث استقرت طاولة داليا. وفي صمتٍ تعهدت لشقيقتها الكبرى قائلة: *«لن أخذلكِ»*.

ثم رفعت سكارليت ريشتها وجعلت نسيجها الذهبيّ يتلألأ تحت سماء الليل. نقَّلت نظرها من شقيقةٍ لأخرى. لقد واجهن جميعًا الشر وانتصرن عليه.

ولم تكن هناك أي مؤشرات على أنهن سوف يضطررن إلى مواجهته ثانيةً. باستثناء الماضي.

قالت: «أقبل»، وأخذت تراقب الريشات وهي ترتفع في الهواء وتحلق ناحية مركز الدائرة، وتلتحم معًا لتشكِل تاجًا. أحنت سكارليت رأسها والتقطت فيفي الإكليل من الهواء وتوَّجت به بحرصٍ بالغٍ رأس رئيستهن الجديدة. وعندما رفعت سكارليت ذقنها، تلاقت عيناها بعينَي فيفي لثانية قبل أن تقعا على كلٍّ من شقيقاتها.

شعرت بسحرهن ينساب بداخلها ويحاوطها. للمرة الأولى تشعر أنها فهمت المعنى الحقيقيَّ لكونها ساحرة. القوة. التضحية. الأفضلية. لقد كانت فيفي محقة، بإمكانها فعل هذا. لقد كانت ساحرة. لقد كانت من الغربان. ومعًا، هي وشقيقاتها، لن يستعصي عليهن شيء.



شكر وامتنان

أتوجه بالشكر إلى أصدقائي وشركائي ومشجعيني في ألوي الذين جعلوا أحلامي في عالم الكتابة تتحقق: ليس مورجنشتاين وجوش بانك وسارا شاندلر وجويل حبيقة وفيانا سينيسكالتي ورومي جولان. وشكرٌ خاصٌ لمحررتنا لاني ديفيس التي تجعلها حكمتها وإبداعها وطيبتها وبراعتها الهائلة في السرد القصصيِّ أقيم ساحرة في جماعتنا.

أشعر أنني محظوظة للغاية لعملي مع الفريق الرائع في دار نشر هوتون ميفلين هاركورت، وبخاصة إميليا رودس التي يُعَد عقلها التحريريُّ واحدًا من ألمع العقول في هذا المجال. لقد آمنتِ بهذا المشروع منذ البداية ولقد ألهمنا حماسكِ وبصيرتكِ الثاقبة أن نروي أفضل قصة ممكنة. وشكرًا لكِ يا جيسيكا هاندلمان لابتكاركِ غلاف أحلامنا السحريَّ.

وشكرًا جزيلًا لفريق الحقوق الفكرية وكل دور النشر الأجنبية التي أنتجت إصدارات فائقة الجمال من كتبي، وأتاحت لي فرصة مقابلة أشخاصٍ رائعين من جميع أنحاء العالم.

وشكرٌ خاصٌ لدور نشر بلوسوم بوكس و20/20 إيديتوريا وإيديسيو روبير لافو لمساندتهم، وشكرٌ خاصٌ لفابيان لو روي لمساعدتي في كتابة إحدى التعاويذ باللغة الفرنسية.

وأنا ممتنة أكثر من أي وقتٍ مضى لفريق الكتابة ذي الموهبة المذهلة والدعم غير المحدود: لورا بيسبرج ومايكل بيسبرج ولورا جون ريدج ومات جلاين ونِك إلايبولوس وجريس كيندال وجافين براون.

وشكرٌ إضافيٌّ لجريس إلى جانب إيميلي كليمنت لمرافقتي في رحلة بحثية عاصفة إلى سافانا تقرر خوضها في اللحظة الأخيرة. لا يوجد أحدٌ في العالم بأسره قد أُفضِّل احتساء مشروبات الكوكتيل واستكشاف القبور معه عنكما أيتها السيدتان.

شكرًا لعائلتي التي ثقفتني وبخاصة أوليفيا فالكارس لإحيائها حب التارو بداخلي من جديد، ومايا مارليت لإبقائي غزيرة الإنتاج وعقلانية ولإضحاكي طوال اليوم، وشيللي روميرو لإضفائها أجواءً من السحر والفتنة والطراز القوطي على المكتب وقراءتها المفيدة والفطنة والحساسة للعمل. أما إيلين جودليت، فشكرًا لكِ كثيرًا على تعاويذكِ وعقلكِ السحريِّ وكونكِ جزءًا من أخويتنا. أنتِ السحر نفسه.

وإلى عائلتي الحقيقية، وبخاصة لأبي سام هنري كاس، لجعلي كاتبة.

بنجامين هارت، شكرًا لك على دعمك الدائم وعلى جلب الكثير من السحر الحقيقيِّ إلى حياتي.

وأكبر تحية على الإطلاق لدانييل بايج. شكرًا على هذه الفرصة الرائعة وعلى مساعدتي في تطوير مهاراتي في مجال السرد القصصيِّ. لا أصدق أنني تسنى لي تأليف كتابٍ مع واحدة من كاتباتي المفضلات وأقرب الأشخاص إلى قلبي.

كاس مورجان.

إلى حبيبي كريس ألبيرز: أنت السحر عينه. أحبك.

إلى عائلتي آندريا وأبي وسيينا وجوش: أحبكم جميعًا، أنتم في قلبي. وسيينا: أحبكِ أنتِ وسحركِ.

إلى ابنتي الروحية فاي: أحبكِ حتى النهاية، ولا أطيق صبرًا لرؤية أي تعاويذ سوف تلقيها.

إلى آني وكريس وفيونا وجاكسون رولاند: أنتم عائلتي الثانية.

إلى لورين ديل: سوف تظلين صديقتي إلى الأبد.

إلى بوني دات: شكرًا لكِ ولنانيت ليبور دائمًا وأبدًا يا صديقتي.

إلى دارين شتراوس: أعجز عن وصف امتناني لكِ في كلماتٍ يا عزيزتي.

إلى جوش سابارا: شكرًا على ما يقرب من عقدين من الحب والدعم.

إلى إيلين جودليت: شكرًا على كونكِ عضوة فائقة الموهبة في جماعتنا. إنكِ عضوة أصيلة من الغربان.

إلى ساشا ألسبيرج: شكرًا على كونكِ داعمتي وصديقتي. أنا فخورة بكِ للغاية.

إلى صديقاتي جون ماري هدسون وميجان ستاينتريجر وليكسي دواير وليسا تولين وسارا كاجان وكريستين نيلثروب.

وإلى الجيل الجديد من الشباب: إيما وإيلي بريبز ولوجان وجاسبر ديل وآيدن وكولين كينيدي وفريتز وجوليان ومونتاجيو سوتون نيلثروب ودايزي وكلارا مونيوس وكونور وسامانثا واين.

وإلى فريقي في دار نشر نيو ليف: شكرًا لكُنَّ يا هيلاري بيشون وابيجايل دوناهيو وجوردان هيل.

إلى فولبي وبويا شهبازيان: شكرًا لكما على كل شيء.

إلى مساعِدتي إيميلي ويليامز: التي تحافظ على سير الأمور وتشع نورًا.

إلى عائلتي التي أهتدي بها كنبراسٍ: لقد أمَّنتم لي انطلاقتي في هذا المجال وبقيتم إلى جانبي طوال هذه السنوات. جيل لوري هرست وتينا سلون وكريستال تشابيل وميليسا سالمون ولورا رايت وجوردان فيلاسوزو... والكثيرين.

إلى ساشا موت: شكرًا على كل الرقة والدعم اللذين تمنحينهما.

إلى كامي جارسيا: لا يوجد أحد غيركِ قد أرغب في أن يشاركني عملية سطوٍ، تعلمين مدى محبتي لكِ.

إلى فرانك ليسر: شكرًا لكونكِ صدى لأفكاري ولكونك معطاء: أنتِ تلهمينني.

إلى كارين جرينبرج: أنتِ صديقتي وعرافتي.

إلى لاني ديفيس: بعد كل ذلك الوقت أنا سعيدة أننا اكتشفنا تعويذة أتاحت لنا العمل معًا.

إلى جويل حبيقة: شكرًا لكِ على إرشاداتكِ السحرية.

إلى إيميليا رودز: شكرًا لنثركِ غباركِ السحريَّ على الغربان.

وشكرًا لكِ يا كاس مورجان لقبولكِ أن تكوني ساحرة شقيقة لي، بين الصفحات وخارجها. أول مرة سمعتكِ فيها تروين قصة فُتِنتُ بصوتكِ وروحكِ. أنا سعيدة للغاية أن الفرصة أتيحت لنا لنخلق سحرًا معًا. أحبكِ يا صديقتي.

دانييل بايج.



الغربان

للوهلة الأولى تبدو الأخوات في أخوية كابا رو نو -الغربان- كالفتيات العاديات في الأخويات. طموحات وجميلات وذكيات. إنهن الفتيات الأقوى في حرم ويسترلي الجامعي في مدينة سافانا في ولاية جورجيا. غير أن الغربان لسن ذلك النوع النمطي من فتيات الأخويات، فهن ساحرات. لطالما عرفت سكارليت وينتر أنها ساحرة، ولهذا تُصمم أن تُصبح زعيمة للأخوية مثلما كانت أختها وأمها من قبلها. بيد أن هُناك سرًّا مؤلمًا من ماضيها إذا خرج للنور سوف يجعلها تخسر كل شيء... فيفي ديفيرو ليست لديها أي فكرة عن أنها ساحرة، ولم يحدث أن استقرت في مكانٍ واحدٍ مدة كافية لتكوين أصدقاء. لذا عندما تتلقى عرضًا للانضمام لجماعة الغربان، تتعهد بأن تفعل أي شيء في سبيل أن تكون فردًا في الأخوية السحرية. ولكن الشخص الوحيد الذي يقف عقبة في طريقها، هو سكارليت التي لا تظن أنها تمتلك ما يلزم من الصفات للانضمام للجماعة.



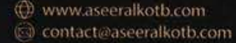
ولكن عندما تظهر قوى شريرة ومُظلمة في الحرم الجامعي، سوف تضطر الفتاتان إلى طرح شجارهما جانبًا وإنقاذ أخواتهن. هُناك من اكتشف سر الغربان، وسوف يفعل هذا الشخص كل ما في وسعه لمُشاهدة هؤلاء الساحرات وهن يحترقن.

تصميم الغلاف: محمود هشام


9 789776 902862






www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb